

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
بين القدامى والمحدثين،
أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي:
دراسة مقارنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

محمد رجائي أحمد الجبالي

قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا
كوالالمبور
٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

هذا البحث موضوعه [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، دراسة مقارنة] ويقوم البحث على الموازنات، حيث يدرس ما يلي: (١) نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ومراحل تطوره. (٢) دراسة موجزة لأربعة من علماء توجيه المتشابه اللفظي القدامى في مقابل دراسة موجزة لأربعة من العلماء المحدثين الذين صنفوا في هذا العلم. (٣) دراسة منهج كل من القدامى والمحدثين في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وخصائص منهج كل منهما، مع الموازنة فيما بين القدامى والمحدثين من حيث المنهج، والخصائص، ومواطن التشابه التي تناولها كل من القدماء والمحدثون، وكيف أسس القدامى لعلم المتشابه اللفظي، وما أضافه المحدثون إلى هذا العلم. (٤) التوسع في دراسة أهم وأشهر شخصية من القدامى وهو: أحمد ابن الزبير الغرناطي وكتابه [ملاك التأويل] في مقابل التوسع في دراسة أهم وأشهر شخصية من المحدثين وهو: فاضل صالح السامرائي وكتبه في المتشابه [التعبير القرآني - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - أسئلة بيانية في القرآن الكريم]. (٥) الموازنة العملية بين توجيه ابن الزبير الغرناطي وتوجيه فاضل السامرائي لثلاث وأربعين مسألة اشترك كل منهما في توجيهها.

وقد تعددت مناهج البحث في هذه الدراسة، فجمعت المنهج الاستقرائي الإحصائي، والمنهج الوصفي الذي يعتمد على توضيح كل ما يتعلق بالمشكلة، والمنهج التاريخي من خلال تتبع آراء المفسرين وتحقيق الأقوال، والوقوف على أقربها وصولاً للمعنى، والمنهج النقدي التحليلي الذي يتناول مناقشة الأفكار والأقوال، والاجتهاد في الوقوف على أقربها للحق والصواب، حيث إن الدراسة تقوم على المقارنة والموازنة فيما بين الأفكار والأقوال.

وقد خلص البحث بأن علم توجيه المتشابه اللفظي ما زال بكرا غضا، وما زالت المصنفات والدراسات التي تناولته قليلة محدودة، والفضل كله ما زال للمتقدمين الذين أسسوا لهذا العلم، حيث إن إضافات المحدثين ما زالت محدودة، وما زال أكثر آيات المتشابه اللفظي لم توجه بعد، والحاجة ماسة لانصراف العلماء والباحثين إلى هذا العلم وتناوله بالبحث والتصنيف.

Abstract

CONCEPTUALIZING VARIABLE SIMILARITIES IN THE QURAN BETWEEN TRADITIONAL AND MODERN SCHOLARS, AHMAD AL-GHARNATI AND FADIL AL-SAMARRA'I: A COMPARATIVE STUDY

This research tries to examine many important topics such as (1) is the emergence of verbal knowledge of variable similarities in the Holy Quran and the stages of development, (2) is a brief study of four scientists from the guidance of Like verbal veterans in return for a brief study of four modern scientists who are classified in this science. (3) the approach of both old and modern in the direction of Like verbal in the Koran, and the characteristics approach each other, with the balance between the old modernists in terms of curriculum, and characteristics, and a citizen of similarity, which dealt with both ancient and Modern, and how the foundations of old for the information of Like verbal, etc. Modern added by this knowledge. (4) expansion in the study of the most popular figure of the old is: Ahmad Ibn al-Zubayr from Granada and his book [Angel interpretation] in exchange for expansion in the study of the most popular figure of the modern: the Fadel Saleh al-Samarrai and written in of Like [Qur'anic expression - the eloquence of the word in the qur'anic expression - Questions Highlights in the Koran]. (5) the budget process between Ibn al-Zubayr Granada guide and direct Fadhel al-Samarrai for forty-three issue involved in each direction. The varied research methods in this study, bringing inductive approach statistical, and descriptive approach, which relies on clarifying both about the problem, and the historical method by tracking the views of commentators and the achievement of words, and to identify the closest access to the meaning, and critical approach analytical deals with the discussion of ideas, words, and diligence to stand on the closest to the truth and righteousness, where the study is based on the comparison and balancing among the ideas and words. The research concluded that the flag of guidance of Like verbal abuse is still a virgin standing of, and still works and studies that addressed a few limited, and the entire credit is still to applicants who founded this science, as the add-modernists are still very limited, and still more signs of Like verbal not been yet, and the urgent need for the departure of scientists and researchers to the science and research and dealt with the classification

إهداء

إلى أَحَبِّ خلق الله إلى قلبي، إلى الذي أخذ بيدي إلى ربي، إلى الذي أخرجني من غياهب الغفلة والجهل إلى أنوار العلم والهداية، إلى أَحَبِّ خلق الله إلى الله، النبي المصطفى محمد بن عبد الله رسول الله الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم إلى شباب الثورة العربية في مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن وفي كل بلاد العرب، لقد بعثتم الأمة من سباتها، وأخرجتموها من ذلها، ورددتم إليها عزها، ونفختم فيها روحها، فقمتم بها تنفضون عنها ذلا وقهرا طالاً بها زمناً مديداً، وبكم ستعود الأمة إلى دورها، الذي أوكله الله بأمة محمد، ألا وهو حمل مصابيح الهداية إلى العالمين.

فهرس المحتويات

الجزء الأول

١	فهرس المحتويات
٨	- حدود البحث
٨	- مشكلة البحث
٨	- أهداف الدراسة
٩	- الأسئلة الافتراضية التي يجيب عنها البحث
١٠	- منهج البحث
١١	- الدراسات السابقة
١٤	- وجوه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة
١٥	- تمهيد
١٦	- مقدمة

الباب الأول: مدخل إلى علم المتشابه اللفظي التعريف، والنشأة، والتطور

١٩

٢٠	الفصل الأول: [توجيه المتشابه اللفظي] معجميا واصطلاحيا وبلاغيا
٢٠	المبحث الأول: [توجيه . التشابه . اللفظي] معجميا
٢٠	المطلب الأول: [توجيه] معجميا
٢٤	المطلب الثاني: المتشابه معجميا
٣٠	المطلب الثالث: اللفظي معجميا.
٣٣	المبحث الثاني: توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا
٣٣	المطلب الأول: [توجيه] اصطلاحا
٣٥	المطلب الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن اصطلاحا
٤٠	المبحث الثالث: المتشابه اللفظي بلاغيا

- ٤٠ المطلب الأول: التكرار من الفصاحة
- ٤٦ المطلب الثاني: فوائد وأغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم:
- ٥٩ الفصل الثاني: نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه
- ٦٠ المبحث الأول: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن
- ٦٠ المطلب الأول: تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره:
- ٦١ المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة وتطور توجيه المتشابه اللفظي
- ٦٣ المبحث الثاني: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم
- ٦٣ المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين
- ٦٤ المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظه والقراءه وتدوينه
- ٦٦ المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي
- ٦٩ المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي
- ٧١ المبحث الثالث: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد
- ٧١ المطلب الأول: مرحلة الركود
- ٧٢ المطلب الثاني: مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية
- ٧٨ المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد
- ٨١ المبحث الرابع: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
- ٨١ المطلب الأول: اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]
- ٨٥ المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف
- ١٠١ الباب الثاني: القدامى والمحدثون المنهج والتأصيل لعلم المتشابه اللفظي
- ١٠٢ تمهيد:
- ١٠٣ الفصل الأول: مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له
- ١٠٣ المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته
- ١٠٣ المطلب الأول: نسبه وعلمه
- ١٠٧ المطلب الثاني: كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] اسمه وفضله

- المطلب الثالث: أهداف الإسكافي من كتابه وخصائص أسلوبه ومنهجه ١١١
- المبحث الثاني: الكرمانى ومنهجه فى البرهان ١٢٠
- المطلب الأول: نسب الكرمانى وفضله ١٢٠
- المطلب الثانى: الدراسات التى عقدت حول كتاب البرهان ١٢٢
- المطلب الثالث: كتاب البرهان وخصائص منهجه ١٢٣
- المبحث الثالث: ابن جماعة وكشف المعانى ١٣١
- المطلب الأول: مولده ، ونسبه ، ونشأته ١٣١
- المطلب الثانى: مكانة ابن جماعة العلمية ١٣٣
- المطلب الثالث: التعريف بكتاب [كشف المعانى] ١٣٥
- المطلب الرابع: منهج ابن جماعة فى [كشف المعانى] وخصائص أسلوبه ١٣٨
- المبحث الرابع : فتح الرحمن للأنصارى نقل وتجديد. ١٤٣
- المطلب الأول: السيرة الذاتية للأنصارى ١٤٣
- المطلب الثانى: التعريف بكتاب [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن] ١٤٧
- المطلب الثالث: منهج [فتح الرحمن] وخصائص أسلوبه ١٤٩
- المبحث الخامس: السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى فى توجيه المتشابه اللفظى ١٥٣
- الفصل الثانى: المحدثون تجديد وإثراء ١٥٧
- المبحث الأول: المطعنى وكتابه [خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية] ١٥٨
- المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته ١٥٨
- المطلب الثانى: خصاله وجهاده ١٥٩
- المطلب الثالث: مكانته العلمية ١٦٣
- المطلب الرابع: التعريف بكتاب المطعنى [خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية] ١٦٦
- المطلب الخامس: خصائص منهج وأسلوب المطعنى فى توجيه المتشابه اللفظى فى كتابه ١٧٠

المبحث الثاني : ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]

١٧٦

المطلب الأول: شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد من خلال كتابه

المطلب الثاني: التعريف بكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم]

١٧٨

المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب ياسين المجيد

المطلب الرابع: مآخذ على ياسين المجيد في كتابه

المبحث الثالث: الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي

المطلب الأول: التعريف بالكاتب

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب

المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب الصامل في كتابه

المطلب الرابع: وقفات مع كتاب الصامل

المبحث الرابع : محمد القاضي وكتاب [المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير

من خلال اللغة والسياق]

المطلب الأول: التعريف بالكاتب والكتاب.

المطلب الثاني: نظرية السياق عند محمد القاضي.

المطلب الثالث: السابقون والسياق لدى القاضي.

المطلب الرابع: خصائص منهج محمد القاضي وتجديداته في دراسة المتشابه اللفظي في

القرآن.

المبحث الخامس: الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم

المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج المحدثين في توجيه المتشابه اللفظي

المطلب الثاني: تجديدات المحدثين

الجزء الثاني:

الباب الأول: الغرناطي والسامرائي وآثارهما في المتشابه اللفظي

٢٢٨	الفصل الأول: الغرناطي وملاك التأويل
٢٢٩	المبحث الأول: نسبه ونشأته
٢٢٩	المطلب الأول: الدراسات التي عُقدت حول الغرناطي وكتابه [ملاك التأويل]
٢٣١	المطلب الثاني : نَسَبُ الغرناطي ونشأته
٢٣٤	المبحث الثاني: مكانة الغرناطي العلمية
٢٣٤	المطلب الأول: شهرته الواسعة وضياع مصنفاته
٢٣٦	المطلب الثاني: رياسته العلمية للأندلس
٢٣٧	المطلب الثالث: العلوم التي نبغ فيها وشيوخه
٢٤٩	المبحث الثالث: أهداف كتاب [ملاك التأويل] ومنهجه
٢٤٩	المطلب الأول: أهداف كتاب [ملاك التأويل]
٢٥٢	المطلب الثاني: منهج الغرناطي في كتابه
٢٥٦	المطلب الثالث: خصائص أسلوب الغرناطي في [ملاك التأويل]
٢٦١	المبحث الرابع: كتابا الملاك والدررة
٢٦١	المطلب الأول: إحصاء المغفل
٢٦٦	المطلب الثاني: موازنة بين الدررة والملاك
٢٦٩	الفصل الثاني : السامرائي ومؤلفاته ومنهجه في المتشابه اللفظي
٢٦٩	المبحث الأول: التعريف بالسامرائي
٢٦٩	المطلب الأول: نسبه ونشأته
٢٧٠	المطلب الثاني: رحلة السامرائي العلمية والعملية
٢٧٢	المطلب الثالث: شغفه باللغة العربية والنحو خاصة
٢٧٣	المبحث الثاني: لقاء الباحث وحواره مع السامرائي
٢٧٣	المطلب الأول: الترتيب للقاء الدكتور فاضل السامرائي
٢٧٥	المطلب الثاني: حوار الباحث مع السامرائي
٢٧٩	المطلب الثالث: الخصائص العامة لكتب السامرائي
	المبحث الثالث: أهم كتب السامرائي التي اهتمت بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم

٢٨٢	
٢٨٣	المطلب الأول: كتاب [التعبير القرآني]
٣٩٤	المطلب الثاني : كتاب [بلاغة الكلمة في التعبير القرآني]
٣٩٩	المطلب الثالث: كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم]
٣٠٢	المبحث الرابع: خصائص أسلوب السامرائي في تناول المتشابه اللفظي
٣٠٢	المطلب الأول: منهج تناول وأسس توجيه المتشابه لدى السامرائي
٣٠٥	المطلب الثاني: خصائص عامة لأسلوب السامرائي في توجيه المتشابه اللفظي
٣٣٠	المطلب الثالث: تجديدات السامرائي في توجيه المتشابه
٣١١	المبحث الخامس: القواعد السامرائية
٣١١	المطلب الأول: محاولات السابقين في التقعيد لتوجيه آيات المتشابه
٣٢٢	المطلب الثاني: قواعد السامرائي
	المطلب الثالث: هل يمكن ضبط قواعد محددة يقاس عليها توجيه المتشابه اللفظي؟
٣٣٠	
٣٣٣	الباب الثاني: بين الغرناطي والسامرائي
٣٣٤	الفصل الأول: التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه
٣٣٤	المبحث الأول: التشابه والاختلاف في بنية الأفعال
٣٣٤	المطلب الأول: ما بين صيغتي [أَفْعَل.... فَعَّلَ]
٣٣٩	المطلب الثاني: بين التجرد والزيادة
٣٤١	المطلب الثالث: ما بين [يَتَفَعَّل ، وَيَفْعَل]
٣٤٣	المطلب الرابع: حذف تاء [استفعل] وإثباتها
٣٤٥	المبحث الثاني: التشابه والاختلاف في بنية الأسماء
٣٤٥	المطلب الأول: بين التعريف والتنكير
٣٤٩	المطلب الثاني: بين الإفراد والجمع
٣٥٥	المطلب الثالث: بين اسم الفاعل وأفعال التفضيل

٣٥٦	المطلب الرابع: بين التأنيث والتذكير
٣٥٩	المطلب الخامس: اختلاف نوع الجمع
٣٦١	المبحث الثالث: التشابه والاختلاف بالتوكيد وعدمه
٣٦٦	الفصل الثاني: التشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ
٣٦٦	المبحث الأول: تقديم وتأخير جملة
٣٧٠	المبحث الثاني: تقديم وتأخير شبه جملة
٣٧٩	المبحث الثالث: تقديم وتأخير كلمة
٣٨٣	الفصل الثالث: التشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل
٣٨٣	المبحث الأول: التشابه والاختلاف بالإبدال
٣٨٣	المطلب الأول: إبدال اسم باسم
٣٨٧	المطلب الثاني: إبدال فعل بفعل
٣٩٥	المطلب الثالث: إبدال حرف بحرف
٤٠٣	المبحث الثاني: التشابه والاختلاف بالذكر والحذف
٤١٢	المبحث الثالث: تشابه واختلاف الفواصل
٤٢٢	الخاتمة
٤٢٥	النتائج
٤٢٧	التوصيات
٤٢٨	المصادر والمراجع
٤٥٢	الفهارس
٤٥٢	فهرس الآيات المتشابهات التي درست خلال البحث
٤٦٤	فهرس الآيات المتشابهات موضع الموازنة بين الغرناطي والسامرائي
٤٧١	فهرس المصطلحات
٤٧٤	فهرس الأعلام

- حدود البحث :

موضوع هذه الدراسة محدود بمحدود توجيهه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لدى القدماء والمحدثين، حيث ستقف حدود هذا البحث عند الآيات التي تشابهت ألفاظها في القرآن الكريم ودراستها بلاغيا، وجهود القدماء في هذا العلم، وجهود المحدثين، مع موازات بين جهود كل منهما في: المنهج العام، ومنهج الاستنباط، والثراء الفكري والبلاغي، والوقوف على جهود عُلَمَائِنِهما أعظم من أثرى علم المتشابه اللفظي، كل في زمانه، ألا وهما أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي كنموذج للقدماء، وفاضل صالح السامرائي كنموذج للمحدثين، مع موازنة بين ثلاثة وأربعين من المواطن التي اشترك في توجيهها كل من الغرناطي والسامرائي، والوقوف على مدى التقارب بين كل من هذين العُلَمَائِنِ، وماذا أضاف السامرائي لبناء هذا العلم.

- مشكلة البحث:

ينشغل هذا البحث بالوقوف على أسس وخصائص منهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي، وإلى أى مدى وصلوا في هذا العلم، كما يجتهد البحث في الوقوف على التجديدات التي أضافها المحدثون ومدى تأثرهم بالقدامى، كما يحاول البحث إبراز مكانة وأثر كل من ابن الزبير الغرناطي وفاضل السامرائي - كل في عصره- في النهوض بعلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

- أهداف الدراسة :

اخترتُ هذا الموضوع لأسباب وأهداف عدة منها:

- ١- إثبات وتأكيده أنه لا تكرار في القرآن الكريم، إنما التكرار تكرار اللفظ من دون المعنى.
- ٢- الوقوف على فضل القدماء في تأصيل علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتأسيسه.

- ٣- إبراز دور المحدثين في إحياء علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن بعد فترة ركود طالت لأكثر من خمسمائة سنة.
- ٤- إثبات وتأكيد أن علم المتشابه اللفظي في القرآن ما زال بعد غضا طريا، في مراحل الأولى، رغم أن عمره تخطى الألف سنة.
- ٥- دراسة وتحليل لجهود أبرز عَلمَين في هذا العلم قديما وحديثا، وهما أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي.

- الأسئلة الافتراضية التي يجب عنها البحث :

يمكن إجمال الأسئلة التي يجب عنها البحث فيما يأتي:

- ١- ما هي أوجه بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟
- ٢- ما هي مناهج السابقين في تناول المتشابه اللفظي للآيات في القرآن الكريم؟
- ٣- ما هو الحد الذي وقف عنده السابقون في علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟
- ٤- هل اختلف منهج المحدثين عن منهج القدامى في تناول توجيه المتشابه اللفظي في القرآن؟
- ٥- ماذا أضاف المحدثون إلى علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟
- ٦- ما هي أوجه التوافق والاختلاف بين كل من الغرناطي والسامرائي كعلمين بارزين من أعلام المتشابه اللفظي في القرآن؟
- ٧- هل يمكن وضع قواعد محددة تضبط توجيه المتشابه اللفظي؟

- منهج البحث :

إن طبيعة هذه الدراسة تقتضي عدة مناهج مجتمعة لتحقيق أهداف البحث، فهي تعتمد على المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي الإحصائي، والمنهج التحليلي النقدي، وإيكم نبذة قصيرة عن كل منهج وموضعه من البحث:

١- المنهج الوصفي :

وهذا المنهج يتخلل فصول البحث جميعا، وهو يتعلق بجمع المعلومة، واستقصائها من مصادرها، وذكر كل ما يتعلق بالمشكلة، ومصادر المعلومات كما يلي:

١ . ١ - الكتب المطبوعة، كالكتب والمجلات العلمية المحكمة والنشرات والمؤتمرات.

١ . ٢ - برامج الحاسوب كالمكتبة الشاملة وإصدارات جمعية التراث، وغيرها من مواقع

العلماء والمواقع التي أخذت على عاتقها نشر التراث الإسلامي وعلومه.

١ . ٣ - الأشرطة السمعية : كمجموعة [إعجاز القرآن] للدكتور طارق السويدان، ومجموعة

الشيخ الشعراوي - رحمه الله - وغيرها من الأشرطة التي تناولت تفسير القرآن الكريم

للعلماء والشيخ المحدثين الأعلام، ما أمكن ذلك.

٢- المنهج التاريخي (الاستردادي) :

وهذا المنهج يتخلل جوانب هذا البحث من مقدمته حتى خاتمته، ويتعلق هذا

المنهج بتحقيق الأقوال ومناقشتها والوقوف على أقربها مقصدا ووصولاً للحق.

٣- المنهج الاستقرائي الإحصائي :

ومجال هذا المنهج من هذه الدراسة يتخلل المباحث والمطالب التي يردُ فيها آيات

تكرر لفظها في القرآن، وهذه المباحث والمطالب تتخلل فصول أبواب الدراسة جميعا

عدا الفصل الأول من الباب الأول، وبه سأجتهد في تتبع واستقراء وإحصاء -

مجتهدا قدر الطاقة والنظر - مواطن المتشابه اللفظي موضع البحث ومراجعة

إحصاءات السابقين والتأكد من صحتها، وهذا المنهج ساعتمد فيه على ثلاث

خطوات أساسية للوصول إلى نتائج دقيقة لإحصاء آيات المتشابه اللفظي التي سيمر

عليها البحث وهي كما يأتي:

٣ . ١ - النظر في الإحصاءات السابقة، وما وقف عليه السابقون، ومقارنتها بعضها ببعض.

٣ . ٢ - الاستقراء والإحصاء الإلكتروني: وذلك من خلال عدة برامج إلكترونية وظيفتها البحث في النصوص المكتوبة، وهي في معظمها دقيقة دقة عالية، ومن هذه البرامج: برنامج المصحف الرقمي، وبرنامج مصحف النور^١، وخاصة البحث الموجودة في الكمبيوتر، وبرنامج المكتبة الشاملة.

٣ . ٣ - الاستقراء والإحصاء الذاتي: وذلك من خلال المقارنة بين نتائج البرامج الإلكترونية ثم المقارنة بالنظر في كتاب الله تعالى مباشرة، والتأكد من صحة نتائج هذه البرامج، فإن وجدت خلافاً، كان الفيصل عندي هو البحث بالنظر والقراءة المباشرة في كتاب الله.

٤ - المنهج التحليلي المقارن:

ويتخلل هذا المنهج جوانب البحث أكثرها، فيناقش الأقوال والأفكار، ويجتهد في معرفة الأسباب الحقيقية التي تقف وراءها وأبعادها، ومعرفة الراجح من المرجوح، والوقوف على أوساطها، وحيث إن الدراسة في طبيعتها قائمة على الموازنة في أكثر جوانبها.

- الدراسات السابقة:

لعل الحق قد جانب لبيب صالح في قوله: "كثيرة هي الدراسات التي تعرضت لمادة التشابه اللفظي في القرآن"^٢ فيإني لا أتفق معه في ذلك، فكما أشرنا سلفاً في المقدمة إن الدراسات التي تناولت التشابه اللفظي في القرآن الكريم بالبحث قليلة، رغم أن هذه الدراسات بدأت منذ أكثر من ألف سنة، وليس أدل على ذلك من قوله هو: "لكنها مع كثرتها لم تستطع أيُّ منها أن تستوعب مفردات التشابه اللفظي في القرآن قاطبة"^٣، وأستطيع أن أجزم أنه لن يأتي من يقضي في هذا العلم الوطر، ويقول فيه كلمة الفصل، أو يدعي أنه

^١ هذه البرامج الثلاثة هنا: <http://www.s.com/prog/pafiledb.php?action=category&id=٧٧> بتاريخ: (٢٩/٠٤/٢٠٠٧).

^٢ لبيب محمد جبران خليل، ٢٠٠٨م، التشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، رسالة دكتوراه، جامعة ملابا، ص ٥.

^٣ المصدر السابق، ص ٥.

ليس هناك قول بعد قوله، ذلك لأن هذا العلم جزء من القرآن الكريم الذي تتجدد معانيه بتجدد الزمان والمكان.

استعراض بعض الدراسات الجديدة:

قد تنوع التصنيف في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فمن العلماء من صنف فيه ضمن كتب علوم القرآن، وقد تناوله قلة من المفسرين -على استحياء- في ثنايا تناولهم الآيات في البحث حول التشابه اللفظي وإعجازه، وأفردته العديد من العلماء بالبحث، وسار الباحثون الجدد في دراساتهم على طريق السلف، ونلاحظ أن هذه الدراسات أكثرها تتناول المصنفات القديمة بالبحث والتعليق ومنها ما يلي:

١- البلاغة القرآنية في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي دراسة وتقويمًا، لإبراهيم عبد العزيز الزيد، بحث ماجستير، من موضوعها نستطيع أن نتبين أنها تكاد تناظر البحث السابق للسامرائي.

٢- درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق، لمحمد مصطفى آيدين، وهذه الدراسة تعد من أعظم الدراسات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ إذ أن الدراسة لم تقف عند التحقيق لكتاب الإسكافي بل إن الباحث كان موسوعي الفكر وقد طبعت جامعة أم القرى هذا البحث سنة ١٤٢٢ هـ.

٣- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية: غلب على هذه الدراسة الجانب النحوي، مع الاهتمام بالجوانب البلاغية في المتشابه. وقد قام الباحث بدراسة عينات من المتشابه اللفظي لتكون أنموذجًا لكيفية دراسة المتشابه اللفظي في المفردات والجمل. وأولى الحرف في القرآن عناية فائقة، وعرض ما فيه من نماذج بلاغية، فتحدث عن التضمين، والتناوب، والحذف والذكر في الحرف. ثم تعرض للفق والإدغام، أو ما يسمى (الإبدال)، مثل: (يضرعون) و(يتضرعون)^٦

^٤ إبراهيم عبد العزيز الزيد، ١٩٩٣م، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنق.

^٥ محمد مصطفى آيدين، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية، سنة ١٤١٨ هـ.

^٦ مشهور مشاهرة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة نحوية بلاغية (رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٤م).

- ٤ - المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، رسالة دكتوراه، قال الباحث في ملخص بحثه: "وبعد الحديث عن الكتب الخمسة، تحدثت في البابين الثاني والثالث عن الآيات المتشابهة، فتناولت المتشابه اللفظي في الكلمة، وبدأت الحديث عن الاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار الصيغة، ثم الأفراد والجمع، ثم التذكير والتأنيث، ثم التعريف والتنكير، وختمت الحديث عن الحروف، كما نظرت في الآيات المتشابهة في الذكر والحذف ثم الآيات المختلفة من حيث التقديم والتأخير، ثم ختمت البحث عن الاختلاف بين الآيات المتشابهة في موضوع الفصل والوصل"^٧
- ٥ - أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية، على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وقامت بهذه الدراسة تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث^٨.
- ٦ - المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، بحث دكتوراه، في جامعة ملايا، ولخص الباحث مضمون بحثه قائلاً: "وتهدف هذه الدراسة إلى نصب الأمثلة في مقام التدليل على مواطن التشابه في القرآن، وذلك من خلال الموازنة العلمية بين الإسكافي في كتابه "درّة التنزيل"، والغرناطي في كتابه "ملاك التأويل". فقد جلّى القرآن هذه الظاهرة بأبسط ما فيه وهو الحرف فكان له دلالة واضحة على دقة التشابه اللفظي ودلالته البلاغية، ثم في الكلمة وتحولها وتبديلها من موطن لآخر، ثم في التعريف والتنكير، والحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والأفراد والجمع، وغيرهم من مواضع المتشابه اللفظي الوارد في الذكر الحكيم"^٩
- ٧ - دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل^{١٠}، وهي دراسة تقوم على البحث في منهج الغرناطي في توجيه المتشابه اللفظي مع توجيه جديد للعديد من الآيات التي تناوّلها الغرناطي في كتابه، وقد طبعت هذه الدراسة مرتين آخرها سنة ٢٠٠٩.

^٧ صالح عبد الله محمد الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١، ملخص البحث.

^٨ تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ماجستير، تفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

^٩ لييب محمد جبران صالح، المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، جلمعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والحديث، ٢٠٠٨، ملخص البحث ص أ.

^{١٠} السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دكتوراه، الجامعة الأردنية.

٨- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية، لمحمد راشد البركة، وجاءت هذه الدراسة في جزئين اجتهد فيها الباحث أن يُقَعِّدَ لمنهج توجيه المتشابه اللفظي من خلال استنتاج القواعد من مناهج السابقين في توجيه المتشابه اللفظي^{١١}.

^{١١} محمد بن راشد بن محمد البركة، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه.

- وجوه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في عدة جوانب، كما سبقت -بفضل الله- إلى عدة أمور لم تُسَبَقْ إليها، وذلك يتضح في:

الأول: لم يقف هذا البحث عند دراسة شخصية واحدة ونتائجها الفكري في علم توجيه المتشابه اللفظي، كما لم تقف عند دراسة شخصيتين من عصر واحد، أو دراسة لشخصيتين من عصرين مختلفين، بل تجاوزت ذلك إلى دراسة متعمقة لعشرة من علماء توجيه المتشابه اللفظي من عصور مختلفة، خمسة من العصر القديم، وخمسة من العصر الحديث.

الثاني: لم تتجه هذه الدراسة إلى دراسة علم المتشابه اللفظي ذاته من أحد جوانبه، سواء

من جانب نحوي، أو بلاغي، أو لغوي، بل كانت دراسة تقوم على الموازنة بين عصر وعصر، وبين منهج ومنهج، وبين نتاج فكري سابق، ونتاج فكري محدث.

الثالث: كما وقفت بنا هذه الدراسة على الأسس التي وضعها القدامى في توجيه المتشابه اللفظي

في القرآن الكريم، وكيف بنى عليها المحدثون منهجهم في التوجيه.

الرابع: كما سبق هذا البحث إلى الوقوف على إضافات المحدثين إلى علم توجيه المتشابه اللفظي

في القرآن الكريم.

الخامس: كما سبق هذا البحث إلى موازنة لم يسبق إليها أحد فقدم دراسة مستفيضة في الموازنة

بين أبرز وأعظم عالين بآنا وصنفا في علم آوآيه المشابه اللفظي؁ من آيآ منهآ
الآوآيه وأسسه؁ والأسلوب ولآته؁ والفكر وسعته؁ ألا وهما: العلامة ابن الزبير
الآرناطي - رحمه الله - والذكآور فاضل السامرائي - آفظه الله.

تمهيد (خطة البحث):

ضم هذا البحث أربعة أبواب تضمنت تسعة فصول، أما الباب الأول فحوى فصلين خصص الفصل الأول منه لدراسة المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا، وخصص الفصل الثاني بدراسة نشأة ومراحل تطور علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وحوى الباب الثاني فصلين، الأول منه خصص لدراسة موجزة لأربعة من العلماء القدامى ومصنفاتهم في توجيه المتشابه اللفظي القدامى، والوقوف على أثرهم في التأسيس والتأصيل لهذا العلم. وخصص الفصل الثاني بدراسة موجزة لأربعة من العلماء المحدثين ومصنفاتهم في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، والوقوف على أثرهم وإضافاتهم لهذا العلم.

أما الباب الثالث فقد وقف على عاملين كبيرين متميزين في علم المتشابه اللفظي أحدهما من القدماء وهو ابن الزبير الغرناطي، والثاني من المحدثين وهو فاضل صالح السامرائي، وقد قدم الباحث في هذا الباب دراسة وافية لكل من ابن الزبير والسامرائي وأثرهما في علم توجيه المتشابه اللفظي، وخصائص منهج كل منهما، وفضل الغرناطي، وإضافات السامرائي، وقد أفرد الباحث لكل منهما فصلا خاصا به.

أما الباب الرابع فقد درس فيه الباحث ٤٣ مسألة اشترك في توجيهها كل من الغرناطي والسامرائي، جاء هذا الباب في ثلاثة فصول، جعل الفصل الأول لمواطن التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه، وخصص الفصل الثاني للتشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ، وخصص الفصل الثالث للتشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل.

وألفت نظر القارئ إلى أن البحث اعتمد عدة رموز اختصارا وهي كما يلي: [ج]: الجزء، و[ص]: الصفحة، و[نت]: شبكة الاتصال العالمية "الإنترنت"، الرقم الذي أعلى رأس رقم الآية يرمز إلى أن اللفظ المذكور قد تكرر، كمثل: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٠)، (٢٢٠، ٢٥٣²)، فإن الآية ٢٥٣ يوجد على رأسها رقم (٢) وهذا يعني أنه قد تكرر فيها لفظ ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مرتين.

– مقدمة:

الحمد لله ، الذي لا رَبَّ سِوَاهُ، الرَّحْمَنُ، معلِّمُ الْقُرْآنِ، خَالِقُ الْإِنْسَانِ، مُعَلِّمُهُ الْبَيَانَ، أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ صَفْوَةَ خَلْقِهِ: الرِّسْلِ، وَالْمَلَائِكَةَ، وَأُولِي الْعِلْمِ، أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^{١٢}. فَاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، يَا رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، عَلَى جَمِيعِ نِعَمِ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ.

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، مُحَمَّدِ الشَّيْمِ، مُحَمَّدِ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ، أَحْمَدِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، مُصْطَفَى اللَّهِ إِلَى النَّاسِ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَسَرَاجًا مُنِيرًا، وَهَادِيًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى مَنْ ارْتَضَى اللَّهُ رِبَا، وَالْإِسْلَامَ دِينًا، وَمُحَمَّدًا نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَالْقُرْآنَ شَرَعَةً وَمِنْهَاجًا. وَبَعْدُ:

فِي بَإِي بَعْدَ مَا انْتَهَيْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ دَرَاةِ الْمَاجِسْتِيرِ وَالتِّي كَانَ مَوْضُوعَهَا [الْقَصْرُ بِالْأَدْوَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دَرَاةِ إِحْصَائِيَّةِ بَلَغِيَّةِ تَفْسِيرِيَّةِ] شَعُفْتُ نَفْسِي شَغْفًا بِالْمَتَابَعَةِ، مَتَابَعَةُ الْبَحْثِ وَطَلَبُ الْعِلْمِ، فَعَزَمْتُ عَلَى دَرَاةِ الدِّكْتُورَاهِ، وَكِعَادَةِ طُلَّابِ الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا، كَانَتْ الْمَشْكَالَةُ الْكُبْرَى تَتَمَرَّكُزُ فِي اخْتِيَارِ مَوْضُوعٍ جَدِيرٍ بِالْبَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ، لَكِنِّي كُنْتُ قَدْ حَدَدْتُ مَسَارِي سَلْفَا، حِينَ اخْتَرْتُ الْقُرْآنَ، وَجَعَلْتُهُ مَحَلَّ دِرَاسَتِي وَبَحْثِي فِي الْمَاجِسْتِيرِ، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَلْبَسْتَنِي هَذِهِ الدِّرَاسَةَ مِنْ حُلَلِ الْعِلْمِ مَا لَا يَقْدِرُ بِكُنُوزِ الْأَرْضِ، وَإِلَى جَانِبِ مَا أَلْبَسْتَنِيهِ مِنْ تَلْكَ الْحُلَلِ، قَدْ أَمْتَعْتَنِي مَتْعَةً عَظِيمَةً، فَمَا أَشَدَّ سَعَادَتِي حِينَ كُنْتُ أَقْفَ عَلَى فِكْرَةٍ جَدِيدَةٍ! وَمَا أَجْمَلُ أَنْ تَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِمْ تَنَاقِشَهُمْ وَتَحَاوِرَهُمْ!

وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَدَاوِمَ الْجُلُوسَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، أَجْمَعُ عَقْلِي إِلَى عَقُولِهِمْ، عَسَايَ أَنْ أَضِيفَ وَلَوْ نَزَرًا قَلِيلًا إِلَى صِرْحِ الْعِلْمِ، وَأَجْتَهِدُ أَنْ أَضَعُ لَبْنَةً أَرْفَعُ بِهِ بِنَاءَ هَذَا الصِّرْحِ الْمَجِيدِ. وَلَمَّا كَانَ مَسَارُ الدِّرَاسَةِ وَمَجَالُهَا مُحَدَّدَيْنِ سَلْفَا، بَقِيَ لِي أَنْ أَقْفَ عَلَى مَوْضُوعٍ جَدِيرٍ بِالْبَحْثِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، كَانَ مِنْ فُضَائِلِ الدِّرَاسَةِ السَّابِقَةِ – الْمَاجِسْتِيرِ – أَنْ

^{١٢} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (آل عمران ١٨)

أوحت إليّ بمجال رسالة الدكتوراه، ألا وهو [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، حيث إن بعض مباحث الدراسة السابقة تقف في بعض المحطات على بعض أسرار آيات القصر بالأدوات التي تشابه لفظها، فراق لي النظر في الموضوع وتناوله بالبحث.

وحيث إني وقفت على أن الكثرة الكاثرة من المفسرين يقولون بالتكرار في القرآن^{١٣} وهذا ما ننكره، ولا نقبله، حيث إن التكرار في القرآن غير قائم، فإن كان هناك تشابه أو تكرار، فإنما هو اللفظ دون المعنى، ما تشابه وما تكرر إلا الثوب الخارجي، أما المعنى فمغاير، مختلف من آية لأخرى، وإن تشابه ألفاظها.

ما أقلها تلك الدراسات التي خاضت غمار وأمواج هذا العلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]!! فإن هذا العلم ما زال بكرا غضا، فلو تخيلنا هذا العلم إنسانا، لكان هذا الإنسان في مرحلة الصبا بعد، رغم أن عمره الآن أكثر من ألف سنة، حيث إن البحث الجدي فيه قد بدأ على يد الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠ من الهجرة، ورغم هذا العمر الطويل، وتلك السنون التي تربو على الألف، ما زال بعد في مرحلة الصبا، فما أوتينا من ثماره إلا أقلها، وما سير أحد أغواره بعد، فكل من خاضوا غباب هذا العلم لم يزيدوا على أن سبحوا على شاطئه دونما العوص في أعماقه، وذلك لأنه بعض كتاب الله العظيم، القرآن الكريم، الذي لا يؤتي أحدا بعض فيؤضه إلا بقدر، فَبَيِّنَ الحَيْنَ والآخر نجد من يطلع علينا بالجديد اللطيف في هذا الكتاب الخالد العظيم.

"وحاجة الأمة لمثل هذه الدراسات ماسّة، مُلِحّة، وذلك لما وقعت فيه الأمة من تجهيل، وتضليل، وتغفيل من أعدائها، وأذناهم من العلمانيين، والمنافقين، والملحدّين، والخنونة

^{١٣} من ذلك مثلا: ابن كثير حين وصل إلى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة ٨٥) قال: "قد تم تفسير نظير هذه الآية الكريمة والله الحمد والمنة " يقصد الآية ٥٥ من التوبة حيث تشابه لفظ الآيتين. ابن كثير، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، ج ٢، ص ٤٦ / والشنقيطي حين وصل إلى قول الله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة ٧٥-٧٦) قال: "قد قدمنا الكلام عليه في أول سورة النجم " راجع: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيم، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٧، ص ٥٣٧.

العاملين على هدم صرح هذه الأمة بهدم الدين؛ لأنهم يعلمون أن بناء الأمة قائم بهذا الدين، فمتى أخرجوها من ملتها، ضاعت، وهانت، وذلت"^{١٤}

وكأني بالعلامة الباقلائي رأى حالنا هذه فقال: "لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عَفَاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم يقاسون .. فالناس بين رجلين، ذاهب عن الحق، ذاهل عن الرشد، وآخر مصدود عن نصرته، مكدود في صنعته، وقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين، وقد قل أنصاره، واشتغل عنه أعوانه، وأسلمه أهله، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه، حتى عاد مثل الأمر الأول"^{١٥} .. وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر .. والجهل في هذا الوقت أغلب، والملحدون فيه عن الرشد أبعد"^{١٦}

ومواطن المتشابه اللفظي في القرآن كثيرة، وقد يشق على الباحثين والدارسين الوقوف على إحصاء دقيق لهذه المواطن، خاصة تلك التي تتعلق بتكرار بعض آية، قال صاحب القواعد الذهبية: "وإذا كان القرآن فيه نحواً من ستة آلاف آية ونيف، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما، قد يصل أحياناً حد التطابق، أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة، أو اثنتين، أو أكثر"^{١٧}. هذه المواطن في حاجة ماسة لبيان سر التشابه بينها، وهل تكرر المعنى بتكرار اللفظ؟ وصدق من قال: "ومواطنه أي المتشابه اللفظي ... لا يزال كل موطن منها جديراً لأن يفرد في الطلب، وتحليل هذا التشابه وبيانه أمر اجتهادي لا يزال يتجدد، وفهم يؤتيه الله من يشاء، و أسرار هذا الكتاب لا تنقطع عن أعْمَل القلب، والفكر، والنظر"^{١٨}

وهذه دراسة وبحث في القرآن الكريم موضوعها [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي فاضل السامرائي نموذجاً، دراسة مقارنة] أتقدم بها إلى جامعة ملايا الموقرة، لنيل درجة الدكتوراه، راجياً بها وجه الله تعالى وفضله، ورغبةً في العلم والاستزادة والعبّ منه، ثم رجاءً أن أشرفَ بخدمة كتاب الله العظيم، وفرقانه الذي لا

^{١٤} الجبالي، محمد رجائي أحمد، ٢٠٠٨، القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية، ط١، دار السلف الصالح، المنصورة، مصر، ص ٩.

^{١٥} أي الجاهلية الأولى.

^{١٦} الباقلائي، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص ٥.

^{١٧} عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتديره، ج١، ص١٥، ويمكن تصفحه في: <http://bookstree.com/books/6/6.htm>

^{١٨} لييب جبران محمد صالح، ٢٠٠٨، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن والحديث، ص ٥.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما أعظم ذلك شرفاً! أن يضع المسلم نفسه في خدمة كتاب الله.

ومن ثمّ أتقدم بهذه الدراسة لجامعتكم الموقرة راجياً الله تعالى أن تحظى بالقبول، وأن تتيحوا لي فرصة القيام على خدمة كتاب الله والعبّ من بحر علومه الزاخر.

والله أسأل التوفيق والسداد

محمد رجائي أحمد الجبالي

الباب الأول

مدخل إلى علم المتشابه اللفظي التعريف، والنشأة، والتطور

الفصل الأول:

توجيه المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا

المبحث الأول: [توجيه . المتشابه . اللفظي] معجميا.

المبحث الثاني: توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا.

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي بلاغيا.

الفصل الثاني:

نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه

المبحث الأول: تقاسيم مراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره.

المبحث الثاني: مراحل تطور علم المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

الفصل الأول:

توجيه المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا

المبحث الأول:

[توجيه . التشابه . اللفظي] معجميا

المطلب الأول: [توجيه] معجميا:

لقد نظرتُ في عناوين كتب المتشابه اللفظي - أكثرها - أبحث عن استخدام هذا اللفظ [توجيه] مع المتشابه اللفظي، فما وجدت غير عالمين جليلين، أولهما الكرمانى في كتابه [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان]، والغرناطى في كتابه [ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي] وكلاهما علم بارز في هذا العلم، إذ أنهما من أوائل من صنفوا فيه، إلا أن الناظر بعد هذين العالمين في عناوين كتب المتشابه اللفظي، يجد أنها قد خلت من هذا اللفظ، حتى قُبِّلَ سنوات قليلة في دراسة أحيانا محمد بن راشد البركة للماجستير [المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه، دراسة موضوعية]^{١٩} وجاءت في جزأين، وكانت محاولة منه لتقعيد البحث في علم المتشابه اللفظي، إلا أن كتب القراءات قد درج الكثير منها على استخدام اللفظ، أو ما يقاربه، خاصة الكتب المتأخرة^{٢٠}.

وفيما يلي عرض موجز يبين التصريف المعجمي للفظ [توجيه]:

فَصَّلَ ابن منظور في مادة [وجه] في اللسان تفصيلا واسعا^{٢١}، واخترت من تفصيله ما يأتي:

^{١٩} محمد بن راشد بن محمد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه، دراسة موضوعية، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
^{٢٠} فمن الكتب المقدمة: وجوه الإعراب والقراءات لأبي إسحاق أحمد بن محمد التعلي (ت ٤٧٢هـ)، والجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي، لأبي الحسن شريح بن محمد الرعييني (ت ٥٣٩٩هـ) ومن الكتب المتأخرة: مواكب النصر في توجيه القراءات العشر، لحمود بن علي بسه الحنبلي المتوفى آخر القرن الرابع عشر الهجري، الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة، لابن العباس أحمد بن محمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) وقلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ن محمد الصادق قمحاوي (ت ١٤٠٥هـ) وقد أصبح اصطلاح [توجيه] هو الغالب في مسميات المصنفات المتأخرة في علم القراءات.
^{٢١} ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حيفة بن منظور، اللسان، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط، القاهرة، دار المعارف، مج ٦، ج ٥٣، ص ٤٧٧٥ - ٤٧٧٨.

والوجهُ: الجاهُ. ورجلٌ مُوَجَّهٌ ووَجِيهٌ ذو جاه. وقد وَجَّهَهُ وَأَوْجَهَهُ: جعل له وجهاً عند الناس. وقد وَجَّهَ الرجلُ بالضم: صار وَجِيهاً أي: ذا جاهٍ وَقَدَّر. وَأَوْجَهَهُ اللهُ أي: صَيَّرَهُ وَجِيهاً. ووَجَّهَهُ السلطانُ وَأَوْجَهَهُ: شَرَّفَهُ.

والوَجْهَةُ: المُحْيَا. وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ (الروم: ٣٠)، أي: اتَّبَعَ الدِّينَ القَيِّمَ، وأراد فأقيموا وجوهكم، يدل على ذلك قوله عز وجل بعده: ﴿ مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ﴾ (الروم: ٣١)، والمخاطبُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم والمراد هو والأُمَّةُ والجمع: أَوْجُهُ ووُجُوهُ... وقوله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (القصص: ٨٨)، قال الزجاج أراد إلا إِيَّاهُ، وفي الحديث: "لَتُسَوَّنَ صُفُوفُكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ" ^{٢٢} أراد وُجُوهُ القلوب، كحديثه ﷺ الآخر: " لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ " ^{٢٣} أي هَوَاهَا وَإِرَادَتُهَا. وفي حديث أبي الدرداء: " لا تَفْقَهُ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً " ^{٢٤} أي تَرَى له مَعَانِي يَحْتَمِلُهَا، فَتَهَابَ الإِقْدَامَ عَلَيْهِ.

ووُجُوهُ البلد: أَشْرَافُهُ. ووُجُوهُ القوم: ساداتهم، وأحدهم وَجْهٌ، وكذلك: وُجْهًاؤُهُم وأحدهم وَجِيهٌ.

ويقال: هذا وَجْهُ الرَّأْيِ أَي: هو الرَّأْيُ نَفْسُهُ (مبالغة) ^{٢٥}. وَابَّجَّةٌ لَهُ رَأْيٌ أَي: سَنَحَ. وَصَرَفَ الشَّيْءَ عَن وَجْهِهِ أَي: عَن سَنَنِهِ. وَجِهَةٌ الأَمْرِ: وَجْهَتُهُ ووَجْهَتُهُ: ووُجْهَتُهُ: وَجْهُهُ.

^{٢٢} رواه الشيخان: البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى البغا، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، رقم ٦٨٥، ج١، ص٢٥٣ / ومسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، بيروت، دار الجليل، ودار الآفاق الجديدة، رقم ١٠٠٦، مج١، ص٢، ص٣١

^{٢٣} رواه مسلم، رقم ١٠٠٠، ج٢، ص٣٠ / وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، رقم ٦٦٤، ج١، ص٢٥٠، تعليق الألباني: صحيح / وسنن الترمذي، رقم ٢٢٨، ج١، ص٤٤٠، والترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث، تعليق الألباني: صحيح / وابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر العربي، رقم ٩٧٦، ج١، ص٣١٢، تعليق الألباني: صحيح / أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، رقم ٤٣٧٣، ج١، ص٤٥٧، مذييل بتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم / والحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مذييل بتعليق الذهبي في التخليص، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، رقم ٢١١٢، ج١، ص٧٦٥.

^{٢٤} ورد هذا الأثر لدى أبي شيبة، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، مصنف أبي شيبة، تحقيق: محمد عون، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، رقم ٣٠٧٨٩، ج١٠، ص٥٢٧ / وُلِدَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامِ الصَّنَعَانِيِّ، ١٤٠٣هـ، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، رقم ٢٠٤٧٣، ج١١، ص٢٥٥ / وُلِدَى النَّمِرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، أَبِي عَمْرِو بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمزلي، ط١، مؤسسة الريان، ودار ابن حزم، رقم ٧٩١، ج٢، ص١٠٠.

^{٢٥} زاد هذه اللفظة (مبالغة) مرتضى الزبيدي في التاج: محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: علي هلال، ط٢، الكويت، إصدار وزارة الإعلام، سلسلة التراث العربي، ج٣٦، ص٥٣٦.

وقلت كذا على جِهَةٍ كذا. وفعلت ذلك على جهة العدل. وجهة الجور. والجهة النَّحو، تقول: كذا على جهة كذا.

وما له جِهَةٌ في هذا الأمرِ ولا وَجْهَةٌ أَي: لا يبصر وجهَ أمره، كيف يأتي له؟! وضلَّ وَجْهَةً أمره أَي: قَصَدَهُ.

وفي حُسْنِ التدبير يقال: ضرب وجهَ الأمرِ وعَيْنَهُ.

والوَجْهُ والجهَةُ: بمعنى، والهَاءُ عوض من الواو. والاسم الوَجْهَةُ والوَجْهَةُ بكسر الواو وضمها. وقعدت بُجَاهَكَ وَتَجَاهَكَ أَي تَلَقَّاءَكَ.

وزاد صاحب التاج:

"الوجه: مستقبل كل شئ. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَيَّنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة ١١٥) ٢٦"

والجِهَةُ والوَجْهَةُ جميعاً: الموضع الذي تَتَوَجَّهُ إليه وتقصده. والوَجْهَةُ والوَجْهَةُ: القبلة. ويقال: وَجَّهَتِ الرِّيحُ الحصى تَوَجِّهًا إذا ساقته. ويقال: قاد فلانٌ فلاناً فَوَجَّهَ أَي: انقاد واتبع. وشيءٌ مُوَجَّهٌ: إذا جُعِلَ على جِهَةٍ واحدة.

المعجمان الوسيط^{٢٧} والوجيز^{٢٨} كادا يتفقان لفظاً في تناول مادة [و ج هـ] وقد انتخبنا منهما ما يأتي:

ويقال وَاجَّهَهُ بقول أو نقد: جَبَّهَهُ به وراجعه.

وَوَجَّهَ فلاناً في حاجة: أرسله. وفلاناً: جعله يَتَّجِهُ ابْتِجَاهًا معينا.

وَابْتَجَّهَ إليه: أقبل بِوَجْهِهِ عليه. وَتَوَجَّهَ إليه: ذهب. وَجْهَةً كذا: انطلق إليها.

والوجه من المسألة: ما ظهر لك منها.

والوجه: القصد، والسَّنَن، يقال: صرف الشيء عن وَجْهِهِ: سَنَّه. والصَّحَّة، ويقال: ليس لكلامه وَجْهٌ. ومن الكلام: السبيل الذي تقصده به. والجمع: وُجُوهُ وَأَوْجُهُ وَأُجُوهُ.

^{٢٦} المصدر السابق، ج٣٦، ص٥٣٥-٥٤٠

^{٢٧} المعجم الوسيط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ج٢، ص١٠١٥.

^{٢٨} المعجم الوجيز، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مجمع اللغة العربية، طبعة جديدة شرعية، مطابع الأهرام التجارية، قلوب مصر، مكتبة دبي للتوزيع ص(٦٦١-٦٦٢).

والتَّوَجِيه: في البلاغة: إيراد الكلام مُتَمَثِّلاً لوجهين مختلفين.
والتَّوَجِيه في الشعر: حركة الحرف قبل الروي المقيد.

خلاصة القول: يمكننا أن نَخْلُصَ مما سبق بأن:

[توجيه] تعنى في اللغة:

بيان الوجوه التي يتجه إليها أمر ما، هذا الأمر يحتمل في ذاته وجوها من المعاني
تختلف باختلاف الوجهة التي يسلكها هذا الأمر.

المطلب الثاني: المتشابه معجميا

في هذا المطلب سوف أعتمد على تفصيل صاحب اللسان في مادة [شبه]، ثم أشير إلى بعض ما ورد في معاجم اللغة الأخرى من زيادات أو اختلافات، فقد فَصَّلَ ابن منظور في هذه المادة تفصيلا واسعا^{٢٩} وقد انْتَحَبْتُ -بتصريف- من تفصيله ما يلي:

الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيه: المِثْلُ، والجمع أشباهٌ.

وَأَشَبَهُ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: ماثله. وفي المَثَلِ: مَنْ أَشَبَهُ أَبَاهُ فما ظَلَمَ.

وَأَشَبَهُ الرَّجُلُ أُمَّه، وذلك إذا عجز وَضَعَفَ.

وَأَشَبَهُتُ فلاناً، وشابَهْتُهُ، وتَشابَهَ الشَّيْءَانِ، واشْتَبَهَا: أَشَبَهُ كُلُّ واحدٍ صاحِبَهُ. وتقول أَشَبَهُ فلانٌ أباه، وأنت مثله في الشَّبهِ والشَّبهِ. وفيه مَشابَهُ من فلان أي: أشباهٌ. وتقول في فلان شَبَهُ من فلان، وهو شَبَهُه وشَبَّهُه وشَبِيهَهُ. وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾ (البقرة ٢٥)،

ليس من الاشتِبادِ المُشْكِلِ، إنما هو من التشابُه الذي هو بمعنى الاستواء. وكذلك كل شيء يكون سِوَاءَ فإنها أشباهٌ. وفي الحديث: "عن زيادِ السَّهْمِيِّ قال: نهي رسولُ الله ﷺ أَنْ تُسْتَرَضَعَ الحَمَقَاءُ فإن اللَّبْنَ يُشَبَّهُ" ٣٠. وفي التنزيل: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ (الأنعام ٩٩).

وشَبَّهُه: إذا ساوى بين شيء وشيء. وفيه شُبُهَةٌ منه: أي شَبَهُه، وفي الحديث "الدِّيَاتِ دِيَةٌ شِبُهِ العَمَدِ ٣١ أَثْلَاثٌ" ٣٢

والمُتَشابِهَاتُ: المُتَمَثَلَاتُ. وتَشَبَّهُه فلانٌ بكذا. والتَّشْبِيهُ: التمثيل.

وشَبَّهُه الشَّيْءُ: إذا أَشْكَلَ.

والمُشْتَبِهَاتُ من الأمور: المُشْكِلَاتُ، وتقول: شَبَّهْتَ عليَّ يا فلانُ إذا خَلَطَ عليك.

واشْتَبَهَ الأمرُ: إذا اختَلَطَ واشْتَبَهَ عليَّ الشَّيْءُ.

والشُّبُهَةُ: الالتباسُ. وأمورٌ مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ، وجمع الشُّبُهَةِ: شُبُهَةٌ.

^{٢٩} ابن منظور، لسان العرب، مج ٤، ج ٢٤، ص ٢١٨٩ - ٢١٩١

^{٣٠} ومعناه أن المرَضعة إذا أَرْضَعَتْ غلاماً فإنه يُنرَغُ إلى أخلاقها فَيُشَبِّهُها ولذلك يُختار للرضاع امرأةٌ حَسَنَةُ الأخلاقِ صحيحةُ الجسمِ عاقلةٌ غيرُ حَمَقَاءَ. البيهقي، أحمد بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، رقم ١٥٤٦٠، ج ٧، ص ٤٦٤. وقال عنه حديث مرسل.

^{٣١} هو أن ترمي إنساناً بشيءٍ ليس من عادته أن يَقْتُلَ مثله وليس من غَرَضِكَ قتله فَيُصَادَفَ قِضَاءً وَقَدْرًا قِيَعٌ في مَقْتَلٍ قِيَعْتَلُ فيجب فيه الدية دون القصاص.

^{٣٢} سنن أبي داود، رقم ٤٥٥٣، ج ٤، ص ٣١١/ وقال عنه الألباني في صحيح وضعيف مسند أبي داود: ضعيف الإسناد، رقم ٤٥٥١، ج ١٠، ص ٥١.

وَشَبَّهَ عَلَيْهِ : خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ حَتَّى اشْتَبَهَ بغيره. وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ٧)، وقد ذكر المفسرون للمحكم والمتشابه وجوها عدة^{٣٣}.

وفي لفظ آخر لصاحب القاموس المحيط:

تَشَابَهًا وَاشْتَبَهًا: أَشْبَهَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ حَتَّى التَّبَسَا.
وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ وَمُشَبَّهَةٌ: مُشْكَلَةٌ.
وَشُبُّهُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ تَشْبِيهًا: لُبْسٌ عَلَيْهِ.

وزاد الجرجاني^{٣٤}:

التَّشَابُهُ فِي الْمَلَأِ: أَنْ تَكُونَ أَجْزَاؤُهُ مَتَّفِقَةً الطَّبَاعِ.

وَالْمُتَشَابِهَةُ: هُوَ مَا خَفِيَ بِنَفْسِ اللَّفْظِ، وَلَا يَرُجَى دَرْكُهُ أَصْلًا، كَالْمَقْطَعَاتِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ^{٣٥}.

وللمعجم الوسيط بيان بديع مُبَيِّنٌ لمادة شبه^{٣٦}، أسوق إليكم منه في إيجاز وتصرف ما يلي:

^{٣٣} جمعها الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ج ١، ص ٥٢٧-٥٢٨ / وبسطها ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ط ٣، بيروت، ودمشق، المكتب الإسلامي، ج ١، ص ٣٥٠-٣٥١، بأسلوب يسير، قال: "قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ المحكم: المتقن المبيّن، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال . **أحدها**: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي. **والثاني**: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس ومجاهد. **والثالث**: أنه ما علم العلماء تأويله . روي عن جابر بن عبد الله . **والرابع**: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. **والخامس**: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. **والسادس**: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان، ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، **والسابع**: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة . **والثامن**: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى . وفي المتشابهة سبعة أقوال: **أحدها**: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي. **والثاني**: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. **والثالث**: أنه الحروف المقطعة كقوله: «الم» ونحو ذلك، قاله ابن عباس. **والرابع**: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. **والخامس**: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. **والسادس**: أنه ما احتتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتتمل التأويلات، ولا يخفى على مميّز، والمتشابهة: الذي تعتوره تأويلات. **والسابع**: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى، وللشوكاني رحمه الله رأي في هذه الأقوال-ج ١، ص ٤٢٧- أميل إليه وأقله بتصنيف: حيث مال إلى قول الذين جعلوا المحكم ما وجد إلى علمه سبيل، والمتشابهة ما لا سبيل إلى علمه، قال: ولا شك أن مفهوم المحكم، والمتشابهة أوسع دائرة مما ذكره، فإن مجرد الخفاء، أو عدم الظهور، أو الاحتمال، أو التردد يوجب التشابه، ورد على الذين خصوا المحكم بما ليس فيه احتمال، والمتشابهة بما فيه احتمال، قال: لا شك أن هذا بعض أوصاف المحكم، والمتشابهة لا كلها. والأمر أوسع مما قالوه جميعاً. ورد على الذين خصوا المحكم بما يقوم بنفسه، والمتشابهة بما لا يقوم بها، قال: وأن هذا هو بعض أوصافهما، وقال قريب من ذلك على باقي الأقوال.

^{٣٤} الجرجاني، علي بن محمد علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإيباري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ص ٢٩٣

^{٣٥} المصدر السابق، ص ٢٥٣.

^{٣٦} إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، بإشراف: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، المعجم الوسيط، ج ١، ص (٩٧٨-٩٧٩).

٩٧٩). وجاءت هذه المادة بنفس هذا النص بإيجاز طفيف في المعجم الوجيز، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، مجمع اللغة العربية، طبعة جديدة شرعية، مطابع الأهرام التجارية، قلوب مصر، مكتبة دبي للتوزيع (٣٣٤-٣٣٥)

شَبَّهَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: مَثَلَهُ وَأَقَامَهُ مَقَامَهُ لِصِفَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا. شَابَهَهُ: أَشَبَّهُهُ.
وَتَشَابَهَ الشَّيْئَانِ: أَشَبَّهُهُ كُلُّهُمَا مِنَ الْآخِرِ حَتَّى التَّبَسَّا. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ
عَلَيْنَا﴾ (البقرة: ٧٠).

وَتَشَبَّهَ بِغَيْرِهِ: مَثَلَهُ وَجَارَاهُ فِي الْعَمَلِ.
وَالتَّشْبِيهِ: التَّمْثِيلُ، وَعِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ: إِحْتَاقُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ لِصِفَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا كَتَشْبِيهِ الرَّجُلِ بِالْأَسَدِ
فِي الشَّجَاعَةِ.

وَالشَّبَّهُ وَالشَّبِيهُ: الْمَثَلُ، وَالْجَمْعُ: أَشْبَاهٌ.
وَالْمَشَابِيهُ: الْأَشْبَاهُ جَمْعٌ: شَبَّهَ - عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ - يُقَالُ فِيهِ مَشَابِيهُ مِنْ فُلَانٍ.
وَشَبَّهَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: أَبْهَمَهُ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَبَهَ بِغَيْرِهِ.

وَشُبَّهَ عَلَيْهِ وَلَهُ: لُبِّسَ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾
(النساء: ١٥٧). وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ: اخْتَلَطَ. وَاشْتَبَهَ فِي الْمَسْأَلَةِ: شَكَّ فِي صِحَّتِهَا.
وَالشُّبُهَةُ: الْإِلْتِبَاسُ، وَفِي الشَّرْعِ: مَا التَّبَسَّ أَمْرُهُ، فَلَا يَدْرِي أَحْلَالٌ هُوَ أَمْ حَرَامٌ، وَحَقٌّ هُوَ أَمْ
بَاطِلٌ، وَالْجَمْعُ: شُبُهَةٌ.

وَالْمُتَشَابِهَةُ: النَّصُّ الْقَرَأَنِي يُحْتَمَلُ عِدَّةُ مَعَانٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ
أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران: ٧).

وورد في القاموس الفقهي:

الْمُتَشَابِهَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: الْمُتَمَاثِلُ. وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (الأنعام: ١٤١)، أَي: مُتَشَابِهَةٌ فِي
الْمَنْظَرِ، وَغَيْرُ مُتَشَابِهَةٍ فِي الْمَطْعَمِ. وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يُقَابَلُ الْمَحْكَمَ. وَهُوَ مَا أَشْكَلَ تَفْسِيرَهُ
لِمَشَابِهِتِهِ غَيْرِهِ، إِمَّا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، أَوْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، أَوْ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى مَعًا^{٣٧}.

^{٣٧} سعدي أبو حبيب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط٢، دمشق، دار الفكر، ص ١٩٠.

وفي الحديث: "الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ"^{٣٨}

ولابن قتيبة في المشكل زيادة لطيفة قال:

وأصل التشابه: أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، و المعنيان مختلفان. قال الله عز وجل في وصف ثمر الجنة: ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُمْتَسِبِيهَا ﴾ (البقرة ٢٥)، أي متفق المناظر، مختلف الطعموم.

وقال: ﴿ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة ١١٨)، أي يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة.

ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما.

وشبّهت عليّ: إذا لبست الحقّ بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق: أصحاب الشّبه؛ لأنهم يشبهون الباطل بالحق^{٣٩}.

وفي لفظ آخر لصاحب المصباح المنير :

شَبَّهْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: أَقَمْتُهُ مَقَامَهُ لِصِفَةِ جَامِعَةٍ بَيْنَهُمَا. وَأَشْبَهَ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَشَابَهَهُ: إِذَا شَارَكَهُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَأَشْتَبَهْتُ الْأُمُورَ وَتَشَابَهَتْ: التَّبَسَّتْ فَلَمْ تَتَمَيَّزْ وَلَمْ تَطْهَرْ^{٤٠}.

وقد مَيَّزَ أَبُو الْبَقَاءِ، وَالْأَصْفَهَانِيُّ^{٤١} أنواع المتشابه - ضد المحكم - في لفظ واحد تقريبا قالوا: "اعلم أن المتشابه على ثلاثة أضرب:

- ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة ونحو ذلك.
- وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة.
- وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس: "اللهم فقهه في

^{٣٨} رواه الشيخان: البخاري، رقم ٥٢، ج ١، ص ٢٨ / و مسلم، رقم ٤١٧٨، ج ٥، ص ٥٠.

^{٣٩} ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٧ م، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ص ٦٨

^{٤٠} الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٤

^{٤١} المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٥. / وأبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الكليات [معجم في المصطلحات والفروق اللغوية]،

تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٨٤٦-٨٤٧

الدين وعلمه التأويل^{٤٢}، وإذا عرفت هذا فقد وقفت على أن الوقف على قوله:
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَوَضَّلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾
كلاهما جائز^{٤٣}.

أما [المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته] فقد تناول مشتقات مادة (شبه) في القرآن وفَصَّلَ في معانيها ما يلي:

ش ب ه / اشْتَبَهَ

مُشْتَبِهٌ: [اسم فاعل] مُفْتَعِلٌ، مُتَقَارِبٌ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا مِنْ وَجْهِ ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرٌ مُتَشَبِهٌ ﴾ (الأنعام ٩٩)، [التقارب، التشابه].

ش ب ه / تَشَابَهَ

تَشَابَهٌ: [ماضي مبني للمعلوم] تَفَاعَلَ

- ١- تَشَابَهَ الرَّجُلَانِ: أَشْبَهَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ﴿ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة ١١٨)، [التشابه].
- ٢- تَشَابَهَ الْأَمْرُ: اخْتَلَطَ ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الرعد ١٦)، [الاختلاط].

مُتَشَابِهٌ: [اسم فاعل] مُتَفَاعَلَ

^{٤٢} صحيح ابن حبان، رقم ٧٠٥٥، ج ١٥، ص ٥٣١، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم / ومسند أحمد، رقم ٢٣٩٧، ج ٤، ص ٢٢٥، وعلق عليه شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم / ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد راهويه الحنظلي، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق الدكتور: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، ج ٤، ص ٢٣٠، رقم ٣٢ / مسند الحارث، الحارث بن أبي اسامة الحافظ نور الدين الهيثمي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق الدكتور: حسين أحمد صالح الباكري، ط ١، المدينة المنورة، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ج ٢، ص ٩١٧، رقم ١٠٠٦ : وصححه الألباني في السلسلة، ج ٦، ص ٩٠، رقم ٢٥٨٩.

^{٤٣} وقال أبو البقاء موضحاً: ثم اعلم أن كل لفظ من القرآن أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله تعالى، فما كان من هذا القسم فهو معلوم لكل أحد بالضرورة، وأما ما لا يعلمه إلا الله، فهو مما يجري مجرى الغيب، فلا مسأغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن، أو الحديث أو الإجماع على تأويله، وأما ما يعلمه العلماء، فيرجع إلى اجتهادهم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أظهر، وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد الخفي، وإن استويا، والاستعمال فيهما حقيقة، لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية، فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية، ولو كان في أحدهما عرفية، وفي الآخر لغوية، فالحمل على العرفية أولى، وإن اتفقا في ذلك، فإن لم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد اجتهاد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات [معجم في المصطلحات والفروق اللغوية] ٨٤٦-٨٤٧.

١- يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لونا أو جودة أو صورة، ويختلف طعاما ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ (الأنعام ٩٩). [التشابه].

٢- يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا ﴾ (الزمر ٢٣)، وقيل: يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْإِعْجَازِ وَالنِّظْمِ وَالتَّصْدِيقِ.

مُتَشَابِهَات: [اسم فاعل / جمع مؤنث سالم] مُتَفَاعِلَاتٌ، وَتَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِ فِي التَّأْوِيلِ أَوْ غَامِضَاتٍ لَا تَفْهَمُ مَعَانِيهَا ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران ٧)، [الغموض].

ش ب ه / شَبَّهَ

شَبَّهَ: [ماض مبني للمجهول] فَعَّلَ، وَشَبَّهَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: التَّبَسَّ وَاحْتَلَطَ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء ١٥٧)، أَي وَقَعَتْ لَهُمُ الشَّبْهَةُ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ صَلَبُوا الْمَسِيحَ، وَإِنَّمَا صَلَبُوا غَيْرَهُ. [الغموض]٤٤.

الخلاصة:

بعد هذا العرض لمادة [شبه] في كتب اللغة نخلص إلى أن هذا اللفظ [التشابه] يطوف بين معنيين أساسيين:

الأول: التماثل والتساوي، وقد يكون هذا التماثل شديداً، أو يكون في صفة أو جانب من الجوانب.

الثاني: الالتباس، والخلط، وعدم الوضوح، وعدم تمييز المقصود من الكلام، إما لاحتماله معان

متعددة، أو كونه من المغيبات، والتي يُتَجَنَّبُ الخوض فيها اختياراً للأولى والأسلم^{٤٥}.

^{٤٤} أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط١، الرياض، السعودية، ص٢٥٣، بتصرف.
^{٤٥} ولأبي البقاء بيان رائع في هذا الأمر قال: ومسلك الأوائل أن يؤمنوا بالمتشابهات، ويفوضوا معرفتها إلى الله ورسوله، ولذلك سموا بالمفوضة، ومسلك الأواخر أن يؤولوها بما ترتضيه العقول، ولذلك سموا بالمؤولة، وهم قسمان: قسم أصحاب الألفاظ، يؤولونها بالحمل على الحذف كما في: ﴿ وَجَاءَ رُبُّكَ ﴾، و﴿ فَأَتَى اللَّهُ

المطلب الثالث : اللفظي معجميا:

جاء في اللسان بيان واضح لمادة [لفظ]، سوف أختار منه ما يخدم موضوع البحث، ثم أشير إلى بعض ما ورد في كتب اللغة الأخرى حول هذه المادة مما لم يشر إليه ابن منظور، أو مما تجاوزته مفضلا لفظا آخر غير لفظ ابن منظور:

اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك ، والفعل لَفَظَ الشيء. يقال لَفَظْتُ الشيء من فمي أَلْفَظُهُ لَفْظًا: رميته، وذلك الشيء لُفَاظَةٌ.

واسم ذلك المَلْفُوظ: لُفَاظَةٌ ولفاظٌ ولفِظٌ ولفظ.

ولَفَظَ الشيءَ وبالشيء: يَلْفِظُ لَفْظًا فهو مَلْفُوظٌ ولفِظ: رمى.

والدنيا لافِظة: تَلْفِظُ بمن فيها إلى الآخرة أي ترمي بهم.

والأرض تَلْفِظُ الميِّت إذا لم تقبله ورمته به. وفي الحديث "ويَبْقَى في كل أرضٍ شِرَارُ أهلِها

تَلْفِظُهُم أرضُهم"^{٤٦} أي تَقْدِفُهُم وترميهم من لَفَظَ الشيء إذا رماه. وفي حديث عائشة^{٤٧}

رضي الله عنها: "فقاءتُ أكلها ولَفَظَت حبيئها"^{٤٨}، [أي أظهرت ما كان قد احتبأ فيها من

النبات وغيره]^{٤٩}.

^{٤٦} بُنِيَتْهُمْ أو على الجاز المفرد كما في: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدرة الله. وقسم أصحاب المعاني، يؤولونها بالحمل على التمثيل والتصوير، والمختار التفويض، لأن اللفظ إذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على أن ذلك الظاهر غير مراد، علم أن مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة، وفي المجازات كثيرة، وترجيح البعض لا يكون إلا بالترجيح اللغوية الظنية، ومثل ذلك لا يصح الاستدلال به في المسائل القطعية، فيفوض تعبير ذلك المراد إلى علمه تعالى، فجميع أهل السنة سلفهم وخلفهم صرفوا المشابهات من معانيها الحقيقية إلى المجازات، إما إجمالاً بنفي الكيفيات، وتفويض تعيين المعنى المجازي المراد إلى الله تعالى مطلقاً، أو بتعيين نوع المجاز، وهو الصفة، وتفويض تعيين تلك الصفة إلى الله تعالى، وهو أسلم وهو مختار الإمام أبي حنيفة، وصرح به الأشعري وأكثر السلف، راجع الكلبيات ص ٨٤٧

^{٤٧} مسند أحمد، ج ١١، ص ٤٥٥، رقم ٦٨٧١ / الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، في مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج ٤، ص ٧٢، رقم ٣٧٦١ / وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره، ط ٥، الرياض، مكتبة المعارف، ج ٣، ص ١٠٨، رقم ٣٠٩١.

^{٤٨} وإنما كان ذلك الحديث خطبة لها رضي الله عنها حين بلغها أن هناك من يقع وينال من أبي بكر رضي الله عنه، فأرسلت إلى جماعة منهم وأسدت أستارها وخطبت فيهم خطبة عظيمة رضي الله عنها، راجع هذه الخطبة كاملة لدى الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، الموصل، دار العلوم والحكم، ج ٢٣، ص ٤٨٤، رقم ١٩٢٥٤.

^{٤٩} وهذا لفظ وبيان ابن الأثير في النهاية، راجع: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر محمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ج ٤، ص ٥٣٦.

والبحر يلفظ الشيء: يرمي به إلى الساحل. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما، [أنه سئل عما لفظ البحر، فنهي عنه]^{٥١}، أراد ما يُلقيه البحر من السمك إلى جانبه من غير اضطهاد.

واللألفظة: البحر، وفي المثل: [أسخى من لافظة] يعنون: البحر؛ لأنه يلفظ بكل ما فيه من العنبر والجواهر، والهاء فيه للمبالغة.

واللألفاظ: ما لفظ به أي طرح.. ولفظ نفسه يلفظها لفظاً كأنه رمى بها.. ولفظ الرجل: مات.

ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً: تكلم، وفي التنزيل: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق١٨)، ولفظت بالكلام وتلفظت به أي: تكلمت به. واللفظ واحد الألفاظ وهو في الأصل مصدر^{٥١}.

وفي إيجاز من لفظ الفيروز آبادي :

لفظه، ولفظ به، كضرب وسمع: رماه، فهو ملفوظ ولفيظ. وبالكلام: نطق، كتلفظ^{٥٢}.

وزاد صاحب التاج:

ومن المجاز: لفظ بالكلام: نطق به كتلفظ به، وكذلك لفظ القول: إذا تكلم به.

والملفظ: اللفظ والجمع الملافظ^{٥٣}.

^{٥١} وللحديث بقية، جاء في الموطأ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عَمَّا لَفِظَ الْبُحْرَ فَتَهَاؤُ عَنْ أَكْبَلِهِ قَالَ نَافِعٌ ثُمَّ انْقَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ فَدَعَا بِالْمُصْحَفِ فَقَرَأَ: ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ قَالَ نَافِعٌ فَأَرْسَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَكْبَلِهِ رَاجِعَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ج٣، ص٧٠٧، رقم ١٨١٥ / وقد رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن الترمذي، ط١، الهند حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ج٩، ص٢٥٥، رقم ١٩٤٥٨ / وللحديث ما يوطئه حيث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ" وقد ورد هذا الحديث في أكثر كتب السنة، ج١، ص٨٦٤، رقم ٤٨٠، وقد صححه الأباي، وقال عنه في الإرواء: رواه الخمسة وصححه الترمذي، وقال عنه في رواية الموطأ: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وقد صححه غير الترمذي جماعة، منهم: البخاري والحاكم وابن حبان وابن المنذر والطحاوي والبعوي والخطابي وغيرهم كثيرون. راجع: إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ج١، ص٤٢، رقم ٩. وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَجَلْتُ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحَوْتُ وَالْجُرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانُ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ" وقد صححه الأباي في السلسلة، ج٣، ص١١١، رقم ١١١٨.

^{٥١} ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ج٤٥، ص٤٠٥٣، بتصرف

^{٥٢} القاموس المحيط، ج٢، ص٣٩٦.

^{٥٣} الفيروز آبادي، تاج العروس، ج٢٠، ص٢٧٤

وَرَجُلٌ لَفْظَانٌ مُحَرَّكَةٌ أَي: كَثِيرُ الْكَلَامِ عَامِيَّةٌ^{٥٤}.

وعند الخليل في العين :

اللَّفْظُ: الكلام ما يُلْفَظُ بشيءٍ إِلَّا حُفِظَ عليه. واللَّفْظُ: أن تَرْمِيَ بشيءٍ كَانَ فِي فِيكَ ،
والفعلُ لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظًا^{٥٥}.

وقد عرّف الجرجاني [اللفظ] فقال: "اللفظ ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه،
مهملًا كان أو مستعملًا"^{٥٦}.

وفي المعجم الوسيط:

ولا يقال: لفظ الله، بل كلمة الله، والجمع: أَلْفَاظٌ^{٥٧}.

والخلاصة:

أن [اللَّفْظَ] مصدر للفعل [لَفَظَ ، لَفِظَ] بفتح العين وكسرهما، وأنَّ [اللَّفْظَ، اللَّفِيزَ،
الْمَلْفُوظَ، الْمَلْفُوظَ] من مشتقات الفعل التي اشتركت مع مصدره في المعنى، وله معان
متعددة، يشغلنا منها أهمها، ألا وهو الأكثر شهرة واستعمالًا [ما يلفظ به من الكلام]
والجمع أَلْفَاظٌ.

وقد نبه أصحاب المعجم الوسيط إلى أمر غاية في الدقة والبراعة - إذ التفتوا إليه - إذ قالوا:
"ولا يقال: لفظ الله، بل كلمة الله"^{٥٨}.

^{٥٤} المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٢٧٦.

^{٥٥} الخليل، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، ج ٨، ص ١٦١ المحيط في اللغة، ج ٢، ص ٣٩٠.

^{٥٦} الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، ص ٢٤٧.

^{٥٧} المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٣٢.

^{٥٨} المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٢.

المبحث الثاني:

توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا

المطلب الأول: [توجيه] اصطلاحا

ذكر الجرجاني تعريفين لمصطلح [التوجيه]، الأول منهما لا يناسب توجيه المتشابه اللفظي وهما كما يلي:

الأول: هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، كقول مَنْ قال لأَعْوَرَ يسمي عمراً: خاط لي عمرو قباءً... ليت عينيه سواءً

الثاني: إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: على وجه ينافي كلام الخصم^{٥٩}.

والتعريف الأول لا يليق بتوجيه المتشابه اللفظي وذلك لأسباب منها:

١- أنه وقف التوجيه فيه على وجهين، وتوجيه المتشابه اللفظي قد يحتمل وجوهاً قد تزيد على ذلك.

٢- أنه قال [محتملاً وجهين مختلفين] وفي توجيه المتشابه اللفظي قد يحتمل وجوهاً مختلفة لكنها غير متناقضة، إذ أن كل لفظ يتكرر، ينزل منزله الجديد، بمعنى جديد حسب السياق الذي نزل فيه.

أما التعريف الثاني للجرجاني -لله دره- فإنه غاية في الدقة، خاصة حين يُقصدُ به دَفْعُ قَدْحِ الْمُلْحِدَةِ، أو تَنْطُحِ الْمُتَكَلِّمَةِ، فَالصَّنْفُ الْأَوَّلُ -أَحْزَاهُمُ اللَّهُ- مُعْرِضُونَ، دَوُو دَاءٍ، دَوَاؤُهُ تَوْجِيهِ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ لِلْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ، وَالصَّنْفُ الثَّانِي هُوَ تَعْقِيدٌ وَتَغْمِيضٌ، وَشِقَاءٌ هَؤُلَاءِ مَا يَقُومُ بِهِ الْعُلَمَاءُ الْأَفْذَاذُ مِنْ تَحْلِيلِ وَكَشْفِ غَمُوضِ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي الْقُرْآنِ، وَلِأَنَّ أَحَدَ أَهْمِ أَهْدَافِ عِلْمِ تَوْجِيهِ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ هُوَ الرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا.

ولعل بيان عبد العزيز الحربي لمصطلح [التوجيه] في رسالته للماجستير يعد أدق بيان له قال: "وحقيقة التوجيه -في العلوم- هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما -من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك- يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على

^{٥٩} عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، ص ٩٦.

غير الوجه الصحيح، أو لا يفهم أصلا، أو يفهم مع انقذاح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشارح، وييسر تلك الصعوبة، ويحل كل غموض^{٦٠}.

وقد ساق عبد العزيز الحربي تعريفا اصطلاحيا لـ [توجيه القراءات] أرى أنه يصلح لمصطلح [توجيه التشابه اللفظي] بعد أن نعدل لفظه بما يتناسب معه؛ حيث إنه عارض تعريف "طاش كبرى زاده"^{٦١} لعلم القراءات -وحاججَه وحجَّه- ثم قال: والأولى في التعريف أن يقال: "علم يبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن وجوهها في العربية" أو "الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها"، ثم قال: وهذا التعريف منطلق من المعنى اللغوي للفظ الذي تقدم^{٦٢}

وإنَّ كذلك، سوف ننطلق من حيث انطلق الحربي، من المعنى اللغوي للفظ [توجيه]، وعلى هذا فإنني أرى أن البيان الاصطلاحى لـ [توجيه المتشابه اللفظي] هو:

[البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازلته المختلفة]

^{٦٠} عبد العزيز بن علي بن علي الحربي، ١٤١٧ هـ، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرها وإعرابها، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ص ٦٢.

^{٦١} حيث عرفه طاش كبرى زاده قائلا: "علم باحث عن لِيَمِّيَّة القراءات كما أن علم القراءة باحث عن اتَّيَّها"، المصدر السابق ص ٦٣

^{٦٢} المصدر السابق، ص(٦٣-٦٤).

المطلب الثاني : المتشابه اللفظي في القرآن اصطلاحا

في هذا المطلب سوف أُوردُ ما وقفت عليه من تعاريف العلماء لاصطلاح [المتشابه اللفظي في القرآن]، وأحتهد في الموازنة والترجيح فيما بينها، وسوف أخلص معكم بتعريف اصطلاحى جديد له.

أبدأ بمؤسس هذا العلم [المتشابه اللفظي في القرآن] الخطيب الإسكافي - رحمه الله - حيث إنه لم يخص اصطلاح [المتشابه اللفظي في القرآن] بتعريف، وإنما ذكر ذلك حين نَوَّه إلى مَبْعَثِ ومادة كتابه فقال: "تدعوني دواع قوية يبعثها نظر ورؤية في [الآيات المتكررة بالكلمات

المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، تطلبا لعلامات ترفع لُبْسَ إشكالها]"^{٦٣}

وكذلك الغرناطي لم يضع له بيانا، وإنما قال في معرض الإشارة إلى موضوع كتابه: "وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا -رضي الله عنهم- في خدمة علومه، وتدبير منظومه الجليل ومفهومه، [توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقدسم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير]"^{٦٤}

وجعل ابن عقيلة المتشابه اللفظي أحد علوم القرآن، وجاء ترتيبه في كتابه العلم الثالث والعشرين بعد المائة وسَمَّاه بـ [علم الآيات المتشاكلات المتقاربات] وقال عنه: "ونذكر من هذا النوع ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضا، ويكون بزيادة ونقص يدركها أهل الفهم الثاقب"^{٦٥}.

وعلى اعتبار أن [المتشابه اللفظي] يقصد به تكرار لفظ الآيات في القرآن، فإن تعريف التكرار اصطلاحا يوازي معناه من المتشابه اللفظي - أو يكاد - فقد وقعت يدي

^{٦٣} الإسكافي، عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ، درة التنزيل وغرة التأويل، برواية ابن أبي الفرج الأروستاني، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتاب العلمية، ص٣.

^{٦٤} الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي المتوفى سنة ٧٠٨هـ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ج١، ص٧، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ط١، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

^{٦٥} ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج٦، ص٣٣٦، ط١، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

على تعريف بديع للتكرار في منتدى اللغة العربية وهو: "التكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلق بمعنى، ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام"^{٦٦}.

وهو عند الزركشي باسم [علم المتشابه]^{٦٧} أي المتشابه اللفظي وعَرَفَه قائلاً: "وهو

إيراد

القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكرراً"^{٦٨}

ووافق السيوطي^{٦٩} الزركشي في قوله: "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة" ثم فَصَّلَ قائلاً: "بل تأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً.. أو في موضع زيادة وفي آخر بدونها.. أو في موضع معرفاً وفي آخر منكرأ، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات"^{٧٠}

ولعل ما جاء لدى الزركشي أدق وأشمل إلا أن السيوطي فصل في الجزئيات.

وجدير بالذكر أن المقصود بالقصة لدى الزركشي والسيوطي الموضوع أو الخبر أو غيرهما، سواء أكان قصة كالمتعارف عليه من قصص القرآن، أو غير ذلك من الأمور والمسائل الواردة في كتاب الله. ويؤيد ذلك النظر في تفصيل كل منهما، والأمثلة التي ذكروها

^{٦٦} منتدى اللغة العربية وعلومها، <http://bacdz.forums-free.com/topic-t26.html> ٢١/٠٢/٢٠٠٩.

^{٦٧} وجاء ترتيبه في البرهان الخامس، راجع: الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن بھادر، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص١١٢.

^{٦٨} الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١١٢.

^{٦٩} وجاء ترتيبه في [الإتقان] الثالث والستين، وسماه [آيات المتشابهات]، راجع: السيوطي، جلال الدين، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١١٤، بيروت، لبنان، دار الفكر، ج٢، ص١١٤.

^{٧٠} السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، بتصرف.

وقد ذكر أبو البقاء تعريفا يكاد يتفق - لفظه - تماما ولفظ السيوطي السابق، قال:
"ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة
والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر"^{٧١}
إلا أنني ألاحظ أربعة أمور لدى أبي البقاء:

الأول: أنه ذكر هذا التعريف ضمن حديثه عن [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].
الثاني: أنه بعد أن عرّف [المُحَكَّم] عرّف [المُتَشَابِه] قائلا: "والمتشابه: ما استأثر الله
بعلمه،

كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور، ومن المتشابه إيراد
القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم..."^{٧٢} فهذا يدل على أنه
يقصد

أن: [إيراد القصة الواحدة... في سور شتى] أحد نماذج [المتشابه] الذي هو ضد
المحكم.

الثالث: أنه قال [سور شتى] بالسين، وليس بالصاد [صور شتى]، على الهيئة التي عند
السيوطي

والزركشي، حيث ذكراها بالصاد [صور شتى]. ولعل قول أبي البقاء [سور] بالسين
أي: [سور القرآن] يوحى ويؤكد على أنه يقصد [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].
الرابع: بناءً على الملاحظات الثلاث السابقة، فإني أجزم أن أبا البقاء قد عدّ [الآيات
المتشابهات في اللفظ] من [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].

ولا أتفق مع محمد آيدين الذي جمع تعريف أبي البقاء إلى تعريف السيوطي والزركشي وقال:
"وتبين لنا من كلام السيوطي وأبي البقاء متابعتهما لما قاله الزركشي"^{٧٣}.
والعجيب أن آيدين لمَّا ذكر تعريف أبي البقاء ذكر تعبير [سور شتى] بالصاد [صور]، وليس
بالسين، رغم أنني نقلت من نفس الطبعة التي نقل منها آيدين^{٧٤}.

^{٧١} أبو البقاء، الكليات، ص ٨٤٥.

^{٧٢} المصدر السابق، ص ٨٤٥.

^{٧٣} محمد مصطفى آيدين، تحقيق درة التنزيل وغرة التأويل، ج ١، ص ٥٤.

والمؤشرات التي طرحتها تؤكد أن أبا البقاء قصد بها بالسین [سور] أي سور القرآن، لعل آيدين ظن أنه خطأً مطبعي فذكرها بالصاد، والله أعلم.

وقد اجتهد آيدين في أن يضع تعريفاً شاملاً جامعاً للمتشابه اللفظي في القرآن، فوقع في الإطالة من غير حاجة؛ حيث قال: "إن التشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وزيادة ونقصًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان"^{٧٥}.

وقد طال كلام آيدين بسبب كثرة التفصيل، وقد زاد لفتة ذكية قال: "مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان"^{٧٦}.

وهذا عبد الجواد خلف محقق كتاب [كشف المعاني] يقول: "فالألفاظ التي تحتل أوجها في التفسير ... تردُّ بلفظ واحد يتكرر لكنه في كل موضع له معنى يختلف عنه في الموضوع الآخر ومثاله لفظ الرحمة:

تكرر هذا اللفظ في آيات كثيرة لكن معناه يختلف في كل آية عنه في الآية الأخرى فهي:

- ١ - بمعنى الإسلام في: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (آل عمران ٧٤).
- ٢ - بمعنى الإيمان في: ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ (هود ٢٨).
- ١ - بمعنى الجنة في: ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٧).
- ٢ - بمعنى المطر في: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف ٥٧).
- ٣ - بمعنى الرزق في: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (ص ٩).

^{٧٤} طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - بيروت.

^{٧٥} مصطفى آيدين، تحقيق درة التنزيل وغرة التأويل، ج ١، ص ٥٣.

^{٧٦} وهذا اللفظ مأخوذ عن محقق كتاب كشف المعاني لابن جماعة حيث ساقه المحقق في بيانه لموضوع الكتاب وجاء ذلك في الكتاب: كشف المعاني، لبدر الدين ابن جماعة، تحقيق وتعليق: عبد الجواد خلف، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ط ١، سلسلة منشورات الجامعة الإسلامية، باكستان، مكتبة ابن تيمية، ص ٤٥.

٤ - بمعنى المغفرة في: ﴿ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام ١٢).

وغير ذلك من المعاني الواردة تحت هذا اللفظ.^{٧٧}

وهذا تعريف آخر لمصطلح [التشابه اللفظي في القرآن] أورده لبيب صالح في بحثه للدكتوراه، فبعد أن استعرض عددا من التعاريف لهذا المصطلح قال: "التشابه اللفظي في القرآن هو: ورود آيات متكررة في موضوع واحد، لكنها وردت في صيغ متعددة، وأساليب بيانية متنوعة، وكل ذلك لغرض بديع، وحكمة بالغة، يكشف عنها التأمل والنظر"^{٧٨} ولنا اعتراضان على تعريف لبيب صالح:

- ١ - في قوله: "ورود آيات متكررة في موضوع واحد" فقد جعل موضوع الآيات المتكررة واحدا - وليست كذلك - لأن موضوع الآية المتكررة ومعناها يتغير ويتجدد بتجدد المنزل الذي تنزله.
- ٢ - في قوله: "لكنها وردت في صيغ متعددة"؛ فإن الآية أو الآيات قد تتكرر باللفظ ذاته دونما تغيير، وما أكثر ذلك في القرآن!

وبعد أن استعرضنا معا هذه التعاريف لمصطلح [التشابه اللفظي في القرآن] أخلص إليكم بتعريف أرجو أن أصيب به عين الحق، وقبل أن أذكر هذا التعريف أود أن أوضح الأسس التي عليها بنيتُ هذا التعريف، وهي كما يلي:

- أ - التشابه اللفظي وقع في القرآن للفظ المفرد والمركب^{٧٩}، ولبعض آية، ولآية، ولآيتين متتاليتين، ولآيات متتاليات.
- ب - التشابه اللفظي في القرآن قد يقع في الآية الواحدة، وفي السورة الواحدة، وفي سور شتى.
- ت - اللفظ المكرر أو الآية أو الآيات المكررة قد تتكرر وتنزل منازل عدة بنفس لفظها دونما تغيير، وقد يحدث اختلاف وتفاوت لفظي أو تغيير وتبديل^{٨٠}.

^{٧٧} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص ٤٦، بتصرف

^{٧٨} لبيب محمد جبران صالح، التشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، ص ١٧، رسالة دكتوراه، جامعة ملایا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والسنة، سنة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

^{٧٩} تركيب الإضافة أو شبه الجملة أو غيرها.

^{٨٠} والمقصود بالتفاوت والتغيير هنا: التقدم والتأخير، أو الزيادة والحذف، أو التنكير والتعريف، أو الجمع والإفراد أو غير ذلك من التفاوت.

ث- التشابه اللفظي في القرآن إنما هو تكرار في اللفظ، واللفظ فقط دون المعنى، فاللفظ المكرر في القرآن وعاء يحمل معنى، يتغير هذا المعنى بتغير المنازل الذي ينزلها اللفظ المكرر، فالألفاظ المكررة أوعية متشابهة القوام والأحجام والأشكال كل منها يحمل في جوفه معنى مخالفا للآخر.
وبعد هذا البيان أسوق إليكم هذا التعريف:

اصطلاح: [المتشابه اللفظي في القرآن] هو:
[هو تكرار اللفظ في الآية، أو في السورة، أو في سور شتى، دون تكرار المعنى، وقد يتطابق المتشابه اللفظي في المَبْنَى، لكنه يختلف في المَعْنَى والغرض]

وأما اصطلاح [توجيه المتشابه اللفظي] فهو:
[البحث في أسرار المتشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازله المختلفة]

المتشابه اللفظي بلاغيا

المطلب الأول: التكرار من الفصاحة:

أولا: التكرار اللفظي والمتشابه اللفظي:

إن [التكرار اللفظي] جزء من [المتشابه اللفظي]، ولا يمكن فصله عنه، وقد فسر العلماء [التشابه اللفظي] بتكرار اللفظ، أو تردد اللفظ أكثر من مرة، ويكاد لا يخلو تعريف أيّ من العلماء لمصطلح [المتشابه اللفظي] من تأويله بـ[تكرار اللفظ]، وقد برز ذلك في المبحث السابق [المتشابه اللفظي اصطلاحاً].

ويرى الباحث أن [المتشابه اللفظي] يضم ويشمل ويتضمن [التكرار اللفظي]، في حين لا يمكن العكس، فلا يمكننا القول أن [التكرار اللفظي] يضم أو يتضمن [المتشابه اللفظي]؛ وذلك لأن [المتشابه اللفظي] يشمل ما تكرر بلفظه دون تَعْيُر في ألفاظه، ويشمل ما تكرر لفظه مع تَعْيُر في بعض ألفاظه، أما [التكرار اللفظي] فلا يشمل إلا ما تكرر لفظه دون تغيير، وقد جعل الدكتور حسين نصار مصطلح [التكرار] هو الأصل، وضمّن [المتشابه اللفظي] تحته^{٨١}، لكن الأصل غير ذلك، إذ أن مصطلح [المتشابه اللفظي] هو الأصل لأنه الأكثر والأشهر، إذ أنه يتضمن التكرار اللفظي بلا شك، ولأن [المتشابه اللفظي] قد ينكر البعض دخوله تحت [التكرار] بسبب وقوع تغيير في بعض ألفاظه.

وقد فصل بعض العلماء^{٨٢} بين النوعين فجعل لـ [المتشابه اللفظي في القرآن] بابا قائما بذاته، وجعل لـ [التكرار اللفظي] بابا قائما بذاته، ورد البعض الآخر هذا الفصل، ورأى أن من غير الصواب الفصل بينهما، فقال الدكتور محمد القاضي: "وهذا الاختيار بعيد عن الصواب، فاللغة تركيب ومعنى، كما سبق أن بينا، فالمكرر تشابه تماما في التركيب، ولكنه بالضرورة مختلف في المعنى من خلال تنوع السياقات، ومن هنا تأتي منطقية إدراج المكرر اللفظي تحت هذه الدراسة التي تعنى بالمتشابه اللفظي في القرآن"^{٨٣}.

^{٨١} نصار، حسين، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، التكرار، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي. دراسة في ١٠٩ صفحة في التكرار اللفظي في القرآن

^{٨٢} الحمداوي، رشيد، ٢٠٠٣م، المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ص٢٥-٢٦.

^{٨٣} القاضي، محمد، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ص٥٤.

وظائفه البلاغة، والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكررة^{٩١}، نفى الفريق الآخر التكرار من القرآن تمامًا "بادعاء عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه، في السياق نفسه، للمعنى نفسه، فحتى لو كانت الألفاظ مكررة، فإنها تدلّ بنظرهم على معان مختلفة"^{٩٢}

وابن تيمية -رحمه الله- له في [التشابه اللفظي في القرآن] قول بديع، فقد أنكر التكرار في القرآن، وقال إن التكرار مثله: "كما يسمّى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي ﷺ إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب ... في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة. وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى ... فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر. وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام ... فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة."^{٩٣}

وهذا السيوطي يرى أن التكرار من الفصاحة، بل من محاسنها: "التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط"^{٩٤}

ولم يعدّ الزركشي التكرار من محاسن أساليب الفصاحة وحسب، بل إنه قد خطأ من طعن في ذلك فقال: "غلط من أنكر كونه - التكرار - من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعبء بعض"^{٩٥}

^{٩١} راجع: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، ط ١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ج ٣، ص ٢٨٧. / ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وتأويل مشكل القرآن، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص ٢٣٥-٢٤٠. / ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار الجليل، ص ٧٢. / البرهان للزركشي، ج ١، ص ١٤٦، ج ٣، ص ١٣-١٤. / والإيقان للسيوطي، ج ٣، ص ١٧٩. بتصرف.

^{٩٢} راجع: الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر أبو أحمد الحسين، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي، ط ١، مصر، مطبعة المساعدة، ج ١، ص ٨٤. بتصرف، وذهب إلى ذلك رجال التشابه اللفظي وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

^{٩٣} ابن تيمية، مجموع الفتاوى، برنامج مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إصدار موقع روح الإسلام، راجع هذا الرابط: www.islamspirit.com

١١/٠٣/٢٧

^{٩٤} السيوطي، الإيقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٦٦

^{٩٥} الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٩

ولنا أن نتساءل متى يسوغ التكرار ويُقبل، ويُعدُّ من محاسن أساليب الفصاحة؟ وأرى أن التكرار لا يعد من محاسن أساليب الفصاحة، ولا تميل إليه النفوس، ولا تقبله العقول، إلا إذا تحققت فيه أمور أربعة مجتمعة:

الأول: إذا لم يُشعر بالملل أو الضجر.

الثاني: التغيير في اللفظ المكرر، بزيادة أو نقصان، أو بتقديم أو تأخير، أو تغيير المحيط الذي ينزل فيه اللفظ المكرر.

الثالث: أن يحمل فائدة جديدة أو معنى جديداً، سواء تكرر اللفظ نفسه، أو حدث فيه تغيير.

الرابع: أن يرمي إلى غرض بلاغي دقيق، كالتأكيد، أو التهويل، أو التعجب، وغيرها مما سيأتي حين نتناول أغراض التكرار اللفظي.

والتكرار اللفظي في القرآن قائم، فإن اللفظ القرآني قد ينزل في كتاب الله منازل عدة، لكنه في كل منزل يختلف عنه في المنازل الأخرى، إذ إنه يكتسب معناه في موقعه ومنزله من المحيط الذي نزل فيه، فإن كان في القرآن تكرر، فإنما هو تكرر في اللفظ -واللفظ فقط- دون المعنى.

وتحت عنوان [تعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة] كتب عبد الحميد هنداوي يقول: "وهذه الظاهرة -تعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة- من الظواهر المهمة في الكشف عن طبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية، حيث تشترك المعاني في الصيغة الواحدة فتدل على معان متعددة قبل أن يتحدد المعنى المراد بواسطة القرائن"^{٩٦}.

وهذا العففي ينكر تكرر اللفظ على معنى واحد في القرآن، قال: "إن إحكام القرآن وتفصيله هو العلم الذي يضمن لنا أننا كلما احتجنا إلى أي مفردة قرآنية وجدناها بأي موضع من مواضعها، كالحرف الواحد في الكلمة، يعني المكرر في كلمة واحدة التي تجمع حروفها جميعاً في جملتها، فإذا كل حرف بموضعه الخاص به تفصيلاً، يعني كل حرف غير

^{٩٦} عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ص ٥٧.

الآخر، لا أنه مكرّر، وإذا الحروف جميعًا تامّة الارتباط بها كلها إجمالاً^{٩٧}.

وجاء في القواعد الذهبية: "وإذا كان القرآن فيه نحواً من ستة آلاف آية ونيف، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما، قد يصل أحياناً حد التطابق، أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة، أو اثنتين، أو أكثر"^{٩٨}

هذا التشابه إنما هو في الثوب الخارجي فقط، أي في اللفظ المكرر لا المعنى، فاللفظ المكرر إنما هو ثوب خارجي حمل في طيّاته معنى جديداً في كل منزل نزله، ويؤيد ذلك العفيفي قائلاً: "فإذا تعددت المواضع في القرآن كله بآية، أو جملة أصغر من آية، أو كلمة، أو حرف، كان كل من ذلك ثابتاً في نصّه بلا تبديل، وإنما لكل مفردة منه عمل جديد، بكل موضع جديد"^{٩٩}

والتكرار اللفظي في القرآن اتسم بسمات سامية، لا تنازعه فيها يد، ولا تستطيع أن ترنو إليها قريحة، فبحسب الناظر فيه الطرب لنغمه، والوقوف عنده للتأمل والتدبر، فإن ظفر منه بحكمة، فقد أوتي الخير العظيم، وإن عجز، فذاك فضل الله، يؤتيه من يشاء.

وصدق ابن قتيبة إذ قال: "ولذلك نجد أن التكرار ورد في القرآن كثيراً، ومع أن الأسلوب في الكلام العادي قد لا يسلم معه من القلق والاضطراب، إلا أنه جاء في كلام الله مُحْكَمًا"^{١٠٠}

المطلب الثاني : فوائد وأغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم:

لقد تناول الكثير من العلماء أغراض وفوائد التكرار اللفظي في القرآن الكريم، يقول ابن سيده: "التكرار في الكلام الواحد محتب في البلاغة، إلا إذا كان لغرض"^{١٠١}، وسوف أجتهد في جمع آراء العلماء حول هذه القضية، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وسأجتهد في تنسيقها وترتيبها.

^{٩٧} العفيفي، محمد، القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، الكويت، المطبعة العصرية، وذات السلاسل للطباعة والنشر، ص ٥٥.

^{٩٨} عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ص ١٥، ويمكن تصفحه في: <http://bookstree.com/books/6/6.htm>

٢٠٠٩/٠٥/٠٣

^{٩٩} العفيفي القرآن القول الفصل، ص ١٦.

^{١٠٠} ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٢٣٢.

^{١٠١} ابن سيده، إعراب القرآن، ج ٥، ص ١٥٤.

وقد لاحظت أن بعض العلماء استعمل لفظ [فوائد] كالزمخشري: قال: "ما فائدة تكرير قوله ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿﴾ (القمر ٣٩-٤٠)، قلت: فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبي من أنباء الأولين اذكارةً وتعاضلاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات ، ويقعق لهم الشنن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير^{١٠٢} والزرکشي في البرهان قال: "القرآن نزل على لسان القوم وفي لسانهم التأكيد والتكرار وخطابه أكثر بل هو عندهم معدود في الفصاحة والبراعة ومن أنكر وجوده في اللغة فهو مكابر إذ لولا وجوده لم يكن لتسميته تأكيداً فائدة فإن الاسم لا يوضع إلا لمسمى معلوم لا فائدة فيه بل فوائد كثيرة"^{١٠٣}، ولفظ السيوطي أكثر وضوحاً، قال: "النوع الرابع التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر"^{١٠٤}.

وبعضهم استعمل لفظ [أغراض]^{١٠٥} للتعبير عن مرامي التكرار [فوائده وأغراضه]، واستعمل عبد العظيم المطعني لفظ [وظيفة]^{١٠٦}، وبالبحث في معاني هذه المفردات الثلاث وجدت ما يلي:

الفائدة: ما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو غيره.. والجمع فوائد.^{١٠٧}

الغرض: الهدف الذي يرمى إليه، والبُعْية، والقصد، والجمع أغراض.^{١٠٨}

الوظيفة: ما يقدر من عمل .. في زمن معين، والعهد، والشرط، والمنصب، والخدمة المعينة.^{١٠٩}

^{١٠٢} الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون القاويل في التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث، ج٤، ص٤٣٩.

^{١٠٣} الزرکشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بھادر، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، بيروت، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٢، ص٣٨٤.

^{١٠٤} السيوطي، جلال الدين السيوطي الشافعي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الإتيقان في علوم القرآن وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، بيروت، دار الفكر، ج٢، ص٦٦.

^{١٠٥} يكثر هذا التعبير لدى المحدثين خاصة ومنهم فريد البيدق مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية على الشبكة العنكبوتية:

<http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=http://www.ruowaa.com/vb> ١٠٨٥٧/٠٥/٠٣.٢٠٠٩

^{١٠٦} المطعني، عبد العظيم إبراهيم، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ج١، ص٣٢٢.

^{١٠٧} المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٠٥.

^{١٠٨} المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٠.

^{١٠٩} المصدر السابق، ج٢، ص١٠٤٢.

ونتساءل: أي هذه التعبيرات أدق في بيان أدوار وأثر التكرار اللفظي في القرآن الكريم؟

وإني أرى ما يلي:

- أما لفظ [وظائف التكرار] فأولى به الأدوار العامة التي يؤديها المتشابه اللفظي، فقد استعمله المطعني استعمالاً دقيقاً، مُعَبَّرًا به عن أدوار عامة للتكرار اللفظي في القرآن، فقد قال: "فالتكرار يؤدي .. وظيفتين: أولاهما: من الناحية الدينية، وثانيتها: من الناحية الأدبية"^{١١٠}

- ولفظ [فوائد التكرار] فإنه أدق ما يُعَبَّرُ به عن المعنى الجديد أو المعاني الجديدة التي يحملها اللفظ المكرر.

- أما لفظ [أغراض التكرار] فإنه أدق ما يُعَبَّرُ به عن الأثر البلاغي والأثر النفسي الذي رمى إليه التكرار.

أولاً: وظائف وفوائد التشابه اللفظي في القرآن الكريم:

ورأيت أن أجمع بين لفظي [الفوائد والوظائف] لأني وجدت أن كلا من اللفظين قد حمل بعضاً مما يلي:

١- تقرير المعاني في النفوس وتثبيتها في الصدور:

وتلك الفائدة أشار إليها الزمخشري -غفر الله له- إشارة دقيقة قال: "إن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحمُّظ العلوم إلا ترديد ما يُرام تحمُّظه منها؟ وكلّما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان"^{١١١} وفي موضع آخر من الكشف حول تكرار الحروف المقطعة قال: "وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره"^{١١٢} وفي هذا يقول الزرقاني: "إن هناك حكمة عالية في هذا التكرار وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طَيِّ

^{١١٠} المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ١، ص ٣٢٢

^{١١١} الزمخشري، الكشف، ج ٣، ص ٣٣٩

^{١١٢} المصدر السابق، ج ١، ص ٧٢

تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة والفوائد الجمّة التي هم في أشد الحاجة إليها^{١١٣}.

٢- بسطُ المَوْعِظَةِ وتثبيت الحجّة:

وتلك الفائدة أشار إليها الرافعي^{١١٤} قائلاً: "وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء،... لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجّة، ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة، وترديد المنّة، والتذكير بالنعمة، واقتضاء شكره^{١١٥}".

٣- بيان الإعجاز والتحدي:

فالتنوع في الأساليب وفنون اللغة درب من دروب الفصاحة والبلاغة، لا يستطيع أن يسلكه إلا من أوتي أسبأهما، "فالتكرار من محاسن أساليب الفصاحة العربية، خاصة إذا تعلق ببعضه ببعض^{١١٦}"، ومن هنا "فالتكرار إذن ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن أروع وأجمل من أن تتناول إليه السنة المتقولين، هذا هو الرأي الأول للعلماء في موضوع التكرار في القرآن، وخلاصته أن ذلك من أساليب العربية التي جاء القرآن بها، التي تحقق بهذا التكرار أهدافا معينة تُثري المعنى، وهذا أدعى لبيان إعجاز القرآن^{١١٧}".

٤- بيان تعدد المتعلق:

^{١١٣} الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص١٢١.

^{١١٤} مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (١٢٩٨ هـ - ١٣٥٦ هـ الموافق ١ يناير ١٨٨٠ - ١٤ مايو ١٩٣٧ م)، شاعر، وأديب، ومفكر، مؤرخ، وصحفي، ولد في بيت جده لأمه في قرية "مهتم" بمحافظة القليوبية، وعاش حياته في طنطا، دخل الرافعي المدرسة الابتدائية ونال شهادتها ثم أصيب بمرض يقال انه التيفود أفضده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصابا في أذنيه وظل المرض يزيد عليه عاما بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره وقد فقد سمعه بصورة نهائية. لم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية، بعد الرافعي من العلامات البارزة في تاريخ الأدب العربي، إذ نصب من قلمه سيفا مسلطا على أعداء الإسلام والعرب تاريخهم وآدابهم، ومصنفاته مآل ومرجع لكل باحث في تاريخ الآداب العربية، وكتبه من أكثر الكتب الأدبية اشتجارا وانتشارا، وله باع طويل في الدفاع عن القرآن، واللغة العربية، والشعر العربي، وتاريخ العرب، وخاض أشهر معاركه مع طه حسين بسبب كتابه [في الشعر الجاهلي]، ومن أشهر كتبه: [تاريخ آداب العرب] ٣ أجزاء، و[تحت راية القرآن]، و[وحي القلم] ٣ أجزاء، و[رسائل الرافعي]، و[على السفود]، و[السحاب الأحمر]، و[رسائل الأحرار]، و[ديوان الرافعي] ثلاثة أجزاء، وغيرها.

^{١١٥} الرافعي، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصر، المكتبة التوفيقية، ص١٩٣-١٩٤.

^{١١٦} الزركشي، البرهان، ج٣، ص٩ / السيوطي، الإيقان، ج٢، ص٦٦.

^{١١٧} شبكة الفصح لعلم اللغة العربية <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?threadid=1350> ٢٠٠٧/٠٩/١٢

كما في الآيات التي ترددت في السورة الواحدة، حيث إن كل مرة تنزل فيها الآية المكررة تنزل بمعنى جديد بحسب ما نزلت معه، ومن ذلك في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ وفي سورة القمر آيتان ترددتا في السورة، هما: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، و﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾، وفي سورة المرسلات آية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وفي الشعراء عدة آيات تتابعت مع تتابع القصص التي وردت في السورة.

وللباقلائي قول رائع حول تلك القضية قال: "لقد علمنا أن الله تحدّى المعارضين بالسور كلها ولم يخصّ، فُعلم أن جميع ذلك معجز، وذلك لأن الكلمات المكررة لفظاً هي ذات معان جديدة بعد تكرارها"^{١١٨}

وإنّ "العرب وهم أمراء الفصاحة وفرسان البيان ... قد كان الذكاء والفهم طبيعة لهم، فهم قد فهموا القرآن بعد أن تأملوه، وتذوقوا إعجازه بعد أن سبروه، فعلموا بأن التكرار مظهر من مظاهر إعجازه، فأذعنوا له، ووقفوا عند حدهم فيه

١١٩١١

ووقعت يدي على درس حول أغراض التكرار ووظائفه في منتدى اللغة العربية وآدابها على النت، ووجدت فيه وظيفتين حقيقتين بضمهما إلى فوائد ووظائف التكرار اللفظي في القرآن وهما:

٥- الوظيفة الإيقاعية:

فالتكرار يساهم في بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاماً موسيقياً خاصاً.

٦- الوظيفة التزيينية:

وتكون بتكرار ألفاظ مختلفة في المعنى، ومتفقة في البنية الصوتية، مما يضيفي تلويها

جمالها

^{١١٨} الباقلائي، الإعجاز في القرآن، على هامش الإتيان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر ج ٢، ص ١٥٢

^{١١٩} عمر محمد عمر باحاذق، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، ط ١، بيروت، دار المأمون للتراث، ص ٢٦٩

على الكلام^{١٢٠}.

ثانيا: أغراض التشابه اللفظي في القرآن الكريم:

لقد فَصَّلَ الزركشي^{١٢١} في أغراض التكرار وفوائده، وكذا السيوطي^{١٢٢}، وقد اشترك كلاهما -الزركشي والسيوطي- في أكثر الأغراض التي ذكراها، وسوف أستعرض هنا بلساني في إيجاز ما وقفا عليه من الأغراض، ولن أكتفي بذلك، بل سأجتهد في استيفاء أغراض التشابه اللفظي لدى الأساتذة الذي تكلموا في أغراض التشابه اللفظي ما استطعت، كما أود أن أشير إلى أي لن أقف عند حدود الأمثلة التي ساقوها، بل سأجتهد في إبراز هذه الأغراض بأمثلة أخرى من القرآن الكريم خاصة.

١- التقرير والتأكيد :

وقد جمعت بين هذين الغرضين ليس لأنهما شيء واحد، لا، ولكن لأنهما مقترنان، فإن التأكيد يتبع التقرير حتما، كما أن "التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز"^{١٢٣}، وقد قيل في ذلك: [إن الكلام إذا تَكَرَّرَ نَقَّرَ]، وأضيف: [إن الكلام إذا تكرر تقرر وتأكد]، والزركشي ذكر [التأكيد] فقط ولم يشر إلى [التقرير] كغرض قائم بذاته بل ضمنه تحت غرض [التأكيد]، حيث أشار إليه في ثنايا حديثه عن التأكيد، إلا أن السيوطي فَصَّلَ بينهما، وبدأ بالتقرير ومثل له بتكرار القصص، ثم عقب بعده بالتأكيد.

ولعل هذا الغرض [التقرير والتأكيد] يبرز بروزا واضحا في الآيات التي تتكرر كاملة في ذات السورة، كقول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾، قال الشوكاني: "وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة، وتأكيدا"^{١٢٤}،

^{١٢٠} منتدى اللغة العربية وآدابها، راجع هذا الرابط:

<http://bacdz.forums-free.com/topic-t26.html> , ٢٠٠٩/٠٢/٢١

^{١٢١} الزركشي، البرهان، ج٢، ص ٣٨٥-٣٩١

^{١٢٢} السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٦٦-٦٩

^{١٢٣} الزركشي، البرهان، ج٣، ص ١١

^{١٢٤} الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص ١٧٧

وذهب هذا المذهب ابن عاشور، قال: "وتحصّل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير"^{١٢٥} ومثل ذلك قوله عز وجل في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، كما يبرز في مواطن أخرى كثيرة تكررت فيها الآيات بلفظها، وليس شرطا أن يتحقق هذا الغرض في الآيات التي تتكرر كاملة بلفظها فقط، بل إنه يتحقق أيضا في غير ذلك فهذا [فرعون] يقول: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: ٣٤)، وهؤلاء [ملاّ فرعون] يقررون ويؤكدون بعده: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، ومن ذلك أيضا تكرار الحواتيم خواتيم الآيات، وما أكثر ذلك في القرآن! ومنه قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)، و(آل عمران: ١٣٠، ٢٠٠)، ومن ذلك تكرار القصص، وغيره كثير من نوع ما ذكرت، وغيره من الأنواع الأخرى التي لا يتسع المجال للتمثيل لها لكثرتها.

إلا أنّي أودُّ أن أنوّه إلى شيء ذي أهمية بالغة، ألا وهو: لعل التكرار اللفظي في القرآن كما ذكرنا يفيد [التقرير والتأكيد]، لكنه إلى جانب هذا الغرض يحمل معنى جديدا في طيّه، هذا المعنى الجديد قد يتأتى للباحث الناظر المتأمل، فيرزقه الله إياه أو بعضه، وقد يعجز، وقد يُمنع منه.

كما أن غرض التأكيد يمكن أن يشترك معه سائر الأغراض الأخرى والتي ستأتي آنفا، ذلك لأن أحد أغراض التكرار عامةً التقرير التأكيد، وقد صدقوا إذ قالوا: الكلام إذا تكرر تقرر، وتأكّد.

٢- التعظيم والتهويل:

وهذا الغرض [التعظيم والتهويل] قد يجتمع إليه [الترغيب أو التهيب]، فمن أمثلة

^{١٢٥} ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٩٧م، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج ٢٧، ص ٢٤٧

اقتران الترهيب به قول الله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ (الحاقة ١-٣)، فقد اجتمع الترهيب إلى جانب التعظيم والتهويل في هذه الآيات، ومثل قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾ (القارعة ١-٣)، ومنه قوله عز وجل: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ ﴾ (المطففين ٧-٨)، أما مثال ما اقترن فيه [الترغيب] بـ [التعظيم والتهويل] فقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة ٢٧)، ففيها ترغيب في أن يجتهد المؤمن في أن يُحَصِّلَ كتابه بيمينه، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (الواقعة ١٠)، قال الشوكاني: " والتكرير فيه للتحفيز والتعظيم... كما تقول أنت أنت، وزيد زيد، والسابقون مبتدأ، وخبره السابقون. "١٦٦، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (القدر ١-٣)، ففي الآيات ترغيب وحث المسلم للاجتهاد في العبادة في تلك الليلة ليحصل فضلها.

٣- التهديد والوعيد:

ويبرز ذلك في التكرار في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۗ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ (التوبة ٢-٣)، كما يظهر التهديد جليا من التكرار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (النبأ ٥-٥)، وكذا في

^{١٦٦} الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ١٩٧

قوله عز وجل: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ (القيامة ٣٤-٣٥)، قال الشوكاني: "وهذا تهديد شديد، والتكرير للتأكيد" ١٢٧.

٤- الأمن من النسيان والسهو:

وذلك إذا طال الفصلُ بكلامٍ قد يُنسى الأول، فَيُعَادُ ذِكْرُ الْأَوَّلِ تَطْرِيَةً وَتَجْدِيدًا لَهُ، وذلك متعدد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ بِجَهَنَّمَ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل ١١٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَتُحِبُّونَ أَنْ تُمَّحَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ١٨٨).

٥- التعجب:

ويظهر ذلك جليا في قول الله تعالى: ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ (المدثر ١٩-٢٠)، جاء في الكشاف: "فإن إعادة اللفظ تعجيب من تقديره، وإصابته فيه المحزّ،... أو هي حكاية لما كرره من قولهم ﴿قَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾... يعجبهم بتقديره، واستعظامهم لقوله . ومعنى قول القائل: قتله الله ما أشجعه! ، وأخزاه الله ما أشعره! الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك" ١٢٨.

٦- التنبيه:

وقد ذكر الزركشي والسيوطي هذا الغرض هكذا: [زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، وأختلف معهما في أمرين:

١٢٧ المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٥٣

١٢٨ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٥١

أحدهما: تحديد غرض التنبيه بحدود [ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، وأرى أن حدود هذا الغرض أوسع من ذلك؛ إذ أن التكرار في عمومه يلفت الذهن، ويجذب الانتباه، ولا يقف عند هذا الحد الذي رسمناه.

وثانيهما: المثال الذي ساقاه لإثبات هذا الغرض حيث ساقا - كلاهما - هاتين

الآيتين: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨﴾

يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩﴾

(غافر ٣٨-٣٩)، جاء في [البرهان والإتقان] كليهما هذا اللفظ: "فإنه كرر فيه النداء لذلك" ١٢٩ أي ل [زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، ووجه اختلافي معهما، أن تكرار النداء في الآيتين وإن أفاد التنبيه، فليس هذا فقط هو الغرض الذي يرمي إليه [مؤمن آل فرعون] من تكرار نداءه، فإنه ﷺ أراد أن يستميل قومه، ويتودد إليهم، ويؤكد على أنه واحد منهم، مُحِبُّ لهم، ومُشْفِقٌ عليهم، ويرجو لهم الخير والنجاة. قال الشوكاني: "وأنه إنما تصدَّى للتذكير كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى، كما يقوله الرجل المحبِّ لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه" ١٣٠، ورأى أبو السعود شيئاً من ذلك قال: "كرَّر نداءهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى" ١٣١ وعند البقاعي جاء التفسير أكثر إيضاحاً لهذا الجانب قال: "{يا قوم} أي يا من لا قيام لي إلا بهم فأنا غير متهم في نصيحتهم... {يا قوم} كرر ذلك زيادة في استعطافهم، بكونهم أهله، فهو غير متهم في نصحتهم؛ لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه." ١٣٢

٧- استمالة المخاطب والتودد إليه:

١٢٩ السيوطي؛ الإتقان، ٢، ص ٦٧ / الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ١٤

١٣٠ الشوكان، فتح القدي، ج ٢، ص ٥٨

١٣١ أبو السعود، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم المعروف بتفسير أبي السعود، تحقيق: عبد

القادر عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج ٥، ص ١٩

١٣٢ البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي،

بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٦، ص ٥١٦.

وهذه أشرت إليها حين عارضت الزركشي والسيوطي في الغرض السابق [التنبيه]
وقد أشار إلى هذا الغرض فريد البيدق، مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية،
ومثل له بقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ (غافر ٣٨-٣٩)، ولم يزد على ذكر الغرض والتمثيل بالآية^{١٣٣}، وقد
فَصَّلْتُ سَلَفًا فِي الغرض السابق، وعرضت آراء بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى أن
تكرار نداء ﴿ يَنْقُومِ ﴾ بغرض الاستمالة والتودد إلى المخاطب، وبيان الإخلاص في
النصح والمودة.

٨- بيان الحال:

وأشار إلى هذا الغرض فريد البيدق بمسمى آخر، وهو [الاستيعاب] ومثَّل له بقوله:
[ادخلوا رجلاً رجلاً] ، وخير منه ما جاء في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٦١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٦٢﴾ (الفجر ٢١-٢٢)،
أي دكا بعد دك وصفا بعد صف ، هذا على الحال ، جاء في البحر: " ﴿ دَكًّا دَكًّا
﴿ حال، كقولهم: باباً باباً ، أي مكرراً عليهم الدك " ^{١٣٤}، وللشوكاني رأيان قال: "
والمعنى : أنها دكت مرة بعد أخرى. وانتصاب ﴿ دَكًّا ﴾ الأول على أنه مصدر مؤكد
للفعل . و﴿ دَكًّا ﴾ الثاني تأكيد للأول .. ويجوز أن يكون النصب على الحال ،
أي: حال كونها مدكوكمة مرة بعد مرة، كما يقال: علمته الحساب باباً باباً، وعلمته
الخط حرفاً حرفاً^{١٣٥}

٩- التلذذ بذكر المكرر:

^{١٣٣} فريد البيدق ، شبكة رواء للأدب وفنون العربية ، <http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=rhttp://www.ruowaa.com/vb/10807> ٢٢/٠٣/٢٠٠٨

^{١٣٤} أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد

معوض، بيروت، لبنان، ج ٨، ص ٤٦٦

^{١٣٥} الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٥٨٧

وساق ذلك الغرض فريد البيدق، ومثل له بقوله: [أبي أبي سيعود غدا من سفره] ١٣٦ وخير من ذلك، ما يجده القارئ والسامع من تردد آية ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان﴾، في سورة الرحمن ١٣٧، وفي سورة القمر رغم التعنيف والتبكي، تجد أنك تحب، وتستعذب تردد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

١٠ - الإنكار والتوبيخ والتقريع:

ومن ذلك تكرار قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَنَا مَعَ اللَّهِ﴾ في سورة النمل، موجهاً للمشركين، ومقرعاً إياهم، قال أبو السعود: "وهذا تبكيث لهم" ١٣٨ وقال الألوسي: "وهذا تبكيث لهم بنفي الألوهية عما يشركونه به عز وجل في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيثهم بنفي الخيرية عنه" ١٣٩ وقد زاد فريد البيدق أغراضاً أخرى، أراها أغراضاً فرعية متضمنة في الأغراض السابقة، أو قد تقتزن بها، فمن ذلك مثلاً أنه عدَّ من أغراض التكرار: الحث على الشيء، والحث على اجتناب الشيء، والإرشاد إلى الخير، وإثارة الحزن، والترغيب في الشيء ١٤٠.

وقد وقعت يدي على دراسة قيِّمة للدكتور [عمر محمد عمر باحاذق] موضوعها [أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني] تناول الكاتب في الباب الرابع منها فصلاً بعنوان [شبهات حول أسلوب التكرار في القرآن الكريم] جمع فيه ما وقف عليه الزركشي من فوائد وأغراض للتكرار في القرآن، ثم استنتج الكاتب عدداً آخر من الأغراض، رأيت أن لها

١٣٦ فريد البيدق، مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية <http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=rhttp://www.ruowaa.com/vb> ١٠٨٥٧/٢٢/٢٠٠٨

١٣٧ وما أكثر الذين يجوبون سماع سورة الرحمن خاصة، وتستطيع أن تلمس ذلك حتى بين العامة، وقد وجدت بعضهم يطلب من الشيخ القارئ في إحدى المناسبات أن يسمعهم سورة الرحمن.

١٣٨ أبو السعود، ج ٤ ص ٢٧٢

١٣٩ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبد الباري عطية، بيروت، دار

الكتب العلمية، ج ١٠ ص ٢١٦

١٤٠ فريد البيدق، شبكة رواء للأدب وفنون العربية، <http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=rhttp://www.ruowaa.com/vb> ١٠٨٥٧/٢٢/٢٠٠٨

وجاهتها، ورأيت أن أعرض بعضها هنا في إيجاز. فقد رأى أن من أغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم ما يأتي^{١٤١}:

أ- دفع الوهم: كقول الله تعالى: ﴿ أَنِّي أَحْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ^ط وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ^ط ﴾ (آل عمران ٤٩)، وكرر ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ دفعا لوهم من تَوَهَّم في عيسى ﷺ الألوهية.

ب- إفادة الحسم في الأمر: كمثل ما جاء في سورة الكافرون: ﴿ قُلْ يَتَّيْبًا الْكَافِرُونَ ^١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ^٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ^٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ^٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ^٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ^٦ ﴾ فالتكرار في هذه السورة يوحي باليأس الذي يدخل قلوب الكافرين من أن ينصرف محمد ﷺ عن دينه إلى ما يعبدون.

ت- التمييز: كقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة ٥)، وفي تكرير ﴿ أُولَئِكَ ﴾ التنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح.

ث- الادعاء: كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٨)، وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمان على صفة الصحة والاستحكام، وليس الأمر كذلك.

^{١٤١} عمر محمد عمر باحاذق ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني ، ط ١ ، بيروت ، دار المأمون للتراث ، ص ٢٧٤-٢٧٨ ، بتصرف

ج-الابتهال والتضرع: مثل ما جاء في الأسلوب القرآني على سبيل الابتهال والتضرع

وهو تعليم للمؤمن كيف يتجه إلى ربه ويدعوه كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا

تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝﴾ (البقرة ٢٨٩)، ومن

ذلك تكرار [ربنا] والدعاء في سورة آل عمران (الآيات ١٩١ - ١٩٤).

وللدكتور حسين نصار دراسة قيمة في إعجاز القرآن بعنوان [التكرار] بحث فيها فوائد ووظائف وأغراض التكرار تحت مسمى واحد هو [أسباب التكرار]، وقد طال بحثه وتعددت الأسباب -٦٦ سببا- والناظر في الأسباب التي ذكرها الكاتب لمواطن التكرار اللفظي التي مثل بها سيرى أن الأسباب التي وقف عليها إنما هي بعض توجيه لمواطن التكرار والتشابه الذي ذكرها، وجدير بنا أن نذكر هنا رءوس هذه الأسباب مجملة دون تفصيل، وها هي الأسباب مرتبة بحسب ما وردت في كتابه: "تثبيت فؤاد النبي، التذكير، الوعظ والاعتبار، ضمان معرفة القصة، التأكيد، التخليط، تثبيت القصة في القلوب، التقرير، الإفهام، العرف العربي، تنجيم القرآن، زيادة التحذير، إشباع المعنى، الاتساع في اللفظ، التنبيه، البرهنة على الإعجاز، إزالة الشبهة في الإعجاز، تكرار الوقوع والنزول، التسرية عن النبي، الزجر، اقتضاء الشكر، خشية الغلط، خشية الاستهانة، التعظيم، التوبيخ، الوعد والوعيد، التفصيل بعد الإجمال، التكذيب، التخصيص، المقابلة، استقلال كل جملة، فصل كل آية عن الأخرى، رعاية الفاصلة، رفع التوهم في العبارة، التهويل، التصوير، الابتهال، الإعلام بما يوجب حسن الإجابة، قطع أطماع الكسالى، التهجين، التبغيض، التفضيع، الاحتجاج، البيان، عدم توفر الدواعي للنقل، جذب النفوس، المبالغة، التعجب، مخاطبة اليهود، التفجع، تحقيق النعمة، بث الأفكار، خدمة المعنى، التجسيم، الإنذار، الجماهيرية، الطرق التربوية، إبراز العناية بالإنسان، بيان وحدة الأديان، التنعيم الموسيقي، أمية العرب، الربط بين السور، تلقي الكرم بالقبول، إثبات الألوهية، الصقل، ترسيخ المعتقد، توجيه النظر، تثبيت المؤمنين" ١٤٢

١٤٢ نصار، حسين، التكرار، ص ١٧ - ٧٣

نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه

المبحث الأول تقاسيم مراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره

المطلب الأول: تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره:

- تقسيم محمد مصطفى آيدين

- تقسيم محمد البركة.

المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة وتطور توجيه المتشابه اللفظي.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم

المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين.

المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظه والقراءه وتدوينه.

المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد

المطلب الأول: مرحلة الركود.

المطلب الثاني: مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية.

المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد.

المبحث الرابع: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف.

المبحث الأول:

نشأة علم المتشابه اللفظي

مقدمة:

إن هذا العلم كسائر العلوم مر بمراحل عدة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن إلا أن بناءه لم يتم بعد، بل إنه ما زال في مرحلة التأسيس، فلو نظرنا في كتب المتشابه اللفظي سنجد أنها مازالت قليلة للغاية بالمقارنة مع فضل هذا العلم، بل إننا نجد أن أكثر الكتب المتأخرة عالية على المتقدمين من العلماء.

وإني لأعجب أشد العجب، إذ أن الذين صرفوا همتهم لخوض غمار علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] من العلماء والباحثين ما زالوا قلة، هذا على الرغم من اتساع بحر هذا العلم، وعمق أغواره، ولعل عمق أغواره وبُعدها هو السبب في الانصراف عنه.

المطلب الأول: تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره

وبالبحث في الكتب المتقدمة والمتأخرة لم يظهر لي -فيما أظن- من خصّ مراحل تطور هذا العلم بالبحث والتدقيق إلا باحثين من المحدثين:

أولاً: تقسيم محمد مصطفى آيدين:

وضع آيدين محقق الدرّة تصوراً لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوره ولخصها في أربع مراحل وهاهي بإيجاز شديد:

- ١- النشأة والتأليف وذكر فيها كتاب الكسائي [متشابه القرآن] وكتاب ابن المنادي [متشابه القرآن العظيم].
- ٢- التوسع في هذا النوع والتأليف.
- ٣- حصر المتشابهات على أساس كل سورة سورة بحسب ترتيب المصحف.
- ٤- توجيه الآيات وبيان السبب^{١٤٣}.

^{١٤٣} الإسكافي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق ودراسة مصطفى آيدين، ط١، جامعة القرى، مكة المكرمة، ج١، ص٦٤-٦٨، بتصرف.

لكني أرى أن هذه المراحل الأربعة في مجملها - بحسب تقديري - تُعدُّ مرحلتين فقط: مرحلة الجمع والتدوين، ومرحلة التوجيه؛ فالمراحل الثلاث الأولى التي ذكرها تدخل جميعاً تحت مرحلة الجمع والتدوين.

ثانياً: تقسيم محمد البركة:

وضع محمد البركة تصوراً آخر أكثر دقة، فجعلها في خمس مراحل، لكنه أغفل بعض المراحل التي مر بها هذا العلم، كما أنه لم يُفصّل في هذه المراحل بداياتها ونتائجها، وهما هو تقسيم محمد البركة في إيجاز:

- أ- مرحلة ما قبل التدوين؛ وهي المتمثلة في بعض الآثار عن السلف.
 - ب- مرحلة جمع المتشابه اللفظي في رسالة أو مؤلف خاص؛ دون توجيه أو تحليل.
 - ت- مرحلة توجيه المتشابه اللفظي، وذكّر علّله وأساراه.
 - ث- مرحلة نظم المتشابه اللفظي.
 - ج- مرحلة دراسة المتشابه اللفظي دراسة نظرية موضوعية وصفية عامة^{١٤٤}.
- وإني أرى أن محمد البركة قد أغفل مرحلتين من مراحل تطور هذا العلم، كما أميل إلى تعديل المرحلة الأخيرة التي ذكرها إلى: مرحلة الدراسة والتجديد.

المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وتطوره:

بعد استعراض آراء السابقين وتصورهم لمراحل نشأة هذا العلم وتطوره وما يشوبها من ثغرات، أرى أن هذه المراحل تستوجب تقسيماً أوسع من ذلك، وأشمل وأدق، وهذا هو تقديري لمراحل تطور هذا العلم:

- الأولى : مرحلة ما قبل الجمع والتدوين.
- الثانية : مرحلة الجمع والتدوين.
- الثالثة : مرحلة التوجيه.
- الرابعة : مرحلة النظم.

^{١٤٤} محمد بن راشد بن محمد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ج١، ص(٨٧-٨٨) بتصرف، والرسالة موجودة على الشبكة في موقع الموسوعة الشاملة <http://islamport.com/07/19/2009>

الخامسة : مرحلة الركود.

السادسة : مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية.

السابعة : مرحلة الدراسة والتجديد.

وإني وإن كنت رأيت هذا التقسيم إلا أنني أتفق مع محمد البركة إذ يقول: "إن القول في تقسيم علم من العلوم إلى مراحل متميزة قولٌ اجتهادي، يختلف باختلاف الباحثين، ومدى اطلاعهم وسيرهم لذلك العلم. وعلى كلِّ فالأمر فيه واسع، وليس في ذلك قول فضل يُدعن له كلُّ أحد" ^{١٤٥}

ويمكننا تقسيم هذه المراحل السبعة إلى قسمين كبيرين؛ حيث تعد مرحلة الركود فاصلاً بين زمانين مختلفين زمن القدامى وزمن المحدثين:

القسم الأول: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم، ويشمل أربع مراحل.

القسم الثاني: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد، ويشمل ثلاث مراحل.

وإليكم تفصيل هذين القسمين بمراحل كل منهما:

^{١٤٥} المصدر السابق، ج ١، ص ٨٨

المبحث الثاني

المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم

المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين

لعل علم [المتشابه اللفظي في القرآن] أحد العلوم التي بدأت مبكراً، وهو على بدايته المبكرة فإن رجاله قلة، ومصنفاته معدودة، وذهب محمد البركة^{١٤٦} أن هذا العلم بدأ منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث ورد عنه في بعض الروايات إشارات تصلح لأن تكون بدايات لهذا العلم جمعاً وتوجيهاً، كما يوجد آثار لبعض السلف في توجيه المتشابه اللفظي من ذلك:

١- ما روي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه"، فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي سورة طه: ﴿وَعَنْتَ أَلْوَجْوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾^{١٤٧}، وما ذكره الإسكافي والغرناطي في توجيههما لآيتي الكهف: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف ٧١)، و﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف ٧٤)، عن قتادة: "النكر أعظم من الإمر"^{١٤٨}

^{١٤٦} المصدر السابق، ج ١، ص ٧٥-٨٧

^{١٤٧} حسنه الألباني في السلسلة، ج ٢، ص ٣٧١، رقم ٧٤٦

^{١٤٨} الإسكافي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المشابهات في كتاب الله العزيز، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، ط ١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص ١٥٨ / الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير النقي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ملك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توبه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ٣٢٢ / وذكر بلور الدين العيني الحنفي هذا الأثر عن قتادة وابن كيسان، في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٩، ص ٤٢ / كما جاء في: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، محمد بن عبد الرحيم أبو العلا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٨، ص ٤٧١.

٢- ما ذكره علماء^{١٤٩} [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] من حديث رسول الله ﷺ: "لن يغلب عسر يسرين"^{١٥٠} حين وجهوا آيتي سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ (الشرح ٥-٦).

٣- ما ذكره القرطبي^{١٥١} والشوكاني^{١٥٢} وابن الجوزي^{١٥٣} وغيرهم^{١٥٤} عن جعفر الصادق في توجيه تكرار ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران ١٨)، قال: "الأول: وصف، والثاني: تعليم، أي: قولوا واشهدوا كما شهدت"

٤- ما ذكره الزركشي من: "أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية -سورة الكافرون- فقال إني أجد في القرآن تكرارا، وذكر له ذلك، فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا نعبد إلهك شهرا وتعبد آهتنا شهرا فحاء النفي متوجها إلى ذلك"^{١٥٥} وقد بحثت طويلا عن هذا الأثر للحسن ابن علي، فلم أجده في غير [البرهان] إلا أن كتب التفسير^{١٥٦} -جُلِّها- قد ذكرت هذا المعنى في أسباب نزول السورة.

^{١٤٩} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٣٠٤ / الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق علي الفاسي، ج ٢، ص ٥٠٨ / الكرمان، ١٩٩٧م، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ٢٠٩ / ابن جماعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ط ١، المنصورة، مصر، دار الوفاء، ص ٣٧٧ / الأنصاري، زكريا، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ٣٧٢ / السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ط ٢، عمان، الأردن، دار عمار للنشر

^{١٥٠} ضعفه الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، ج ٩، ص ٣٢٧، رقم ٤٣٤٢

^{١٥١} القرطبي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ج ٤، ص ٤٣

^{١٥٢} الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٥٤٣.

^{١٥٣} ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ط ٣، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، ج ١، ص ٣٦٢

^{١٥٤} ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، ١٤١٠هـ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيروت، دار مكتبة الهلال، ج ١، ص ١٨٧ / وابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، في البحر المديد، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٩٨.

^{١٥٥} الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٢١ / وقد ألمح محمد البركة إلى أن السيوطي قال: "ولم أر أحداً قبل الزركشي ذكر هذا الأثر عن الحسن، وإنما الوارد في سبب نزول سورة الكافرون - الذي هو معنى كلام الحسن - عن ابن عباس وغيره" راجع: السوطي، عبد الرحمن بن ثابي بكر محمد السيوطي أبو الفضل، لباب النقول، دار إحياء التراث، بيروت، ص ٢٣٦.

^{١٥٦} راجع أكثر كتب التفسير: بداية من شيخ المفسرين الطبري حتى مفسرينا المحدثين ستجد ذلك في تفسير سورة الكافرون.

المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظة والقراء وتدوينه

وبدأت هذه المرحلة مبكرا على يد أعلام القراء^{١٥٧}، حيث وجدوا أن المتشابه اللفظي في القرآن يخلط ويلبس على حفظة القرآن الكريم، فعمدوا إلى جمع الآيات المتشابهات لفظا لأجل حفظة كتاب الله بحبنا للخلط والنسيان، وذلك من دون توجيه لهذه الآيات، أو بيان لأسباب تردها في أكثر من موضع من القرآن، ومن دون بيان لأوجه الاختلاف المعنوي فيما بينها.

وقد أشار ابن المنادي إلى الأسباب التي دفعت القراء إلى جمع المتشابه اللفظي في القرآن: "وإنما حملهم على وضعهم إياه للقراءة ردا من سوء الحفظ، وحدهم كون القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير، وكثير ترداد أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، قد يجيء حرف من هذا الضرب فيأتي بالواو مرة وبالفاء مرة... فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط"^{١٥٨} ولعل أول مصنف وضع في هذا الباب [متشابه القرآن] للكسائي (ت ١٨٩) وقد أشار إلى ذلك السيوطي قال: "أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي"^{١٥٩} إلا أنني وجدت في [كشاف كتب المتشابه اللفظي] الذي جمعه محمد مصطفى في ملتقى النخبة^{١٦٠} على النت، جمع فيه -طاقته- كتب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وجدت فيه سبعة عشر مؤلفا -قديمًا وحديثًا- باسم [متشابه القرآن] ثلاثة منها قد طبعت، وأحدها مخطوط، وثلاثة عشر منها مفقود.

^{١٥٧} ذكر ابن النديم عشرة كتب تحت متشابه القرآن للقراء، هي: "كتاب محمود بن الحسن، وكتاب حلف بن هشام، وكتاب القطيعي، وكتاب نافع، وكتاب حمزة، وكتاب علي بن القاسم الرشدي، وكتاب جعفر بن حرب المعتزلي، وكتاب مقاتل بن سليمان، وكتاب أبي علي الجبائي، وكتاب أبي الهذيل العلاف" راجع: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ص٥٦، إلا أن أكثر هذه الكتب مفقودة، لم يصل إلينا إلا كتاب الكسائي.

^{١٥٨} ابن المنادي، أبو الحسن أحمد ابن جعفر، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله الغنيمان، دمنهور، مصر، ص ٥٩

^{١٥٩} السيوطي، الإتقان، ج٢، ص ١١٤

^{١٦٠} راجع هذا الرابط:

وقد ذكر محمد مصطفى أن كتاب الكسائي السابق ذكره مازال مخطوطاً^{١٦١}، إلا أن هذا الكتاب قد حُقِّقَ وطُبِعَ مرتين: الأولى: تحقيق صبيح التميمي، وطبعته كلية الدعوة الإسلامية سنة ١٩٩٤م ضمن السلسلة التراثية في طرابلس بليبيا، في ٢٤٤ صفحة^{١٦٢}، والثانية: تحقيق: محمد بن عيد الشعباني، طبعته دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، سنة ٢٠٠٦م.

ولو تتبعنا الذين صنفوا في هذا الباب - جمع المتشابه اللفظي للحفظ والقرآن - بحسب الأسبقية سنجد أعلاماً آخرين قد سبقوا الكسائي لكن - وللأسف - كتب هؤلاء مفقودة، وإننا وقد علمنا أن مرحلة جمع المتشابه اللفظي في القرآن قد بدأت مبكراً منذ منتصف المائة الثانية للهجرة إلا أن هذه المرحلة مازالت مستمرة إلى يومنا هذا، فمن حين لآخر يطالع علينا كتب جديدة تقوم على جمع المتشابه اللفظي في القرآن لعل أحدثها - فيما أظن - [الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني]^{١٦٣}.

ومن المصنفات التي وصلت إلينا^{١٦٤} [متشابه القرآن العظيم]^{١٦٥} لابن المنادي (ت ٣٣٦هـ)، وقد يظن البعض أن ابن المنادي أول من سنَّ منهج تَتَّبَعُ آيات المتشابه اللفظي في القرآن سورة سورة، لكن أبا عبيدة (ت ٢١٠هـ) صاحب [مجاز القرآن]^{١٦٦} هو أول من استحدث وسن هذا المنهج، حيث تتبع المجاز في آي القرآن سورة سورة من أم الكتاب حتى الناس، ولا أدري أيوجد من كُتِبَ المتشابه اللفظي المفقودة من استحدث هذا المنهج قبله أم لا، وعمد ابن المنادي إلى هذا المنهج، فتتبع آيات سورة البقرة من مبتدئها حتى منتهاها، فإن وقف على آية وقع لها مَثِيلٌ في السور المتأخرة ضمه إليها، وهكذا حتى إذا فرغ من البقرة، انتقل إلى آل عمران فما بعدها، علماً أن أصل المنهج سنه علماء التفسير.

^{١٦١} راجع هذا الرابط:

<http://www.nokhbah.net/vb/showthread.php?t=516> , ٢٠٠٩/٠٧/١٢

^{١٦٢} جاء هذا في بيان مكاتب جامعة الملك سعود على النت هنا:

<http://catalog.library.ksu.edu.sa/digital/408953.html>

^{١٦٣} ياسر بن محمد بن محمد بن مرسى بن بيومي، الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني، طبعته دار التقوى للنشر والتوزيع، مصر شبرا الخيمة.

^{١٦٤} ذكره محمد مصطفى بين الكتب المفقودة.

^{١٦٥} ابن المنادي، ١٩٩٣م، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبدالله بن محمد الغنيمان، وطبع في دمنهور، مصر، مكتبة لينة، في ٢٤٦ صفحة.

^{١٦٦} أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سركين، وطبع في مكتبة الخانجي بالقاهرة في جزئين.

المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي

ولعل تلك المرحلة هي أجلُّ وأعظم المراحل جميعاً، وإنَّا وإن كنا لَمَسْنَا في المرحلة السابقة [مرحلة جمع المتشابه اللفظي وتدوينه] كثرةَ القُرَّاءِ والشيوخ الذين جمعوا ودَوَّنوا المتشابه اللفظي للحفظة والقُرَّاءِ، فإننا في هذه المرحلة سنلمس قلة من خاضوا غمار توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، ولذلك أسبابه، فجمع المتشابه اللفظي لعله يسير، أما توجيهه فذاك شأن آخر، له فرسانه ورجاله؛ لأنه يحتاج إلى "مَلَكة في دقة النظر، ودُرْبَة في طول الفكر والتماس المعاني اللطيفة من القرآن، عند من يشتغل به"^{١٦٧}؛ فليس كل أحد قادر عليه، وذلك لدقة هذا العلم، وبُعْدِ أَعْوَارِهِ، وصُعُوبَةِ استنتاج التباين بين الآيات المتشابهات، ومشقة الوقوف على المفارقة بينها، ولِحَقَاءِ الحكمة من تردد الآية أكثر من مرة، وعدم حضور المعنى الجديد، الذي طلع علينا في آية جديدة، تشابهت في لفظها مع آية أو آيات أخرى سوابق أو لواحق، فألبس على الناظر، فظن أن الآية هي الآية، والمعنى هو المعنى، في حين أن الآية غير الآية، والمعنى غير المعنى.

وبدأت مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن على يد الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، ونستطيع أن نقسم علماء توجيه المتشابه اللفظي قسمين: [قدامى ، ومحدثين]، وحيث إن المساحة الزمنية بين القدامى والمحدثين واسعة ممتدة، تمتد لما يربو على ألف سنة، فلن يكون عسيراً علينا تحديد كل من القسمين، إذ أن المحدثين برز أثرهم في هذا العلم منذ ما لا يزيد عن بضع وعشرين سنة فقط، وسيأتي الحديث عنهم في المرحلة الأخيرة، مرحلة الدراسة والتجديد.

أما علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن القدامى فهم:

- ١- الإسكافي: رائد هذا العلم ومؤسسه، وأول من التفت إليه، ورسم خطوطه، وحدد معالمه، ووضع فيه أول مُؤَلَّف، إنه العلامة الخطيب الإسكافي الأصفهاني (ت ٤٢٠هـ) صاحب [درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز]، ومن الحق أن نرد الفضل في هذا العلم إلى الإسكافي - رحمه

^{١٦٧} محمد بن راشد بن محمد البركة، المتشابه اللفظي يف القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، ج ١، ص ١٤١

الله - فهو الإمام الذي ائتم به جميع من جاء بعده، ويكفيه فضل السبق، وأنه وضع حجر الأساس لعلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن].

٢- **الكرماني:** تاج القراء برهان الدين الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)، صنف في هذا الباب [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان]، مؤتمًا بالخطيب، فسار على دربه، وسلك مسلكه، ويبدو ذلك جليا حين يعرض الكرماني لرأي الخطيب من حين لآخر، كأن يقول مثلا: "والخطيب أطنب في هذه الآيات"^{١٦٨}، وقد ذكر الكرماني اسم الخطيب صراحة في كتابه ثماني عشرة مرة.

٣- **الغرناطي:** فارس هذا الميدان، وسيد حلبته، العلامة أبو جعفر أحمد الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أجلى صورة علم المتشابه اللفظي في القرآن بكتابه الفريد [ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل]، مُقِرًّا فيه بالفضل لرائد هذا العلم الإسكافي، مُسْتَتًا بِسَنَنِهِ، وَسَائِلًا مَسْلَكَهُ، فَأَبَانَ وَأَوْضَحَ، وَزَادَ وَقَاضَ، فَطَبَّقَ كِتَابَهُ الْآفَاقَ، وَطَعَّتْ شَهْرَتُهُ عَلَى شَهْرَةِ أَسْتَاذِهِ الْإِسْكَافِيِّ.

٤- **ابن جماعة:** بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)، جمع علوما شتى وله مصنف جليل في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن هو: [كشف المعاني في المتشابه من المثاني]. ونلاحظ أن كلا من الغرناطي وابن جماعة قد تعاصرا حيث إن الغرناطي ولد سنة ٦٢٧ هـ وتوفي ٧٠٨ هـ^{١٦٩} في غرناطة بالأندلس، وابن جماعة ولد في حماة سنة ٦٣٩ هـ، وتوفي ٧٣٣ هـ^{١٧٠} ولم يثبت لدينا أنهما التقيا.

^{١٦٨} الكرماني، برهان الدين، ١٩٩٤م، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص ٢٩
^{١٦٩} الزركلي، خير الدين، ١٩٨٠م، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العربي والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج ١، ص ٨٦
/ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ١٤٠٣هـ، طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٥١٦، رقم ١١٣٤
^{١٧٠} الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركبي مصطفى، ط ١، بيروت، ج ٢، ص ١٥ /
وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ص ٣٤٢.

٥- الأنصاري: زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، صاحب سفر [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن] ولعل اسم الكتاب يوحي بمنهجه، إذ إنه لم يقف عند تناول الآيات المتشابهات لفظاً، بل إنه كان يقف عند الآيات التي قد يلتبس فيها الفهم، فيتناولها بالبيان والتفسير والتعليل، لذا أحصى له مُحَقِّقًا^{١٧١} كتابه خمسة وسبعين ومائة وألف موضع تناولها الأنصاري بالبحث والنظر، وقد تجددت كثير من المواضع عدداً من المسائل.

^{١٧١} السيد الجميلي، وأحمد السايح، في تحقيقهما لكتاب الأنصاري، طبعة مركز الكتاب للنشر، سنة ١٩٩٩م، بمصر.

المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي

"الشعر التعليمي الذي تنتمي إليه المنظومات في مختلف العلوم والفنون فنُّ دَفَع إليه رُقِي الحياة العقلية العربية منذ القرن الثاني الهجري، حيث قام فريق من العلماء والشعراء بنظم العلوم، والمعارف، والسير، والقصص، والأخبار، بقصد تيسير حفظها، وتذليل مباحثها، وتقريب معانيها إلى الطلاب والدارسين"^{١٧٢}، وذلك لأن "الذهنية العربية تنزع إلى ثقافة شعرية في الأصل."^{١٧٣}. "ومن أشهر المنظومات التي بلغت ألف بيت أو ما يقاربه فسميت لذلك: ألفية ابن سينا في الطب، وألفيتا ابن معط وابن مالك في النحو، وألفية العراقي في أصول الحديث، وألفية محب الدين الحلبي في الفرائض، وألفية البرماوي في أصول الفقه، وألفية القباقبي في البلاغة، كما كان للسيوطي ألفية في النحو والتصريف والخط"^{١٧٤}، وغير ذلك من المنظومات العلمية التي شملت شتى العلوم.

لم يتأخر نظم المتشابه اللفظي طويلا بل إنه واکب مرحلة التوجيه، فخرج إلى الوجود على يد عالم جليل هو: علم الدين السخاوي - رحمه الله - ومن جملة منظومات المتشابه اللفظي ما يلي:

١- منظومة [هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب] للإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (٥٥٨-٦٤٣هـ)، وهي أشهر المنظومات في هذا الباب وبلغت أبياتها ٤٣١ بيتا، وقد عرض لها عدد كبير من الباحثين والعلماء بالشرح والتحقيق^{١٧٥}.

٢- منظومة [تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن] لأبي شامة المقدسي (ت:٦٦٥هـ)، أشار إليها عبد القيوم بن عبد الغفور السندي في بحثه [منظومتان في متشابه القرآن

^{١٧٢} شبكة الفصح، على هذا الرابط:

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=١٩٤٦> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

^{١٧٣} شبكة دهشة على هذا الرابط:

<http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=٣٠٩٣١> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

^{١٧٤} شبكة الفصح، راجع هذا الرابط

: <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=١٩٤٦> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

^{١٧٥} من ذلك مثلا: التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في متشابه الآيات القرآنية، محمد محيس وشعبان محمد إسماعيل، وحققها عبد القادر الخطيب.

هداية المرتاب للإمام السخاوي، وكفاية القارئ للإمام الحارثي التتوي تعريف ومقارنة] أشار إليها قائلاً: "لما كانت منظومة الإمام السخاوي عملاً أوّلياً في هذا الباب فمن ثمّ لم تكن مستوعبةً لجميع المتشابهات - وإن شملت أغلبها وأهمها - ولذلك نرى تلميذه الإمام أبا شامة المقدسي - رحمه الله - يحاول لمّ شملها وإكمال ما تبقى من المتشابهات بمنظومته [تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن]، ولم تر نور النشر بعد.. ومنها نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق" ^{١٧٦}

٣- منظومة [كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم] للإمام محمد هاشم الحارثي السندي (ت ١١٧٤هـ)، وصفها السندي بأنها أوسع المنظومات في المتشابه اللفظي، حيث تشتمل على ثمانية وألف بيت، وتعد فريدة في هذا الباب في العالم الإسلامي. ^{١٧٧}

٤- منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت: ١٢٨٧هـ)، ونهج فيها منهج السخاوي قال في مطلعها:

نحوْتُ به نحوَ السخاوي وغالباً أزيد زيادات يدين لها الحجا

قال عنها شارحها: "وهي منظومة طيبة جمع فيها كثيراً من المتشابهات، وزاد فيها على ما

في

غيرها من المنظومات" ^{١٧٨}

٥- منظومات ذُكرت ولم نقف عليها: قال بعضهم: "ويوجد أيضاً نظم يسمى البحر لأحد العلماء الشناقطة طبع بمكة المكرمة لم يترك شيئاً من المتشابه إلا أنه طويل يزيد ٧٠٠ فيما أعتقد" ^{١٧٩} وقال آخر: "حسب فهمي فإن منظومة الدنفاسي

^{١٧٦} السندي ، عبد القيوم بن عبد الغفور، ص ١٩ ، بتصرف

<http://www.tafsir.net/vb/attachment.php?attachmentid=١٨٣٨&d=١٢١٥٧٤٤٦٥٥> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

^{١٧٧} المصدر السابق ، ص ٢٠ .

^{١٧٨} محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام العبد، حلية الحفاظ شرح منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع ، ص ١

^{١٧٩} أمين حماد ، في ملتقى أهل الحديث، راجع هذا الرابط:

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٨ ،

(الداني الفاسي) شملت متشابه الآيات وكذلك علم الرسم على رواية ورش وعندني نسخة متواضعة منها بخط اليد^{١٨٠}

المبحث الثالث:

المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد

المطلب الأول: مرحلة الركود

تعد هذه المرحلة فاصلا بين زمانين متباعدين، وبين عصرين مختلفين، العصر الأول بدأ بالخطيب الإسكافي وانتهى بزكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦هـ، والعصر الآخر بدأ من بعد مرحلة الركود التي استمرت لأكثر من خمسمائة سنة، أي أنه بدأ منذ ثلاثين سنة على يد عبد العظيم المطعني واستمر حتى الآن. ولو تتبعنا رجال [المتشابه اللفظي في القرآن] ومؤلفاتهم فيه منذ نشأة هذا العلم حتى عصرنا الحالي نجد ما يلي:

١- قلة وندرة رجال هذا العلم - توجيه المتشابه اللفظي - وبالتالي قلة وندرة المؤلفات، ولعل سبب ذلك كما أشرنا سلفا خصوصية هذا العلم ، إذ إنه يتسم بعمق الأغوار، ودقة وبعُد المعاني، وتعددتها رغم أنها نزلت على لفظ واحد، كما إنه لا يليق أن يخوض غماره إلا من ملك أسبابه، من القدرة على الغوص في أعماقه، ودقة النظر، والصبر على البحث والتنقيب، زد على ذلك الأسباب العامة التي يجب أن يجمعها المفسر قبل أن يُقدِّم على التفسير.

٢- تباعد المسافة الزمنية بين مصنفات [توجيه المتشابه اللفظي]، ويتضح ذلك من تواريخ ميلاد ووفاة رجال هذا العلم، فالثابت لدينا أن الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) أول من صنف في العلم، يليه الكرمانلي (ت ٥٠٥هـ) فالغرناطي (ت ٧٠٨هـ) وعاصره ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)، ثم الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)

^{١٨٠} حامد بوراوي، في ملتقى أهل الحديث، راجع هذا الرابط:

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦> ، ٢٠٠٩/٠٨/٢٨ ،

٣- اعتماد المتأخر على المتقدم اعتمادا كبيرا، حيث يعد كتاب الإسكافي [درة التنزيل وغرة التأويل] عمدة هذا الباب وعماده، فقد قامت عليه كل مصنفات المتشابه اللفظي التي جاءت بعده، وهذا أمر واضح جلي، وقد أشرنا سلفا أن الغرناطي أقر بالسبق والفضل والتأسي بالإسكافي، والكرماني جمع الدرّة^{١٨١} في برهانه^{١٨٢}، والأنصاري يعتمد على برهان الكرماني وعلى كشف^{١٨٣} ابن جماعة، والسيوطي يعتمد اعتمادا وينقل نقلا في معتركه^{١٨٤} عن ملاك^{١٨٥} الغرناطي، وأتى المحدثون فتناولوا تلك المصنفات بالبحث والدراسة كما سيأتي.

٤- انقطاع التأليف بعد الأنصاري وتوقفه لما يزيد على خمسمائة سنة عجاف لم يظهر فيها مؤلف معتبر، فلم أقف - فيما أعلم - على مُصنّفٍ وُضِعَ في توجيهه المتشابه اللفظي أو عِلْمًا تَصَدَّى لهذا العلم بالتأليف في الفترة ما بعد الأنصاري المُتَوَقِّفَ ٩٢٦هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ تقريبا، فانقطع التأليف في توجيهه المتشابه اللفظي بعد الأنصاري حتى جاء السامرائي.

تلك الفترة من [٩٢٦ هـ] حتى نهايات القرن الماضي، توقف فيها التصنيف في هذا العلم، لذا اخترت أن أسمى تلك الفترة مرحلة الركود.

المطلب الثاني: الفهارس والمعاجم القرآنية

لعل أول ما يتبادر للأذهان بعد قراءة هذا العنوان سؤال: ما الفرق بين الفهرس القرآني، والمعجم القرآني؟

- أما الفهرس^{١٨٦} القرآني: فهو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن أو آياته بنظام مُعَيَّن دون الخوض في تفصيل المعاني.

^{١٨١} كتاب درة التأويل وغرة التنزيل للإسكافي.

^{١٨٢} كتاب البرهان في توجيهه متشابه القرآن للكرماني

^{١٨٣} كتاب كشف المعاني لابن جماعة.

^{١٨٤} كتاب معترك الأقران للسيوطي.

^{١٨٥} كتاب ملاك التأويل للغرناطي

^{١٨٦} في المعجم الوجيز: الفهرس والفهرست: الكتاب تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين، وملحق في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام أو الأبواب والفصول مرتبة بنظام معين. المعجم الوجيز، ١٤٢١-٢٠٠٠هـ، مجمع اللغة العربية، مصر، ص٤٨٣/ وقال صاحب التاج:

- وأما المعجم^{١٨٧} القرآني: فهو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن وآياته بنظام مُعَيَّن مع الخوض في تفصيل موجز للمعنى.

وعادة ما يقوم منهج الفهارس والمعاجم على جمع الألفاظ التي تكررت في القرآن على أساس الترتيب الهجائي للحروف العربية، ثم الاعتماد على أصول المفردات، أما فهارس أو معاجم الآيات فيختلف المنهج بحسب وجهة الكاتب.

لو تساءلنا: أيهما أولى بالتقديم اللفظ أم المعنى؟

لعل هناك من يدعي أن المعنى مقدم على اللفظ، وحجتهم في ذلك أن المعنى أسبق في الوجود من اللفظ؛ لكن هذا الإدعاء مردود؛ إذ أن المعنى يبقى خفياً في الأذهان والقلوب والنفوس حتى يخرج ويظهر في بناء لفظي، فاللفظ وعاء المعنى، وصدق الخميسي إذ يقول: "إن الألفاظ هي أوعية المعاني والخازن لها، والمقدمة على المعاني"^{١٨٨}

ولم يبالغ الأصفهاني حين قال: "أول ما يُتَّجَّح أن يُشْتَعَلَ به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب، وزُبدُته، وواسطُته، وكرائمته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرغ حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"^{١٨٩}

الفهرس بالكسر: هو الكتاب الَّذِي تُجْمَعُ فِيهِ الكُتُبُ قال: وليس بَعْرِيٌّ نَحْضٍ وَلَكِنَّهُ مُعَرَّبٌ وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ مُعَرَّبٌ فَيَهْرَسَتْ. وَقَدْ اسْتَفْتُوا مِنْهُ الْفِعْلَ فَقَالُوا: فَهْرَسَ كِتَابَهُ فَهْرَسَةً وَجَمَعَ الْفَهْرَسَةَ فَهَارِسَ، رَاجِعِ الْمُرْتَضَى الزَّيْدِي، تَاجِ الْعُرُوسِ، ج ١٦، ص ٣٤٩

^{١٨٧} في المعجم الوجيز: المعجم: كتاب لمفردات اللغة مرتب على حروف الهجاء، والجمع معجمات ومعاجم. راجع: المعجم الوجيز، ص ٤٠٨

^{١٨٨} الخميسي، أحمد حسن، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٩٣ و ٩٤، آذار وحزيران ٢٠٠٤

- المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤

^{١٨٩} الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ١٤١٢هـ، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، وبيروت، دار القلم، والدار الشامية، ص ٥٤-

٥٥/. وهذا اللفظ بعينه نجد عند الزركشي في البرهان، ج ٢، ص ١٧٢

ويرى ابن الأثير أن الحديث النبوي يستوجب أمرين: "أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه. ولا شك أن معرفة ألفاظه مُقَدِّمةٌ في الرتبة؛ لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عُرِفَتْ تَرَبَّتِ المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى"^{١٩٠}

وكلام ابن الأثير هذا نسقته إسقاطا على القرآن الكريم، إذ لا يمكننا أن نقف على معاني القرآن قبل الوقوف على ألفاظه، فاللفظ مقدم على المعنى.

وحين نظر العلماء في ألفاظ القرآن وتعبيراته التفتوا إلى الغريب منها والصعب، فتناولوه بالشرح والتبسيط، فكثرت معاجم غريب القرآن وتنوعت، أما المعاجم والفهارس القرآنية على الهيئة التي بين يدينا سواء الخاصة بالألفاظ أو الخاصة بالآيات فقد تأخرت إلى عصرنا الحالي، إلى منتصف القرن العشرين.

ولعل كتاب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) [مفردات ألفاظ القرآن الكريم] يعد أقرب -من حيث المنهج- إلى المعاجم القرآنية الحديثة منه إلى كتب الغريب، وهو من أوسع وأشمل وأفضل هذه الكتب، حتى مع ظهور المعاجم القرآنية الحديثة مازال لكتاب الأصفهاني تميزه وفضله ومكانته المرموقة بين هذا النوع من المصنفات، وصار منهج الأصفهاني في كتابه سُنَّةً لمن بعده، وقد لخصه في صدر كتابه قائلا: "وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوف فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي يبين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب"^{١٩١}.

أسباب وضع الفهارس والمعاجم القرآنية:

^{١٩٠} ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ج ١، ص ٣

^{١٩١} الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن مشق، دار القلم، ج ١، ص ٤.

لقد صَاحَبَ دخولَ الكثير من غير العرب في الإسلام مع الفتوحات الأولى شيوعُ اللَّحْنِ بينهم ، بل وشيوعه بين أبناء العربية أنفسهم باختلاطهم بالعجم، وتَحَلَّتْ أشكال اللحن في أربعةٍ، عَدَّهَا صَاحِبُ معجم المعاجم هي:

- "لحن في مخارج الحروف.

- لحن في نطق الأصوات.

- لحن في تركيب الجمل.

- لحن في الإعراب" ١٩٢.

ذلك مما حدا بالعلماء إلى توثيق العلوم الشرعية واللغوية بالكتابة والتأليف، حمايةً للعربية، وتقويماً لِعَوَجِ اللسان، وتربيةً للقرائح عَزَبًا وَعَجَمًا، وَضَبْطًا وَحِفْظًا للعلوم، ونَشْرًا للعلم؛ حيث لم تَعُدْ الحَوَافِظُ تَسْعُ الكَمَّ المَعْرِفِي الجديد الهائل، مِمَّا يُهَدِّدُ بضياغ أكثره. تلك الأسباب هي نفسها التي دعت إلى وضع الفهارس والمعاجم القرآنية.

ونلاحظ أن المعاجم القرآنية القديمة لم تلتفت إلى المتشابه اللفظي، وإنما انشغلت بالغريب من الألفاظ القرآنية، وظلت تلك الحال إلى عصرنا الحديث. " أما العلماء المعاصرون الذين تابعوا الاهتمام بالألفاظ القرآنية، بعد أن طوروا المنهج، وجددوا في الطريقة والغرض، فوضعوا فهارس لألفاظ القرآن، ترشد الطالب إلى مكان الكلمات في آيات القرآن وسوره، ثم وضعوا معاجم لشرح معاني هذه الألفاظ بعد أن تذكر الآيات التي وردت فيها، وأعد بعض العلماء معاجم تخصصية، يتضمن كل معجم منها مفردات ذات موضوع واحد" ١٩٣.

لقد تطورت معاجم ألفاظ القرآن في القرن العشرين ومرت بمراحل أربع:

١- فهارس لألفاظ القرآن وأطراف آياته.

٢- معاجم لألفاظ القرآن.

٣- معاجم تخصصية لألفاظ القرآن.

^{١٩٢} يسري عبد الغني عبد الله، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، معجم المعاجم العربية، بيروت، دار الجيل، ص ٣٣.

^{١٩٣} الخميس، أحمد حسن، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، بحث بعنوان (حركة التأليف المعجمي في مفردات القرآن) مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب

العرب، دمشق، العددان ٩٣ و ٩٤، آذار وحزيران ٢٠٠٤ - المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤، وهذا موقعها على النت

أولاً: فهارس ألفاظ القرآن وأطراف آياته:

لعلكم - وأنا معكم - تعجبون أشد العجب حين تعلمون أن أول فهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه مستشرق ألماني هو - جوستوف فلوجل GUSTAVUS FLUGEL - وأسماءه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن^{١٩٤} [CONCORDANTIA CORANI ARABICAE AD LITERAUM ORDINEM ET VERBORUM RADCES DILIKNTER DISPOSUIT] وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م^{١٩٥}.

وقد بلغ هذا الرجل من الدقة مبلغاً، قال محمد فؤاد: "راجعت معجم فلوجل مادة مادة على معاجم اللغة وتفاسير الأئمة اللغويين، وناقشت مواده، حتى رجعت كل مادة إلى بابها، ولم أقنع من نفسي بذلك، بل اخترت من أجلة العلماء المغايرين، وصفوة الأصدقاء المخلصين، لجنة عرضت عليهم فيها مواده مادة مادة، فما كان بادي الصحة أقروه، وما خفي عليهم وجه الصواب فيه فزعنا إلى المعاجم نستوضحها"^{١٩٦} وبعد هذه المراجعة الدقيقة وقفت هذه اللجنة على بضع وثلاثين خطأ^{١٩٧} فقط، تتمثل في إيراد مادة ما خطأً في غير موضعها، كما أن المصحف

الذي اعتمد عليه فلوجل - FLUGEL - ترقيم آياته غير متوائم مع الترقيم الصحيح. وكأن فلوجل - FLUGEL - قد فتح باباً كان موصداً، حيث تتابعت بعده فهارس ألفاظ وآيات القرآن، والتي كان أجملها وأدقها وأوسعها وأشملها وأيسرها - وما زال - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

وإليك بعض أشهر فهارس ألفاظ وآيات القرآن:

- نجوم الفرقان في أطراف القرآن، لجوستاف فلوجل GUSTAVUS FLUGEL

^{١٩٤} فلوجل، جوستوف، [GUSTAVUS FLUGEL]، ١٨٧٥م، نجوم الفرقان في أطراف القرآن، [CONCORDANTIA CORANI lipsiae ، [ARABICAE AD LITERAUM ORDINEM ET VERBORUM RADCES DILIKNTER DISPOSUIT] ، sumpibus bemesti bredtil .

^{١٩٥} ذكر محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس أن طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م، راجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر، ص (٥).

^{١٩٦} المصدر السابق ص (٥).

^{١٩٧} ذكرها محمد فؤاد مفصلة راداً كل مادة إلى مكانها الصحيح في المعجم المفهرس ص (و- ز)

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.
- قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها لمحمد حسين أبو الفتوح^{١٩٨}.
- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة في القرآن الكريم، لمحمد زكي خضر.
- قاموس الألفاظ القرآنية، دليل أبجدي وبيان إحصائي لجميع ألفاظ القرآن الكريم^{١٩٩}

ثانيا: معاجم ألفاظ القرآن الكريم:

الفهارس تعرض اللفظة القرآنية والمواضع التي نزلت فيها في القرآن دون الخوض في معانيها، مما حدا بالباحثين والعلماء أن يتسعوا في هذا الباب، فصنفوا المعاجم التي تناولت هذه الألفاظ بالبيان، ومنها ما يلي:

- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته، لأحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل^{٢٠٠}

ثالثا: معاجم تخصصية لألفاظ القرآن:

وفيها يختار الباحث موضوعا ومجالا محددًا، ثم يتتبع الألفاظ أو الآيات التي تدور حول هذا الموضوع فيضعها في مصنف مثل: معجم ألفاظ النبات في القرآن، ومعجم ألفاظ الحيوان في القرآن، ومعجم ألفاظ الزمان، ومعجم الأرقام في القرآن.

ومن ذلك الموسوعة التي أصدرتها الكويت برعاية أميرها الشيخ جابر الصباح المسماة [قاموس القرآن الكريم] ، وهو موسوعة تجمع الجوانب التشريعية، والتاريخية، والأثرية، والجغرافية، والنباتية بالكلمة والصورة، وصدرت تباعا بداية من سنة ١٩٩٧م حتى ٢٠٠٤م جمعها عبد الله يوسف الغنيم وآخرون في ثمانية أجزاء.

ويمكننا القول أن فهرسة آيات القرآن الكريم قد بدأت مبكرا، على عكس فهرسة ألفاظ القرآن التي تأخرت حتى عصرنا الحديث، إذ يمكن تصنيف كتب المتشابهة اللفظي التي وضعت للحفاظ والقراء ضمن كتب فهارس آيات القرآن الكريم، وهذا النوع كثير، يصعب إحصاؤه.

^{١٩٨} مكتبة لبنان ناشرون تاريخ النشر 1990م.

^{١٩٩} دار المعارف تاريخ النشر 1993م.

^{٢٠٠} وهو معجم حديث ، وأرى أنه من أجل وأعظم المعاجم في هذا الباب ، مؤسسة سطور ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

رابعاً: المعاجم الموضوعية لآيات القرآن الكريم

وتهتم هذه المعاجم بتبويب آيات القرآن تحت موضوعات محددة، فنجد من بين موضوعات هذه المعاجم: التاريخ، محمد صلى الله عليه وسلم، بني إسرائيل، التوراة، النصرى، الإنجيل، التوحيد، التجارة، وغيرها من الموضوعات حتى تشمل أي القرآن، ومن هذه المعاجم:

- تفصيل آيات القرآن، للمستشرق الفرنسي جول لابوم، وجاءت الآيات تحت ٣٥٠ موضوعاً، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ونشر سنة ١٩٣٥م، ولم أقف على دار النشر.
- مستدرك تفصيل آيات القرآن لإدوارد مونتييه، ويعد ملحقاً على المعجم السابق [تفصيل آيات القرآن] وزاد عدد موضوعاته من ٣٥٠ إلى ٧٢٠ موضعاً.
- تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة، للدكتور محمد عبد الله الجزار، طبعته دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٦٠م.
- الجامع لمواضيع آيات القرآن، لمحمد فارس بركات، نشرته دار قتيبة للطباعة والنشر سنة ١٩٨٥م.
- الفهرس الموضوعي لآيات القرآن لمحمد كصطفى بركات، ونشره المكتب الإسلامي للطباعة والنشر سنة ١٤٠٩هـ.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن، محمد بسام رشدي الزين، في مجلدين، نشر سنة ١٩٩٥م نشرته دار الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر بدمشق.

المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد:

وهي المرحلة المتأخرة من مراحل تطور علم المتشابه اللفظي في القرآن، ويمكننا القول أنها بدأت في العقد الأخير من القرن الماضي فقط، وبدأ النشاط في هذا العلم في اتجاهين:

الأول: لقد اطلعت على عدد كثير من الدراسات والأبحاث الجامعية في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وتعد الدراسات الخمسة التالية أجلاً فيما أظن:

- [خصائص التعبير في القرآن وسماته البلاغية] لعبد العظيم المطعني سنة ١٩٧٤م، والتي طبعت سنة ١٩٩٢م باسم [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية] بناء على اقتراح وجيه من مدير مكتبة وهبة للمطعني الذي قَبِلَ الاقتراح^{٢٠١}. وفي الباب التالي في فصله الثاني دراسة وافية لهذا الكتاب.
- دراسة وتحقيق [درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي] لمحمد مصطفى آيدين، وقد طبعتها جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- [دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل]، لمحمد فاضل السامرائي، والتي طبعت طبعتها الثانية سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، لصالح بن عبد الله بن محمد الشثري، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، للبيب محمد جبران صالح، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والسنة، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

الثاني: التأليف والتصنيف ولم يتصد له -فيما أعلم- إلا قلة قليلة من العلماء المحدثين

منهم:

١- فاضل السامرائي، وهو أكثرهم وأعظمهم أثراً، قال ابنه: "أما من المحدثين فلا أعلم أحداً

كتب في هذا الموضوع أوسع مما كتب الدكتور فاضل السامرائي، فكتابه [التعبير القرآني] يضم كثيراً من الآيات المتشابهة... وقد انفرد فيها برأيه، كما أنه وجّه آيات متشابهة كثيرة في بعض كتبه الأخرى، ككتاب [معاني النحو]، وكتاب [بلاغة الكلمة في التعبير

^{٢٠١} أشار المطعني إلى هذا الاقتراح في صدر كتابه، ص ٥

القرآني]"^{٢٠٢}، ولعل هذه الكلمات كتبها محمد السامرائي قبل أن يخرج كتابا [لمسات بيانية من نصوص التنزيل]، و [أسئلة بيانية في القرآن الكريم] إلى الوجود؛ حيث إن الكتابين يحويان العديد من آيات المتشابه اللفظي التي وجهها فاضل السامرائي، كما أن برناجه الشهير [لمسات بيانية] على قناة الشارقة الفضائية الذي طبق الآفاق فيه الكثير من الأسئلة التي تناقش المتشابه اللفظي في القرآن.

٢- ياسين المجيد بكتابه القيم [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]، والذي وجه فيه كثيرا من مواضع المتشابه اللفظي الجديدة التي لم يوجهها أحد قبله، كما أنه له رؤى وتأويلات جديدة تعتمد على التفسير العلمي للقرآن فكَّت رموز بعض أسرار آيات المتشابه اللفظي.

٣- محمد الصامل وكتابه [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] وقد تناول الصامل في كتابه عشرة مواضع فقط من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، لكنه تناولها بتوسع كبير، فناقش في كل موضع من هذه المواضع عشرة مسائل عدة، في حين كان السابقون يناقشون في الموضوع مسألة أو مسألتين، فإن الصامل يناقش في الموضوع ذاته ما يقرب من عشر مسائل.

٤- محمد القاضي وكتابه [المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]: يبحث هذا الكتاب في موضوعين متلازمين، الأول منهما يقوم على خدمة الثاني، والثاني لا تقوم له قائمة إلا بالأول، فالأول هو نظرية السياق، والثاني هو توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. وقد رسم القاضي إطارا عاما لكيفية التحليل اللغوي في ضوء سياق النص، ورمى الكاتب إلى التأكيد على أن التكرار غير موجود في القرآن، فقد تشابه المعاني وتختلف التراكيب التي تحملها لاختلاف جانب من سياقها، وقد تشابه

^{٢٠٢} السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص ٢٦.

التراكيب وتختلف سياقاتها تماما، إلى الكشف عن دور السياق في إيانة المعنى، وكما رمى إلى الكشف عما يتطلبه كل سياق من تراكيب خاصة، ومفردات معينة.

- ٥- محمد أمين الخضري، وله في هذا الباب ثلاثة كتب هي:
 - الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن.
 - من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، الفاء، ثم.
 - من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم.

- ٦- محمد حسن فرحات، وله في هذا الباب:
 - تأويل ثلاث آيات متشابهات آيات الصابئين.
 - [الخلافة في الأرض] وبحث فيه آيات الخلافة.

المبحث الرابع:

أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

المطلب الأول :

اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]

لقد اختلف العلماء والباحثون في هذه القضية [تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن] اختلافا عظيما، قلما وجدت فيها اثنين اتفقا على هذه الأنواع، ذلك أن كل عالم وكل باحث في هذا الموضوع ينظر فيجد أمامه كما كبيرا من الصور والأشكال والهيئات والأحوال من الآيات التي تكرر لفظها، فيجتهد في تصنيفها بحسب وجهته البحثية، ومنهجه الذي سلكه في تناول التكرار اللفظي في القرآن، وسأجتهد هنا أن أعرض اتجاهات ومناهج السابقين في تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن وهي كما يلي:

١ - علماء وجهوا [المتشابه اللفظي في القرآن] من دون تصنيف أنواعه: حيث

نجد من العلماء مَنْ لم يشغل نفسه بتصنيف [أنواع المتشابه اللفظي في القرآن] كالإسكافي (ت ٤٣٠هـ) صاحب [درة التنزيل وغرة التأويل] وهو رائد هذا العلم ومؤسسه؛ فإنه فارس هذا المضمار، إلا أنه انصرف إلى تتبع مواطن التشابه التي اختلفت فيما بينها في شيء ما، من: التعريف والتنكير، أو التقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، أو تبديل كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو غير ذلك من أوجه الاختلاف، فيتبع هذه المواطن في السورة الواحدة، ثم في سائر ما تشابه معها في السور الأخرى من القرآن، بادئا بالبقرة، فما يليها، حتى سورة الناس.

وجاء من بعده الكرمانلي (ت ٥٠٥) في [البرهان في توجيه متشابه القرآن] الذي سار على نهج الإسكافي، ثم العلامة الغرناطي (ت ٧٠٨) صاحب [ملاك التأويل]، ومن بعدهم التزم ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) صاحب [كشف المعاني] هذا المنهج، ثم الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) من بعد، فجمع كتابه [فتح الرحمن

بكشف ما يلتبس من القرآن] عمن سبقه من العلماء ملتزما منهم^{٢٠٣}، وقد نوه محققا كتاب الأنصاري أنه اعتمد على ثلاثة كتب^{٢٠٤} ثم قال: "ولعل أكثر هذه الكتب اعتمادا عليها في تزويد هذا السفر الممتع - فتح الرحمن - هو كتاب البرهان للكرماني"^{٢٠٥}، وسيأتي الحديث عن منهج هؤلاء العلماء بشيء من الإيجاز.

٢ - إشارات الغرناطي في تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن:

فرغم انتهاجه منهج الإسكافي إلا أنه أشار في ثنايا كتابه إلى أن [المتشابه اللفظي] ضربان، ولم يشر إلى ذلك صراحة، لكن يمكننا أن نستنتج ذلك من كلامه حين همّ بتوجيه الآيات التي وردت في صدر سورة [طه] حول قصة موسى عليه السلام، وذلك من قوله: "وهذه الآي من مشكلات الضرب الثاني الذي بَيَّنَّا عليه مقصود هذا الكتاب"^{٢٠٦} وقد بحث في الكتاب وتأملت أين وضع هذا التقسيم؟! وأين الضرب الأول؟ فما وجدت لهذا التقسيم أثرا، لكن قوله: "مقصود هذا الكتاب" دلّني على قصد الغرناطي، فوجدته في صدر كتابه حين تحدث عن مقصد كتابه قائلا: "توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير"^{٢٠٧} فحرف العطف [أو] يفصل بين ضربين، الأول: تكررت آياته لفظا، والثاني: اختلفت بتقديم أو تأخير أو...، أكد ذلك أن الآي التي في صدر سورة [طه] والتي نسبها إلى الضرب الثاني مما ينطبق عليها الاختلاف فيما بينها بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير.

^{٢٠٣} هذا عن لسانه في صدر مخطوط - مصور صورة فوتوغرافية وموجود عندي على الكمبيوتر - كتبه: أبو بكر بن إسماعيل بن فخر الدين الشواني، على واجهته رقم كودي ١٣٨٥/علوم القرآن، عدد الصفحات ١٤٦ صفحة من القطع الكبير، كل صفحة تحوي ٣١ سطرا تقريبا، وهذه النسخة من مخطوطات الأزهر الشريف، رقم ٣٠٣٠١٣، عدد أوراقها ٧٣ ورقة، وعنوان موقع الأزهر <http://www.alazharonline.org>

^{٢٠٤} هي: درة التنزيل للرازي، درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني. علما أنه الكتابين الأولين كتاب واحد وهو المنسوب للإسكافي.

^{٢٠٥} الأنصاري، زكريا، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي وأحمد السايح، ط١، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص٩.

^{٢٠٦} الغرناطي، ملاك التأويل، ج٢، ص٣٣١.

^{٢٠٧} المصدر السابق، ص٧.

وللغرناطي تقسيم آخر أكثر تخصصياً للمتشابه اللفظي، ذكره في منتصف الجزء الثاني من كتابه أثناء تناوله للمتشابه اللفظي في سورة [طه]، حيث قسمه أربعة أقسام، ففي لفظ صريح قال: "فمن المعلوم أن اللفظ بالتفقات مدلوله المعنوي يتعدد، ومرجع الألفاظ بالنظر إلى مسمياتها ينحصر في أربعة أقسام:

- أن يتحد اللفظ والمعنى.

- أو يختلف اللفظ والمعنى.

- أو يتحد اللفظ ويختلف المعنى.

- أو يختلف اللفظ ويتحد المعنى.^{٢٠٨}

لكن ذلك كان إشارات من الغرناطي دون أن يتناول هذه الأقسام بالتفصيل والتمثيل.

٣- **البعض جعله نوعين فقط:** وشرح هذا التقسيم مشرف موقع [الإسلام سؤال

وجواب] على شبكة الانترنت في جواب سؤال عن [التكرار اللفظي في القرآن]،

قال: قسم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين:

أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى:

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى^{٢٠٩}، وقد جاء على وجهين:

موصول، ومفصول.

أما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة: إما تكرار كلمات في سياق الآية،

مثل قوله تعالى: ﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ (المؤمنون ٣٦)، وإما في آخر الآية

وأول التي بعدها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِغَائِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ

كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الإنسان ١٥-١٦)،

وإما في أواخرها، مثل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾

^{٢٠٨} المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٢

^{٢٠٩} هذا الرأي - تكرار المعنى بتكرار اللفظ - قال به بعض علماء التفسير كابن كثير وابن عاشور وغيرهما. إلا أني أرفض القول بالتكرار في القرآن، إنما التكرار في اللفظ، واللفظ فقط دون المعنى.

(الفجر ٢١)، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

﴿ يُسْرًا ﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ ﴾ (الشرح ٥-٦).

وأما المفصول: يأتي على صورتين: إما تكرر في السورة نفسها، مثل قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة [الرحمن] الذي تكرر إحدى وثلاثين مرة، وإما تكرر في القرآن كله مثل قول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٦ مرات: في (يونس ٤٨) و(الأنبياء ٣٨) و(النمل ٧١) و(سبأ ٢٩) و(يس ٤٨) و(الملك ٢٥).

والثاني: التكرار في المعنى دون اللفظ:

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها^{٢١٠}.

٤ - بعض العلماء جعل [المتشابه اللفظي في القرآن] ثلاثة أقسام:

وهذا التقسيم جاء متنوعا أيضا، فلم يتفقوا على ثلاثة أقسام بعينها، فمن ذلك مثلا:

٤ . ١ - ابن الجوزي في [المدهش] صنّف المتشابه اللفظي في القرآن ثلاثة فصول:

- فصل في الحروف المبدلات مثل: في البقرة: ﴿ فَسَوَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ، وفي

[حم] فصلت: ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ ﴾ .

- فصل في الحروف الزوائد والنواقص مثل: في البقرة: ﴿ فَآتَوْا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ،

وفي يونس: ﴿ فَآتَوْا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ .

- فصل في المقدم والمؤخر، مثل قوله تعالى في البقرة: ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾

^{٢١٠} بإيجاز وتصرف نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب: www.islamqa.com/ar/ref/7226/doc ويشرف على هذا الموقع الشيخ محمد صالح المنجد.

﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾، وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾^{٢١١}.

٤ . ٢ - أما ابن قتيبة فقسمها كما يلي:

- تكرار الأنباء و القصص.

- تكرار الكلام من جنس واحد كتكراره قول الله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

- تكرار المعنى بلفظين مختلفين لإشباع المعنى و الاتساع في الألفاظ كقول القائل:

آمرك

بالوفاء، و أنهاك عن الغدر، وقول الله تعالى: ﴿ فِيهَا فَكِيهَةٌ وَنُحْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾^{٢١٢} (الرحمن ٦٨).

ولم يقف تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن] عند هذا الحد بل إن هناك من العلماء من زاد في تصنيفها حتى بلغ بها خمسة عشر نوعا وذاك سيأتي في المطلب التالي.

المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف:

وقد وضع هذا التصنيف عالمان جليلان هما الكسائي والزركشي رحمهما الله

١ - أبواب المتشابه اللفظي لدى الكسائي :

لعل الكسائي - رحمه الله - أول من صنف في أنواع المتشابه اللفظي في القرآن باعتبار عدد الأحرف - أي باعتبار عدد مرات التكرار - فهو الذي جمعه ونسقه في كتابه [متشابه القرآن]، وقد عجبت عجبا شديدا لدقة الكسائي في إحصائه، فقد راجعت كثيرا من إحصاءاته فما أخذت عليه سقطعة، هذا على الرغم من أن عمدته الأولى في البحث والإحصاء الذاكرة.

^{٢١١} ابن الجوزي، أب الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، ١٩٨٥م، المدهش، تحقيق: الدكتور مروان قباني، ط ٢، بيروت، دار الكتب

العلمية، ص ١٨ - ٢٢

^{٢١٢} ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٧م، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (ص ١٤٨ - ١٥٢).

ويبدو لي أن كتاب الكسائي لم يقف عليه إلا قِلَّةٌ مِمَّنْ جاءوا بعده، وتأثروا به أيما تأثير، وأكاد أُجْرِمُ - وسأثبت ذلك لاحقا - أن الزركشي في كتابه [البرهان] قد اعتمد على كتاب الكسائي، رغم أنه لم يشر إليه، وإني لا أبالغ إذا قلت أن الزركشي قد أخذ هذا التصنيف أخذا، ونقله عن الكسائي نقلا، إلا أن يد الزركشي تبرز في تقسيم الباب الأول إلى ثمانية أنواع، مع شيء من التوجيه لبعض الآيات التي مثَّلَ بها لكل نوع، كما أنه قد زاد بعض الأبواب، وزاد بعض الأمثلة والتي وجدتها - أكثرها - غير دقيقة الجمع والإحصاء، وسيأتي إثبات ذلك.

وتلك هي أبواب المتشابه اللفظي عند الكسائي :

١ . ١ - باب ما جاء في القرآن حرفا ليس غيره، وفيه تتبع الكسائي سور القرآن سورة سورة، من البقرة حتى الناس، وعرض الآيات التي لم يرد ذكرها إلا مرة واحدة، فإن وجد آيات تُشَابِهُهَا - في أكثر ألفاظها - أَلَمَحَ لذلك، فمن ذلك: ذكر أن قول الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ (البقرة ٢١)، وفي سائر القرآن ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ﴾^{٢١٣}، وقوله: ﴿ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة ٢٣)، وفي سائر القرآن بغير [من]^{٢١٤} ^{٢١٥} وهكذا، وقد أخذ هذا الباب أربعين صفحة من الكتاب^{٢١٦}.

١ . ٢ - باب ما في القرآن من حرفين: جمع الكسائي في هذا الباب اثنين وثمانين موضعا،

تشابه فيها لفظ آيتين في القرآن^{٢١٧}، وجعل لكل آيتين متشابهتين بابا، كأن يقول: باب ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا ﴾ حرفان في البقرة: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ

^{٢١٣} ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ في ثلاث سور النساء ١ ، والحج ١ ، لقمان ٣٣ ، ولم يذكر محقق كتاب الكسائي التميمي إلا النساء والحج وغفل عن لقمان.

^{٢١٤} في يونس ٣٣ ، ولم أجد لها نظيرا في القرآن ، وضم التميمي آية هود { فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ } إلى آية (يونس ٣٣) وأظنه مصيبا.

^{٢١٥} الكسائي ، ١٩٩٤م ، متشابه القرآن ، تحقيق صبح التميمي ، ليبيا ، كلية الدعوة الإسلامية ، السلسلة التراثية ، ص ٥٥ .

^{٢١٦} راجع المصدر السابق ص (٥٥-٩٥).

^{٢١٧} راجع المصدر السابق ص (٩٧-١٢٧).

كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿البقرة ١٨٤﴾، ﴿فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ (البقرة ١٩٦).

١ . ٣- باب ما في القرآن من ثلاثة أحرف: ذكر في هذا الباب تسعة وثلاثين موضعا ،
وفيها ذكر الآيات التي تكرر لفظ كل منها ثلاث مرات^{٢١٨}.

١ . ٤- باب ما في القرآن من أربعة أحرف: وجاء في هذا الباب ستة وثلاثون موضعا
للآيات التي تكرر لفظها أربع مرات^{٢١٩}.

١ . ٥- باب ما في القرآن من خمسة أحرف: ووقف في هذا الباب على أحد عشر
موضعا للآيات التي تكرر لفظها خمس مرات^{٢٢٠}.

١ . ٦- باب ما في القرآن من ستة أحرف: ووقف فيه على أحد عشر موضعا للآيات
التي تكرر لفظها ست مرات^{٢٢١}.

١ . ٧- باب ما في القرآن من سبعة أحرف: ووقف فيه على سبعة مواضع للآيات التي
تكرر لفظها سبع مرات^{٢٢٢}.

١ . ٨- باب ما في القرآن من ثمانية أحرف: ووقف في هذا الباب على ثلاثة مواضع
للآيات تكرر لفظ كل منها ثماني مرات^{٢٢٣}.

١ . ٩- باب ما في القرآن من تسعة أحرف: ووقف في هذا الباب على أربعة مواضع
للآيات تكرر لفظها تسع مرات^{٢٢٤}.

١ . ١٠- باب ما في القرآن على عشرة أحرف: ووقف في هذا الباب على موضع واحد

^{٢١٨} راجع المصدر السابق ص(١٢٩-١٤٧).

^{٢١٩} راجع المصدر السابق ص(١٤٩-١٦٩).

^{٢٢٠} راجع المصدر السابق ص(١٧١-١٧٧).

^{٢٢١} راجع المصدر السابق ص(١٧٩-١٨٧).

^{٢٢٢} راجع المصدر السابق ص(١٨٩-١٩٤).

^{٢٢٣} راجع المصدر السابق ص(١٩٥-١٩٨).

^{٢٢٤} راجع المصدر السابق ص(١٩٩-٢٠٣).

تكرر فيه لفظ آية واحدة عشر مرات^{٢٢٥}.

١ . ١١ - باب ما في القرآن من أحد عشر حرفا ، ووقف في هذا الباب على خمسة مواضع تكرر فيه لفظ الآيات إحدى عشرة مرة^{٢٢٦}.

وانتقل الكسائي بعد هذا الباب إلى [باب ما في القرآن من خمسة عشر حرفا] فيبدو أنه لم يثبت لديه أبواب ما في القرآن من: اثني عشر حرفا وثلاثة عشر حرفا وأربعة عشر حرفا، إلا أنني قد وقفتُ على هذه الأبواب وسيأتي ذكرها آخر هذا المطلب.

١ . ١٢ - باب ما في القرآن من خمسة عشر حرفا: ووقف فيه على موضعين تكرر فيهما

لفظ آيتين، كل منهما خمس عشرة مرة^{٢٢٧}.

ثم انتقل بعد هذا الباب إلى [باب ما في القرآن من عشرين حرفا] حيث يبدو لنا أنه لم يثبت لديه أبواب ما في القرآن من: ستة عشر حرفا وسبعة عشر حرفا وثمانية عشر حرفا وتسعة عشر حرفا، إلا أنني قد وقفتُ على هذه الأبواب وسيأتي ذكرها.

١ . ١٣ - باب ما في القرآن من عشرين حرفا: ووقف فيه على موضعين تكرر فيهما لفظ آيتين كل منهما عشرين مرة^{٢٢٨}

٢ - فصول المتشابه لدى الزركشي:

بالنظر في كتب المتشابه اللفظي المتأخرة، وكتب علوم القرآن التي تناولت علم المتشابه اللفظي وأفردت له بابا بين العلوم، نجد أن أكثر هذه الكتب قد تأثرت بالزركشي - رحمه الله - في تقسيمه وتصنيفه لأنواع المتشابه اللفظي، ويكاد يكون كتابه [البرهان في علوم القرآن] عمدة في هذا الباب للمتأخرين من الباحثين في هذا العلم، ونادرا ما تجد مَنْ التفت إلى كتاب الكسائي [متشابه القرآن] ومنهجه في جمع وتصنيف المتشابه اللفظي، وقد كنت على درب

^{٢٢٥} راجع المصدر السابق ص(٢٠٥-٢٠٦).

^{٢٢٦} راجع المصدر السابق ص(٢٠٧-٢١٢).

^{٢٢٧} راجع المصدر السابق ص(٢١٣-٢١٦).

^{٢٢٨} راجع المصدر السابق ص(٢١٧-٢١٩).

من سبقني أسير على هذا النحو، حتى وقعت يدي على كتاب الكسائي، فأدركت أن تصنيف المتشابه اللفظي على وضعه القائم يعود الفضل فيه للكسائي، ولعل السبب في عدم الالتفات إلى فضل الكسائي أن كتابه لم يحقق، ولم يطبع وينشر إلا متأخراً^{٢٢٩} سنة (١٤٠٢ هـ ١٩٩٤ م)^{٢٣٠}، كما أنه طبع في بلد - ليبيا - أُعْلِقَتْ دونه كلُّ أسباب ونوافذ العلم، ولم يطبع في دار نشر معتمدة تقوم على نشره وتوزيعه، بل في كلية الدعوة الإسلامية، فيبدو أن ذلك كان بعض أسباب عدم انتشار الكتاب.

وفصول تصنيف الزركشي لأنواع المتشابه اللفظي تعتبر قسمين كبيرين:

الأول: تشابه باعتبار تكرر اللفظ على نظم في موضع وعلى نظم آخر في موضع آخر، وجعل

هذا القسم في الفصل الأول.

الثاني: تشابه باعتبار عدد الأحرف، أي عدد مرات التكرار، ويشمل باقي الفصول، خمسة عشر فصلاً.

الفصل الأول من تصنيف الزركشي :

أطلق الزركشي عليه: "تشابه باعتبار تكرر اللفظ على نظم في موضع وعلى نظم آخر في موضع آخر"^{٢٣١}، فقد نظر فيما وقف عليه السابقون في توجيه المتشابه بحسب التعريف أو التنكير أو التقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، أو تبديل كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو غير ذلك من أوجه الاختلاف وجعله فصلاً واحداً، وقد تأثر السيوطي^{٢٣٢} بالزركشي تأثراً مباشراً، فتناول الفصل الأول من تصنيف الزركشي لأنواع المتشابه، لكنه لم يشر إلى فصول المتشابه اللفظي باعتبار عدد مرات التكرار.

^{٢٢٩} فقد طبع مرتين: الأولى بتحقيق: صبيح التميمي، وطبعته كلية الدعوة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٩٤ م، والثانية: بتحقيق: محمد بن عيد الشعباني، وطبعته دار الصحابة بطنطا مصر سنة ٢٠٠٦ م.

^{٢٣٠} لا يوجد تناسب بين هذين التاريخين، حيث إن ١٤٠٢ هـ يقابلها ١٩٨١ م، و١٩٩٤ م يقابلها ١٤١٤ هـ فلا بد أن أحدهما خطأ.

^{٢٣١} الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١١٣.

^{٢٣٢} راجع: السيوطي، جلال الدين، الاتقان، ج ٢، ص ١١٥-١١٦.

وفي تحقيقه لكتاب [كشف المعاني]^{٢٣٣} قام عبد الجواد خلف بترتيب تصنيف لأنواع [المتشابه اللفظي في القرآن] بأسلوب مُنَسَّقٍ بديع، وحين نظرت فيه، وجدته موافقا لتصنيف الزركشي - أو يكاد.

وقد عَجِبْتُ لقول لبيب صالح: "أورد الزركشي - رحمه الله - صورًا متعددة للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم بلغت ثماني صور، ويمكن جمعها في سبع صور"^{٢٣٤}؛ إذ أن الصور الثماني التي ذكرها لبيب صالح عن الزركشي ما هي إلا فصل واحد، هو الفصل الأول.

وهذا مضمون الفصل الأول لدى الزركشي في إيجاز:

٢ . ١ - مجيء اللفظ في موضع على نظم، ويجيء في موضع آخر على عكسه، قال عنه الزركشي: "وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في القرآن منه كثير"^{٢٣٥}، مثل: قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ (القصص ٢٠)، وقوله عز وجل: ﴿ وَجَاءَ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ (يس ٢٠).

٢ . ٢ - تشابه بزيادة حرف في موضع ونقصه في موضع آخر: مثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا ﴾ (يوسف ١٠٩)، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ (الأنبياء ٧).

٢ . ٣ - تشابه بالتقديم والتأخير: قال عنه: وهو غير الأول ولكنه قريب منه، مثل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ (الأعراف ٥١)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (الأنعام ٣٢).

^{٢٣٣} راجع: ابن جماعة، ١٠٤١ هـ - ١٩٩٠ م، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، المنصورة، ط ١، مصر، الدار الوفاء، ص (٤٧-٥٨)

^{٢٣٤} لبيب صالح، ص ١٧

^{٢٣٥} وقد ساق الزركشي أمثلة عديدة لهذا النوع، البرهان، ج ١، ص ١١٣

٢ . ٤ - تشابه بإيراد اللفظ معرفاً في موضع ، ومنكراً في موضع آخر: مثل ٢٣٦ قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (البقرة ١٢٦)، وقوله عز وجل:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ (إبراهيم ٣٥).

٢ . ٥ - تشابه بإيراد اللفظ مفرداً في موضع، وجمعاً في موضع آخر: مثل قوله تعالى:

وَقَالُوا

لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴿ (البقرة ٨٠)، وقوله عز وجل: ﴿ قَالُوا لَنْ
تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ (آل عمران ٢٤).

٢ . ٦ - تشابه بإبدال حرف مكان حرف آخر: مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكَنَ
أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا ﴾ (البقرة ٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿ وَيَتَّخِذُمْ أَسْكَنَ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا ﴾ (الأعراف ١٩).

٢ . ٧ - تشابه بإبدال كلمة مكان كلمة: وله أمثلة كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿ مَا
يَأْتِيهِمْ

مَنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنبياء ٢)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِّنْ
الرَّحْمَنِ ﴾ (الشعراء ٥).

٢ . ٨ - الإدغام وتركه: نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

٢٣٦ ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال، ويوسف ٦٥، والشعراء ٢٢٠، وفصلت ٢٣٦، والدخان ٦، وقوله عز وجل: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف).

الْعِقَابِ ﴿ (الأنفال ١٣)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر ٤).

وقفه مع هذا الفصل للزركشي:

لم يقف هذا الفصل من تقسيم الزركشي عند هذه الأنواع التي ذكرها، بل إن بعض الباحثين الجدد قد أضاف إلى هذه الأنواع أنواعاً أخرى، فهذا محمد فاضل السامرائي استدرك على الزركشي ثمانية أنواع أخرى قائلاً: "ويمكننا أن نضيف إلى الأقسام التي ذكرها الزركشي أقساماً أخرى وهي^{٢٣٧}:"

أ- ما اختلف في التوكيد وعدمه: نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ ﴾

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة ١٩٣)، وقوله: ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال ٣٩).

ب- ما اختلف في صيغ الوصف: نحو قوله تعالى: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ (الأنعام ٩٩)، وقوله: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ (الأنعام ١٤١).

ت- ما تباين في صيغ جموعه: نحو قوله تعالى: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ (البقرة ٥٨)، وقوله: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ (الأعراف ١٦١).

ث- ما اختلف من حيث التجرد والزيادة نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ (البقرة ٣٨)، وقوله: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه ١٢٣).

^{٢٣٧} راجع: السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة التشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ط ٢، عمان، الأردن، ص ٢٤.

ج- ما اختلف في أحرف الزيادة: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ



(البقرة ٤٩)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (الأعراف ١٤١).

ح- ما اختلف فيه الفعل من حيث البناء للمعلوم والمجهول: نحو قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة ٨٧)، وقوله: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة ٩٣).

خ- ما اختلف في الفعل من حيث التذكير والتأنيث: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (هود ٦٧)، وقوله: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (هود ٩٤).

د- التكرار نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح ٥-٦).

٣- موافقة باقي فصول الزركشي لأبواب الكسائي:

وبالنظر في باقي فصول الزركشي والتي صنف فيها المتشابه اللفظي باعتبار عدد مرات التكرار، ومقارنتها مع أبواب الكسائي التي ذكرناها آنفا، نجد مطابقتها لها، إلا أن الزركشي زاد فصلين، فنجد أن الفصول من الثاني إلى الحادي عشر لدى الزركشي هي نفسها الأبواب من الثاني إلى الحادي عشر لدى الكسائي، وقد ترك الكسائي ما تكرر لفظه اثني عشرة، وثلاث عشرة، وأربع عشرة مرة، وتركها الزركشي أيضا، ثم انتقل الكسائي إلى ما تكرر لفظه خمس عشرة مرة، ومثله انتقل الزركشي أيضا، ثم انتقل الكسائي إلى ما تكرر لفظه عشرين مرة، إلا أن الزركشي زاد فصلي: ما جاء على ثمانية عشر حرف وثلاثة وعشرين حرفا.

وقد عجبت لعبد الجواد خلف محقق كتاب ابن جماعة، حيث إنه تابع الزركشي متابعاً في تصنيفه، وأنكر صراحة وجود الفصول التي سكت عنها الزركشي والكسائي، في

حين أني وقفتُ عليها جميعا، يقول: " ولم يتكرر في القرآن شيء اثنتا^{٢٣٨} عشرة مرة، ولا ثلاث عشرة مرة، ولا أربع عشرة^{٢٣٩}، وقال: " ولم يُكْرَرْ شيءٌ ستَّ عشرة مرة، ولا سبع عشرة^{٢٤٠}، وقال: " ولم يرد شيء على التكرير تسع عشرة مرة^{٢٤١}. فتلك الأبواب التي سكت عنها الكسائي والزركشي، وأنكرها عبد الجواد خلف، قد وقفتُ عليها، وسيأتي بيانها.

وإليكم هذا الجدول التخطيطي الذي يبين ما وافق فيه الزركشي الكسائي، بما يدل على أن الزركشي قد تأثر به، ونقل عنه، رغم أنه لم يذكر الكسائي، ولا كتابه حين هم بتناول النوع الخامس من العلوم - علم المتشابه اللفظي - في كتابه، وتلك كان عادة القدماء، إذ لا بأس لدى الكثير منهم أن يُضْمَنَ كتابه كتابا آخر لغيره دون أن يشير لذلك.

أبواب [فصول] المتشابه اللفظي		لدى الكسائي		لدى الزركشي	
ما في القرآن من حرفين		لم يذكره	ذكره	لم يذكره	ذكره
ثلاثة أحرف	✓	-	✓	-	✓
أربعة أحرف	✓	-	✓	-	✓
خمسة أحرف	✓	-	✓	-	✓
ستة أحرف	✓	-	✓	-	✓
سبعة أحرف	✓	-	✓	-	✓
ثمانية أحرف	✓	-	✓	-	✓
تسعة أحرف	✓	-	✓	-	✓
عشرة أحرف	✓	-	✓	-	✓
أحد عشر أحرف	✓	-	✓	-	✓
اثني عشر حرفا	-	✓	-	✓	-

^{٢٣٨} وردت في تحقيق عبد الجواد خلف بالرفع [اثنتا] والصحيح بالنصب على التمييز [اثني]، أو مفعول مطلق مبين للعدد.

^{٢٣٩} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق عبد الجواد خلف، ص ٥٢.

^{٢٤٠} ابن جماعة، كشف المعاني، ص ٥٣.

^{٢٤١} ابن جماعة، كشف المعاني، ص ٥٥.

√	-	√	-	ثلاثة عشر حرفا
√	-	√	-	أربعة عشر حرفا
-	√	-	√	خمسة عشر حرفا
√	-	√	-	سنة عشر حرفا
√	-	√	-	سبعة عشر حرفا
-	√	√	-	ثمانية عشر حرفا
√	-	√	-	تسعة عشر حرفا
-	√	-	√	عشرين حرفا
√	-	√	-	واحد وعشرين حرفا
√	-	√	-	اثنين وعشرين حرفا
-	√	√	-	ثلاثة وعشرين حرفا

وقد عقدت مقارنة بين أبواب الكسائي وفصول الزركشي على نوعين اثنين من تصنيفهما ألا وهما: [ما جاء على حرفين] و [ما جاء على ثلاثة أحرف] فوقفت على ما يلي:

٣ . ١ - مقارنة بين ما جاء على حرفين في القرآن بين الكسائي والزركشي:

٣ . ١ . ١ - الكسائي جمع ٨٢ موضعا في باب ما جاء في القرآن على حرفين ، وقد راجعت

بعض إحصاءاته فوجدتها غاية في الدقة.

٣ . ١ . ٢ - الزركشي جمع ٣٤ موضعا في فصل ما جاء على حرفين.

٣ . ١ . ٣ - وافق الزركشي الكسائي في ٢٨ موضعا من إحصائه.

٣ . ١ . ٤ - ذكر الزركشي خمسة مواضع لم يذكرها الكسائي، أربعة منها خطأ، كما

أنه زاد زيادة إحصائية في أحد المواضع التي ذكرها الكسائي لكنها أيضا خطأ في

الإحصاء، بل أحيانا تجد الخطأ بارزا، فقد تبين لي أن إحصاء الزركشي يعيبه ما يلي:

أ- قال: ﴿ أَنْ اللَّهَ غُفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة، وفي آل عمران: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غُفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
وأما: ﴿ وَاللَّهُ غُفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فواحدة في البقرة^{٢٤٢}، والصحيح أن: ﴿ وَاللَّهُ غُفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
﴿ حرفان اثنان، البقرة ٢٢٥، والمائدة ١٠١.

ب- قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى ﴾ بالواو حرفان في الأنعام، وفي يونس: ﴿ فَمَنْ
أَظْلَمُ ﴾ بالفاء^{٢٤٣}. والصحيح أنها بالواو أربعة أحرف: في الأنعام (٢١، ٩٣)، وهود ١٨،
والعنكبوت ٦٨، وبالفاء خمسة أحرف: الأنعام ١٤٤، والأعراف ٣٧، ويونس ١٧،
والكهف ١٥، والصف ٧.

ت- قال: ﴿ أَعْرَضَ ﴾ حرفان في الكهف، وفي السجدة إلا أن الأول: ﴿ فَأَعْرَضَ ﴾،
والثاني: ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾^{٢٤٤}. والصحيح أن ﴿ أَعْرَضَ ﴾ وردت على ثمانية أحرف:
الإسراء ٨٣، والكهف ٥٧، وطه (١٠٠، ١٢٤)، والسجدة ٢٢، وفصلت (٤، ٥١)،
والتحريم ٣.

ث- قال: ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾، حرفان: في التوبة، وفي المنافقين^{٢٤٥}.
والصحيح أنها خمسة أحرف: المائدة ١٠٨، والتوبة (٢٤، ٨٠)، الصف ٥، والمنافقون ٦.

ج- قال: ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ حرفان في لقمان، وحم عسق^{٢٤٦}. والصحيح أنها
عشرة أحرف: البقرة ٢٨٢، وهود ٢، والرعد ٢، والنحل ٦١، والحج (٥، ٣٣)، ولقمان
٢٩، وفاطر ٤٥، الزمر ٤٢، والشورى ١٤، ونوح ٤. وقد وجدت أن قول الله تعالى: ﴿
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وردت على ثلاثة أحرف: الرعد ٢، وفاطر ١٣، والزمر ٥.

^{٢٤٢} الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٣٣

^{٢٤٣} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤

^{٢٤٤} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤

^{٢٤٥} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤

^{٢٤٦} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٥

- ٣ . ٢ - مقارنة بين ما جاء على ثلاثة أحرف في القرآن بين الكسائي والزركشي:
- ٣ . ٢ . ١ - جمع الكسائي ٣٩ موضعا في باب ما جاء على ثلاثة أحرف في القرآن.
- ٣ . ٢ . ٢ - الزركشي جمع ٣٣ موضعا في فصل ما جاء على ثلاثة أحرف.
- ٣ . ٢ . ٣ - وافق الزركشي الكسائي في ٢١ موضعا من إحصائه.
- ٣ . ٢ . ٤ - ذكر الزركشي ١٢ موضعا لم يذكرها الكسائي، تسعة منها خطأ في الإحصاء،

فبعد مراجعة إحصاءاته تبين لي ما يأتي:

أ- قال: " ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ اثنان في الأعراف، والثالث في الأنفال" ^{٢٤٧}.

والصحيح أنها على سبعة أحرف: البقرة ٢٢١، وإبراهيم ٢٥، والقصاص (٤٣، ٤٦، ٥١)،
والزمر ٢٧، والدخان ٥٨، ولعله خطأ في النقل؛ لأن الصحيح هو ما ورد لدى الكسائي ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ من غير تاء، على ثلاثة أحرف في الأعراف (٢٦، ١٣٠)، والأنفال
٥٧.

ب- قال: " ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ في البقرة وآل عمران وإبراهيم" ^{٢٤٨}.

والصحيح أنها حرفان فقط: البقرة ٢٦٩، وآل عمران ٧، أما في إبراهيم فهي: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إبراهيم ٥٢.

ت- قال: " ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ في النساء والتوبة والصف" ^{٢٤٩}.

^{٢٤٧} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧.

^{٢٤٨} المصدر السابق، ج ١، ص ١٤١.

^{٢٤٩} المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٢.

والصحيح أنها في النساء ٩٥، والتوبة ٢٠، لكنها في الصف ١١ ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾.

ج- قال: " ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيَّ ﴾، في الرعد اثنان والثالث في يونس^{٢٥٠}.
والصحيح أنها على ستة أحرف، وليست ثلاثة، هي: الأنعام ٨، ويونس ٢٠، وهود ١٢، الرعد (٧، ٢٧)، والعنكبوت ٥٠.

ح- قال: " ﴿ لَعَلِّي ﴾، في الحج وسبأ ونون^{٢٥١}
والعجيب أن ﴿ لَعَلِّي ﴾ لم ترد في أيٍّ من السور الثلاث التي ذكرها، وقد وردت على سبعة أحرف: في يوسف ٤٦، وطه ١٠، والمؤمنون ١٠٠، والقصاص (٢٩، ٣٨)، وغافر ٣٦، والزخرف ٤.

ح- قال: " ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾، في سبأ اثنان وفي آخر فاطر^{٢٥٢}.
والصحيح أنها أربعة أحرف: في يونس ١٨، وسبأ (٣، ٢٢)، وفاطر ٤٤.

خ- قال: " ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ بواو في البقرة، والحجر، وص^{٢٥٣}
والصحيح أنها بغير واو في [ص]، والآية في [ص]: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (ص ٧١).

د- قال: " ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾، بغير واو في النحل، والنمل، ويس^{٢٥٤}.
والصحيح أنها بغير واو في خمسة مواضع: الأنعام ٦، الأعراف ٤٨، والنحل ٧٩، والنمل ٨٦، ويس ٣١.

^{٢٥٠} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨.

^{٢٥١} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

^{٢٥٢} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

^{٢٥٣} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

^{٢٥٤} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

ذ- قال : " ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ ، في الرعد والروم والمؤمن^{٢٥٥} .

والصحيح أنها اثنان فقط الرعد ٣٨ ، والمؤمن ٧٨ ، أما الروم فبها تقديم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِّن قَبْلِكَ رُسُلًا ﴾ (الروم ٤٧).

٤ - استدراك الأبواب التي سكت عنها الكسائي والزركشي:

سكت الكسائي عن الأبواب الآتية: [ما في القرآن من اثني عشر حرفا، وثلاثة عشر حرفا، وأربعة عشر حرفا، وستة عشر حرفا، وسبعة عشر حرفا، وثمانية عشر حرفا، وتسعة عشر حرفا]، وسكت عنها الزركشي أيضا، إلا باب [ما جاء على ثمانية عشر حرفا]، فقد مثل له بمثال واحد، كما زاد الزركشي فصل [ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا]، وسكت عن فصلي [ما جاء على واحد وعشرين حرفا، واثنين وعشرين حرفا]. ولقد كان لدى الكسائي والزركشي من الحكمة والعلم ما يجعلهم يسكتون عن هذه الأبواب دون إنكار وجودها، ويقيني أنهما سكتا عنها ظنا منهما أن هذه الأبواب قد تكون موجودة، ولم يقفا عليها، فسكتا دون إنكار لوجودها، ولم يكن عبد الجواد خلف مُحِقًّا حين أنكر وجود تلك الأبواب، وكان عليه أن يسكت سكوت هذين العالمين.

فتلك الفصول التي سكت عنها الكسائي والزركشي قد وقفتُ عليها، وها هي:

٤ . ١ - باب ما في القرآن من اثني عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ ﴾

(آل عمران ١١٩ ، ١٥٤)، المائدة ٧، الأنفال ٤٣، هود ٥، لقمان ٢٣، فاطر ٣٨،

الزمر ٧، الشورى ٢٤، الحديد ٦، التغابن ٤، الملك ١٣.

وقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٣١ ، ٢٨٢)، النساء ١٧٦،

المائدة ٩٧، الأنفال ٧٥، التوبة ١١٥، (النور ٣٥ ، ٦٤)، العنكبوت ٦٢، الحجرات ١٦،

المجادلة ٧، التغابن ١١.

^{٢٥٥} المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

٤ . ٢ - باب ما في القرآن من ثلاثة عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

البقرة ١٣٧، المائدة ٧٦، (الأنعام ١٣، ١١٥)، الأنفال ٦١، يونس ٦٥، يوسف ٣٤،
الأنبياء ٤، الشعراء ٢٢، (العنكبوت ٥، ٦٠)، فصلت ٣٦، الدخان ٦.

٤ . ٣ - باب ما في القرآن من أربعة عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة ٥٢، ٥٦، ١٨٥)، آل عمران ١٢٣، (المائدة ٦، ٨٩)، الأنفال ٢٦،
(النحل ١٤، ٧٨)، الحج ٣٦، القصص ٧٣، الروم ٤٦، فاطر ١٢، الجاثية ١٢.
وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ البقرة ١١٦، النساء ١٧١، الأنعام ١٠٠، التوبة ٣١،
(يونس ١٨، ٦٨)، (النحل ١، ٥٧)، الإسراء ٤٣، مريم ٣٥، الأنبياء ٢٦، الروم ٤٠،
(الزمر ٤، ٦٧).

٤ . ٤ - باب ما في القرآن من ستة عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾
(البقرة ٢٠،

٢٢٠، ٢٥٣^٢)، النساء ٩٠، المائدة ٤٨، (الأنعام ٣٥، ١٠٧، ١٣٧، ١٤٨)،
النحل ٩٣، يونس ١٦، النحل ٣٥، المؤمنون ٢٤، فصلت ١٤، الشورى ٨.
وقوله تعالى: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٩، ٢٣١، ٢٨٢، النساء ١٧٦،
المائدة ٩٧، الأنعام ١٠١، الأنفال ٧٥، التوبة ١١٥، النور ٣٥، ٦٤، العنكبوت ٦٢،
الشورى ١٢، الحجرات ١٦، الحديد ٣، المجادلة ٧، التغابن ١١.

٤ . ٥ - باب ما في القرآن من سبعة عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾،

النساء ٣٦، (المائدة ٧٢، ١١٧)، (الأعراف ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، (هود ٥٠، ٦١،
٨٤)، النحل ٣٦، (المؤمنون ٢٣، ٣٢)، النمل ٤٥، (العنكبوت ١٦، ٣٦)، نوح ٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ البقرة ٢٤٣، الأعراف ١٨٧، هود ١٧،
(يوسف ٢١، ٣٨، ٤٠، ٦٨)، الرعد ١، النحل ٣٨، الروم ٦، ٣٠)، (سبأ ٢٨،
(٣٦)، (غافر ٥٧، ٥٩، ٦١)، الجاثية ٢٦.

٤ . ٦ - باب ما في القرآن من ثمانية عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
(البقرة ٩٧،

١٠٢، ٢٤٩، ٢٥١)، (آل عمران ٤٩٢، ١٤٥، ١٦٦)، النساء ٦٤، الأنفال ٦٦،
يونس ١٠٠، الرعد ٣٨، إبراهيم ١١، فاطر ٣٢، غافر ٧٨، المجادلة ١٠، الحشر ٥،
التغابن ١١.

٤ . ٧ - باب ما في القرآن من تسعة عشر حرفا: قول الله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(البقرة ١٠، ١٧٤)، (آل عمران ٧٧، ٩١، ١٧٧، ١٨٨)، المائدة ٣٦، (التوبة ٦١،
٧٩)، إبراهيم ٢٢، (النحل ٦٣، ١٠٤، ١١٧)، النور ١٩، العنكبوت ٢٣،
(الشورى ٢١، ٤٢)، الحشر ١٥، التغابن ٥.

٤ . ٨ - باب ما في القرآن من واحد وعشرين حرفا: فقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُمْ

﴿٢٥٦﴾

(البقرة ١٢١، ١٤٦، ٢١١)، (النساء ٥٤، ٦٧)، (الأنعام ٢٠، ٨٩، ١١٤)،
الرعد ٣٦، الحجر ٨١، النحل ٥٥، القصص ٥٢، (العنكبوت ٤٧، ٦٦)، الروم ٣٤،
(سبأ ٤٤، ٤٥)، فاطر ٤٠، الزخرف ٢١، الدخان ٣٣، الجاثية ١٧.

٤ . ٩ - باب ما في القرآن من اثنين وعشرين حرفا: فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ

السَّمَوَاتِ

^{٢٥٦} وجدت محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه - رحمه الله - قد أحصى لها إحدى وعشرين مرة في القرآن وراجعت ذلك الكترونيا فوجدته مطابقا ، ص ٩ ، مادة (أ ت ي) .

وَالْأَرْضَ ﴿ (الأنعام ١، ٧٣)، الأعراف ٥٤، التوبة ٣٦، يونس ٣، هود ٧٥،
إبراهيم ١٩،

(٣٢)، النحل ٣، الإسراء ٩٩، الفرقان ٥٩، النمل ٦٠، العنكبوت ٦١، لقمان ٢٥،
السجدة ٤، يس ٨١، (الزمر ٥، ٣٨)، الزحرف ٩، الأحقاف ٣٣، الحديد ٤،
التغابن ٣.

٥- وقفة مع منهج الكسائي والزركشي في تصنيف المتشابه اللفظي بحسب عدد مرات

التكرار:

وَفَقَّ هذا المنهج يمكن الاتساع في التصنيف إلى أضعاف مضاعفة لما وقف عليه الكسائي
والزركشي من الأبواب أو الفصول، ولو نظرنا في [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن
الكريم]^{٢٥٧} لَلَمَسْنَا ذلك، فهناك من التراكيب ما تكرر لفظه مئات المرات، وهذا كثير في
القرآن مثل: ﴿ ءَامَنُوا ﴾ فقد تكرر ثماني وخمسين ومئتين مرة^{٢٥٨}، وتركيب ﴿ قَالُوا ﴾
قد تكرر إحدى وثلاثين وثلثمائة مرة^{٢٥٩}، وإن قُلْتُمْ إنه لفظ واحد، قلتُ إن الزركشي مثَّل
لِما جاء على أربعة أحرف ب: " { مُبَارَكًا } بالنصب في آل عمران ومريم والمؤمنين وق،
و { مُبَارَكٌ } بالرفع، في الأنعام اثنان وفي الأنبياء وص^{٢٦٠}.

^{٢٥٧} محمد فؤاد عبد الباقي في طبعته الثانية ١٤٠١هـ، ١٩٨١، درا الفكر؛ حيث إنه إلى ذكره مواضع تكرار اللفظ أو التركيب كتب تحت اللفظ عدد مرات تكراره

^{٢٥٨} المصدر السابق، (ص ٨٢-٨٦) مادة: أ م ن

^{٢٥٩} المصدر السابق، (ص ٥٦٢-٥٦٦) مادة: ق و ل

^{٢٦٠} الزركشي، البرهان، ج ١، ص ١٤١.

الباب الثاني

علم المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين

أعلام ، مؤلفات ، مناهج

الفصل الأول: مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له

المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته

المبحث الثاني: الكرمانى ومنهجه في البرهان

المبحث الثالث: ابن جماعة ومنهجه في كشف المعاني

المبحث الرابع: الأنصارى ومنهجه في فتح الرحمن

المبحث الخامس: السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى في توجيه

المتشابه اللفظي

الفصل الثاني: المحدثون تجديد وإثراء

المبحث الأول: المطعنى وكتابه [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]

المبحث الثاني: محمد القاضي وكتابه [المتشابه اللفظي في القرآن]

المبحث الثالث: ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]

المبحث الرابع: الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي

المبحث الخامس: الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم

الباب الثاني

علم المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثون: أعلام، مؤلفات، مناهج

تمهيد:

لو نظرنا في علم [توجيه المتشابه اللفظي] وجدنا من العلماء - قديما وحديثا - من خصَّه بمصنف خاص به، كما نجد من جعله بابا أو فصلا في مصنف عام ضم علومنا أخرى معه، ويكثر ذلك في كتب علوم القرآن^{٢٦١}، أما علماء التفسير فنجد أن جُلَّهُم قد انصرف عنه، ولم يلتفت إليه إلا قليل منهم^{٢٦٢}.

وخلال هذا الباب سوف أجتهد في الوقوف على فضل المتقدمين في تأسيس وتأسيس هذا العلم، كما سنقف معا على اللمسات الأخيرة التي وضعها المحدثون في هذا العلم، ونحاول أن نقف على منهج كل من المتقدمين والمتأخرين، وماذا أضاف المحدثون لبناء علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وجدير بنا أن نحدد المرحلتين الزمنية التي سيقوم الباحث بدراسة علم المتشابه

اللفظي فيهما:

المرحلة الزمنية الأولى: تبدأ منذ صدر الإسلام مع بدايات وإشارات نشأة علم المتشابه اللفظي حتى زمن زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٥هـ، حيث توقف علم المتشابه لفترة تزيد على ٥٠٠ سنة حيث لم يظهر مؤلف معتبر في هذه العلم خلال تلك السنين الخمسمائة.

المرحلة الزمنية الثانية: تبدأ مع أواخر القرن العشرين على يد عبد العظيم المطعني المتوفي سنة ٢٠٠٨، ومع بدايات خروج مؤلفات فاضل السامرائي إلى النور في مطلع القرن الحادي والعشرين.

^{٢٦١} من أمثلة تلك المصنفات:

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة في: باب تكرار الكلام والزيادة فيه، ص ١٤٨.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي وقد جعله النوع الخامس من علوم كتابه، ج ١، ص ١١٢.
- فنون الألفان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي، تحقيق حسن ضياء عمر، ضمنه الفصل الثاني، وجاء ترتيبه في هذا الفصل الثاني عشر، ص ٩٤.
- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، وجاء ترتيبه لديه الثالث والستين بين علوم الكتاب، ج ٢، ص ١١٤.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة، وجاء ترتيبه فيه الثالث والعشرين، ج ٦، ص ٣٦٦.
- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه لعبدان زرزور، جاء في الباب الثالث ضمن فصل الحكم والمتشابه تحت عنوان المتشابه اللفظي ص ١٦٦.

^{٢٦٢} ومن هؤلاء المفسرين الذين أولوا بعض مواطن المتشابه اللفظي: الزمخشري في الكشاف، وأبي حيان في البحر المحيط، والألوسي في روح المعاني، والرازي في مفاتيح الغيب، وابن عاشور في التحرير والتنوير.

الفصل الأول:

مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له

المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته

المطلب الأول: نسبه وعلمه

أولاً: نسبه وموطنه:

إن مما يدعو للأسف أن كتب التراجم لم نخبرنا إلا بنذر يسير عن ذلك العَلم السامق الخطيب الإسكافي، وإني أتحسر مع محقق كتابه إذ يقول: "الكتب لم تسعفنا بأخبار وافية وشافية عن حياة الخطيب، بل حظه من الحديث في المصادر والمراجع قليل جداً، ولم تحدثنا أيضاً تلك الكتب التي ترجمت له عن الفترة التي مكثها في أصبهان، ومتى صار خطيباً بالريّ ... ولم تذكر شيئاً عن شيوخه، ولا عن تلاميذه، ولا شك أن هذا أمر يؤسف له، خاصة لعالم جليل مثل أبي عبد الله الخطيب"^{٢٦٣}

فقد ذكر مصطفى آيدين ثماني مصادر من كتب التراجم^{٢٦٤} لم يجد فيها إلا سنة وفاته، وأسماء بعض كتبه، وشيئاً يسيراً عن موطنه وصفته، وقد نظرت بعد آيدين في بعض هذه المصادر ونظرت في كتب تراجم أخرى عَلِّي أقف على شيء لم يقف عليه آيدين فما حَصَلْتُ، وصدق إذا يقول: "بل تأكد لدي أن كل ما أورده أصحاب كتب التراجم عنه إنما

^{٢٦٣} الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج ١، ص (٣٠-٣١)

^{٢٦٤} وها هي تلك المصادر:

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، اط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج ٦، ص ٢٥٤٩.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٢٧١.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، ١٣٩١هـ - ١٩٧٩م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ج ١، ص ١٤٩.
- عمر كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربي، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث، ج ١٠، ص ٢١١.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ٦، ص ٢٢٧.
- عادل نويه، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٨م، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط ٣ لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ج ٢، ص ٥٥٨.

هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت في معجم الأدباء لياقوت، والذين أتوا بعده كرروا ما جاء فيه ونقلوه من غير زيادة^{٢٦٥}.

فهو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، حيث لُقِّبَ بِلقَبَيْنِ، ونُسِبَ إلى مَوْطِنَيْنِ.

أما اللقبان فهما:

الأول: الخطيب؛ حيث إنه كان خطيباً بالريّ.

الثاني: الإسكافي؛ حيث احترف الأسكفة^{٢٦٦}.

وأما الموطنان فهما:

الأول: أصبهان (أصفهان)؛ نسبة إلى موطنه الأصلي كما بدا لنا من كتب التراجم.

الثاني: الرازي؛ نسبة إلى الريّ التي عمل بها خطيباً.

ثانياً: علمه وثقافته:

إن أصحاب التراجم لم يذكروا لنا شيئاً عن ثقافة وعلم الخطيب الإسكافي غير ياقوت الحموي الذي لم يزد في وصفه على قوله: "محمد بن عبد الله خطيب القلعة الفخرية، أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة، أحد أصحاب ابن عباد الصاحب، وكان من أهل أصبهان، وخطيباً بالريّ"^{٢٦٧}.

ويشهد بفضل وسعة علمه كتابه [الدرة] وهو بحق درة التصانيف في علم المتشابه اللفظي، فيحسب الخطيب الإسكافي فضلاً وعلماً وسبقاً تأليفه لكتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] [٢٦٨] ونستطيع أن نتعرف ثقافة وفكر وعلم الخطيب الإسكافي من خطبة كتابه إذ يقول: "فاعلموا حملة الكتاب الحكيم، وحفظه القرآن المبين الكريم، وفقكم الله لحق علمه بعد حق تلاوته، وأذواقكم من لذة قراءته، وبرد شراب معرفته ما يشغف قلوبكم بحلاوته، إني مذ

^{٢٦٥} الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج ١، ص ٣٢.

^{٢٦٦} صناعة الأhoodية وإصلاحها، انظر المعجم الوسيط مادة سكف، ج ١، ص ٤٣٩.

^{٢٦٧} ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٤٩.

^{٢٦٨} لقد حدث نَبَسٌ في نسبة كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] فنسبهم بعضهم إلى الراغب الأصفهاني، والبعض إلى الفخر الرازي، والبعض إلى قوام السنة إسماعيل بن محمد، ونسبه أكثرهم إلى الخطيب الإسكافي، ولهذا الخلط أسباب دعت إليه، حقق تلك النسب تحقيقاً دقيقاً، وفصل فيها تفصيلاً بديعاً مصطفى آيدين محقق كتاب الدرة في مطلبين متتاليين الأول بعنوان [تحقيق صحة اسم الكتاب] والثاني [تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه] انظر ذلك في تحقيق آيدين لكتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] ج ١، ص (٨٨-١٣٣).

حصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته، تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها... فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين فما وجدت أحدا من أهلها بلغ كنهها، كيف ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها"^{٢٦٩} من كلمات الخطيب سنحاول أن نقف على شخصيتها، حيث يمكننا أن نُخْلِصَ من كلماته تلك بخصال عظيمة يتمتع بها الخطيب كما يلي:

١- الخطيب أستاذ عَلامَة له طلابه : ترى ذلك في مخاطبته حملة القرآن "فاعلموا حملة القرآن"^{٢٧٠} فلولا أنه أهل لأن ينصح ويرشد هؤلاء ما تجرأ على ذلك، ولولا أنه يعلم من نفسه أن هناك من يسمع له، ويسترشد بنصحه وتوجيهه، ما أقدم على ذلك، فإننا نلمس من تلك الكلمات كأنها صدرت من أستاذ لطلابه.

٢- الخطيب شغوف بكتاب الله، وعالم به، قراءة وحفظا ودراية؛ ونستدل على ذلك من قوله: "إني مذ حصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته"^{٢٧١}.

٣- الخطيب ذو بصيرة نافذة، وقدرة كبيرة على البحث والنظر والتأمل والاستنتاج: ونجد ذلك بارزا في وقوفه على ما لم يقف عليه أحد قبله، وإدراكه لما لم يُلَمَّ به أحد قبله، وفتحه لباب من أبواب العلم منغلق، ما أشرف عليه أحد قبله، وسمع له إذ يقول: "تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها"^{٢٧٢}.

٤- سعة اطلاعه وتبحره في العلم: إنه رجل قد اطلع على أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتش في بطون هذه الكتب، وألَمَّ بها، ووَعَاها، فانظروا قوله: "فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين"^{٢٧٣} فذاك القول إنما يدل دلالة قاطعة على ثقافة

^{٢٦٩} الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣

^{٢٧٠} المصدر السابق، ص ٣.

^{٢٧١} المصدر السابق، ص ٣.

^{٢٧٢} المصدر السابق، ص ٣

^{٢٧٣} كأن هناك خطأ وقع في النسخ في هذه الجملة، وأرى أن الأولى أن تكون: [وفتشت عن أسرار معانيها لدى المتأولين المحققين المتبحرين].

^{٢٧٤} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٣.

الإسكافي الواسعة، وتبحره في العلوم، كما أن المتأمل كتابه يرى أنه بين يدي علامة متبحر، و"حين نتأمل كتاب الدرّة، ونتتبع ما قاله الخطيب الإسكافي من أوله وحتى آخره، يتبين لنا أنه -رحمه الله- صاحب علم جم وثقافة واسعة، وصاحب اطلاع واسع"^{٢٧٥}.

٥- القدرة على الاكتشاف والابتكار: فقد وقف على علم جديد لم يطرق بابه أحد قبله، وأسس لعلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] ووضع قواعده، ورسم منهجه، الذي صار إماماً لمن جاء بعده اسمع لقوله: "فما وجدت أحداً من أهلها بلغ كنهها، كيف ولم يقرع بابها ولم يفتّر لهم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها"^{٢٧٦}.

٦- الإخلاص والشغف بكتاب الله: لعلك تلحظ من الكلمات القصيرة السابقة مدى إخلاص قائلها في طلب العلم ونشره، كما يمكن أن نلمح مدى حبه وشغفه بكتاب الله والوقوف على أسرار تأويله، فنلمس الإخلاص في نصح حملة القرآن وحفظته، ولنتأمل دعاءه لهم إذ يقول: "وأذاقكم من لذة قراءته وبرد شراب معرفته ما يشغف قلوبكم بحلاوته"^{٢٧٧} وها هو يرى أن قراءته لكتاب الله ودرايته به فضل من الله عظيم، يُقرُّ به، ويحمد عليه الله: "مذ خصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته"^{٢٧٨}، فما أشد إخلاصه - رحمه الله - وما أعظم نصحه الذي أسداه لحملة كتاب الله!

٧- له مصنفات في اللغة نسبها صاحب [كشف الظنون] إلى الخطيب الإسكافي، وهي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام^{٢٧٩}، ومبادئ اللغة^{٢٨٠}، ونقد الشعر^{٢٨١}.

^{٢٧٥} الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، ص ١٩.

^{٢٧٦} الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣.

^{٢٧٧} المصدر السابق، ص ٣.

^{٢٧٨} المصدر السابق، ص ٣.

^{٢٧٩} حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي الفلسطيني المشهور باسم حاجي خليفة، ١٩٤١م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة

المنفي، ولبنان، دار إحياء التراث، ودار الكتب العلمية، ودار العلوم الحديثة، ج ١، ص ٩٦١.

^{٢٨٠} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٧٩.

^{٢٨١} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٧٣.

المطلب الثاني: كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] اسمه وأثره:

١ - تعليق آيدين على اسم الكتاب

إني لأعجب عجباً شديداً للإسكافي، وكيف تَفَتَّقَ ذهنه عن هذا الاسم العجيب الدقيق؟! إننا

لو حاولنا أن نجد اسماً أدق ووصفاً، وأعظم أداءً لمضمون هذا الكتاب ما استطعنا، ولَوَجَدْنَا كل

اسم آخر دون اسم [درة التنزيل وغرة التأويل].

وقد تنبه محمد آيدين إلى اسم الكتاب، فاجتهد في بيانه، ولكنني ذهبتُ مذهباً آخر غير الذي ذهب إليه آيدين في بيان اسم الكتاب، وسوف أعرض في إيجاز رأي آيدين، ثم أعرض المعنى المعجمي لمفردات اسم الكتاب، ثم أناقش ما ذهب إليه آيدين، وأبسط ما ذهبتُ إليه، قال: "فاسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب هذا الكتاب عمل عظيم يوصف تارة بالدرّة، وتارة بالغرة. وإضافة [درة] إلى [التنزيل] ... المعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب الله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرّة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ، أما إضافة [غرة] إلى التأويل - وهو التفسير - فإنها توحى بأن ما قام به المؤلف في هذا الكتاب هو عمل رائد في بابهِ، ولم يُسبق إليه، فهو أول كتاب في هذا الفن، وأفضل كتاب كذلك، ولا يراد من التأويل هنا المعنى العام من التأويل، إنما يراد به ضرب معين من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظاً. والله أعلم" ٢٨٢.

٢ - المعنى اللغوي لمفردات اسم الكتاب:

- الدُرّة: هي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة ٢٨٣، وفي اللسان: "وَاسِطَةُ الْقِلَادَةِ: الدُّرَّةُ الَّتِي فِي

وَسَطِهَا وَهِيَ أَنْفَسُ خَرَزِهَا" ٢٨٤.

٢٨٢ الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج ١، ص ٩٢.

٢٨٣ المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٧٩.

٢٨٤ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٤٢٦ / وبلفظ اللسان في تاج العروس، ج ٢٠، ص ١٨٢.

- التنزيل: القرآن، ويكثر في كتب المعاجم إن أردوا الاستشهاد بآية من القرآن قالوا: "وفي التنزيل" ^{٢٨٥} ثم يذكر الآية.
- الغرّة: بالضم: فلان غرّة قومه أي سيّدهم. وغرّة كلّ شيء أوّلُهُ وأكْرَمُهُ ^{٢٨٦}.
- التأويل: التفسير، وهو المقصود في دعاء رسول الله ﷺ لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وفي الشرع هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة" ^{٢٨٧}. ولدى الراغب: التأويل: "رُدُّ الشيء إلى الغاية المُرادَة منه؛ علماً كان أو فعلاً" ^{٢٨٨}.

٣- مناقشة اسم الكتاب [درة التنزيل و غرة التأويل]:

٣ . ١- بدايةً أتفق مع أيدين في قوله: "اسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب

هذا الكتاب عمل عظيم" ^{٢٨٩} فاسم الكتاب يدل دلالة بينة على ذلك.

٣ . ٢- أما قوله: "هذا الكتاب عمل عظيم يوصف تارة بالدرّة، وتارة بالغرّة" ^{٢٩٠} فلا أوافقه الرأي؛ إذ أن [درة] تصف شيئاً غير الذي تصفه [غرّة]، وكل منهما تُنسبُ إلى ما أُسندت إليه، وتصفه.

٣ . ٣- وقد أغفل أيدين المعنى المقصود للفظ [التنزيل] ففسر إسناد [درة] إلى [التنزيل] تفسيراً يبعد كثيراً عن المعنى الذي يرمي إليه الإسناد، حيث قال: "وإضافة [درة] إلى [التنزيل] ... المعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب الله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرّة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ" ^{٢٩١}. ولا أوافق أيدين فيما ذهب إليه هنا في أمرين:

^{٢٨٥} الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ص [٧٧٥، ٨٢٨، ٩٠٠] / والخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، ج١، ص٨٠، ١٣٩، وج٣، ص٣١٢ / واللسان ج١، ص٢٦، ٣١، ٤٥، ٦١، ٦٢.

^{٢٨٦} مختار الصحاح، ص٤٨٨.

^{٢٨٧} الجرجاني، عبد القاهر، التعريفات، ص٧٢.

^{٢٨٨} الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، صفوان الداودي، ص٩٩.

^{٢٨٩} الخطيب الإسكافي، درة التنزيل و غرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى أيدين، ج١، ص٩٢.

^{٢٩٠} المصدر السابق، ج١، ص٩٢.

^{٢٩١} المصدر السابق، ج١، ص٩٢.

الأول : أرى أن إسناد [درة] إلى [التنزيل] قصد به الإسكافي شيئاً آخر غير الذي ذهب إليه

أيدين؛ حيث إن [التنزيل] المقصود به [القرآن]، وكما ذُكِرَ آنفاً فإن [الدرة] هي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة، وهي واسِطَةُ القِلَادَةِ وَأَنْفَسُ خَرَزِهَا، وعلى هذا فإن المعنى الذي قصده ورمى إليه الإسكافي في إسنادها [درة التنزيل] هو : أن المتشابه اللفظي في القرآن هو بمثابة الدرّة وواسطة العقد من القرآن الكريم، فكأنه قصد أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إنما هو الدرّة من كتاب الله، لما فيه من أسرار عظيمة لا يعلمها كل أحد من العلماء، إنما يقف عليها قِلَّةٌ، هم الراسخون في العلم، والله أعلم.

الثاني: في قول أيدين: "فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرّة بالنسبة لغيرها

من حبات اللؤلؤ"^{٢٩٢}، فإن هذا الكلام يَنْقُضُهُ أن كتاب الإسكافي أول مُؤَلَّفٍ في هذا

الفن، فلم يكن هناك مؤلفات في المتشابه اللفظي قبل الإسكافي حتى يكون أفضلها وأعظمها، وقد صرح بذلك الإسكافي نفسه في خطبة كتابه^{٢٩٣}، وأقر الغرناطي له بذلك الفضل في خطبة كتابه [ملاك التأويل]^{٢٩٤}، وهذا يدل على أن ما ذهب إليه مصطفى أيدين في تأويل معنى [درة التنزيل] قد جانبه الصواب، إذ لا يوجد كتب أخرى في هذا الفن حتى يكون بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرّة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ.

٣ . ٤ - أما إسناد [غرة] إلى [التأويل] فقد أصاب أيدين الحق حين قال: "ولا يراد من التأويل

^{٢٩٢} المصدر السابق، ج ١، ص ٩٢.

^{٢٩٣} الخطيب الإسكافي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، درة التنزيل وغرة التأويل، - نسخة غير محققة - برواية أبي الفرج الأروستاني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٣

^{٢٩٤} الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ملاك التأويل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٨.

هنا المعنى العام من التأويل، إنما يراد به ضرب معين من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظاً. والله أعلم^{٢٩٥} ويؤيد ذلك المعنى اللغوي لـ [غرة] إذ أن " غُرَّة كلِّ شيء أفضله وأكرمه"^{٢٩٦} فليس المقصود التأويل الظاهر من اللفظ، بل إنه تأويل خاص، وسبر للفظ المتشابه، وما يحيط به من ألفاظ ومعان وأجواء.

٤ - [درة التنزيل وغرة التأويل] الكتاب الإمام في توجيه المتشابه اللفظي

إني ليطيب لي أن أطلق على كتاب الإسكافي لقب [الكتاب الإمام في توجيه المتشابه اللفظي]، وإنه بحق جدير كل الجدارة بهذا اللقب، ومن شاء أن يستوثق فليُنظر في مصنفات توجيه المتشابه اللفظي اللاحقة بكتاب الإسكافي، وقد قلتُ اللاحقة، ولم أقل السابقة واللاحقة؛ إذ لم يكن هناك من سبق الإسكافي بالتصنيف في توجيه المتشابه اللفظي، وقد جعلت كتاب الإسكافي [الإمام في توجيه المتشابه اللفظي] لأسباب منها ما يلي:

٤ . ١ - [درة التنزيل وغرة التأويل] أول كتاب صُنّف في علم توجيه المتشابه اللفظي، وقَعَدَ له، ووضع أُسسَه، ولم أجد أحداً من العلماء أو الباحثين ذكر ما يخالف ذلك، بل إن
الجميع ينسبون ذلك الفضل لصاحب الدرّة^{٢٩٧}.

٤ . ٢ - رسم هذا الكتاب الخطوط العريضة لعلم توجيه المتشابه اللفظي، وسنّ منهجا صار إماما اقتدي به كل من أتى بعده وتأسّى، قال الغرناطي مصدقا على قول الإسكافي أنه أول من قرع باب هذا الفن "صدق - رحمه الله - وأحسن فيما سلك وسنّ، وحقّ لنا أن نفتدي به ونستن"^{٢٩٨}.

٤ . ٣ - لا أبالغ إذا قلت أن كل مصنفات توجيه المتشابه اللفظي التي لحقت بـ [درة التنزيل وغرة

^{٢٩٥} الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج ١، ص ٩٢.

^{٢٩٦} مختار الصحاح، ص ٤٨٨.

^{٢٩٧} أقر بذلك الغرناطي، والكرماني، وابن جماعة، والأنصاري في مقدمات كتبهم على الترتيب [ملاك التأويل، البرهان، كشف المعاني، فتح الرحمن].

^{٢٩٨} الغرناطي، ملك التأويل، تحقيق، عبد الغني الفاسي، ج ١، ص ٨.

التأويل] تأثرت به، ونقلت عنه، ولسنا في حاجة لتأكيد ذلك؛ فقد أقر بذلك القاصي والداني ممن تَحَشَّم النظر والبحث في المتشابه اللفظي ومصنفاته، "فمن يطالع كتاب درة التنزيل ويتأمل الآيات التي تناولها الإسكافي بالدراسة والبحث ثم ينظر إلى مواضعها في كتب المتشابه التي أُلْفَتْ بعده يجد تأثير الكتاب واضحاً، إما بنقل التوجيه بِرُمَّتِهِ أو بنقل المعنى والتصرف في اللفظ، بل هناك إجماع بين علماء المتشابه في كثير من المواضع على ما ذكره الإسكافي "٢٩٩، ف " من جاء بعده ممن أُلْفَ في هذا النوع من أنواع التفسير هم عيال عليه"٣٠٠، وإن المطلع على المصنفات التي تبعت الإسكافي سيجد أنهم "يسرون على خطاه، ويقتدون به، وهم ينقلون عنه غالباً، وكأن كتاب الدرّة كان بين أيديهم، سواء نسبوا إليه أم لم ينسبوا"٣٠١

٢٩٩ الشثري، المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية، ص ٢١.

٣٠٠ آيدين، محمد مصطفى، في تحقيقه ل[درة التنزيل وغرة التأويل]، ج ١، ص ٣٤.

٣٠١ لبيب صالح، ٢٠٠٨م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، بحث دكتوراه، جامعة ملابا، أكاديمية الدراسات الإسلامية،

ص ٤١.

المطلب الثالث: أهداف الإسكافي من كتابه وخصائص أسلوبه ومنهجه:

أولاً: أهداف الإسكافي من الكتاب:

سعى الخطيب إلى خدمة كتاب الله من خلال الرمي إلى هدفين جليلين، كشف عنهما في خطبة كتابه، وهما:

١- كَشَفُ غُمُوضِ وَأَسْرَارِ تَكَرُّرِ الْآيَاتِ وَرَفْعِ اللَّبْسِ عَنْهَا قَالَ: "تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة بالكلمات المتفككة والمختلفة، وحروفها المنغلقة والمنحرفة، تطلبها لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها دون إشكالها"^{٣٠٢}.

٢- الرد على طعن الجاحدين والملحددين، قال: "ولطعن الجاحدين رداً، ولمسلك الملحددين سدا"^{٣٠٣}.

ثانياً: خصائص أسلوب الإسكافي ومنهجه في كتابه:

١- لقد سلك الخطيب مسلكاً بديعاً في تناول كتابه، فصار منهجه إماماً لمن خاض غمار هذا العلم من بعده، وتلخص خصائص أسلوبه ومنهجه فيما يلي: تبع الإسكافي منهج المفسرين في الالتزام بترتيب السور في المصحف، والالتزام بترتيب الآيات داخل السورة، فبدأ بالبقرة، ثم تتبع آياتها - آية آية - التي تكرر لفظها في السورة ذاتها، ثم في السور المتأخرة بحسب الترتيب، فلما انتهى من البقرة نئى بال عمران، فالنساء، فما يليها، وقد يفوته بعض الآيات في السور المتقدمة فيستدرك على نفسه فيما يناظرها من الآيات التي تشابهها في السور المتأخرة، ويشير إلى ذلك^{٣٠٤} - وقد لا يشير^{٣٠٥} - ومن ذلك الذي أشار إلى أن حقه التقديم، حين تناول

^{٣٠٢} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٣.

^{٣٠٣} المصدر السابق، ص ٣.

^{٣٠٤} وإشارته إلى ذلك صريحة، وبدا ذلك في تناوله لسورة يوسف في الآية الرابعة، حيث جمع إليها آية الأعراف ١٦٩، وقال وكان حق هذه الآية أن تذكر هناك (١٠٩)، ومن ذلك في سورة الفرقان (ص ١٨١) قال وكان حكم هذه الآية أن تذكر هناك، ومثله في سورة الأنبياء (ص ١٨٣)، وفي سورة سبأ (ص ٢١٥)، وفي سورة الملائكة (ص ٢١٧).

^{٣٠٥} مثل الآية الثالثة من سورة فصلت: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) فصلت، فقد جمع إليها آية الأعراف:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٥) الأعراف، - والأعراف متقدمة على فصلت في الترتيب، وقد ورد ذلك في

قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ ﴾ (المؤمنون ٢٧)، قال: "وقال في سورة هود وكان حق ذلك أن يذكر هناك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ ﴾ (هود ٤٠) ٣٠٦" (هود ٤٠)

٢- اعتمد الخطيب الإسكافي منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظاً، حيث يحلل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات بنظرة فاحصة معجمياً، وصرفياً، ونحوياً، وبلاغياً، ثم يعقد مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحياناً منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار منزل كل آية، وأنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

٣- اعتمد الخطيب أسلوب المناقشة ومخاطبة القارئ، كأنه عَلِمَ أثر هذا الأسلوب في الأخذ بلبِّ و نفس القارئ، ولعله تأثر بمنهج رسول الله ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم، فاسمع للخطيب يقول: " فاعلموا حملة الكتاب المتين ... فإذا عرفتم ما نَحُونَا إِلَيْهِ مِنْ سُنَنِ الْأَثَارِ أَمْنَتُمْ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ مَخُوفَ الْعِثَارِ، ثُمَّ تَطْلَعُونَ ... وَتَحْتَقِرُونَ وَتَرُونَ ٣٠٧" وما أكثر قوله: " وللسائل أن يسأل فيقول.. ٣٠٨" وتأمل قوله: "فكأنك قلت ... وكذلك تقول... ٣٠٩".

الكتاب (ص ٢٣٧)، ومن ذلك الآية الخامسة من سورة فصلت جمع إليه الآية ١٠ من هود (ص ٢٣٩)، ومنه الآية الأولى من سورة الزخرف جمع إليه الآية ٥٠ من سورة الشعراء (ص ٢٤٥)، والآية الثالثة من سورة الجاثية جمع إليه الآية ٩٣ من سورة يونس (ص ٢٤٩)، والآية الثانية من سورة الفتح جمع إليه الآية ١٧ من المائدة، وغيره.

٣٠٦ الإسكافي، درة التنزيل، ص ١٧٥.

٣٠٧ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٣.

٣٠٨ المصدر السابق ص ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، وغيرها.

٣٠٩ المصدر السابق ص ١٦.

٤- أحيانا يعتمد على اللفظ -واللفظ وحده- معجميا وصرفيا وتركيبيا نحويا وبلاغيا في بيان أسباب التفاوت بين آيات تشابه لفظها، أي أنه في بعض المواضع يترك الخوض في المعنى، ويقف عند حد بيان الاختلافات اللفظية مبيّنا أن سبب هذا الاختلاف لفظي متجاهلا الخوض في المعاني، ومن ذلك مثلا: الآية الثامنة من سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل ٧٢)، فقد جمع إليه قول الله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت ٦٧)، ثم تساءل عن وجه الحكمة من زيادة ﴿ هُمْ ﴾ في آية النحل وخلو آية العنكبوت منها، ثم قال: "والجواب أن يقال: إن الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم وهو قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (النحل ٧٢)، ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل ٧٢)، فأكد الكلام بقوله ﴿ هُمْ ﴾ لتلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخلط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أنى عما يحصره للخبر دون غيره وهو قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (العنكبوت ٦٥-٦٧)، فتزادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر وذلك واضح لمن تدبره" ٣١٠.

٣١٠ الإسكافي، درة التنزيل، ص ١٥٠-١٥١/ ومن ذلك أيضا الآية الخامسة عشرة من سورة البقرة ص ٢٢-٢٣/ والآية التاسعة من سورة الأنعام ص ٦٧-٦٨/ والآية

٥- وكثيرا ما يعتمد على السياق الذي وقعت فيه الآية والمعاني التي حولها - دون الالتفات إلى اللفظ - في بيان أسباب التفاوت بين آيات تشابه لفظها ومن ذلك مثلا: الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام ١١٢)، فقد تساءل هنا عن سبب استعمال لفظ الربوبية في هذه الآية واستعمال لفظ الألوهية في آية الأنعام بعدها: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام ١٣٧)، قال الخطيب: "والجواب أن يقال: إن الأولى قبلها: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام ١١٢)، أي: كان للأنبياء قبلك أذى من قبل العدو من الإنس والجن، ولو شاء من ربك وقام بمصالحك لأجأهم إلى موافقتك وترك مخالفتك، وإن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك وأن يظفروا بمرادهم من عداوتك، فقد تضمن قوله ﴿ رَبُّكَ ﴾ هذا المعنى.. وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ جاء بعد قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ (الأنعام ١٣٦)، فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحق إفراده بالعبادة شريكا، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي ولو شاء من نعمته عليهم توجب التأله له أن لا ^{٣١١} يعبدوا سواء ما تمكنوا من فعله ، فهذا موضع لم يلقَ به إلا الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء فأفاد كل اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن ليستفاد بغيره" ^{٣١٢}.

٦- يغلب على منهج الإسكافي في تناوله للمتشابه اللفظي في القرآن أن يجمع بين النظر في البناء

العاشرة من سورة هود ص ١٢٦-١٢٧

^{٣١١} وردت هكذا في الطبعة التي بين يدي دون إدغام النون في اللام.

^{٣١٢} الإسكافي ، درة التنزيل ، ص ٦٩ / ومن ذلك أيضا : الآية الرابعة من سورة المائدة ص ٥٠ / الآية السادسة من سورة الأنعام ص ٥٢ .

اللفظي للآية معجميا وصرفيا ونحويا وبلاغيا والنظر في السياق الذي دارت فيه، وهذا هو الأكثر الغالب في منهج الإسكافي في اجتهاده في الوقوف على أسرار المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأمثلة ذلك في الكتاب عديدة بما يُغنيننا عن التمثيل له هنا.

٧- لم يتناول الخطيب الحروف المقطعة أول السور بالبحث والنظر في كتابه؛ وذلك لأنه رأى أن هذه الحروف جديدة بأن يُفرد لها كتاب خاص، قال في آخر خطبة الكتاب: " ثم اعلموا أن الأحسن والأولى أن تكون المسألة الأولى من هذا الكتاب مسألة من الحروف المقطعة؛ لأن الأسئلة عليها متفرعة، لكني قد أفردت لها كتابا مفردا،... والأسئلة عليها تَرَبُّوا على مائة، والأجوبة عنها تغني عن فئة، فأردت أن تكون مميزة عن أخواتها، مخرصة من الآفة تخلص التمرة من نواتها"^{٣١٣}.

٨- قد يتناول الخطيب - وهذا قليل - الآية أو الآيات لا يشابهها لفظ آية أخرى بالبحث والنظر في معانيها وتأويلها وبيان أسرارها وذلك لِرَدِّ شُبْهَةٍ ما حولها، كالأية الأولى من سورة فصلت ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٣﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿١٤﴾ ﴾ (فصلت ٩-١٢)، فقد ناقش الإسكافي في هذه الآيات ما يُوهِمُ التضارب في عدد الأيام التي خُلِقَتْ فيها السموات والأرض؛ حيث إن جملة الأيام المذكورة في الآيات السابقة ثمانية، في حين ورد في آيات كثيرة من القرآن أن الله -عز وجل- خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

^{٣١٣} المصدر السابق، ص ٤.

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿ (الأعراف ٥٤) ٣١٤، فناقش الخطيب أقوال المفسرين، ثم فندَّ وحَقَّق الألفاظ والمعاني في الآيات حتى أُجِّلَى - رحمه الله - الشبهة وأزالها ٣١٥.

٩- قد يتناول آيات ما، يجمعها موضوع واحد، أو تشترك وتتشابه في المعنى وتختلف في الخواتيم، أي أنه رأى أن الموضوع واحد، والمعنى واحد، ولكن الفواصل اختلفت، فتناول هذه الآيات بالبحث والنظر في أسباب وأسرار اختلاف الفواصل، فمن ذلك ما جاء في المسألة الثانية من سورة النمل الآيات (٥٩-٦٤) قال: "للسائل أن يسأل عما حُتِّمَتْ به هذه الآيات بعد قوله: ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ﴾ وهل تقدم ما يوجب اختصاص ذلك به دون غيره" ٣١٦

١٠- قد يوجد للآية عدد من النظائر المشابهة لها لفظاً، فيتناول بعضها، ويترك البعض، ولا يشير إلى الآيات التي لم يتناولها، من ذلك ٣١٧ مثلاً الآية الخامسة من سورة الأنعام ٣١٨ قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام ٢١)، ذكر معها آية يونس ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس ١٧)، وترك موضعين آخرين الأول: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (الأعراف ٣٧)، وقريب منه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

٣١٤ كما ورد ذلك في الآيات التالية: [يونس ٣، هود ٧٥، الفرقان ٩٥، السجدة ٤، ق ٣٨، الحديد ٤].

٣١٥ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢٣٥-٢٣٦، ومثل ذلك أيضاً الآية الأولى من سورة السجدة ص ٢١١.

٣١٦ المصدر السابق، ص ١٨٨.

٣١٧ ومن ذلك الآية الثالثة عشرة من سورة الأنعام قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١١٧)، ذكر معها آية القلم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القلم ٧)، وترك موضعين آخرين، الأول: في سورة النحل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل ١٢٥)، والآخر في النجم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴾ (النجم ٣٠)، وغير ذلك أكثر.

٣١٨ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٦١

أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ^ع أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

(العنكبوت ٦٨).

١١ - من الواضح أن الخطيب - رحمه الله - لم يرم ولم يسع إلى الإحاطة بكل مواطن التشابه اللفظي في القرآن، فعدد الآيات التي تناولها يدل دلالة بارزة على ذلك؛ إذ إنه لم يتناول إلا "٢٧٤ آية فقط كأصول من غير أن يلحق بها في العد ما يشبهها من الآيات"^{٣١٩} وهذا قليل بالمقارنة مع مواطن التشابه اللفظي في القرآن التي تقترب من ألفي موضع "فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما قد يصل أحياناً حد التطابق أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر"^{٣٢٠}، أضف إلى ذلك أن هناك مواضع تشابه لفظي كثيرة بارزة لم يتناولها الإسكافي، ومن غير المعقول أنه غفل عنها، إذا أنه التفت إلى ما دونها فكيف غفل عنها؟! وإنما يمكننا القول أن الخطيب اجتهد وبذل قصارى جهده - وبحسبه فضلاً وسبقاً - في آيات بعينها اختارها لبيان أسرارها، ولرد طعن الطاعنين، ودفع شبهة المُلبِّسين.

١٢ - مرَّ الخطيب بكثير من السور ولم يقف فيها على أي من آيات تتشابه مع غيرها

لفظاً، أو وجد فيها المتشابه ولكن قد مرَّ ذكره فيما سبقها من سور، فتجده أحياناً يقول حين يمر بسورة ما: "ليس فيها شيء من ذلك"^{٣٢١}، وقد تجده يقول: "ما فيها قد تقدم ذكره في سورة..."^{٣٢٢} ويسمي السورة، أو يقول: "فيما قبلها"^{٣٢٣}، أو يقول: "في غيرها"^{٣٢٤}، أو يقول: "ليس فيها إلا ما ذكرناه"^{٣٢٥} أو يقول: "قد تقدم

^{٣١٩} آيدين، مصطفى، تحقيق درة التنزيل، ج ١، ص ١٣٨، وقد ذكرالمشرف العام على ملتقى أهل التفسير وعلوم القرآن الدكتور عبد الرحمن الشهري أنها ٢٧٣ آية راجع:

<http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=4625> ، ٢٠١٠/٠١/١٩

^{٣٢٠} عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ص ١٥، ويمكن تصفحه في: <http://bookstree.com/books/6/6.htm>

^{٣٢١} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢١٥، وقال ذلك حين مر به [الأحزاب، الدخان، محمد، الحجرات، الجن، المزمل، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر].

^{٣٢٢} المصدر السابق، ص ٢٧٨، وقال ذلك حين مر به [الجمعة، التحريم].

^{٣٢٣} المصدر السابق، ص ٢٩٧، وقال ذلك حين مر به [عبس، والإنفطار].

^{٣٢٤} المصدر السابق، ص ٢٥١، وقال ذلك حين مر بسورة الأحقاف.

^{٣٢٥} المصدر السابق، ص ٣٠٢، وقال ذلك حين مر بسورة البروج.

ما فيها^{٣٢٦} دون أن يسمى السورة في كل ذلك، وقد نجد على السورة ويتركها ولا يشير إليها^{٣٢٧}.

ولا يمكننا أن نُسلّم للخطيب ما ذهب إليه من خُلُو هذه السور من المتشابه، ولا نُسلّم له بالقدر الذي وقف عليه من مواطن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فإن من جاءوا بعده قد زادوا على ما وقف عليه زيادات كثيرة، فإن كان الخطيب ناقش بضعا وسبعين ومائتي موضع تشابه لفظي في القرآن، فإن هناك ما يقرب من ألفي موضع تشابه في القرآن كما أشار صاحب القواعد الذهبية.

١٣ - وكان للشثري في بحثه للدكتوراه رؤية متميزة لخصائص منهج وأسلوب الإسكافي في كتابه ورأيت أن أعرض بعضها هنا في إيجاز مع تصرف مني، فمما رآه الشثري:

١٣ . ١ - قد لاحظ ورأى أن الإسكافي حين يتناول توجيه آيتين متشابهتين فإنه يعتمد أمرين في كل مسألة يتناولها:

الأمر الأول: عناية الخطيب الإسكافي في البحث عن الدلالة المعنوية في توجيه الآيتين المتشابهتين أو الآيات المتشابهات في كل موضع يقوم بتوجيهه، فيوضح مثلا سر التعبير بصيغة المضارع في آية، وسر التعبير في الآية الأخرى المشابهة بالماضي، ومثل ذلك التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والإفراد والجمع، والذكر والحذف، والتذكير والتأنيث، والفصل والوصل.

الأمر الثاني : عناية الخطيب بإبراز مطابقة الكلمة في السياق الذي وردت فيه الآيات المتشابهة، فنراه كثيرا ما يعود بنا إلى أول الآية التي هي محل البحث، أو الآية التي قبلها على حسب ما يراه في كل موضع، فيذكر مثلا أن سبب ذكر هذه اللفظة في الآية من تعريف وتنكير أو تقديم وتأخير أو إفراد وجمع وهكذا .. وكثيرا ما يجمع بين المناسبتين المعنوية واللفظية.

^{٣٢٦} المصدر السابق، ص ٣٠٤، وقال ذلك حين مر بسورة التين.

^{٣٢٧} حيث لم يشر إلى السور الآتية [الشمس، الليل، الضحى، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، العصر، الحمزة، الغيل، قريش، الماعون، الكوثر، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق].

١٣ . ٢- التميز والإبداع : ويظهر ذلك في :

أولاً: الجدة في اختيار الموضوع، فالكتاب - بإجماع - أول كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

ثانياً: الجدة في تناول المسائل سواء من حيث ترتيب الآيات ... أو طريقته في توجيه كل مسألة حتى أصبح الكتاب كأنه مقسم إلى فصول كل فصل يحتوي على مباحث، فكل آية تعد مبحثاً مستقلاً.

ثالثاً : الأسلوب المتميز الذي صاغ به كتابه: فقد كان للغة الخطيب الإسكافي في كتابه مذاق خاص .. فقد اتخذ الأسلوب العلمي الأدبي حيث نرى جودة العبارة وحسن الصياغة^{٣٢٨}

وقبل أن أترك الإسكافي - إلى حين - أود أن أعبر عن أسفي وحسرتي؛ إذ لم يكن لهذا العلامة - الخطيب الإسكافي - تلاميذ يحملون ميراثه على كواهلهم، ويرفعون البناء الذي أسس له، ويا أسفا حتى يومنا هذا لم يجد هذا العلم من ينتصب به قائماً، يكشف عنه حُجُبِهِ، ويرفع عنه أَسْتَارَهُ، ولا أدري أكان ذلك تقصيراً وعجزاً من العلماء الأعلام، أم أن ذلك الكتاب العزيز القرآن الكريم قد ضنَّ عنهم، وأعرض، فلم يكشف لهم تلك الحجب، ولم يُتَّح لأحدهم القدرة على رفع الستور عنه.

^{٣٢٨} الشري، المتشابه اللفظي وأسواره البلاغية، موجز للصفحات (٢٩ - ٤١).

المبحث الثاني:

الكرماني ومنهجه في البرهان

المطلب الأول: نسب الكرماني وفضله

إنه لما يؤسف له أن تفقد المكتبة العربية الزاخرة السير الذاتية لأعلام ذوي شأن عظيم من مثل الإسكافي والكرماني؛ فنطوف في الكتب وندور، فلا نجد فيها ما يشفي غلتنا من سيرة هؤلاء، ولا نجد بين أيدينا إلا الكتب والآثار القليلة التي تركوها، نحاول أن نقف منها على شيء من خصال وفضائل هؤلاء الأعلام.

فهذا الكرماني شق علينا أن نقف على شيء من سيرته أكثر مما ذكره ياقوت الحموي في معجمه، فإذا نظرنا في كتب الأعلام الأخرى وجدنا أنها تنقل كلام الحموي بنصه، فليس لديهم جديد عن الكرماني.

أما مولده فلم يعرف متى ولد، وأما وفاته فلم يثبت لدى أحد سنة وفاته، وكان أقصى ما وقف عليه الحموي هو أنه توفي بعد الخمسمائة من الهجرة^{٣٢٩}، وعلى صفحة الغلاف الخارجي لتحقيق عبد القادر عطا أنه توفي ٥٠٥ هـ، وعلى الغلاف الداخلي لتحقيق السيد الجميلي أنه توفي سنة ٥٠٥ هـ تقريبا، فزاد كلمة [تقريبا] لشكه.

ولنسمع ماذا قال عنه الحموي: "محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي هو تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف^{٣٣٠} والفضل، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه، ولا رحل^{٣٣١}"
وذهب محقق كتابه عبد القادر عطا إلى أنه لم يشتهر بين المؤلفين إذ قال: "ويبدو أن ملازمته لوطنه [كرمان] وعدم رحلته في طلب العلم لم يدع له شهرة بين مؤلفي الطبقات حتى جهلت سنة ميلاده وسنة وفاته^{٣٣٢}".

^{٣٢٩} ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، معجم الأدباء، بيروت، ج ٥، ص ٤٨٨

^{٣٣٠} من مصنفاته التي ذكرها الحموي: لباب التفسير، والإيجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني، الإفادة في

النحو، موانع الصرف. المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٨٨

^{٣٣١} ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بيروت، ج ٥، ص ٤٨٨

ولا أتفق مع عطا فيما ذهب إليه، إذ كيف لم يشتهر، ويلقب بـ [تاج القراء]؟! فلو لا شهرته الواسعة وتفوقه على أقرانه ما لقب بهذا اللقب، إذ أني أميل إلى أن الكرمانى اشتهر في زمانه حتى لقب بـ [تاج القراء]، ونلاحظ من سنة وفاة ياقوت الحموي أنه كان قريب العهد بالكرمانى، فلو افترضنا أن عمر ياقوت كان ستين سنة فقط، فإن ما يفصل بينه وبين الكرمانى حوالي ستون سنة تقريبا، ويبدو أن سيرة الكرمانى وشهرته ما زالتا قائمتين حتى زمان وحياة الحموي، يدل على ذلك قول الحموي السابق: "أحد العلماء الفقهاء النبلاء، ... كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط" ويدل على ذلك أنه عَلِمَ أن الكرمانى لم يرحل عن بلده [كرمان].

فيبدو جلياً أن الكرمانى - رحمه الله - قد بلغ مبلغاً عظيماً من العلم، رفعه فوق أقرانه الذين ارتضوا بأن يلقب دوهم بـ [تاج القراء]، وأن شهرته امتدت زمناً بعد وفاته، أما كتابه [البرهان] فكفى به دليلاً على علمه وفضله.

ولو أردنا أن نقف على مكانته العلمية وفضله فيكفينا أن نقف على لقبه [تاج القراء] الذي لم أجد أحداً أُطِيقَ عليه هذا اللقب قبله أو أحداً بعده، ومن المؤكد أنه لم يُسَمَّ نفسه بهذا الاسم، ولم يُطِيقَ على نفسه هذا اللقب، إذ لو فعل فما أظن أن يُقْبَلَ منه، فلا بد أن عَلِمَهُ وَعَمَلَهُ هما اللذان أَهَّلَاهُ لدى من حوله من العلماء والناس لأن يحظى بهذا اللقب دون غيره من العلماء، ويبدو أنه - رحمه الله - كان من العلماء العاملين؛ إذ أن اللقب يدل على ذلك دلالة يقينية، فكيف يصبح [تاجاً للقراء] إن لم يكن هو أقرأهم لكتاب الله؟! - ليس هذا وحسب - بل لا بد أنه كان أعظمهم علماً وعملاً، فبال ذلك شرف هذا اللقب.

^{٣٢٢} الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، البرهان في متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٢

المطلب الثاني: الدراسات التي عقدت حول كتاب البرهان:

- لقد وجدتُ لهذا الكتاب أربع دراسات، ثلاثة تحقيقات، وبحث ماجستير، وهي كما يلي:
- ١- تحقيق ودراسة عبد القادر عطا، وقد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ووقعت في خمس ومائتين صفحة. وبين يدي الباحث نسخة منه.
 - ٢- تحقيق الدكتور السيد الجميلي، وقد طبعه مركز الكتاب للنشر بالقاهرة، مصر، ولا يوجد على الكتاب سنة الطبع، لكن يبدو أنه كان سنة ١٩٩٤م؛ وقد نشر هذا التحقيق في مجلة الأزهر قبل طبعه كتاباً؛ يثبت ذلك التصريح الذي منحه مدير مجلة الأزهر الدكتور علي أحمد الخطيب للكاتب قائلاً: "فنفيد سيادتكم علماً بأن تحقيقكم الذي تفضلتم بإرساله إلى المجلة لنشره هدية بمجلة الأزهر، وهو التحقيق الذي قمتم به لكتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن] والذي تم نشره فعلاً، وإدارة المجلة يسرها أن تبلغكم بتصريحها لكم بإعادة طبعته ونشره وتوزيعه لحسابكم الخاص.. "وقد ذيل التصريح بتاريخ ١٢ من صفر ١٤١٥هـ - ٢١ / ٧ / ١٩٩٤م.
 - ٣- تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف، أشار إليه الدكتور محمد الصامل في تعليقه على كتاب [البرهان] ووصفه بأنه أفضل من تحقيق عبد القادر عطا^{٣٣٣}.
 - ٤- رسالة ماجستير في كلية أصول الدين للشيخ ناصر بن سليمان العمر، أشار إليها الدكتور محمد الصامل، ولم يذكر في أي جامعة، ولا تاريخها^{٣٣٤}، وأخبرني د. أحمد حسن فرحات أنها كانت في جامعة الإمام سنة ١٩٨٣م.

^{٣٣٣} الصامل، محمد بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ص ٢١

^{٣٣٤} المصدر السابق، ص ٢١

المطلب الثالث: كتاب البرهان وخصائص منهجه:

يُعدُّ كتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان] الكتاب الثاني من الكتب المعتمدة في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] فلم يسبقه في ذلك غير الخطيب الإسكافي - رحمه الله - إذ أن الذين اشتغلوا ب [علم المتشابه اللفظي] قبلهما اشتغلوا بالجمع فقط دون التوجيه، وعن ذلك قال الكرمانى في خطبة كتابه: "ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه؛ فإن الأئمة - رحمهم الله تعالى - قد شرعوا في تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها، والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه"^{٣٣٥}

وقد ذكر الكرمانى أنه قد وقف على كتاب الإسكافي [درة التنزيل وغرة التأويل]، ونقل عنه، قال: "وقد قال أبو مسلم^{٣٣٦} في تفسيره، عن أبي عبد الله الخطيب في تفسيره كلمات معدودات منها، أنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها"^{٣٣٧}.

وقد اجتهدتُ في النظر والبحث والتأمل في كتاب [البرهان] لاستخلاص خصائص أسلوب الكرمانى ومنهجه في كتابه فوقفتُ على ما يلي:

١ - تابع الكرمانى منهج الإسكافي في أمرين بارزين:

الأول: الهدف من الكتاب، قال رحمه الله في خطبة كتابه: "فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه

^{٣٣٥} الكرمانى، البرهان، تحقيق الجميلي، ص ١٢

^{٣٣٦} ذكر عبد القادر عطا أنه محمد بن محمد علي بن الحسين بن مهرايزد النحوي الأديب المفسر المعتزلي، انظر تحقيق عبد القادر عطا للبرهان ص ٢٠.

^{٣٣٧} الكرمانى، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ١٢.

السورة مكان ما في السورة الأخرى التي تشاكلها أم لا، ليجري ذلك مجرى علامات
تزييل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن اشتغل بتفسيرها وتأويلها^{٣٣٨}

الثاني: منهج الكتاب، والتي التزم فيه الإسكافي منهج المفسرين في تناولهم لسور القرآن
حسب

ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة
فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظاً، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها
في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة
انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار الكرمانى على درب الإسكافي في هذا المنهج.

٢- ابتكر الكرمانى منهجا جديدا كان هو الغالب في تناول مسائل الآيات المتشابهات،
فاختلف

عن منهج أستاذه الإسكافي، فقد كان الإسكافي يستعرض الآيات المتشابهات ويقف
عند بضع مسائل في موطن التشابه، فيسوق المسائل جملة واحدة ثم يقوم بتوجيهها
مسألة مسألة، أما الكرمانى فلم يتناول الآية الأم ونظيرتها المشابهة لها ككل متكامل،
بل تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فكان منهجه التجزيء، فجعل لكل
مقطع من الآية مسألة، لهذا السبب كثرت مسائل الكرمانى في كتابه.

٣- ترك أسلوب الخطاب والمناقشة الذي اعتمده الخطيب الإسكافي في الدرّة، والذي اعتمده
أكثر من صنف في هذا العلم، وعمد إلى أقل الكلام، فيأخذ بيد القارئ مباشرة إلى
الهدف من أقصر الطرق^{٣٣٩}، إلا أن ذلك كان - أحيانا - سببا في عدم وضوح
الرؤية، فانتهاجه الإيجاز الشديد في تأويله لأسباب وأسرار التشابه بين الآيات -
وهذه خصلة عامة في كتابه - أوقعه أحيانا في الغموض واللّبس على القارئ، ومن
ذلك المسألة رقم ٢٩ في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾

^{٣٣٨} المصدر السابق، ص ١١-١٢

^{٣٣٩} اسمع إليه في المسألة ٤٨ في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا﴾ (البقرة ٢٥٣)، قال: "كرر هنا تأكيدا، وقيل ليس بتكرار، لأن الأول للجماعة
والثاني للمؤمنين، وقيل كسر تكديبا لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى" الكرمانى، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٣١.

(البقرة ١٦٠)، قال: "ليس في هذه ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ (آل عمران ٨٩) ^{٣٤٠} لأن قبله هنا

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة ١٩٠)، فلو أعاد التيس ^{٣٤١}

٤ - اعتمد الكرمانى في بيانه لأسرار التشابه اللفظى بين الآيات المتشابهات على ثلاثة عناصر،

كانت هي نفسها عمدة الخطيب في كتابه الدرّة وهي:

الأول: اللغة - واللغة فقط - معجميا و صرفيا ونحويا وبلاغيا، ومثال ذلك: ما تناوله في المسألة رقم ١١٢ في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام ١١٧)، قال الكرمانى: "وفي [ن والقلم] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (القلم ٧)، بزيادة الباء ولفظ الماضي؛ لأن الماضي لا يعمل في المفعول به، فنوى بالباء، وحيث أضمّر فعل يعمل فيما بعده ^{٣٤٢} وخصت هذه السورة بالحذف موافقة لقوله: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (الأنعام ١٢٤)، وعدل هنا إلى لفظ المستقبل؛ لأن الباء لما حذف التيس اللفظ بالإضافة - تعالى الله عن ذلك - فنبه بلفظ المستقبل على قطع الإضافة.... فتنبه فإنه من أسرار القرآن لأنه لو قال: أعلم من ضل بدون الباء مع الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين ^{٣٤٣}

^{٣٤٠} يقصد أنه لم يرد في آية البقرة السابقة قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾، وقد وردت في آية آل عمران: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران ٨٩)، والسبب كما ذكر أن آية البقرة سبقها: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة ١٥٩)، ولو أعاد: ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ وقع لبس، وجدير بالذكر أن آية آل عمران تلك قد وردت بنصها ذلك دوغما تغير في سورة النور: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور ٥). ولم يشر الكرمانى إلى ذلك.

^{٣٤١} الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٢٦.

^{٣٤٢} لعل هنا شيء من الغموض، أزاحه وكشف عنه الأنصاري - رحمه الله - قال: بزيادة الباء وبالماضي عملا بزيادة الباء في مفعول [اعلم] تقوية له لضعفه كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١١٧)، وقوله: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴾ (النجم ٣٠)، وعملا في الماضي بكثرة الاستعمال في قوهم [اعلم] بمن دب ودرج] وحيث حذف الباء أضمّر فعل من مادة علم يعمل في المفعول لضعف [اعلم] عن العمل بلا تقوية وتقديره في الآية يعلم من يضل. انظر: زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ط ١، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ٩٦.

^{٣٤٣} الكرمانى، تحقيق الجميلي، ص ٥٤. علما أن هناك آيتين أخريين غير آية القلم قد شابهتا آية الأنعام لم يشر إليهما الكرمانى، وهما: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴾ (النحل ١٢٥)، و﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴾ (النجم ٣٠).

الثاني: السياق والمعاني التي تطوف حول الآية - وهذا كثير - ومثال ذلك: ما جاء في المسألة

رقم ٥٠ في قول الله تعالى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ (البقرة ٢٨٤)، قال الكرمانى: ﴿ فَيَغْفِرُ ﴾ مقدم في هذه السورة وغيرها إلا المائدة فإن فيها: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (المائدة ٤٠)؛ لأنها نزلت بعدها في حق السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب، وفي غيرها قدم لفظ [المغفرة] رحمة منه تعالى، وترغيباً للعباد في المسارعة إلى مرضاته وطلب المغفرة.^{٣٤٤}

الثالث: اللغة والسياق معاً، وهذا هو الأكثر الغالب في الكتاب.

٥- قد ينقل رأي غيره ولا يُدلي بدلوّه، من ذلك مثلاً: ما جاء في المسألة رقم ٤٢: حيث ذكر الآية الأم من سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة ٢١٤)، وما شابهها - آيتان - الأولى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢)، والثانية: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ (التوبة ١٦)، ثم قال: "الخطيب أطنب في هذه الآيات، ومحصول كلامه أن الأول للنبي والمؤمنين، والثاني للمؤمنين، والثالث للمخاطبين جميعاً"^{٣٤٥}.

٦- قد يتناول الآية مفردة دون مشابه لها، يؤولها ويبين أسرارها، ومن ذلك: ما جاء في

^{٣٤٤} الكرمانى، البرهان، تحقيق الجميلي، ص ٣٢.

^{٣٤٥} المصدر السابق، ص ٢٩.

المسألة رقم ٢٢٠، "قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف ٦)، ليس في القرآن غيره، أي: عليم عَلَّمَكَ تأويل الأحاديث، وحكيم باجْتِبَائِكَ للرسالة^{٣٤٦}، وفي مثل هذا يقول "ليس في القرآن غيره"^{٣٤٧}، أو يقول: "ليس له في القرآن نظير"^{٣٤٨}.

٧- كما أنه أحيانا يتناول الآيتين المتشابهتين كل منهما على حدة، في منزلها، في سورتها التي

وردت فيها. من ذلك المسألة رقم ١٢٦ من سورة الأعراف، قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ (الأعراف ٣٤)، قال الكرمانى: "بالفاء حيث وقع إلا في [يونس ٤٩] فإنه هنا جملة عطفت على جملة بينهما اتصال وتعقب فكان الموضع موضع الفاء، وما في يونس يأتي في موضعه"^{٣٤٩}. وبالفعل عاد الكرمانى وناقش آية يونس في موضعها من السورة في المسألة رقم ١٩١^{٣٥٠}.

٨- قد يتناول الآية الواحدة مرتين، في موضعين مختلفين، من سورتين مختلفتين، كل منهما في

موضعها من السورة التي وردت فيها، فمن ذلك مثلا المسألة رقم ٢٧٦ في سورة الإسراء: "قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾ (الإسراء ٥٦)، وفي سبأ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (سبأ ٢٢)، لأنه يعود إلى الرب في هذه السورة، وقد تقدم ذكره في الآية الأولى، وهو قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ (الإسراء ٥٥)، وفي سبأ لو ذكر بالكناية لكان يعود إلى الله كما صرح، فعاد إليه، وبينه

^{٣٤٦} المصدر السابق، ص ٨٧.

^{٣٤٧} المصدر السابق، ص ١٥ المسألة رقم ٧ / وص ١٦ المسألة رقم ٨ / ص ٣٩ المسألة رقم ٦٩ .

^{٣٤٨} المصدر السابق، ص ٩٩، المسألة رقم ٢٥٩ / وص ١٢٩، المسألة رقم ٣٣٧ / وص ١٧١، المسألة رقم ٤٦٣.

^{٣٤٩} المصدر السابق ص ٥٩.

^{٣٥٠} المصدر السابق، ص ٨٠.

وبين ذكره -سبحانه- صريحا أربع عشرة آية، فلما طالأت الآيات صرح ولم يُكَنَّ^{٣٥١}.

ثم عاد الكرمانى في سورة سبأ في المسألة رقم ٤٠٧ وقال: "قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (سبأ ٢٢)، وفي [سبحان]: ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾؛ لأنه في هذه السورة اتصلت الآية بآية ليس فيها لفظ الله فكان الصريح أحسن، وفي [سبحان] اتصل بآيتين فيهما بضعة عشر مرة ذكر الله صريحا وكناية، فكانت الكناية أولى، وقد سبق^{٣٥٢}.

وقد نجده يعود إلى الآية مرة أخرى في منزلها من السورة المتأخرة لزيادة ما رآها، ومن ذلك ما جاء في المسألة ٢٣٢ من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَجْوَىٰ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الرعد ٢)، فجمع إليه ﴿كُلُّ نَجْوَىٰ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (لقمان ٢٩)، وقال: "لأنك تقول في الزمان: جرى ليوم كذا، وإلى يوم كذا، والأكثر اللام، كما في هذه السورة وسورة الملائكة، ... أما في [لقمان] فوافق ما قبلها، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (لقمان ٢٢)، والقياس لله، .. وكذلك ﴿كُلُّ نَجْوَىٰ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (لقمان ٢٩)، أي إلى وقته المسمى له^{٣٥٣}.

ثم عاد في سورة لقمان في المسألة ٣٩٤ وتناول الآيتين ذاتهما قائلًا: "وقد سبق شطر من هذا، ونزيده بيانا: أن [إلى] متصل بآخر الكلام، ودال على الانتهاء، و[اللام] متصل بأول الكلام، ودال على الصلة"^{٣٥٤}.

٩- في أكثر من مسألة رأى الكرمانى تساوي لفظين في معنيهما، رغم اختلاف مبنى اللفظين،

^{٣٥١} المصدر السابق، ص ١٠٦.

^{٣٥٢} المصدر السابق، ١٥٢، ومن ذلك المسألة رقم ٣٨٢ من سورة العنكبوت عاد وتناولها في المسألة رقم ٤٠٩ من سورة سبأ / ومنه المسألة ١٩٥ من سورة يونس عاد وتناولها في المسألة رقم ٤٤٩ من سورة غافر.

^{٣٥٣} المصدر السابق، ص ٩٠.

^{٣٥٤} المصدر السابق، ص ١٤٧.

فقد قال في المسألة الثالثة عشر من سورة البقرة في قوله الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ (البقرة ٣٨)، وفي طه ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ﴾ (طه ١٢٣)، قال الكرمانى: "﴿تَبِعَ﴾ و﴿اتَّبَعَ﴾ بمعنى" ٣٥٥.

وقال في المسألة رقم ٣٥٩ من سورة النمل: "﴿نَجَّيْنَا﴾ و﴿أُنَجِّيْنَا﴾ بمعنى واحد" ٣٥٦.

ولا أدري كيف اتفق له ذلك؟! فكيف ولماذا اختلفت المباني إن كان المعنى واحدا؟ والحق أن هذا قول مردود، فقد أفرد الزركشي قسما في كتابه بعنوان [الزيادة في بنية الكلمة] وقال: "واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة" ٣٥٧ وقد أفرد الدوري في كتابه مبحثا بعنوان [افتراق فَعَلٍ، وافتَعَلَ] ٣٥٨، ومبحثا آخر بعنوان [أَفْعَلٌ، وَفَعَّلٌ]، وما أكثر الكتب التي تتناول الفروق اللغوية بين أبنية الألفاظ.

١٠ - مثلما كان من الخطيب الإسكافي - ولعله غفلة أو سهو - فقد يترك أو يغفل عن آية في سورة متقدمة ثم يتناولها مع الآية أو الآيات التي شابهتها في سورة متأخرة، ومن ذلك المسألة رقم ٤٨٧ من سورة [ق] في "قول الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق ٣٩٥)، وفي طه ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه ١٣٠)؛ لأن في هذه السورة راعى الفواصل، وفي طه راعى القياس، لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها" ٣٥٩.

١١ - استدرك الكرمانى على الخطيب الكثير من مواطن المتشابه اللفظي التي لم يقف عليها

٣٥٥ المصدر السابق، ص ١٩

٣٥٦ المصدر السابق، ص ١٣٥

٣٥٧ الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ٣٤

٣٥٨ الدوري، محمد ياس خضر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢١١

٣٥٩ الكرمانى، البرهان، تحقيق الجميلي، ص ١٧٧.

الخطيب، حتى ليكاد لم يترك سورة دون أن يقف فيها على بعض مواطن المتشابه.

١٢- الكرمانى يقول بالتكرار فى القرآن الكريم، أى أنه يرى أن بعض المتشابه اللفظى من التكرار لغرض بلاغى، فلم تحمل الآية المشابهة معنى جديدا غير المعنى فى الآية الأولى، فها هو فى المسألة رقم ١٠٤ من سورة الأنعام يقول: " قوله ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصَدِفُونَ ﴾ (الأنعام ٤٦)، و [٦٥] مكرر^{٣٦٠}؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات، ثم هم يصدفون عنها، فلا تعرض عنهم بل تكررهما لعلهم يفقهون"^{٣٦١}.

ورغم أنه قال بالتكرار فى الآيات، فإننا نجد أحيانا ينكر التكرار على لفظ أو تركيب قد ورد ذكره فى الآية الواحدة أكثر من مرة، مبينا أن ورود اللفظ فى المرة الثانية غيره فى الأولى، ومن ذلك مثلا فى المسألة رقم ٩٥: " قوله ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام ١٢)، و [٢٠] ليس بتكرار لأن الأول فى حق الكفار والثانى فى حق أهل الكتاب"^{٣٦٢}، فقد استعمل هذا التعبير - ليس بتكرار - فى مواطن كثيرة تزيد على أربعين مرة.

١٣- أثر الخطيب فى الكرمانى واضح جلي، ويبدو ذلك من متابعته فى منهجه، ومسايرته فى الهدف الذى من أجله وضع كتابه، ورجوعه إلى كتاب الخطيب فى العديد من المواطن، فقد أحصيت له ست عشرة مرة ذكر فيها اسم الخطيب صريحا، هذا غير المواطن الأخرى التى نقل عنه فيها ولم يصرح بذكره.

١٤- من منهج الكرمانى فى كتابه أنه إذا مر بآية متأخرة تناولها مع أخت لها فى سورة متقدمة،

^{٣٦٠} وقد استعمل لفظ [مكرر أو كرر] مرات عديدة وأحيانا يذكر علة للتكرار يصاحبها معنى جديد، وأحيانا يذكر أن ذلك للتأكيد أو التخصيص دون أن ينوب لمعاني أخرى.

^{٣٦١} الكرمانى، البرهان، تحقيق الجميلي، ص ٥١.

^{٣٦٢} المصدر السابق، ص ٤٨ / ومثله المسألة رقم ٤، ص ١٤ / والمسألة رقم ٤٨، ص ٣١ / والمسألة رقم ٨٢، ص ٤٣.

فإنه يذكر الآية، ثم يقول: قد سبق في سورة كذا، ويسمي السورة، أو يقول: قد سبق، ولا يسمي السورة، وقد قال: هذا التعبير مرارا عديدة، فقد أحصيتُ له إحدى وستين مرة لقوله "قد سبق" أو "سبق".

المبحث الثالث:

ابن جماعة وكشف المعاني

مقدمة:

حين همتُ بدراسة شخصية ابن جماعة وكتابه [كشف المعاني في متشابه المثاني] حرصت على أن أجمع ما استطعت من سيرته ومكانته العلمية وأصوغها من مصادرها في إيجاز، لكنني وقعت في حيرة شديدة؛ إذ أُنِي وجدت أمامي كَمًّا كبيراً من المعارف حول هذا الرجل، من حيث النشأة، وأسرته الذائعة الصيت الزاخرة بالعلماء الأعلام الأفذاذ، وشمائله النبيلة، ومكانته العلمية السامقة، والعلوم التي نبغ فيها، وأساتذته المرموقين، وتلامذته الفائقين النوابغ ذوي العلم والمصنفات السائرة بين المسلمين إلى يومنا هذا، وأعماله التي قام عليها من القضاء والتدريس والخطابة، والقيام على مدارس عدة بالإشراف والتدريس، ثم كتبه ومصنفاته التي رَزَتْ على الخمسين مصنفًا، والتي تنوعت في شتى العلوم، ووجدتُني في حاجة إلى تصنيف كتاب لتلك الشخصية، وليس مبحثاً من عدة صفحات، ولكنني سأجتهد في هذا المبحث في التعريف بشخصية ابن جماعة، والوقوف على كتابه [كشف المعاني] منهجه، وخصائص أسلوبه، في أقل قدر من الأفكار والتعبير، من غير أن أُحِلَّ في التَّهَجُّج، أو أُقَصِّر في القَصْد.

المطلب الأول: مولده، ونسبه، ونشأته

أولاً: مولده وعمره:

لا عجب في أن يقف المترجمون لابن جماعة على سنة ولادته ووفاته بل إنهم وقفوا على الشهر واليوم والساعة دون خلاف بينهم في ذلك؛ إذ أن سعة علمه وشهرته وأسرته العريقة علما ونسبا جعلته حَرِيًّا بذلك، حيث تُجْمَعُ كتب التراجم على أن ابن جماعة قد ولد بحمّاء^{٣٦٣} ليلة السبت لأربعِ خَلَّتْ من ربيع الآخر في السنة التاسعة والثلاثين وستمائة من

^{٣٦٣} حمّاء إحدى مدن الجمهورية العربية السورية، تقع شمال غرب سوريا، وهي مركز محافظة حماة، تقع على نهر العاصي، وإذا كانت دمشق أقدم عاصمة في التاريخ، فإن حمّاء هي أقدم مدينة في العالم، فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سنة ١٨ هـ، وقد تعرضت لمذابح عدة بعد الفتح، أولها على يد القرامطة بقيادة ملكهم أبي شامة سنة ٢٩١ هـ، حيث قتلوا أهلها حتى الأطفال، وآخرها في العصر الحديث على يد النظام السوري النصيري بقيادة حافظ الأسد

الأضحى بمدينة حماة فلما ظهرت له هذه الكرامة توجه لزيارة بيت المقدس وتوفي به" راجع [الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل] مجلد الدين الخليلي ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان ، مكتبة دنديس، ج ٢ ، ص ١٥١، وقد رأيت عدم التعويل على هذا المصدر، حيث إن في كتب التراجم ما يغني عنه.

المطلب الثاني: مكانة ابن جماعة العلمية

يكفي الباحث عن مكانة ابن جماعة العلمية أن يقف على الأعمال التي أسندت إليه والمدارس التي درّس فيها ليدرك أن ابن جماعة قد بلغ مبلغاً سامقاً في العلم جعله أهلاً ليرقى فوق كل أقرانه، وجعلته أهلاً لاعتلاء كرسي القضاء أكثر سني عمره ما بين مصر والشام، ويكفي أن نعلم أنه قضى عمره إماماً لأبى مساجد مصر، كما تولى إمامة وخطابة المسجد الأقصى، فإن علمنا عنه ذلك فماذا عساه أن يكون؟!

فإنه لا بد قد جمع من العلوم الكثير والكثير الذي أهّله ليُحصّل بها كل تلك المناصب، وما نال ابن جماعة تلك الدرجات العلا من العلم إلا بجره على طلب العلم والاجتهاد فيه، قال تلميذه البرزالي: "قد حرص ابن جماعة - رحمه الله تعالى - على طلب العلم، ورَحَلَ في ذلك، والتقى بالعديد من الشيوخ على اختلاف مَذاهبهم وأخذ عنهم.. وقد بلغ عدد شيوخه في مشيخته التي خرَّجها تلميذه البرزالي أربعاً وسبعين شيخاً منهم امرأة واحدة"^{٣٧٠}.

وقد شهد لابن جماعة كل من ترجم له بالخلق الرفيع والتبحر في العلوم، "فقد أجمع أصحاب التراجم على حسن سيرة ابن جماعة، وصفاء سريره، وزهده وتقشفه في كل شيء، مأكلاً، وملبساً، ومركباً، وأثنى عليه كثير ممن عاصروه، وشهدوا بصحة أحكامه ويؤمن أيامه، وفهمه وعلمه. وإذا كانت المعاصرة حجاباً كما يقال، إلا أنها لم تحجب صورة العالم الذي بسط إحسانه على أجيال تتابعت وأحقاب توالى. وحسب ابن جماعة شرفاً شهادة معاصريه من أقرانه وإخوانه، وأساتذته وتلاميذه"^{٣٧١}.

قال عنه ابن حجر في الدرر: " واجتمع له من الوجاهة وطول العمر ودوام العز ما لم يتفق لغيره، وصنف كثيراً في عدة فنون"^{٣٧٢} وذكر ابن حجر عن الذهبي أنه وصفه فقال: "كان قوي المشاركة في الحديث، عارفاً بالفقه وأصوله، ذكياً فطناً، مناظراً متقناً، ورعاً، تام

^{٣٧٠} المصدر السابق، <http://uqu.edu.sa/page/ar/>، ٩٥١٢، ١٠/٠٥/٢٠١٠.

^{٣٧١} المصدر السابق، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤

^{٣٧٢} ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٦.

الشكل، وافر العقل، حسن الهدى، متين الديانة، ذا تعبد وأوراد، وكان في ولايته الثانية قد كثرت أمواله، فترك الأخذ على القضاء عفة، ... وكان صاحب معارف، يضرب في كل فن بسهم، وله وقع في النفوس، وجلالة في الصدور، وكان مليح الهيئة، أبيض مسمتا، مستدير اللحية، نقي الشيبة، جميل البزة، دقيق الصوت، ساكنا وقورا، وحجج مرارا، وكان عارفا بطرائق الصوفية^{٣٧٣}

وصفه تلميذه السبكي في الطبقات قائلا: "حاكم الإقليمين مصرًا وشامًا، وناظم عقد الفخار الذي لا يُسامى، مُتَخَلِّ بالعفاف، مُتَخَلِّ إلا عن مقدار الكفاف، مُحَدِّث، فقيه، ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه"^{٣٧٤}.

وتعد مصنفات ابن جماعة الشاهد الأعظم على سعة علمه وتنوعه، فقد ذكر موفق بن عبد الله محقق مشيخة ابن جماعة ٣٧ مصنفًا في شتى العلوم. أما مرزوق على إبراهيم محقق [كشف المعاني] فقد نسب إلى ابن جماعة ٤٦ مصنفًا^{٣٧٥}، لكنه لم يحقق نسبتها إليه.

وقد اجتهد محمد قيطاز في تتبع آثار ومصنفات ابن جماعة حتى أحصاها وتحقق من نسبتها إليه، فوقف على ٢٦ مصنفًا. وكان لعبد الجواد خلف في تحقيقه لـ [كشف المعاني] اجتهد أعظم في تتبع مصنفات ابن جماعة والتحقق من نسبتها إليه، وقد نظر الباحث في هذه التصانيف، فوجدها تكاد تشمل كل أصناف العلم، وقد ميز كل من عبد الجواد خلف ومحمد قيطاز بين مصنفات ابن جماعة، وجعلها على أبواب العلوم^{٣٧٦}.

وقد رأى الباحث أن مصنفات ابن جماعة شملت ما يلي من العلوم: علوم القرآن^{٣٧٧}، وعلوم الحديث^{٣٧٨}، والنحو^{٣٧٩}، والفقه وأحكامه^{٣٨٠}، وعلوم الحرب والتربية الجهادية^{٣٨١}،

^{٣٧٣} المصدر السابق، ج ٥، ص ٦.

^{٣٧٤} السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، ١٤١٣هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر، ج ٩، ص ١٣٩.

^{٣٧٥} ابن جماعة، بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، كشف المعاني في المتشابه المثنائي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، ص ٢١-٢٤.

^{٣٧٦} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد عبد الجواد، ص ٣٥-٤٤ / وقيطاز، محمد عدنان، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤.

^{٣٧٧} مثل: كشف المعاني في المتشابه من المثنائي، وغرة التبيان لمن لم يسم بالقرآن، وغرر البيان لمبهمات القرآن، والفوائد اللائحة من سورة الفاتحة.

^{٣٧٨} مثل: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، والكلام على المتن وأقسامه وأنواعه، والكلام في السند وما يتعلق به، وتخريج أحاديث الوجيز.

^{٣٧٩} مثل: شرح كافية ابن الحاجب، والضيء الكامل في شرح الشامل.

^{٣٨٠} مثل: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، وكشف الغمة في أحكام أهل الذمة، والعمدة في الأحكام، والمسالك في علوم المناسك.

^{٣٨١} مثل: تجنيد الأجناد وجهات الجهاد، ومستند الأجناد في آلات الجهاد.

وعلم الكلام^{٣٨٢}، والسيرة والتاريخ^{٣٨٣}، والأخلاق والرقائق^{٣٨٤}، وعلوم التربية^{٣٨٥}، والفلك^{٣٨٦}،
والشعر^{٣٨٧}.

وهذه المصنفات وكثرتها وتنوعها إن دلت فإنما تدل على أن ابن جماعة كان عالما موسوعيا .

المطلب الثالث: التعريف بكتاب [كشف المعاني]:

إن كتاب [كشف المعاني في متشابه المثاني] أحد خمسة كتب للعلماء القدامى في باب [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] وترتيبه الزمني الرابع بين الكتب الخمسة بعد [درة التنزيل] للإسكافي، و[البرهان] للكرماني، و[ملاك التأويل] للغرناطي، أما الخامس فإنه كتاب [فتح الرحمن] للأنصاري.

أولا : تحقيقات كتاب [كشف المعاني]

لقد وقف الباحث على أربعة تحقيقات لكتاب [كشف المعاني] تحت يده ثلاثة منها
أما الرابع فلم يقف عليه، وقد اختلفت هذه التحقيقات اختلافا طفيفا فيما بينها في
عنوان الكتاب، لكنها جميعا لابن جماعة، وهي كما يلي:

- ١- [كشف المعاني في المتشابه من المثاني] تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، رئيس
جامعة الدراسات الإسلامية بباكستان، وقد طبع هذا التحقيق طبعته الأولى سنة
١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، في مصر، المنصورة، بدار الوفاء.

^{٣٨٢} مثل: الرد على المشبهة، والتنزيه في إيصال حجج التشبيه، وإيضاح الدليل في قطع أهل التعطيل.

^{٣٨٣} مثل: نُورِ الرُّوضِ، وأشار إليه الزركلي باسم [مختصر السيرة النبوية]

^{٣٨٤} مثل: الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة، حجة السلوك في مهادة الملوك، والمقتض في فوائد تكرار القصص.

^{٣٨٥} مثل: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، وتنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة.

^{٣٨٦} مثل: رسالة الإسطرلاب.

^{٣٨٧} مثل: أرجوزة في قضاة مصر ، وأرجوزة في قضاة دمشق، وأرجوزة في الخلفاء، كما وجدت له أبياتا متنوعة الأغراض ما بين النصائح والحكم، وقد ذكر عبد الجواد
خلف بعض أشعاره في تحقيقه، ص ٤٢-٤٤، كما وجدت له قصيدة كاملة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على النت في منتدى الأصلين [أصول الدين
وأصول الفقه] <http://www.aslein.net/showthread.php?t=٢٢٤> /٠٧/٠٤ ، ولم أجد سبيلا للتحقق من نسبتها إليه ومنها:

يا مُصْطَلَفِي بَشَّرَ الرُّسُلَ الكِرَامُ بِهِ يا مُرْسَلًا لِجَمِيعِ النَّاسِ كُنْهُمْ
يا أَرْفَعِ الرُّسُلَ قُدْرًا فِي مَكَاتِبِهِ حَقًّا وَأَوْصَلَهُمْ لِذِي رَجْمٍ
يا سَيِّدًا قَدْ عَلَتْ فِي الرُّسُلِ رُتْبَتُهُ وَحَظَّهُ فِيهِمْ مِنْ أَوْفَرِ الْقَسَمِ

- ٢- [كشف المعاني في المتشابه المثاني] تحقيق: مرزوق على إبراهيم، وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٤٢٠هـ بالرياض، بدار الشريف.
- ٣- [كشف المعاني في متشابه المثاني] تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، بيروت، بدار الكتب العلمية. وهذه التحقيقات الثلاثة تحت يدي نسخة من كل منها، أما التحقيق الرابع فقد أشار إليها محمد عدنان قيطاز في مجلة التراث العربي، ويبدو أنه لم يقف على كتاب [كشف المعاني] مطبوعاً، حيث ذكر التراجم التي أشارت إلى الكتاب وقال أن الزركلي ذكر أنه مازال مخطوطاً، ثم قال:
- ٤- "وتذكر النشرة الإخبارية عن الأنشطة العلمية الإسلامية . العدد الخامس أن السيد عبد الغفار بدر الدين قد قام بتحقيق هذا الكتاب وحصل به على الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠١هـ^{٣٨٨}."

ثانياً : تأثر ابن جماعة بالكرماني :

لفت نظر الباحث أن التحقيقات الثلاثة التي بين يديه لم ينوه أحد منها إلى تأثر ابن جماعة بمن سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ولعل أثرهم لم يظهر في كتاب كشف المعاني لقلة نقل ابن جماعة عن من سبقه سواء من المفسرين أو علماء توجيه المتشابه اللفظي. إلا أن الباحث وقف على أدلة واضحة تبرز تأثر ابن جماعة بالكرماني في كتابه [البرهان في توجيه متشابه القرآن] وظهر ذلك في أربعة أمور بارزة:

الأمر الأول: اختار ابن جماعة منهج الكرماني في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة

يتناول في كل مقطع مسألة وحيدة.

الأمر الثاني: الإيجاز الشديد الذي التزمه ابن جماعة في تحليل مسائل كتابه في المتشابه اللفظي،

إذ أن ذلك الإيجاز كان عمدة الكرماني في تناول أسرار التشابه اللفظي بين الآيات.

^{٣٨٨} قيطاز، محمد عدنان، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤ - السنة ١٤ - كانون الثاني "يناير" ١٩٩٤ - شعبان ١٤١٤

الأمر الثالث: منهج ابن جماعة في تناول مسائل الآيات المتشابهات لفظاً؛ إذ أنه يعرض
المسألة

ثم يتناولها بالتوجيه، وهذا هو نفس منهج الكرماني، والذي اختلف عن منهج كل من
الإسكافي والغزناطي اللذين اعتمدا على أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ.

الأمر الرابع: بعض توجيهات ابن جماعة التي تتفق معانيها وألفاظها مع توجيهات الكرماني
لنفس الآيات، أمثلة ذلك ما يلي:

- في إحدى مسائل ابن جماعة في سورة البقرة قال: "مسألة: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
﴿البقرة ٦﴾، وفي يس: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (يس ١٠)، بواو العطف. جوابه
أنه هنا خبر جملة اسمية، وفي [يس] جملة مستقلة معطوفة على جملة؛ فجاءت بواو
العطف" ^{٣٨٩} ، وبالنظر في توجيه الكرماني نجد أنه قال: " وقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾
﴿البقرة ٦﴾، وفي يس: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (يس ١٠)، بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة
هي خبر عن اسم [إن] وما في [يس] جملة عطفت بالواو على جملة" ^{٣٩٠}.

- وفي مسألة أخرى من مسائل ابن جماعة قال: "مسألة: قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ
هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (البقرة ١٢٦)، وفي إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾
(إبراهيم ٢٥). جوابه أن آية البقرة دعا بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء
مكة وسكنى جُرُهم ^{٣٩١} فيها، وآية إبراهيم بعد عودته إليها وبنائها" ^{٣٩٢}. أما الكرماني
فقال في توجيه الآيتين: "لأن ﴿هذا﴾ إشارة إلى المذكورة في قوله ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ﴾ قبل بناء الكعبة وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد الكعبة" ^{٣٩٣}

^{٣٨٩} ابن جماعة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٧م، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٣.

^{٣٩٠} الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، ص ١٥.

^{٣٩١} إحدى قبائل اليمن، هاجروا إلى الحجاز وسكنوا مكة زمن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

^{٣٩٢} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٢٣.

^{٣٩٣} الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق السيد الجميلي، ص ٢٤.

- وفي مسألة ثالثة لدى ابن جماعة قال: "مسألة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ١٨)، ما فائدة تكرير لفظ التوحيد؟ جوابه: أن الأول مشهود

به، والثاني حكم بما تمت به الشهادة، فالأول بمنزلة قيام البينة، والثاني بمنزلة الحكم^{٣٩٤}، أما الكرماني فقال: "كرر في هذه الآية فقال: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾

لأن الأول جرى مجرى الشهادة، وأعاد ليجري الثاني مجرى الحكم^{٣٩٥}

المطلب الرابع: منهج ابن جماعة في [كشف المعاني] وخصائص أسلوبه:

اتسم منهج وأسلوب ابن جماعة في كتابه بما يلي:

١- سلك مسلك من سبقه من المفسرين ورجال المتشابه اللفظي في تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظاً، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وقد التزم ابن جماعة هذا المنهج في التناول.

٢- لم يعتمد ابن جماعة أسلوب الخطاب والمناقشة الذي اعتمده مؤسس هذا العلم الإسكافي ثم الغرناطي، لكنه اعتمد أسلوب عرض المسألة في أسلوب خبري - غالباً - ثم يتناول توجيهها، وذاك كان منهج الكرماني كما أشرنا سلفاً.

٣- التزم ابن جماعة الإيجاز الشديد في توجيه مسائل المتشابه اللفظي، لكنه كان بارعاً في إيجازه؛ فرغم شدة الإيجاز إلا أن المتأمل لكلامه القليل يجد أنه استوفى

^{٣٩٤} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٣٤.

^{٣٩٥} الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق السيد الجميلي، ص ٣٣.

القضية حقها دون أن يخل، كما أنه رغم إيجازه فإن أسلوبه واضح ، وأفكاره في تناول فهم القارئ العادي، وألفاظه لطيفة، وتعبيراته سلسلة، فلا نجد التعقيد ولا الغموض اللذين وقع فيهما الكرمانى بسبب لجوئه إلى الإيجاز.

٤ - لم يتناول ابن جماعة الآية ونظيرتها المشابهة لها ككل متكامل، بل إن الغالب أنه تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فلم يعرض الآية الأم ثم يعرض مسائله ثم يوجهها مسألة مسألة، فذاك كان منهج الإسكافي والغرناطي ، فتركه واختار منهج الكرمانى منهج تقطيع الآيات المتشابهات مقاطع قصيرة يتناول في كل مقطع مسألة وحيدة؛ لذلك كثرت مسائله، حتى عد له عبد الجواد خلف إحدى وثمانين وأربعمئة مسألة^{٣٩٦}.

٥ - لم يتناول ابن جماعة الحروف المقطعة في أوائل السور، ولم يذكر سبب عدم تناوله لهذه الحروف، لكن من يقف على شخصية ابن جماعة يدرك أنه تركها تحرزا من الخوض فيها، إذ التزم مذهب جمهور أهل العلم في عدم الخوض في أسرار هذه الحروف إذ أنها من المتشابه الذي لا يعلم سره إلا الله عز وجل.

٦ - قد يتناول ابن جماعة الآية مفردة - دون تشابه لفظي معها - يؤولها ويبين أسرارها، وللدرد على تساؤل ما حولها، من ذلك مثلا: " مسألة قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ (المائدة: ٢٩)، كيف يبوء بإثمه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الأنعام: ١٦٤). جوابه: بإثم قتلي وإثم معاصيك في نفسك"^{٣٩٧}. والمسألة رقم (١٠٨)^{٣٩٨}.

٧ - لم ينقل ابن جماعة عن غيره إلا قليلا، وإن نقل فإنه لا يعزو نقله إلى من نقل عنه، إلا أنه كان عمدته التأمل والنظر في الآيات بنفسه، ولم يجد الباحث في

^{٣٩٦} أما مرزوق علي إبراهيم فقد عد له ثمانين وأربعمئة مسألة فقط، راجع فهرس الآيات والمسائل في تحقيق عبد الجواد خلف، ص ٤٤٣، وفهرس الآيات في تحقيق

مرزوق علي إبراهيم، ص ٤٣٣.

^{٣٩٧} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٤٦.

^{٣٩٨} ابن جماعة، شف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص ١٥٠.

كتاب [كشف المعاني] عزوفاً إلى كتاب ما نقل ابن جماعة عنه، أو ذكراً لعالم ما أخذ عنه، إلا ما نجد من بعض هوامش تحقيق مرزوق علي إبراهيم في رده بعض الأقوال إلى أصحابها من المفسرين.

٨- اعتمد ابن جماعة في تأويله وتوجيهه لآيات المتشابه اللفظي على اللغة والنحو والسياق والتدبر والنظر فيما ترمي إليه الآيات، يقول ابن جماعة في مقدمته: "وقد استخرت الله في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه باختصار لا غنى لفهمه عنه وأسباب الاختلاف فيما بينها"^{٣٩٩}. وقد رأى عبد الجواد خلف أن ابن جماعة قد أخضع منهج الجواب على مسأله إلى مصادر ثلاثة هي: "الأول النقل، والثاني اللغة، والثالث التدبر وإمعان النظر"^{٤٠٠}، إلا أن الباحث يرى أن النقل المباشر في [كشف المعاني] محدود للغاية، أو لا يكاد يوجد.

٩- تَوَسَّع ابن جماعة في عدد مسأله وعدد الآيات التي تناولها بالتوجيه، وزاد على من سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي، إلا أنه مازال هناك الكثير من آيات المتشابه اللفظي لم تُوجَّه بعد، ولا يتفق الباحث مع المحققين عبد الجواد خلف و مرزوق علي إبراهيم فيما ذهب إليه من أن ابن جماعة قد تناول كل الآيات المتشابهات بالتوجيه، قال عبد الجواد خلف: "تدل مسأله الافتراضية التي تتبعها - أي ابن جماعة - في كل سور القرآن الكريم على استيفائه لكل الآيات المتشابهة، ولهذا جاء كتابه وافياً بمسائل هذا الفن"^{٤٠١}، أما مرزوق إبراهيم فقد قال: "وتناول كل المتشابه المثاني الذي ذكر في موضعين أو أكثر من سور القرآن"^{٤٠٢}، وكلامهما مردود، ومن أراد التأكد فليُنظر في الكتب التي عُنِيَتْ بجمع المتشابه اللفظي للحَقْظَة والقُرَاءَة، حينئذ سيعلم أن مواطن المتشابه اللفظي

^{٣٩٩} المصدر السابق، ص ٦٤.

^{٤٠٠} المصدر السابق، ص ٦٤.

^{٤٠١} المصدر السابق، ص ٦٣.

^{٤٠٢} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ص ٦٠.

في القرآن مازال أكثرها لم يُوجَّه بعد^{٤٠٣}. "فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما قد يصل أحياناً حد التطابق أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر"^{٤٠٤}.

١٠ - أحيانا يقدم ابن جماعة للمسألة الواحدة أكثر من جواب، ففي المسألة رقم (١١٠) للآية (١٠٩) من سورة المائدة بعد أن انتهى من جوابه الأول قال: "جواب آخر"^{٤٠٥} ثم أعطى تأويلاً آخر للآية. وفي المسألة رقم (٨٢) للآية (١٢٦) من سورة آل عمران أعطى لها ثلاثة تأويلات في ثلاثة أجوبة متتابعة^{٤٠٦}.

١١ - رغم أن ابن جماعة زاد زيادات عظيمة في مسائل وآيات المتشابه اللفظي إلا أنه ترك بعض الآيات التي تناولها بعض سابقيه من علماء توجيه المتشابه، وقد رصد الباحث أنه ترك الآية (٧٣) من آل عمران، والآيات (١٣ ، ٤٧ ، ١٧٦) من سورة النساء، والآيات (٣ ، ٧ ، ٢٧ ، ٤٢) من سورة المائدة، والآيات (٤٦ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٤١) من سورة الأنعام، والآية (٦٤) من سورة الأعراف، فقد ترك تلك الآيات ونظائرها المشابهة دون توجيه، وقد تناولها الكرمانى بالتوجيه في البرهان، ولم يُخصِّص الباحث ما تركه ابن جماعة، وإنما لفت نظره ذلك، وأراد التأكيد على أنه لم يتناول كل آيات المتشابه اللفظي رداً على مُحَقِّقِي كتاب كشف المعاني.

١٢ - أحيانا يؤخر توجيه مسألة متقدمة إلى سورة متأخرة، ويشير إلى ذلك، كما نجده يشير إلى المسائل المتأخرة التي سبق تناولها في سورة متقدمة، ففي المسألة رقم

^{٤٠٣} وليس أدل على أن ابن جماعة لم يحظ بمواطن المتشابه اللفظي في القرآن ما ذكره في المسألة رقم (١٤) في قول الله تعالى: ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ ﴾ إذ قال: " وكذلك في جميع القرآن قدم السمع على البصر" فرد عليه عبد الجواد خلف في الهامش قائلاً: " الأولى أن يقول: في غالب

القرآن؛ لأن اجتماع السمع مع البصر جاء في تسعة عشر موضعاً في كتاب الله تعالى قدم فيها السمع في أربعة عشر موضعاً وأخره في خمسة مواضع". راجع: ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص ٩٨-٩٩.

^{٤٠٤} عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ص ١٥، ويمكن تصفحه في: <http://bookstree.com/books/6/6.htm>

^{٤٠٥} ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص ١٥١.

^{٤٠٦} المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣٢) للآية (٦١) من سورة البقرة، جمع إليها الآية (٥١) من سورة غافر، ثم قال: "جوابه في سورة غافر" ^{٤٠٧}. وحين وصل إلى المسألة (٩٩) للآية (٨) من المائدة قال: "تقدم قريبا في النساء" ^{٤٠٨}.

١٣ - ترك ابن جماعة عددا كثيرا من السور لم يقف عندها لتوجيه ما تضمنته من آيات المتشابه اللفظي، وقد ترك سورا تناولها من سبقوه فقد أحصى الباحث ثلاثين سورة وقف عندها الكرمانبي، وتناول المتشابه اللفظي فيها، أما ابن جماعة فقد سكت عنها ولم يقف عندها، وهذه السور هي: الحجرات، والطور، والطلاق، والتحريم، والقلم، والجن، والمرسلات، والانفطار، والمطففين، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والفجر، والبلد، والشمس، والضحى، والقدر، والبينة، والزلزلة، والقارعة، والعصر، والهمزة، الفيل، وقريش، والماعون، الكوثر، والنصر، والمسد، والإخلاص.

١٤ - على الرغم من الإيجاز الشديد الذي التزمه ابن جماعة منهجا في كتابه إلا أننا نجده يتناول بعض القضايا الفقهية، من ذلك "المسألة رقم (٩١) قوله تعالى: ﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ (النساء ٤٣)، وقال في المائدة: ﴿ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ ﴾ (المائدة ٦). جوابه: لما تقدم في المائدة تفصيل الوضوء وتفصيل واجباته ناسب ذكر واجبات التيمم بقوله ﴿ مِّنْهُ ﴾، وأن إيصال بعضه بالبدن شرط. وآية النساء جاءت تبعا للنهي عن قربان الصلاة مع شغل الذهن، فناسب حذفه ^{٤٠٩}. كما نجده ينقد آراء بعض المفسرين - دون تحديد - قائلا: "والعجب كل العجب من عدة من المفسرين يذكرون هنا أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر بعد غرق فرعون وهو غفلة عما دل عليه القرآن والأخبار والتواريخ من

^{٤٠٧} المصدر السابق، ص ٩٩.

^{٤٠٨} المصدر السابق، ص ١٤٥.

^{٤٠٩} المصدر السابق، ص ١٣٨.

انتقلهم إلى الشام بعد تجاوز البحر، وأمر التيه، وموت هارون وموسى - عليهما
السلام - في التيه^{٤١٠}.

^{٤١٠} المصدر السابق، ٣٣٦.

المبحث الرابع:

فتح الرحمن للأنصاري نقل وتجديد

تمهيد:

يعد الشيخ زكريا الأنصاري آخر حَبَّات عُقْد علماء توجيه المتشابه اللفظي القدامى، إذ توقف البحث في هذا العلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] حتى عصرنا الحديث، فلا نكاد نجد أو نسمع أحدا خصَّ هذا العلم بالبحث بعد الأنصاري، حتى جاء بعض أساتذة العصر الحديث، فأحيوا كتب المتقدمين في هذا العلم بطباعتها ونشرها، ومن ثمَّ التفت إليه عددٌ - مازال قليلا - من علماء عصرنا، فنظروا في هذه الكتب، وأخذوا يرفعون البناء.

المطلب الأول: السيرة الذاتية للأنصاري

لقد ترجم موسى مسعود لشخصية الأنصاري ترجمة وافية في بحثه [الماجستير] والذي كان تحقيقا لكتاب الأنصاري [إعراب القرآن العظيم]^{٤١١}، وقد ألمح موسى إلى أنه اعتمد في ترجمته للأنصاري على تحقيق الدكتور مازن المبارك لكتاب الأنصاري [الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة]^{٤١٢}.

وسوف يعرض الباحث هنا سيرته في إيجاز من خلال كتب التراجم، ثم يُعرِّج على كتاب الأنصاري [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن] للوقوف على منهجه وخصائص أسلوبه.

أولا: نسبه^{٤١٣}:

^{٤١١} الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، بحث ماجستير بعنوان: [إعراب القرآن العظيم، المنسوب للعلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دراسة وتحقيق]، إعداد: موسى علي مسعود، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، ص٢-٢٦

^{٤١٢} الأنصاري، زكريا بن محمد، ١٤١١هـ-١٩٩١م، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ص٩-١٧

^{٤١٣} اعتمد الباحث في الترجمة لنسب الأنصاري ومولده ونشأته ووفاته على المصادر الآتية: الأعلام، للزركلي، ١٩٨٠م، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج٣، ص٤٦ / الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس والأبيات ومعجم المعاجم والمسلسلات، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، الكنتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ج١، ص٤٥٨ / النجم الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص١٥٢-١٥٣

هو شيخ الإسلام ، قاضي القضاة، زين الدين^{٤١٤} ، أبو يحيى^{٤١٥} زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا بن رداد بن حميد بن أسامة بن عبد الولي الشافعي^{٤١٦} الأنصاري^{٤١٧} .

ثانيا: حياته [مولده ووفاته]

ولد الأنصاري في قرية [سُنَيْكَة]^{٤١٨} في محافظة الشرقية بمصر، سنة [ثلاث^{٤١٩} أو أربع^{٤٢٠} أو ست^{٤٢١}] وعشرين وثمانئة من الهجرة، وتوفي -رحمه الله- يوم الأربعاء الثالث من شهر ذي الحجة سنة خمس^{٤٢٢} أو ست وعشرين وتسعمائة^{٤٢٣}

ثالثا مكانته العلمية:

يمكننا الوقوف على مكانة الأنصاري العلمية من خلال ما يلي:

١- دلالة ألقابه : لعل الألقاب التي أسندت للأنصاري تشهد له شهادة بارزة على مكانته العلمية الرفيعة، فقد لقب بـ [شيخ الإسلام] ، وذاك لقب لا يطلق جزافا على أي أحد، كما أن هذا اللقب ليس وساما يمنحه الملك أو السلطان على من يختارونه، وإنما هو لقب ووسام لا يجوز إلا من بلغ في العلم والخلق مبلغا رفيعا أهله لأن يُضْفِي عليه الناس خاصتهم وعامتهم هذا اللقب، فلقب شيخ الإسلام وسام

^{٤١٤} اجتمع مثل هذه الألقاب الثلاثة لابن جماعة - رحمه الله - فقد عرف بشيخ الإسلام قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة.

^{٤١٥} ويحيى أكبر أبنائه وكني به، وتوفي في حياة أبيه سنة ٨٩٧هـ

^{٤١٦} نسبة إلى الإمام الشافعي، إذ أنه أحد أعمدة المذهب الشافعي.

^{٤١٧} نسبة إلى الأنصار في المدينة النبوية، حيث ينتسب الشيخ زكريا إلى الخزرج.

^{٤١٨} ذكر موسى مسعود في تحقيقه أن هذه القرية تسمى الآن [الحلمية] بمركز بلبس وبها مسجد كبير باسم الشيخ، ومعهد أزهرى باسمه ومقام له مشهور هناك. راجع: الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، تحقيق موسى مسعود، ص٤.

^{٤١٩} الأعلام، الزركلي، ج ٣، ص٤٦.

^{٤٢٠} السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٢٧م، نظم العقبيان، تحرير: فيليب حتي، نيويورك، المطبعة السورية الأمريكية، توزيع دار الكتب العلمية بيروت ص١١٣

^{٤٢١} الشوكاني، البدر الطالع ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس، الكتاني، ج١، ص٤٥٨.

^{٤٢٢} ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط١، بيروت، دار ابن كثير، ج١٠، ص١٨٦-١٨٧.

^{٤٢٣} الشوكاني، البدر الطالع ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس، الكتاني، ج١، ص٤٥٨، إلا أن الشوكاني قال: "وعمر حتى جاوز المائة أو قاربها، ومات في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦"، راجع البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩ / وذهب ابن العماد في الشذرات إلى ما ذهب إليه الشوكاني، راجع الشذرات، ص١٨٦.

يضعه المجتمع على صدر من تحققت فيه الجدارة له، والباحث في كتب التراجم يأخذه العجب من كثرة العلوم التي برع فيها الأنصاري، وصفه عمر كحالة قائلاً: "عالم مشارك في الفقه، والفرائض، والتفسير، والقراءات، والتجويد، والحديث، والتصوف، والنحو، والتصريف، والمنطق والجدل"^{٤٢٤}. أما اللقب الثاني فهو [قاضي القضاة]، وتلك رتبة تعلق كل الرتب الشرفية والعلمية والعملية، فلا يمكن أن ينزل الأنصاري هذه الرتبة إلا وقد تحققت فيه شروطها العلم والفقه والخلق والفتنة وغير ذلك من الصفات الواجب توافرها في القاضي، بل قاضي القضاة.

٢- **المناصب التي تبوأها:** لقد كانت المكانة العلمية الرفيعة سبباً في أن يتبوأ الأنصاري أرفع

المناصب وأشرفها، فتولى التدريس في العديد من المدارس وتولى مشيخة الصوفية، ونظارة الأوقاف، والخطابة، إذ تولى الخطابة في مسجد السلطان قايتباي الذي كان يصلي فيه السلطان وكان يصارحه في خطبته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تولى الإفتاء، كما رقي منصب قاضي القضاة لزمّن طويل^{٤٢٥}.

٣- **ثناء العلماء عليه:** أثنى على الأنصاري العديد من العلماء الذين عاصروه، وطلابه، والذين ترجموا له فمن ذلك:

أ- قال عنه الشوكاني في ترجمته: "وقرأ في جميع الفنون وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس وتصدر وأفتى وأقرأ وصنف التصانيف... وله شروح ومختصرات في كل فن من الفنون انتفع الناس بها وتنافسوا فيها... واشتهرت مصنفاً وكثرت تلامذته وألحق الأحماد بالأجداد"^{٤٢٦}.

^{٤٢٤} عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص١٨٢.

^{٤٢٥} أشار الشوكاني وابن العماد إلى الأعمال التي قام عليها الأنصاري في ثنايا ترجمتهم له راجع: البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩ / وشذرات الذهب، ج١٠، ص١٨٦.

^{٤٢٦} الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٩٣.

ب- قال عنه السيوطي: "وبرع وتفنن، وسلك طريق التصوف ولزم الجد والاجتهاد في القلم والعلم والعمل. وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء وتصنيفاً مع الدين المتين، وترك ما لا يعنيه، وشدة التواضع، ولين الجانب، وضبط اللسان والسكوت"^{٤٢٧}

ت- وصفه تلميذه ابن حجر الهيتمي قائلاً: "أَجَلُّ من وقع عليه بصري من العلماء العاملين، والأئمة الوارثين، وأعلى من عنه رَوِيَتْ ودرَيْت، من الفقهاء، الحكماء، المهندسين، فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل لواء المذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته، وكاشف عيوباته في بَكره وأصائله، ملحق الأحفاد بالأجداد المتفرد في زمنه بعلو الإسناد، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة"^{٤٢٨}.

ث- قال عنه تلميذه الشعراي^{٤٢٩}: "وقد خدمته عشرين سنة فما رأيت قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعنى لا ليلاً ولا نهاراً، وكان ﷺ مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً، ويقول لا أعود نفسي الكسل"^{٤٣٠}

ج- وصفه صاحب الكواكب السائرة: "الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، علامة المحققين، وفهامة المدققين، ولسان المتكلمين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو الإسناد، والملحق للأحفاد بالأجداد، العالم، العامل، والولي الكامل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطريقة"^{٤٣١}

^{٤٢٧} السيوطي، نظم العقيان، ص ٣١١.

^{٤٢٨} ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١٠، ص ١٨٧ / وفهرس الفهارس، ج ١، ص ٤٥٨.

^{٤٢٩} يجد الباحث في طبقات الشعراي شيئاً كثيراً من أساطير المتصوفة، ومن ذلك ما ذكره على لسان شيخه زكريا الأنصاري: "وقال لي: كان أخي الشيخ علي النبتي يجتمع بالخضر عليه السلام، فباسطه يوماً في الكلام فقال: للخضر عليه السلام ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال: لا بأس به فقال: ما تقول: في فلان ما، تقول في فلان، ما تقول في الشيخ زكريا فقال: لا بأس به إلا أن عنده نفيسة، فلما أرسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت على نفسي، وما عرفت الذي أشار إليه بالنفيسة، فأرسلت إلى سيدي علي النبتي الضرير، فقلت له: إن اجتمعت بالخضر، فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفيسة فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله، فقال له إذا أرسل تلميذه أو قاصده إلى أحد من الأمراء يقول له: قال: الشيخ زكريا كيت، وكيت فيلقب بالشيخ فلما أرسل لي الشيخ بذلك فكأنه حط عن ظهري جبلاً، وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى أحد من الأمراء، والوزراء قل: للأمير أو الوزير يقول لك: زكريا خادم الفقراء كذا، وكذا" وغير ذلك مما لا يتسع للمقام. راجع: الشعراي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢.

^{٤٣٠} الشعراي، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٥٠.

^{٤٣١} النجم الغزي، الكواكب السائرة، ج ١، ص ١٥٢-١٥٣.

٤ - مصنفاته: تعد مصنفات الأنصاري أعظم ما يشهد له على تفرد وعلو كعبه فوق أقرانه

جميعاً، فقد أحصى له مازن المبارك ٧٤ مصنفاً^{٤٣٢}، بينما أحصى له موسى مسعود ٨٣ مصنفاً^{٤٣٣}، وبالنظر في هذه المصنفات، نكاد لا نجد فناً من الفنون إلا وصنف فيه الأنصاري، ويعلق الشوكاني على مصنفاته قائلاً: "وله شروح ومختصرات في كل فن من الفنون انتفع الناس بها وتنافسوا فيها"^{٤٣٤}، فنجد له يداً طولى في شتى العلوم، فنصف في التفسير^{٤٣٥}، وفي الحديث^{٤٣٦}، والفقه^{٤٣٧}، وأصول الفقه^{٤٣٨}، القراءات والتجويد^{٤٣٩}، والعقيدة^{٤٤٠}، والفرائض^{٤٤١}، والمنطق^{٤٤٢}، والتصوف^{٤٤٣}، والأدب والبلاغة^{٤٤٤}، والنحو^{٤٤٥}، والصرف^{٤٤٦}، والشعر^{٤٤٧}، وأصول الآداب والتعلم^{٤٤٨}، والحساب والجبر^{٤٤٩}. وقد حقق مازن المبارك وموسى مسعود من كتب التراجم نسبة الكتب التي صنفها الأنصاري، وكانا هما - مازن المبارك، وموسى مسعود - عمدة الباحث في المصنفات التي أشار إليها سابقاً أسفل الهامش.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن] : أولاً : الدراسات التي عُقدت حول الكتاب:

^{٤٣٢} الأنصاري، زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، ص ١٩-٤٦.

^{٤٣٣} الأنصاري، زكريا، إعراب القرآن العظيم، تحقيق: موسى مسعود، ص ١٤-٢٣.

^{٤٣٤} الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ٢٣٩.

^{٤٣٥} إعراب القرآن العظيم، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، وفتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل.

^{٤٣٦} كتحفة الباري بشرح صحيح البخاري، وشرح الأربعين النووية، وشرح صحيح مسلم، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي.

^{٤٣٧} كالتناوي [مجموع فتاوى في فقه الشافعي]، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، منهج الطلاب في الفقه الشافعي.

^{٤٣٨} كشرح منهج الوصول إلى علم الأصول، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه.

^{٤٣٩} كتلخيص تقريب النشر في القراءات العشر، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة، وتحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر.

^{٤٤٠} كفتح الإله الماجد بإيضاح شرح العقائد، ولوامع الأفكار في شرح طوابع الأنوار، وفتح الرحمن بشرح رسالة المولى أرسلان.

^{٤٤١} كغاية الوصول في شرح علم الفصول في الفرائض، الفتحة الأنسية لعلق التحفة القدسية، منهج الوصول إلى علم الفصول.

^{٤٤٢} كشرح إيساغوجي في المنطق، شرح الشمسية (منظومة في المنطق).

^{٤٤٣} كرسالة في اصطلاحات الصوفية، وحاشية على التلويح في كشف حقائق التنقيح، والفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية.

^{٤٤٤} كأقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة (بردة البوصيري)

^{٤٤٥} كيلوغ الأرب بشرح شذور الذهب، والدرر السنينة على شرح الألفية.

^{٤٤٦} كالمناهج الكافية في شرح الشافية (شافية ابن الحاجب في علم الصرف).

^{٤٤٧} له ديوان شعر أورد منه المترجمون بعض قصائده.

^{٤٤٨} كفتح الوهاب بشرح الآداب، واللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، مختصر أدب القضاء للغزي.

^{٤٤٩} كفتح المبدع في شرح المقنع (كتاب في الحساب والرياضيات والجبر).

- ١- نشر كتاب [فتح الرحمن] قديما دون تحقيق على هامش تفسير [السراج المنير] للخطيب الشرييني، ولم يقف الباحث على هذه الطبعة لكن يوجد إشارات إليها في أكثر من موضع على النت^{٤٥٠}
- ٢- تحقيق: محمد علي الصابوني، طبع طبعته الأولى بدار القرآن الكريم في بيروت لبنان سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وذكر عبد الرحمن الشهري المشرف العام على [ملتقى أهل التفسير] على شبكة النت أنه طبع بدار القرآن بالرياض سنة ١٤٠٣هـ ، لكن الطبعة التي بين يدي الباحث لدار القرآن ببيروت وفي نفس السنة، ولا أعلم أيهما طبعتان في مكانين مختلفين في سنة واحدة أم أنه سهو من الشهري^{٤٥١}.
- ٣- تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين ، وكان هذا التحقيق موضوع أطروحته للماجستير في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وقد طبع طبعته الأولى عام ١٤٠٤هـ بمكتبة الرياض الحديثة. وقال الشهري عنه: وقد قدم المحقق لتحقيقه بمقدمة دراسية قيمة عن المؤلف والكتاب، بلغت صفحات هذه الدراسة ١٣٤ صفحة، وقد اشتملت هذه الدراسة على تعريف وافٍ بالمؤلف، وسيرته، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه، ثم تعريف بالكتاب، ومنهجه، وقيمه العلمية، ومصادره التي اعتمد عليها. ولم يقف الباحث على هذا التحقيق^{٤٥٢}.
- ٤- تحقيق قام عليه كل من: الدكتور: السيد الجميلي والدكتور: أحمد السايح، وقد طبع هذا التحقيق طبعته الأولى في مركز الكتاب للنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩م. وتحت يد الباحث نسخة مطبوعة منه.

ثانيا : أثر السابقين في كتاب [فتح الرحمن]:

^{٤٥٠} الشهري، عبد الرحمن، المشرف العام على ملتقى أهل التفسير، على هذا الرابط: <http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?p=٥٤٩٨>

٢٠١٠/٠٥/١٥

^{٤٥١} راجع الرابط السابق.

^{٤٥٢} راجع الرابط السابق.

لعل التأثر بالسابقين من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن هو أبرز ملامح كتاب [فتح الرحمن] وقد صرح الأنصاري بذلك في مقدمة كتابه قال: "جمعتُه من كلام العلماء المحققين، ما فَتَحَ اللَّهُ به من فيضِ فضله المتين، وسميته بـ: "فتحُ الرحمن بكشف ما يَلْتَبَسُ في القرآن"^{٤٥٣}، وقد أفاد الأنصاري إفادة كبيرة من كتب السابقين في باب المتشابه اللفظي.

"ولعل أهم الكتب التي عوّل عليها الإمام الأنصاري في تصنيف هذا الكتاب: كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] للإسكافي، ثم كتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن] لتاج القراء الكرمانى، ولعل أكثر هذه الكتب اعتمادا عليها في تزويد هذا السفر الممتع هو كتاب [البرهان] للكرمانى"^{٤٥٤}، إلا أنه إذا كان الأنصاري قد نقل عن السابقين وأكثر من النقل، فإنه قد أضاف إضافات كثيرة، وتوسع في المسائل توسعا كبيرا، وزادت مسائله عن سبقة زيادات كثيرة، وأتى بما لم يأت به من سبق في هذا الباب.

المطلب الثالث: منهج [فتح الرحمن] وخصائص أسلوبه:

لقد رمى الأنصاري بكتابه [فتح الرحمن] إلى ما رمى إليه السابقون، ألا وهو بيان أسرار المتشابه اللفظي، وكشف غموضه، قال: "فهذا مختصرٌ في ذكر آيات القرآن المتشابهات، المختلفة بزيادة، أو تقديم، أو إبدال حرفٍ بآخر، أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره"^{٤٥٥} وبالبحث في كتاب [فتح الرحمن] والنظر في منهجه وأسلوبه وقف الباحث على ما يلي:

١ - تابع الأنصاري منهج السابقين في عدة أمور:

الأول: التزام منهج المفسرين في تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار الأنصاري على درب السابقين في هذا المنهج.

^{٤٥٣} الأنصاري، زكريا، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، بيروت، دار القرآن الكريم، ص٨

^{٤٥٤} الأنصاري، زكريا، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: سيد السيد الجميلي و أحمد السايح، ط١، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص٩

^{٤٥٥} الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ص٨

الثاني: انتهج الأنصاري أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ، وذلك المنهج ابتكره الإسكافي وتبعه الغرناطي، ومن ذلك المسألة رقم (١٨) في قول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ (البقرة ٢٤)، قال: "إن قلت: كيف عرّف النَّار هنا، ونكّرها في التحريم؟ قلتُ: لأن الخطاب في هذه مع المنافقين، وهم في أسفل النَّار المحيطة بهم، فعُرِّفت بلام الاستغراق، أو العهد الذهني، وفي تلك مع المؤمنين، والذي يُعذَّب من عصاتهم بالنَّار، يكون في جزءٍ من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها"^{٤٥٦}، وهذا هو الأسلوب الذي التزمه الأنصاري في كل مسائل كتابه بداية من الفاتحة وحتى الناس.

الثالث: اختار الأنصاري منهج الكرماني في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة وإثارة

مسألة وحيدة - غالباً - في كل مقطع، ويتميز هذا المنهج بسرعة إمام القارئ بالمسألة موضع التوجيه، إذا لن ينشغل ذهنه بغيرها من المسائل.

٢- الإيجاز الشديد، حيث لم يَبْسُط الأنصاري الكلام في توجيه الآيات، وقد تابع في ذلك الكرماني في كتابه البرهان، إلا أن الأنصاري لم يقع في الغموض والإخلال الذي وقع في بعض توجيهات الكرماني، إذ أن أسلوب الأنصاري رغم الإيجاز الشديد إلا أنه قريب المعاني، سهل، يسير الفهم.

٣- يرى عدم الخوض في الحروف المقطعة أوائل السور إذ إنها من المتشابهة ففي المسألة رقم (٥) - وهي الأولى في سورة البقرة - بعد أن ذكر بعض الحروف المقطعة في أوائل بعض السور قال: "واعلم أن حرف الهجاء في أوائل السور من المتشابهة الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، وفائدة ذكرها طلبُ الإيمان بها"^{٤٥٧}.

٤- اعتمد الأنصاري في توجيهه لآيات المتشابهة اللفظي على أربعة أسس هي: اللغة والنحو والبلاغة والسياق، وقد نجد أحياناً يوجه الآية توجيهاً نحويًا فقط، مثال

^{٤٥٦} الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ١٨

^{٤٥٧} المصدر السابق، ص ١٥.

ذلك: " قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ﴾ (البقرة ٢٢١)،
 بفتح التاء هنا، وبضمها في قوله: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة ٢٢١)؛
 لأن الأول من [نكح] وهو يتعدى إلى مفعول واحد، والثاني من [أنكح] وهو
 يتعدى إلى اثنين، الأول في الآية [المشركين]، والثاني محذوف وهو
 [المؤمنات]^{٤٥٨}، فإنه وإن اعتمد على النحو فقط في توجيه هذه المسألة إلا أنه
 اعتمد الأسس الأربعة اللغة والنحو والبلاغة والسياق في توجيه أكثر مسائله.

٥- الكتاب لم يقتصر على توجيه الآيات المتشابهات لفظاً، بل إن يؤول آيات أخرى
 كثيرة يبين أسرارها دون أن يعرض نظيراً مشابهاً لها، وذلك كثير في [فتح الرحمن]
 فقد أحصى الباحث ١٢٦ مسألة في سورة البقرة، نصفها - ٦٣ مسألة -
 توجيه وتأويل لآيات ليست من المتشابه اللفظي^{٤٥٩}، وفي الأنفال ١٩ مسألة،
 اثنتان فقط من المتشابه اللفظي، والباقي آيات ليست منه^{٤٦٠}، وتلك سمة عامة
 غالبية، وهذا لا يعني أن آيات المتشابه اللفظي قليلة، بل على العكس من ذلك
 فإنها كثيرة، بل إن مسائل المتشابه اللفظي التي تناولها ووجهها الأنصاري زادت
 على كل من سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي، ففي البقرة وجه الأنصاري
 ٦٣ موضعاً من مواضع المتشابه اللفظي في السورة، في حين أن الكرمانى قد
 وجه ٤٦ موضعاً منها^{٤٦١}، والغرناطي وجه ٤٠ موضعاً^{٤٦٢}، والإسكافي وجه ٢٣
 موضعاً^{٤٦٣}.

٦- قد يؤول ويوجه الآية ذات النظائر والمتشابهات لفظاً، لكنه لا يلتفت إلى أخواتها،
 مثال ذلك في المسألة (١١٦): قول الله تعالى: ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ

^{٤٥٨} المصدر السابق، ص ٣٧

^{٤٥٩} المصدر السابق، ص ١٥ - ٤٥

^{٤٦٠} المصدر السابق، ص ١١٧ - ١٢١

^{٤٦١} الكرمانى، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ١٥٥ - ٣٢

^{٤٦٢} الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: عبد الغي الفاسي، ص ٢٢ - ٧٥

^{٤٦٣} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٥ - ٣٠

سَيِّئَاتِكُمْ ﴿ (البقرة ٢٧١)، ذكر ﴿من﴾ هنا خاصة موافقة لما بعدها في ثلاث آيات، ولأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات^{٤٦٤}، فقد وجّه إثبات [من] في آية البقرة ولم يوجه عدم إثباتها في الآيات المشابهة في [النساء ٣١، والأنفال ٢٩، والتحريم ٨].

٧- يقدم الأنصاري أحيانا أكثر من تأويل للآية الواحدة، مثال ذلك المسألة رقم (٤١٨): " قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة ٣٤)، أفرد الضمير مع تقدم اثنين ﴿ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ نظرا إلى عودة الضمير إلى الفضة لقربها، ولأنها أكثر من الذهب. أو إلى عودة إلى المعنى، لأن المذكور دراهم ودنانير، ونظيره قوله: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾^{٤٦٥} وفي المسألة التالية رقم (٤١٩) قدم أيضا توجيهين للآية (٣٦) من التوبة^{٤٦٦}.

٨- رغم توسع وإضافات الأنصاري في مسائل المتشابه اللفظي، إلا أن هذا لا يعني أنه قد أحاط بكل مواطن المتشابه اللفظي في القرآن، فمازال أكثر مواطن المتشابه اللفظي لم توجه بعد، وكتب المتشابه اللفظي التي صُنِّفَتْ للحفظه والقراء أعظم شاهد على ذلك، كما لاحظ الباحث أن الأنصاري أغفل بعض مواطن المتشابه اللفظي التي تناولها بعض السابقين بالتوجيه، ومن أمثلة ذلك: ترك آية النساء (١٣٥) ونظيرتها المشابهة في المائدة (٨)، وترك آية النساء (١٢٧) ونظيرتها في النساء (١٧٦)، وترك توجيه التشابه في آيتي الأنعام (١٢) و (٢٠)، وترك توجيه فاصلتي آيتي الأنعام المتتابعين (٩٧) و (٩٨)، وترك آية الأنعام (١٠٢) ونظيرتها المشابهة في غافر (٦٢)، وفي سورة القمر لم يوجه الأنصاري

^{٤٦٤} الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٣٩

^{٤٦٥} المصدر السابق، ص ١٢٣

^{٤٦٦} المصدر السابق، ص ١٢٤

الآيات التي تكررت فيها مرارا، وتلك بعض نماذج وأمثلة، فلم يحص الباحث كل ما تركه الأنصاري مما تناوله السابقون.

٩ - نقل الأنصاري كثيرا عن سبقوا، لكنه لم يعز أكثر ما نقل إلى المصادر التي أخذ عنها، فنجده قد نقل مقاطع كثيرة بنصها من كتاب [البرهان] للكرماني دون الإشارة، ومن ذلك مثلا توجيه المسألة رقم (٢٩) في سورة البقرة "قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧)، وفي الأعراف (١٦٠) وقال في آل عمران: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١١٧)؛ لأن ما في السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، وما في آل عمران مثل^{٤٦٧} هذا لفظ الكرماني، وفي [فتح الرحمن] وجه الأنصاري هذه الآيات قائلا: "لأن ما في السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، فناسب ذكرها، وما في آل عمران مثل^{٤٦٨} وتلك كانت عادة القدامى، إذ لا بأس به عندهم، وقد أشار الأنصاري في مقدمة كتابه أنه جمع [فتح الرحمن] عن سبقوه، ويعلق محققا كتاب الأنصاري على ذلك قائلين: "فقد نقل الإمام الأنصاري ما ينيف على ثلاثة أرباع مسائل الكرماني بأعيانها وضمنها كتابه بنفس السياق والأسلوب من غير إشارة أو ذكر لسبق الكرماني في ذلك - وهكذا كانت عادتهم قديما - لكن مما هو جدير بالذكر أن الأنصاري توسع في الكثير منها وأضاف إليها إضافات كثيرة من وحي خاطره"^{٤٦٩}

١٠ - استعان الأنصاري بالكثير من العلوم في توجيه الآيات فنجده يتناول قضايا نحوية^{٤٧٠}، وفقهية^{٤٧١}، لكن دون إسهاب، كما نجده يعتمد في تأويله على أسباب النزول^{٤٧٢}، والناسخ والمنسوخ^{٤٧٣}، والقراءات^{٤٧٤}، والفرائض^{٤٧٥}، والسيرة^{٤٧٦}.

^{٤٦٧} الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٢٠.

^{٤٦٨} الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٢١.

^{٤٦٩} المصدر السابق، ص ١٠.

^{٤٧٠} راجع: المصدر السابق المسألة رقم (٦٤) ص ٢٩.

^{٤٧١} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٩٨)، ص ٦٤.

^{٤٧٢} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٥٢)، ص ٢٦.

^{٤٧٣} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٨٥)، ص ٣٣.

١١ - استدلل الأنصاري بشيء من الأقوال المأثورة والشعر في بيان توجيهاته، من ذلك ما جاء في المسألة رقم (١٣١) في بيان الفرق بين حربي الجر [اللام] و [على] قال: "وقولهم: الدهر يومان يوم لك ويوم عليك"^{٤٧٧}. أما الشعر فقد توارد في بعض المواطن من كتابه ومنه: ما نسبه للشافعي:

ما في زمانك من نرجو مودته ولا صديق إذا جاز الزمان وفي
فحش فريدا ولا تركز إلى أحد ها قد نصحتك فيما قلته وكفى^{٤٧٨}

١٢ - استشهد الأنصاري ببعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فمن الموضوع ما ذكره قائلا: "وروي: [لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات]"^{٤٧٩}، ومن الضعيف ما أورده قائلا: "ولذلك روي عن عمر وابن عباس وابن مسعود عن النبي ﷺ "لن يغلب عسر يسرين"^{٤٨٠}.

١٣ - وقف الأنصاري عند كل سور القرآن فلم يدع سورة من سور القرآن إلا ووقف عندها يوجّه بعض آياتها، وقد يقف عند السورة يوجّه فيها عددا من الآيات ليس بينها آية لها ما يشبهها لفظا، مثل: الأحقاف، والفتح، والقمر، الجمعة، والتحريم، والجن، والمزمل، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل، وغيرها.

^{٤٧٤} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٠٣١)، ص ٣٢٨.

^{٤٧٥} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٨٩)، ص ٦١.

^{٤٧٦} راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٦٧١)، ص ٢٠٥.

^{٤٧٧} المصدر السابق، ص ٤٥.

^{٤٧٨} المصدر السابق، ص ٢٢٦.

^{٤٧٩} المصدر السابق، ص ٢١٩. وقد خرج الألباني هذا الحديث في السلسلة الضعيفة وقال عنه موضوع، وقد ورد بلفظ "لولاك يا محمد ما خلقت الأفلاك" راجع

السلسلة الضعيفة، رقم ٢٨٢، ج ١، ص ٤٥٠.

^{٤٨٠} المصدر السابق، ص ٣٧١، وقد خرجه الألباني -رحمه الله- حاكما عليه بالضعف، راجع السلسلة الضعيفة، رقم ٤٣٤٢، ج ٩، ص ٣٢٧.

المبحث الخامس:

السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي:

بعد أن تناولنا بالبحث وأعلام [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] ومصنفاتهم كلا على حدة، ووقفنا على منهج وخصائص كل منهم، كُئِلُّ على حدة، جدير بنا أن نستخلص السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى، وهي كما يلي:

١- التزام منهج المفسرين في تناول سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فتكون البداية بالبقرة فيتبع الباحث الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظاً، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار على هذا الدرب سائر علماء [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

٢- اعتماد منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظاً، حيث عمد أساتذة هذا العلم إلى تحليل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات موضع البحث بنظرة فاحصة معمّياً، وصرفياً، ونحوياً، وبلاغياً، ثم يعقدون مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحياناً منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار كل آية في منزلها، والتأكيد على أنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

٣- الاعتماد على عمدتين أساسيتين في توجيه آيات المتشابه اللفظي، وهما: الأولى: اللغة. والثانية: السياق. إلا أن الجانب اللغوي كان له الغلبة عند أكثر القدامى.

٤- الاستعانة بالعديد من العلوم الأخرى لتوضيح وتوجيه آيات المتشابه اللفظي، فقد كان العلماء السابقون بحورا، حَوَوْا العلوم الأخرى في صدورهم، فكانت عوناً لهم في بيان بعض أسرار الآيات المتشابهات، فاستعانوا بالحديث فنجد آثاره كثيرة

لدى القدماء، واستعانوا بالتفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبالفقه وأصوله، وعلم الكلام، والشعر، وأقوال العرب المأثورة، أما النحو والصرف والبلاغة فإنها كانت عمدة لهم في توجيه آيات المتشابه اللفظي.

٥- من الواضح أن القدامى - رحمهم الله - لم يرموا ولم يسعوا إلى الإحاطة بكل مواطن التشابه اللفظي في القرآن؛ إذ أن هناك مواضع تشابه لفظي كثيرة بارزة لم يتناولوها، ومن غير المعقول أنهم غفلوا عنها، إذ إنهم قد التفتوا إلى ما دونها في التشابه، فلا يعقل أن نقول أنهم لم يروها أو أنهم غفلوا عنها، وإنما يمكننا القول: إن كلا منهم اجتهد وبذل قصارى جهده - وحسبه فضلا وسبقا - في آيات بعينها اختارها لبيان أسرارها، ولرد طعن الطاعنين، ودفع شبه الملبسين، لم يرم إلى الإحاطة بها، إذ لم يدع أحد منهم أنه قد أحاط بكل آيات المتشابه اللفظي، أو أنه وجهها جميعا.

٦- اعتماد المتأخر على المتقدم، فنجد الكرمانى والغرناطي قد اعتمدا على كتاب [الدرة] للإسكافي، أما ابن جماعة فكان عمدته [برهان] الكرمانى، ثم الأنصارى الذى نقل نقلا عن الكرمانى أيضا.

٧- نمو [علم توجيه المتشابه اللفظي] أفقيا ورأسيا، على يد المتأخرين من القدامى، والمقصود بالنمو الأفقي اتساع دائرة توجيه الآيات التي سبق توجيهها على يد المتأخر منهم، إما بتوجيه جديد، أو زيادة عدد المسائل في هذه الآيات، أو توضيح التوجيه السابق. والمقصود بالنمو الرأسي زيادة عدد الآيات التي وجهها متأخرو القدامى، بتوجيههم مواضع تشابه جديدة لم يقف عندها سابقوهم.

٨- ابتكر القدامى منهجين لتوجيه مسائل الآيات المتشابهات:

المنهج الأول: ابتكره أستاذ هذا العلم ومؤسسه الأول الخطيب الإسكافي - رحمه الله - ويقوم على عرض موطن المتشابه فيعرض الآية الأم وما شابهها من الآيات ثم يعرض المسائل التي رآها في ذلك الموطن، ثم يتناولها بالتوجيه مسألة مسألة.

المنهج الثاني: ابتكره الكرمانى -رحمه الله- ويقوم على تقسيم موطن التشابه إلى مقاطع قصيرة،

ويثير مسألة وحيدة في هذا المقطع ثم يتناوله بالتوجيه.

٩- التنوع ما بين البسط والإيجاز، فنجد البسط عند رائدى هذا العلم الإسكافى والغرناطى، في حين نجد الإيجاز لدى الكرمانى وابن جماعة والأنصارى.

١٠- نجد من القدامى خاصة المتأخرين منهم - الكرمانى، ابن جماعة، الأنصارى- يعمدون إلى توجيه آيات ليست من المتشابه اللفظى، يقفون عندها ويوضحون أسرارها.

١١- عمد أكثر القدامى إلى إشراك القارئ في الحوار والمناقشة باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة، فيطرحون الأسئلة ويناقشونها ثم يتولون الإجابة عنها، ونجد ذلك واضحا بارزا لدى الإسكافى، والغرناطى، والأنصارى. أما الكرمانى فاعتمد السرد في توجيهه لمسائله، وتابعه في ذلك ابن جماعة، لكنه جمع أحيانا ما بين السرد والمناقشة.

الفصل الثاني:

المحدثون تجديد وإثراء

مقدمة :

يمكننا القول أن البحث في [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] قد توقف بعد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) حتى عصرنا الحالي، اللهم إلا ما بدا في ثنايا بعض كتب علوم القرآن^{٤٨١} من فصول ومباحث قصيرة، بل يمكن القول إن علم [توجيه المتشابه اللفظي] لم يؤلف فيه مصنف خاص له قبل عام ٢٠٠٠ م، وإن كان كتاب عبد العظيم المطعني [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية] قد طبع سنة ١٩٩٢ م، فإنه لم يُصنّف في توجيه المتشابه اللفظي خاصة، بل إنه شمل جوانب أخرى كثيرة غير توجيه المتشابه اللفظي، كما سيأتي.

ومع مطلع السنوات العشر الأخيرة بدأت كتب فاضل السامرائي تخرج إلى النور تباعاً، ثم كتاب ياسين المجيد [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن]، ثم كتاب محمد الصامل [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، ثم كتاب الدكتور محمد القاضي [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق] وفي هذا الفصل يتناول الباحث أربعة علماء من خمسة برزوا - بحسب ما أرى - بمصنفاتهم التي صنّفوها في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن].

أما الأربعة فهم: الدكتور العلامة عبد العظيم المطعني، والدكتور ياسين المجيد، والدكتور محمد الصامل، والدكتور محمد القاضي، وأما الخامس فهو الدكتور العلامة فاضل صالح السامرائي، وسوف يُفرد له فصل خاص في الباب الثالث من هذا البحث مع الغرناطي، إذ أنهما أحد أهم عناصر البحث، فكان لابد من دراسة موسعة لهاتين الشخصيتين ومصنفاتهما في توجيه المتشابه اللفظي وسوف تأتي إن شاء الله.

^{٤٨١} كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي. والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

استمارة التحاق بالأزهر، فهاجر إلى القاهرة، والتحق بالسنة الأولى بمعهد القاهرة الابتدائي عام ١٩٥٢م.

وأتمَّ دراسته الابتدائية والثانوية بتفوق ملحوظ على أقرانه، ثم التحق في عام ١٩٦٢م بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر شعبة اللغويات، وتخرج عام ١٩٦٦م بتقدير جيد في اللغة العربية وآدابها.

والتحق بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، قدم فيها بحثاً للحصول على درجة الماجستير، وكان بعنوان: [سحر البيان في مجازات القرآن] وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز. ثم التحق بقسم العالمية ليحصل على درجة الدكتوراه يوم الإثنين، ٢٥/٤/١٩٧٤م، وكان موضوعها [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية] وقد حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى^{٤٨٥}.

وفي يوم الأربعاء ٢٧ من شهر رجب، الموافق ٣٠ من يوليو ٢٠٠٨م، توفي -رحمه الله- وشيع من مسجد النور في حي العباسية بوسط العاصمة المصرية القاهرة في جنازة مهيبة، وأمَّ الناس في الصلاة عليه د. محمد مختار المهدي رئيس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة، بحضور لفيف من أساتذة الأزهر، وامتألاً المسجد بالمصلين على الفقيه حتى صار أشبه بصلاة الجمعة.

المطلب الثاني: خصاله وجهاده

لقد جمع الله تعالى على عبد العظيم المطعني كريم الخصال، إلى جانب الصدق في هذه الخصال - كما نحسبه ولا نزكي على الله أحد - إذ أن أضواء الإعلام في العصر الحديث تجرف الكثير من الناس، ولكأننا به يقول: "يا دنيا غري غيري... فقد بتتك"^{٤٨٦} ثلاثاً^{٤٨٧}،

^{٤٨٥} عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ١، ص ٣.

^{٤٨٦} أي: طلقتك

^{٤٨٧} هذه مقولة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - تتردد في شتى الكتب التي تترجم لعلي أو تتناول سيرته، وقد جاءت في وصف ضرار الصدائي أحد أصحاب علي حين: "طلب معاوية رضي الله عنه من ضرار الصَّدائِي أن يصف له علياً، فقال: "وأشهد أني قد رأيتُه في بعض مواقفه، وقد أرحى الليل سُدُولَه، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تلملم السليم، ويكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إلى تعرّضت أم إلى تشوّفت، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد ويُعد السفر، ووحشة الطريق، فيكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها" راجع: علي محمد الصلابي، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مصدر الكتاب: موقع المؤلف على الإنترنت:

وكان رحمه الله لا يخشى في الحق لومة لائم، بل إنه خاض غمار معارك شديدة من أجل الحق والدفاع عنه، فلقد خاض معارك كثيرة مع العلمانيين والشيوعيين، ومن معاركه الفكرية ما يأتي:

- تصدّى لفتوى مفتي مصر سيد طنطاوي^{٤٩١} بحل ربا البنوك وله توقيع في قائمة من مائة عالم من علماء المسلمين لدفع هذه الفتوى ودحضها، واسمه في القائمة رقم (٢٧) وهذه القائمة صورة ضوئية ملحقة بآخر كتاب [فوائد البنوك هي الربا الحرام] ليوסף القرضاوي^{٤٩٢}.

- تصدّى لمشروع سوزان مبارك^{٤٩٣} للمرأة وقوانين الطفل، وفندها بقوة، وهاجمها بضراوة في أكثر من صحيفة، وأكثر من موقع^{٤٩٤}، كما ألف ردا على هذا المشروع كتابين، الأول: حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية. والثاني: المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين.

- تصدّى لرواية [أولاد حارتنا] التي ألفها الروائي نجيب محفوظ^{٤٩٥} الحائز على جائزة نوبل للآداب، وكشف رموزها التي تفضي إلى الكفر، ورد على كاتبها في كتاب [جوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا]، طبعته مكتبة وهبة طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ^{٤٩٦}، والذي خلص فيه إلى أن: "هذه الرواية تترجم في وضوح أن كاتبها ساعة كتبها كان زاهدا في الدين كل الزهد، معرضا عنه كل الإعراض، ضائقا به

^{٤٩١} الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر، ولد بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج بمصر في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٨، عين مفتيًا للديار المصرية في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦، وفي ٢٧ مارس ١٩٩٦ عين شيخًا للأزهر، وظل شيخًا للأزهر حتى وفاته ٢٤ ربيع الأول ١٤٣١ هـ - ١٠ مارس ٢٠١٠. وكانت فترة شباعته للأزهر بلاء شديدا على الأزهر والمسلمين.

^{٤٩٢} القرضاوي، يوسف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م فوائد البنك هي الربا الحرام، القاهرة، دار الصحوة، والمنصورة، دار الوفاء، ص ١٨٨

^{٤٩٣} سوزان صالح ثابت، زوجة الطاغية محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الذي خلعتة ثورة ٢٥ يناير المجيدة.

^{٤٩٤} وقد رد مع عدد علماء مصر على هذا لقانون وفندوه حتى أبطلوه، راجع هذه الروابط:

<http://www.almesryoon.com/ShowDetails.asp?NewID=٤٩٠٦&Page=١> / ٢٠١٠/٠٧/١٥،

<http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=٣٧٤٨٥&SecID=٢٩٥>. ٢٠١٠/٠٧/١٥،

^{٤٩٥} نجيب محفوظ روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. راجع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AC%D9%8A%D8%A8_%D9%85%D8%AD%D9%81%D9%88%D8%B8

^{٤٩٦} على هذا الرابط لموقع [صيد الفوائد] عرض وتحليل موجز لهذا الكتاب:

<http://www.saaid.net/Doat/hasn/٨١.htm> ٢٠١٠/٠٧/١٤،

- تصدَّى لمخططات [البابا شنودة^{٥٠٢}] لتنصير مصر وتفتيتها، قال في ذلك الصحفي المعروف محمود القاعود^{٥٠٣}: "كان -رحمه الله- يحذر من مخطط البابا [شنودة الثالث] لتفتيت مصر ومحاولته إعادة سيناريو^{٥٠٤} جنوب السودان في مصر .. يتساءل في أسى وحيرة عن صمت المسؤولين في مصر عما أحدثه هذا الشخص في البلاد والعباد ونشره للفتنة الطائفية ... أحبرني - رحمه الله - أنه طلب من شنودة الثالث أن يناظره حول عصمة الكتاب المقدس، وهل هو وحى من الله أم من تأليف البشر .. لكن شنودة الرعديد أبى واستكبر .. فأخبره الدكتور المطعني أن ذنب النصرارى في رقبته لأنه أضلهم وهو يعرف الحق"^{٥٠٥}

- تصدَّى لافتراءات المستشرقين ودعاويهم في القرآن والسنة، وقد صنّف في ذلك عدة مصنفات منها: كتاب [افتراءات المستشرقين علي الإسلام عرض ونقد]، ويعرض فيه أربعين طعناً من طعون المستشرقين في الإسلام ويرد عليهم رداً واضحاً جلياً وكتاب [الشبهات الثلاثون المثارة ضد السنة النبوية، عرض وتفنيد ونقض]، وكتاب [أوروبا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف]، وكتاب [الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي]، وكتاب [محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين]، وغيرها.

- تصدى للتنصير، وحركات التنصير في مصر والخارج بعدة كتب منها: كتاب [التبشير العالمي ضد الإسلام. مخاطره و طرق مقاومته]، وكتاب [حقائق القرآن وأباطيل خصومه]، وكتاب [المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود عجائب و غرائب].

^{٥٠٢} البابا شنودة الثالث، اسمه الحقيقي [نظير جيد] ولد ٣ أغسطس ١٩٢٣م، وتوفي ١٧ مارس ٢٠١٢ وهو بابا الإسكندرية وبطربرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر .

راجع رابط ويكيديا:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF٢٠١٠/٠٧/١٦

^{٥٠٣} كاتب إسلامي مصري شهير، يكتب في عدة صحف، وله موقع على النت بجوي إتاحة ورابطه:

<http://alqaoud.wordpress.com/٢٠١٠/٠٧/١٦> ،

^{٥٠٤} كلمة غير عربية ويقصد بها: قصة أو حكاية أو تجربة.

^{٥٠٥} موقع الصحفي محمود القاعود على النت:

<http://alqaoud.wordpress.com/category/%D٢٠١٠/٠٧/١٦> ،

- خاض الشيخ معارك كثيرة مع العلمانيين والشيوعيين، وكان □ جريئاً يصدع بالحق، ويحطم الأغلال، ولا يبالي على مَنْ يقع معولُه، صنف عدة كتب في دفع أباطيلهم منها: [الإسلام في مواجهة الأيدولوجيات المعاصرة]، موضوع هذا الكتاب بيان موقف الإسلام من المذاهب المادية المعاصرة - العلمانية والشيوعية - وإبطال مبادئها ودعاويها، وكتاب: [العلمانية، حقيقتها وموقفها من العقيدة والشريعة]، وكتاب: [قراءات في كتاب أحمر، لينين زعلان من الشيوعيين]، وكتاب: [لماذا لا بد من دين الله لدنيا الناس]، يرد فيه على دعاة هجر الدين وقيمه و إحلال مفاهيم الحضارة الغربية المادية محلها.

المطلب الثالث: مكانته العلمية:

لقد وجدنا علماء الأمة القدامى يخططون بعلوم شتى، يُلمُّون بها جميعاً، ويصنفون فيها جميعاً، فقد كان الكثير منهم لا يتخصص في باب واحد من أبواب العلم، بل كانوا يدركون أن العلوم جميعاً كل متكامل، يقوم بعضه ببعض، فلذلك وجدناهم بحورا زاخرة من العلوم، أما في العصر الحديث فلم نجد هذه النماذج إلا نادراً، حيث غلب التخصص على الباحثين وطالبي العلم، فمع تراكم الكم الثقافي والمعرفي، أصبح يشق على الباحثين التبحر في أكثر من باب، فَعَمَدَ الباحثون إلى التبحر في باب واحد من أبواب العلم، مع الإمام بشيء من كل شيء ما استطاعوا.

إلا أن عبد العظيم المطعني - رحمه الله - كان من العينة الأولى، من عينة العلماء القدامى، العلماء الموسوعيين؛ إذا أنه لم يقف عند باب واحد من العلم، فبالنظر في مؤلفات المطعني نجد أنفسنا أمام عالم موسوعي، على هيئة علماء سلف الأمة الذين كانوا لا يشبع نهمهم من العلم، وقد جمعت مكتبة جامعة أم القرى على موقعها على النت^{٥٠٦} مصنفات هذا العلامة، والتي بلغت تسعا وخمسين مصنفا في شتى العلوم، ويتأمل هذه المصنفات نجد

^{٥٠٦} موقع جامعة أم القرى، رابط مكتبة الدكتور عبد العظيم المطعني، <http://uqu.edu.sa/page/ar/>، ٢٢٢٢٦، ١٨/٠٧/٢٠١٠

أن المطعني قد صنف في علوم اللغة - البلاغة والنقد والنحو^{٥٠٧} - والتفسير^{٥٠٨} والحديث^{٥٠٩}،
والفقه^{٥١٠}، والتاريخ^{٥١١}، والتربية وعلم الاجتماع^{٥١٢}، والسياسة^{٥١٣}.
ولقد خص المطعني المرأة بعدة مصنفات قيِّمة منها: [المرأة في عصر الرسالة]،
و[محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة]، و[ملاحظات موضوعية علي فتوى: إسلام
المرأة دون زوجها وبقاؤها في عصمته].

أضف إلى ما تقدم إجادته للغتين الإنجليزية والعبرية؛ إذ يجزنا تلميذه في جامعة أم
القرى الدكتور ظافر العمري^{٥١٤} عنه أنه: " كان مجيدا للغتين الإنجليزية والعبرية، ولكنه كان
يأنف أن يكتب في علوم الإسلام بغير لغة الإسلام فجعل سلوكه النبيل منهجا لتلاميذه ومن
يأخذ عنه"^{٥١٥}، كما شارك المطعني في تأليف الموسوعات العلمية التي قام عليها "المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية فقد شارك في:

١ - موسوعة المفاهيم الإسلامية.

٢ - الموسوعة القرآنية.

٣ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين^{٥١٦}.

ولم يقف عبد العظيم المطعني عند التأليف في العلوم الشرعية، بل إنه كتب في شتى
الاتجاهات، يقول الدكتور حامد أبو أحمد^{٥١٧}: "إن الدكتور المطعني تميز بين أساتذة كلية اللغة

^{٥٠٧} مثل: خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية / البديع من المعاني والألفاظ / والحجاز في اللغة و في القرآن الكريم بين الإجازة والمنع، جزءان / ودراسات
جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة / وعلم الأسلوب في الدراسات الأدبية و النقدية / ومن قضايا البلاغة و النقد. وغيرها.

^{٥٠٨} مثل: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم / وحقائق القرآن وأباطيل خصومه، ٣ أجزاء.

^{٥٠٩} مثل: الشبهات الثلاثون المثارة ضد السنة النبوية عرض وتفنيذ ونقض / والرسالة المطعنية في الدفاع عن السنة النبوية / والشفاعة حق لا ريب فيه.

^{٥١٠} مثل: الجائز والمنوع في الصيام / و مناسك الحج و العمرة في ضوء المذاهب الأربعة / والفقه الاجتهادي الإسلامي ، بين عبقرية السلف و مأخذ ناقدية / و
عقوبة الارتداد عن الدين بين أدلتها الشرعية و أوهام المرجفين / ونقل الأعضاء البشرية بين الجواز والمنع / وغيرها.

^{٥١١} مثل: المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود عجائب و غرائب / وجرمة العصر، قضية احتلال المسجد الحرام عام ١٤٠٠ هجرية رواية شاهد عيان.

^{٥١٢} مثل: الفراغ و أزمة التدين عند الشباب المعاصر الداء و الدواء / ومبادئ التعايش السلمي العالمي في الإسلام منهجا و سيرة / أسباب تراجع الأزهري / وسماحة
الإسلام في الدعوة إلى الله و العلاقات الإنسانية.

^{٥١٣} مثل: أدب الإسلام في الرياسة و السياسة / وتدابير الأمن في الإسلام.

^{٥١٤} الدكتور: ظافر غرمان غرام العمري، وكيل كلية اللغة العربية الحالي، جامعة أم القرى، والمشرى على تحرير موقع الجامعة على النت، وعضو اللجنة العلمية السعودية
للأدب العربي، راجع هذا الرابط على النت:

<http://uqu.edu.sa/page/ar/١٩٩٠٧٢٠١٠/٠٧/١٨> ،

^{٥١٥} الدكتور ظافر العمري، مقال بعنوان: [علامة البلاغة الشيخ الأستاذ: عبد العظيم المطعني]، موقع ملتقى البلاغيين والنقاد العرب، رابط:

<http://www.bn-arab.com/vb/showthread.php?t=٤٩٠٢٠١٠/٠٧/١٤> ،

^{٥١٦} راجع الرابط السابق.

العربية بحضوره على الساحة الثقافية من خلال الكتابة في عدد من الصحف والمجلات في كثير من الموضوعات، ولم يقتصر كغيره على الأمور الدينية فحسب، وكانت له نظرات مهمة، وآراء جيدة في الثقافة بشكل عام، ودخل معارك فكرية رائعة، خاضها بقوة وبقين؛ فهو مفكر إسلامي، وليس مجرد كاتب، أو أستاذ في الجامعة، وكانت أحاديثه الإذاعية على الرغم من كونها غالبًا في بلاغة القرآن والسنة، إلا أنها تدل على موسوعية ثقافته وعمقها^{٥١٨}.

ويؤكد جمال سلطان على موسوعيته قائلاً: "المطعني من ذلك الجيل الذي كان موسوعياً بمعنى الكلمة في معرفته بتراث الإسلام، واللغة، والأدب، والفقه، والتفسير، والتاريخ، ولذلك أتت كتاباته شديدة التنوع. ولقد جعله حضوره، وقوة حجته، وسلاسة بيانه، وبلاغته، وجاذبية منطقه، مقصداً للعديد من الصحف والمجلات لاستكتابه في مصر والعالم العربي، وكذلك لإذاعة القرآن الكريم، حيث كانت له أحاديث غاية في الروعة، واليسر، والعمق معا... كان مشغولاً بالإنتاج الفكري، والكتابة، والعطاء، والاشتباك مع قضايا الواقع بحمة وحماسة من يرى أنه في ميدان، وأنه يجاهد بالفعل"^{٥١٩}.

المطلب الرابع: التعريف بكتاب المطعني [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]

أولاً: أصل الكتاب ومحتواه وأهدافه:

لما أردتُ أن أعرفَ بهذا الكتاب، ووجدتُ أنه سيطول بي الكلام، بما ينسي أوله آخره، فرأيتُ أن أقف بكم على جوانب هذا الكتاب في نقاط موجزة محددة، كما يلي:

١ - أصل الكتاب: هذا الكتاب - في أصله - البحث الذي أعده عبد العظيم

المطعني لنيل درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، في البلاغة

والنقد، وكان مسماه [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية]، وتم

^{٥١٧} الدكتور حامد أبو أحمد عميد كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

^{٥١٨} محمد عبد الفتاح، مقال بعنوان [د. عبد العظيم المطعني في عيون معاصريه]، موقع إخوان أون لاين،

<http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=39423&SecID=290> ٢٠٠٩/٠٥/١٦ ،

^{٥١٩} جمال سلطان، مجلة العصر، نقلاً عن صحيفة المصريون الإلكترونية،

<http://www.alsr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=10239> ٢٠٠٩/٠٧/٠٤ ،

تغييره إلى [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية] باقتراح من صاحب مكتبة وهبة^{٥٢٠}، وراق للمطعني هذا التغيير؛ لما فيه من الإيجاز، كما رأى أنه لا فرق بين الأول والثاني^{٥٢١}، وطبعته مكتبة وهبة طبعته الأولى سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٢- مقدمة الكتاب: قد قدم المطعني للكتاب بمقدمة طويلة مستفيضة وافية - تسع عشرة صفحة^{٥٢٢} - فصل فيها المطعني لمادة كتابه ومحتوياته، حيث أعطى توضيحا موجزا عن الكتاب بابا بابا، وفصلا فصلا، فتكاد المقدمة تعطيك صورة مصغرة من الكتاب، يقول المطعني عن مقدمته: "وسَيُلْمُ القارئ عند مطالعته للمقدمة التالية بأصول المنهج"^{٥٢٣}.

٣- موضوع الكتاب : حدده المطعني تحديدا في مقدمته قائلا: "إن موضوع هذا البحث يدور حول بَحْثِيَّة كثيرة من خصائص النظم القرآني، وسمات بلاغته المعجزة"^{٥٢٤}، فهذا الكتاب يسير على غرار كتب الإعجاز في القرآن، لكن بتوسع كبير، ومع التدليل بأمثلة تؤيد ما ذهب إليه الكاتب؛ اسمع إلى المطعني يقول: "إن عنوان هذا البحث وإن لم يشير إلى أية إشارة إلى قضية الإعجاز، فإنه - أعني البحث - تطبيق عملي موضوعي للكشف عن سر الإعجاز في القرآن الكريم"^{٥٢٥}.

٤- أهداف الكتاب: رمى المطعني في كتابه إلى هدف رئيس وهو: جلاء معجزة كتاب الله، وتقريبها إلى العقول بتيسيرها للفهم؛ فبعد أن بَيَّنَّ أنَّ لكل باحث في القرآن أهدافا وطريقة ومنهجًا، سواء كانوا فقهاء، أو أصوليين، أو مشرعين، أو لغويين، أو فلاسفة، أو متكلمة، قال: "ولما كان القرآن هو معجزة الإسلام، وإعجازه راجع إلى بيانه وأدبه، وبلاغته وفصاحته، وأسلوبه ونظمه، فإن الحاجة

^{٥٢٠} الأستاذ وهبة حسن وهبة، صاحب مكتبة وهبة للنشر، ١٤ شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، تلفون ٣٩١٧٤٧٠.

^{٥٢١} عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ١، ص ٣-٥. بتصرف.

^{٥٢٢} المصدر السابق، ج ١، ص ٣-٢١.

^{٥٢٣} المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠.

^{٥٢٤} المصدر السابق، ج ١، ص ٦.

^{٥٢٥} المصدر السابق، ج ١، ص ٥.

في هذا العصر الذي يتسم بالتكرر لحقائق الإيمان، والتمرد على سلطان الدين، تصبح ماسة إلى ما يساعد على جلاء تلك المعجزة، وتقريبها إلى الأفهام^{٥٢٦}، ومن هنا كانت اختياري لهذا الموضوع [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية]^{٥٢٧}.

٥- **محتوى الكتاب أبوابه وفصوله:** يكفي الباحث في كتاب المطعني النظر في عناوين أبواب الكتاب وفصوله فيدرك أن الكتاب عبارة عن دراسة لغوية، بلاغية، تفسيرية للوقوف على جانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فقد جاء الكتاب في جزأين، من خمسة أبواب، مُتَضَمَّنَةً ثلاثة عشر فصلا، جعل بابه الأول مدخلا للبحث درس في فصله الأول وظيفة التعبير اللغوي، والفصل الثاني دراسة تاريخية للبلاغة الفنية في العصور الأولى: الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي. أما الباب الثاني وعنوانه: [خصائص التعبير في القرآن الكريم]، فقد فنّد في فصله الأول شبهة الصرفة ورد على القائلين بها، وفي الفصل الثاني ناقش آراء بعض مصنفي علم الإعجاز في القرآن قدامى ومحدثين، وفي الثالث تناول بعض خصائص التعبير القرآني التي يغلب عليها الجانب اللفظي منها: الحروف المقطعة أوائل السور، والنغم الصوتي، والتكرار، وفي الفصل الرابع تناول الخصائص التي يغلب عليها جانب المعنى منها: ثراء المعاني، واختلاف الأغراض، والتصوير، وغيرها. وخص الباب الثالث بعلم المعاني في القرآن، فدرس في فصوله الحذف في القرآن بأنواعه وأسراره، والتقديم والتأخير. وخص الباب الرابع بعلم البيان في القرآن، ودرس في فصوله التشبيه والتمثيل، والمجاز في القرآن. وفي الباب الخامس والأخير تناول علم البديع في القرآن.

ثانيا: **حظ المتشابه اللفظي في القرآن من كتاب [خصائص التعبير القرآني]:**

كما نلاحظ من عنوان الكتاب، فإنه ليس خاصا بالمتشابه اللفظي في القرآن، مقتصر عليه؛ لكن المطعني درس فيه بعض مواطن المتشابه اللفظي كخصيصة من خصائص التعبير القرآني،

^{٥٢٦} أي العقول.

^{٥٢٧} المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ١، ص ٨.

ولم تأت دراسة المطعني للمتشابه اللفظي في القرآن على أنه علم قد أسس له، ووضعت قواعده، بل إن لفظ [المتشابه اللفظي في القرآن] لم أجد له أثرا في كتابه، رغم أنه تناول المتشابه اللفظي في كتابه على ثلاث صور مختلفة:

الصورة الأولى: فصل قائم بذاته - الفصل الثالث من الباب الثالث - وجه فيه عشرين موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن، سمّاه: [التقديم غير الاصطلاحي، أو اختلاف النظم في العبارات ذات المعنى الواحد]، وهذا المسمى أول دليل على أن المطعني لم يقف على هذا العلم، ولا على كتب شيوخ المتشابه اللفظي في القرآن. أما سبب تسميته [التقديم غير الاصطلاحي] ذلك لأن المطعني في الفصل السابق لهذا الفصل بحث نوعين من التقديم: تقديم ما حقه التأخير، وتقديم ما ليس له رتبة، ثم وجد نوعا ثالثا من التقديم، لا يدخل تحت أيّ من النوعين السابقين، فابتكر له اسم [التقديم غير الاصطلاحي] إذ لم أجد أحدا قبل المطعني استعمل هذا الاصطلاح، وقد بين هذا النوع قائلا: "إذا قارنت العبارة بموضع آخر اتحد معها في أصل المعنى ظهر لك أن الكلمة قدمت في موضع وأخرت في آخر" ٥٢٨

الصورة الثانية: قضية التكرار - التكرار اللفظي، وتكرار القصص - وجاء في الفصل الثالث من

الباب الثاني، ووجه فيه تكرار الآيات في سور [القمر، والرحمن، والمرسلات] وجاء في ثلاث عشرة صفحة ٥٢٩، كما ناقش بعض قصص القرآن، وبيان أسرار التكرار، وتحليل القصة في كل منازلها، وإثبات أن كل مرة تنزل فيها القصة تحمل معنى وخبرا جديدا، واستغرق ذلك أربعاً وثلاثين صفحة ٥٣٠.

٥٢٨ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧.

٥٢٩ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢١ - ٣٣٢.

٥٣٠ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣ - ٣٦٦.

الصورة الثالثة: تناول حوالي خمسة عشر موطننا أخرى من مواطن المتشابه اللفظي في القرآن في

أماكن متناثرة في كتابه من أوله لآخره^{٥٣١}. والحق أنه حين تناول هذه المواطن بالتوجيه، كان يوجه فيها جانبا واحدا، أو مسألة وحيدة، هي موضوع المَبْحَث الذي نزلت فيه آيتا المتشابه اللفظي في كتابه.

^{٥٣١} مواضع هذه الآيات في الكتاب كما يلي: (١) وجه اختلاف الفاصلة في آيتي إبراهيم ٣٤، والنحل ١٨، [ج ١، ص ٢٢٨] (٢) وجه اتفاق الفاصلة في آيتي النور ٥٨، ٥٩ [ج ١، ص ٢٢٩] (٣) وجه اختلاف الحكم الإعرابي في آيتي النساء ٢٤، ٢٦ [ج ١، ص ٢٣٧] (٤) وجه ثلاث فواصل متحدة في آيات غافر ٦٤-٦٦ [ج ١، ص ٣٠٨-٣٠٩] (٥) وجه تكرار فاصلة في ثلاث آيات متتابعات في البقرة ١٠١-١٠٣ [ج ١، ص ٣١٠-٣١١] (٦) وجه تكرار الأداة في كل من آيتي النحل ١١٠ و ١١٩ [ج ١، ص ٣٢٢-٣٢٣] (٧) وجه تكرار الكلمة في كل من آيتي الرعد ٥، النمل ٥ [ج ١، ص ٣٢٤] (٨) وجه تكرار الفاصلة في السورة ككل مثل تكرار آية الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، وآية القمر ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ، وآية القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ، وآية المرسلات ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٢] (٩) وجه حذف الواو وذكره في آيتي الزمر ٧١، ٧٣ [ج ٢، ص ١١] (١٠) وجه حذف الواو في آية الكهف ٢٢ [ج ٢، ص ١٣] (١١) وجه حذف الواو في آيتي الحجر ٤ ، وآية الشعراء ٢٠٨ [ج ٢، ص ١٦] (١٢) وجه حذف حرف الجر الباء في آية آل عمران ١٨٤، وإثباته في فاطر ٢٥ [ج ٢، ص ١٧-١٨] (١٣) وجه حذف حرف من بنية الكلمة في آيتي البقرة ٣٨، وطه ١٢٣ [ج ٢، ص ١٩-٢٠] (١٤) وجه تشبيه التمثيل في آيتي إبراهيم ١٨، والنور ٣٩ [ج ٢، ص ٢٢٦] (١٥) وجه آيتي الحج ٨ ، ولقمان ٢٠ [ج ٢، ص ٣٩١].

المطلب الخامس: خصائص منهج وأسلوب المطعني في توجيه المتشابه اللفظي في كتابه:

- ١- اعتمد المطعني على نفسه في النظر والتأمل والاجتهاد للوقوف على أسرار الاختلاف اللفظي بين آيات المتشابه اللفظي، وهذا لا يمنع أنه رجع إلى كتب التفسير، وكتب اللغة، والبلاغة، لكنه نادرا ما يجد في [توجيه المتشابه اللفظي] شيئا في هذه الكتب، وهذا صحيح، إذ لم يلتفت علماء التفسير إلى هذا العلم [المتشابه اللفظي في القرآن] إلا نادرا، قال المطعني يبين ذلك: "وقد أحصيت من هذا النوع واحدا وعشرين موضعا في القرآن الكريم، فَرَحْتُ أبتغي لها توجيهها عند المفسرين، فلم أجد إلا عبارات مقتضبة في مواضع قليلة جدا، لم تشف غليل باحث. وبدهي أن البلاغيين لم يعالجوا هذا النوع لا من قريب ولا من بعيد"^{٥٢٢}.
- ٢- رغم إشارته إليهم بأسمائهم في كتابه^{٥٢٣}، لم يقف المطعني على مصنفات شيوخ المتشابه اللفظي في القرآن [الكرماني، والغرناطي، وابن جماعة، والأنصاري]، وقد وقف على مصنف وحيد [درة التنزيل للإسكافي] بعد أن انتهى من توجيهاته جميعا، قال في ذلك: "وبعد الفراغ من توجيهاتها كلها، واستفراغ كل جهدي في دراستها، بعد هذا كله عثرت على كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز] للشيخ أبي عبد الله محمد بن الخطيب الإسكافي المتوفي ٤٢١ هـ... وعلى التَّوَقُّمُ بمراجعة فاحصة لما كتبه في توجيهها، مقارنا بما جاء في كتاب الخطيب الإسكافي، وللحق أقول: إنني لم أغير كثيرا فيما انتهيت إليه من نتائج بعد اطلاعي على هذا الكتاب، وسوف أشير إلى رأيه ملخصا فيما يأتي عند توجيه كل موضع"^{٥٢٤}.
- ٣- لم يوجه المطعني آيات المتشابه اللفظي التي وقف عليها توجيهها كاملا، ولم يتناول فيها إلا جانبا واحدا، ومسألةً وحيدة، هي موضع بحثه، ففي الفصل الذي وقفه على المتشابه اللفظي لم يبحث في آياته سوى تقديم لفظ ما في آية ما، وتأخير

^{٥٢٢} عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٤٨

^{٥٢٣} المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠. فقد وجدت في كتابه نقلا غير مباشر عن ابن جماعة والأنصاري والغرناطي [ج ٢، ص ٢٠] فقد نقل عنهم عن عبد الغني الراجحي في كتابه [المناهج الجديدة في تفسير آيات الله المجيدة]، وهذا يؤكد أن المطعني قد علم بمدى الكتب ولم يقف عليها.

^{٥٢٤} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩.

في أخرى تشابحت معها لفظاً، ويؤكد ذلك العنوان الذي اختاره للفصل [التقديم غير الاصطلاحي]، فقد يكون في موطن التشابه الذي يوجهه مسائل عدة، لكنه ينصرف إلى مسألة وحيدة ألا وهي تقديم لفظ ما وتأخيره.

ففي الموضوع الأول من المواضع العشرين التي تناولها بالتوجيه تناول التقديم والتأخير في:

قول الله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة ٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (الأعراف ١٦١).

حيث عرض في إيجاز رأي الزمخشري، وأبي السعود، ثم الخطيب الإسكافي، والسيوطي، وانتقل قائلا: "رأينا في الموضوع: إن الذي ذكره وإن كان صحيحا في نفسه فغير كاف لإقناع الباحث في كتاب الله، فهو أقرب للتوجيه العام من التحليل الموضوعي الدقيق.."^{٥٣٥} ثم أخذ يوجه الآيتين توجيهها - يراه جديدا - إلا أن توجيهه الذي أتى به - وهو بديع - ليس كله بجديد؛ فإنه وإن كان في توجيهه لمحات جديدة، إلا أن الغرناطي قد سبق إليه، بل إن الغرناطي قد أتى بما هو أبعد وأعمق مما وقف عليه المطعني، ولعل السبب أن المطعني يبحث في قضية ومسألة وحيدة، أما الغرناطي فينظر للآيات نظرة شاملة، وفي هاتين الآيتين كان أكثر إحاطة بدقائق الفروق بين الآيتين، فأول الآيتين ووجههما في المحيط الكلي الذي نزلتا فيه، فجمع آيتي البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ

﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ (البقرة ٥٨-٥٩).

وآيتي الأعراف:

^{٥٣٥} عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٥٠-١٥١

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾
 (الأعراف ١٦٦-١٦٧).

وناقش فيهما عشر مسائل^{٥٣٦}، وتناول هذه المسائل مسألة مسألة، فكان توجيه المتأخر منها يبني على المتقدم، في تأويل وتوجيه متكامل بدیع للآيات^{٥٣٧}.
 ٤ - بنى المطعني توجيهاته على ثلاثة أسس؛ قال: "اضطرت إلى استئناف البحث في هذه المواضع جميعا معتمدا في توجيه السر فيها على ما يأتي:
 الأول: شروح المفسرين، وما قاله بعضهم من عبارات مقتضبة لم تشف غليلا.
 الثاني: ما كتبه الزركشي في البرهان عن بعض المواضع.
 الثالث: وهو المعتمد الأهم، هو القرآن نفسه، أوازن وأستنتج وأقف في كل موضع أدرسه ما اشتمل عليه من دقائق اللفظ والمعنى، وقرائن الأحوال واختلاف

^{٥٣٦} الأولى: قوله جل وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اَسْكُنُوا ﴾ .

الثانية: قوله في البقرة: ﴿ فَكُلُوا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَكُلُوا ﴾ .

الثالثة: قوله في البقرة: ﴿ رَعَدًا ﴾ ، ولم يأت ذلك في الأعراف.

الرابعة: قوله في البقرة: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ .

الخامسة: قوله في البقرة: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ ، وفي الأعراف قراءة الجماعة غير أبي عمرو وابن عامر: ﴿ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ مجموعا جمع السلامة.

السادسة: قوله في البقرة: ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

السابعة: زيادة: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ في الأعراف وسقوط ذلك في البقرة .

الثامنة: قوله في البقرة: ﴿ فَأَنْزَلْنَا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ فَأَرْسَلْنَا ﴾ .

التاسعة: قوله في البقرة: ﴿ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ .

العاشرة: قوله في البقرة: ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ .

^{٥٣٧} راجع الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق عبد الغني الفاسي، ج ١، ص ٣٦-٤٠.

المقامات والسابق واللاحق نزولا، وكان لهذا فضل توجيهي في كل المواضع التي تناولتها بالدراسة هنا^{٥٣٨}.

٥- كان السياق أهم آلات المطعني - بل هو عمدته - في توجيه آيات المتشابه اللفظي التي تناولها، كما اعتمد على اللغة والبلاغة اعتمادا كبيرا في توجيهاته، وهذا واضح جلي في كل توجيهاته.

٦- السمة الغالبة لأسلوب المطعني هي البسط في توجيه المسألة التي يتناولها، حيث يعرض آراء المفسرين، ثم يفاضل بينها، ثم يعرض توجيهه الخاص، فنجده يبسط توجيه مسألة واحدة حتى تزيد على ست صفحات^{٥٣٩}، إلا أننا نجد أحيانا يوجز التوجيه في بضعة أسطر^{٥٤٠}.

٧- استعمال أسلوب المناقشة وافتراض الأسئلة ثم الإجابة عنها. فنجده يتساءل قائلا: "لماذا قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول في البقرة، وعكس الأمر في الحج؟"^{٥٤١} ثم يمضي يجيب عن سؤاله.

٨- على الرغم من قلة مواضع المتشابه اللفظي التي وجهها المطعني، إلا أننا نجد من بينها مواضع جديدة، لم يتناولها أحد من علماء توجيه المتشابه اللفظي السابقين، فقد وجه في الموضوع الثالث مسألتين، في آيتين، لم أجدهما في أي من مصنفات علماء المتشابه اللفظي السابقين، فقد وجه تقديم شهادة الأمة على شهادة الرسول في قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)، وعكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ﴿

^{٥٣٨} المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٤٨

^{٥٣٩} راجع توجيه الموضوعين التاسع عشر، والعشرين: المصدر السابق: [ج ١، ص ١٨٩-١٩٤]، [ج ٢، ص ١٩٤-٢٠١].

^{٥٤٠} راجع توجيه الموضوع الرابع، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٨.

^{٥٤١} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٦.

(الحج ٧٨)، كما وجه تقديم ﴿ عَلَيَّكُمْ ﴾ على ﴿ شَهِيدًا ﴾ في الأولى، وعكس في الثانية^{٥٤٢}.

٩ - قد يُعجَب برأي أحد العلماء في توجيه الآية، فيأخذ به، وينقل عنه، مسجلا إعجابه به، مكتفيا به^{٥٤٣}.

١٠ - قد يقدم توجيهين لمسألة واحدة، فيقول: "فهم آخر"^{٥٤٤}، أو يقول: "سبب آخر"^{٥٤٥}، ثم يمضي يعرض توجيهها آخر غير التوجيه الأول.

١١ - رغم عدم اطلاع المطعني على مصنفات شيوخ المتشابه اللفظي إلا أن كثيرا من توجيهاته وافقت توجيهاتهم، حيث سبقوه إليها، وفي بعض الآيات التي وجهها المطعني نجده أتى بتوجيه جديد، إذ وجهها بعض العلماء السابقين، إلا أن توجيه المطعني أضاف جديدا لتوجيه السابقين. ومثال ما سُبِقَ إليه: توجيه المطعني للموضع السادس: حيث وجّه تقديم ﴿ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ ﴾ على ﴿ بِهِ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ أَهْلٌ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ ﴾ (المائدة ٣، الأنعام ١٤٥، النحل ١١٤)، وتأخيره في قول الله تعالى: ﴿ أَهْلٌ بِهِ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ ﴾^{٥٤٦} (البقرة ١٧٣)، قال المطعني: "إن ما قدم فيه ﴿ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ ﴾ على ﴿ بِهِ ﴾ خطاب لأهل مكة مسارعة إلى نفي الشرك وإبطالا لاتخاذ الأصنام آلهة تعبد ويذبح وينحر باسمها... أما ما قدم فيه ﴿ بِهِ ﴾

^{٥٤٢} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٥ - ١٥٧.

^{٥٤٣} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٨.

^{٥٤٤} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٤.

^{٥٤٥} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٨.

^{٥٤٦} كان المطعني قد سها ونسخ آية البقرة (١٧٣) خطأ؛ إذ هي في كتابه: [وما أهل لغير الله به]، حتى أثناء توجيهه للآية لم ينتبه إلى ذلك الخطأ، وقال: "وجاءت العبارة على الأصل [وما أهل لغير الله به] في موضع واحد هو سورة البقرة". والصحيح: ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ ﴾، وهو الأساس - تقدم [به] على [لغير الله] - الذي بنى عليه توجيهه. راجع المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٣.

﴿ عَلَىٰ لَغَيْرِ اللَّهِ ﴾ فهو خطاب لأهل المدينة، وهم ليسوا عباد أصنام ولا كافرين حتى يسارع معهم إلى نفي الشرك^{٥٤٧}.

وفي توجيه هذه الآيات قال ابن جماعة: "وأيضاً فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة؛ فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائهم لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم، والله أعلم^{٥٤٨}."

هذا وقد رصد الباحث مواضع أخر عديدة وافق فيها توجيه المطعني لعلماء المتشابه القدامى؛ حيث سبقوه إلى هذه التأويلات، منها: الموضع الخامس عشر: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي ﴾ (الأنعام ١٥١)، وقوله تعال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (الإسراء ٣١)، قال المطعني: "إن الخطاب في الأنعام مع قوم فقراء، يهمهم رزقهم أولاً... وفي الإسراء الخطاب مع غير فقراء لكنهم يخشون وقوع الفقر في المستقبل^{٥٤٩}، فقد سبقه إلى مثل ذلك الإسكافي^{٥٥٠}، والغرناطي^{٥٥١}، والكرماني^{٥٥٢}، وابن جماعة^{٥٥٣}، والأنصاري^{٥٥٤}؛ حيث لم يخرج توجيه المطعني عن توجيههم للآيتين، بل إن توجيه الغرناطي يعد أجلاً التوجيهات؛ إذ زاد على ما وقف عليه الجميع قوله: "فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم، وكأن السياق يُشعرُ بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكأن قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم^{٥٥٥}، وكان توجيه كل من الكرماني وابن جماعة - على إيجازه الشديد - بديع

^{٥٤٧} المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٣

^{٥٤٨} ابن جماعة، كشف المعاني، ص ٣٥-٣٦

^{٥٤٩} المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٨٣.

^{٥٥٠} راجع: الإسكافي، درة التنزيل، ص ٧٤.

^{٥٥١} راجع: الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣.

^{٥٥٢} راجع: الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ٥٥.

^{٥٥٣} راجع: ابن جماعة، كشف المعاني، ص ٥٦.

^{٥٥٤} راجع: الأنصاري، فتح الرحمن، ص ٩٩.

^{٥٥٥} الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ١٧٣

الأسلوب مع استيفاء المعنى حقه، فقد وجه الكرمانى الآيتين قائلاً: "لأن التقدير:
من إملاق بكم، نحن نرزقكم وإياهم، وفي الإسراء خشية إملاق يقع بهم^{٥٥٦}،
نحن نرزقهم وإياكم^{٥٥٧}".

^{٥٥٦} وكان الأولى أن يقول: بكم؛ إذ الخطاب للآباء.

^{٥٥٧} الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص ٥٥

المبحث الثاني :

ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]

تمهيد:

يعد كتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم]، إضافة كبيرة لعلم المتشابه اللفظي في القرآن، وذلك لأن الدكتور ياسين وجّه فيه عددا كثيرا من الآيات المتشابهات الجديدة، والتي لم يوجهها أحد قبله، ولم يقف الكتاب على توجيه الجديد من آيات المتشابه اللفظي فقط، بل إنه أتى بتوجيهات جديدة لآيات متشابهات وجهها علماء المتشابه السابقون. ومن هنا فإن هذا الكتاب رفع بناء علم المتشابه اللفظي، وقفز به قفزة واسعة المدى، ذلك لأن الدكتور ياسين المجيد رغم رهبته من الموضوع، فقد خاض غمار هذا العلم بقوة، يقول ياسين المجيد: "وعلى الرغم من رهبتي من الموضوع - كونه يتعلق بأقدس المقدسات القرآن الكريم - وتوجسي وحذري وخوفي الشديد من الوقوع في الخطأ والزلل، إلا أن إيماني المطلق بالله، وثقتي بأنه سيعينني، ويوفقني، ويأخذ بيدي، وحيي الكبير لقرآني، وللغتي العربية، ولأمتي، ورغبتني الشديدة في عمل شيء يرضي الله، ويرضي الناس، ويكون عوناً لي في دنياي وأخرتي، كان ذلك خير عزاء، وخير دافع"^{٥٥٨}

فحين عزم لم يتردد، وفتح الله عليه بفضل واسع، وبصيرة نافذة، فأمكنه من التجديد والإثراء.

المطلب الأول: شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد من خلال كتابه

مما يؤسف له أنه لم يتوافر للباحث عن شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد إلا اسمه هذا الذي نجده على صدر كتابه، وتلك إحدى الصعوبات التي تواجه الباحثين إذا أردوا الوقوف على الأعلام المحدثين، وودت لو أن كل مصنف من المحدثين وضع موجزا لسيرته الذاتية في صدر أو آخر مصنفه.

وسوف نحاول هنا الوقوف على بعض ملامح شخصية الكاتب من كتابه:

^{٥٥٨} ياسين المجيد، عبد المجيد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، ط ١، بيروت، دار ابن حزم، ص ٩

- ١- من كلمات ياسين المجيد القليلة عن نفسه في المقدمة نقف على أنه قد دَرَسَ القرآن ودَرَسَهُ؛ إذ يقول عن نفسه حين هم بتأليف هذا الكتاب: "فقد عقدت العزم على أن أحقق ما كنت أحلم به منذ زمن بعيد، أن أتعلم القرآن، وأعلم القرآن"^{٥٥٩} ثم يدعو لنفسه في آخر المقدمة قائلاً: " وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل القرآن رفيقي في الدنيا، وأنيسي في قبوري، وشفيعي عنده يوم القيامة"^{٥٦٠}.
- ٢- سعة اطلاع ياسين المجيد وتنوع ثقافته، حيث نجد ذلك في كثرة وتنوع المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه والتي زادت على مائة وثلاثين مصدراً، وقد تنوعت مصادر كتابه حتى شملت سائر علوم اللغة، وعلوم القرآن، كما نجد ياسين المجيد يستعين بالعديد من الأحاديث في توجيه الآيات، ولا يخلو الكتاب من لمحات تدل على توسعه في الفقه.
- ٣- الكاتب نَقَّادَة بارع، ويظهر ذلك في رده على آراء السابقين بحجج وبراهين دامغة كما سيأتي.
- ٤- ياسين المجيد مجدد مبتكر، ويبرز ذلك في التوجيهات الجديدة لكثير من الآيات التي تناولها قدامى علماء المتشابه اللفظي، كما يتجلى أكثر في الآيات الجديدة التي وجهها ولم يسبقه إلى توجيهها أحد من القدامى أو المحدثين.
- ٥- تأثر الكاتب تأثراً واضحاً بعدد من علماء توجيه المتشابه اللفظي قديماً وحديثاً، فمن القدامى يبرز تأثره بالإسكافي مؤسس هذا العلم وتقديمه على من سواه، اسمع إليه يقول: "ومع أن المؤلف [الغرناطي] قد حاول أن يجتهد في بعض المسائل، وأن يعارض بعض آراء الإسكافي، أو يضيف إليها آراء أخرى تظهر شخصية متميزة مستقلة، إلا أن كتاب [الدرّة] هو أفضل وأشمل الكتب القديمة المستقلة التي كتبت في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، كما أرى والله

^{٥٥٩} المصدر السابق، ص ٩

^{٥٦٠} المصدر السابق، ص ١٠

أعلم^{٥٦١}، ومن المحدثين يتجلى تأثره الشديد بالعلامة فاضل السامرائي في كثير من توجيهاته وآرائه والقواعد السامرائية^{٥٦٢} في توجيهه المتشابه اللفظي في القرآن.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم]

١- **موضوع الكتاب:** كما نرى من اسمه، الكتاب صُنّف في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وقد التزم ياسين في كتابه هذا الباب من العلوم، فلم يخرج عنه إلى دراسة غيره من العلوم.

٢- **نوع الدراسة وقيمة الكتاب:** الكتاب دراسة جديدة وتوجيه للعديد من الآيات التي وجهها علماء المتشابه السابقين، كما أنه دراسة للعديد من آيات المتشابه اللفظي التي لم يقف عندها السابقون، ومن هنا فالكتاب يعد صرحا جديدا من صروح علم المتشابه اللفظي، بل إنه من أعظم صروحه.

٣- **سبب تأليف للكتاب:** يعبر ياسين المجيد عن سبب تأليفه لكتابه هذا قائلا: "وعندما حانت الفرصة، وتهيأت الأسباب، بدأت البحث في الموضوع الذي استهواني كثيرا، وشد انتباهي كثيرا، وأثار اهتمامي كثيرا" إذ نرى من كلماته أنه انشغل بهذا الموضوع طويلا ، وتعلق به تعلقا شديدا.

٤- **المسائل التي درسها الكتاب:** قد أحصيتُ المسائل التي درسها ياسين المجيد في كتابه، فوجدته وجّه [مائتين وثمان وخمسين مسألة]، كما اجتهدتُ في الوقوف على المسائل الجديدة التي وجهها ياسين المجيد، والتي لم يوجهها السابقون، ذلك بالنظر والرجوع إلى مصنّفات توجيه المتشابه اللفظي السابقة، فوجدت أن من بين مسائله التي وجهها [مائة وتسعا وسبعين مسألة]، لم يقف عندها علماء

^{٥٦١} المصدر السابق، ص ٧٧، لكني لا أتفق مع ياسين المجيد في ذلك، إذ أني لا أنكر فضل وسبق وريادة الإسكافي لعلم المتشابه اللفظي في القرآن، لكن كتاب الغرناطي [ملاك التأويل] أوسع وأشمل وأكثر إحاطة وأقوى حجة وبرهانا.

^{٥٦٢} هذا التركيب [القواعد السامرائية في توجيه المتشابه اللفظي] موضوع أحد مباحث الفصل الثاني من الباب الثالث.

توجيه المتشابه اللفظي السابقون، وهذا العدد الجديد من مسائل المتشابه اللفظي يعطي الكتاب قيمة علمية عظيمة.

٥- **محتوى الكتاب وخطته:** جاء الكتاب في أربعمئة وأربع وخمسين صفحة، وقد عرض ياسين المجيد في مقدمة كتابه خطة موجزة لمحتوى الكتاب، إذ جاء الكتاب في مقدمة موجزة، وتمهيد طويل زاد على خمس عشرة صفحة، وستة فصول، أما التمهيد فقد تحدث فيه عن المبنى والمعنى في اللغة والاصطلاح، وفي القرآن الكريم، وعند علماء اللغة والعلاقة بينهما. ودرس في الفصل الأول المحكم والمتشابه، وأنواع المتشابه اللفظي وكتبه. أما الفصل الثاني فقد درس فيه الآيات المتشابهات بالحروف فقط. وفي الفصل الثالث درس الآيات المتشابهات بالأفعال فقط. وفي الرابع درس الآيات المتشابهات بالأسماء فقط. وفي الخامس درس الآيات المتشابهات بالتقديم والتأخير، والذكر والحذف. وفي السادس درس الآيات المتشابهات في الظروف، والإظهار والإضمار، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع والتثنية، والشبه العام في اللفظ والمعنى^{٥٦٣}.

٦- **أثر السابقين في كتاب [المبنى والمعنى]:** برز أثر عدة كتب من مصنفات المتشابه اللفظي في كتاب ياسين المجيد، ولعل أبرزها [درة التنزيل] للإسكافي، و[البرهان] للكرماني، و[ملاك التأويل] للغرناطي، ثم يأتي كتاب [التعبير القرآني] لفاضل السامرائي فيأخذ حظا وافرا من التأثير، إذ أننا كثيرا ما نجد هذه الكتب الأربعة قد اجتمعت في مسألة واحدة يستعرض فيها ياسين المجيد رأي كل منها في المسألة قبل أن يعرض رأيه، كما يبرز بروزا جليا تأثير ياسين المجيد في كتابه بثلاثة تفاسير: الرازي، والزمخشري، والشعراوي، كما يلحظ الناظر في كتاب [المبنى والمعنى] يد الأصفهاني بارزة بكتابه [المفردات].

٧- **لا أثر لابن جماعة ولا للأنصاري:** يبدو أن ياسين المجيد لم يقف على كتاب ابن جماعة [كشف المعاني] ولا على كتاب [فتح الرحمن] للأنصاري، رغم أنهما

^{٥٦٣} راجع مقدمة الكتاب، ص ٩-١١

من أهم وأشهر كتب توجيه المتشابه اللفظي، حيث لا نجد أثرًا لهذين الكتابين في كتاب ياسين المجيد.

المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب ياسين المجيد:

١- لم يَرْتَضِ ياسين المجيد منهج القدامى في تناولهم لآيات المتشابه اللفظي، والذي وصفه بالمنهج السردى^{٥٦٤}، واختار المنهج الذي استحدثه فاضل السامرائي، وقسم المتشابه اللفظي أقساما وأنواعا، فجعل للآيات المتشابهات في الحروف قسما، وأفرده بفصل من كتابه، وللآيات المتشابهات في الأفعال قسما آخر، وأفرده بفصل، وللآيات المتشابهات بالأسماء قسما ثالثا، وأفرده بفصل، وهكذا حتى بلغت أقسام المتشابه اللفظي في كتابه أحد عشر قسما، ويمكن أن نجده يجعل القسم أنواعا، كما في الآيات المتشابهات بالحروف، فجعله نوعين: حروف المعاني، وحروف المباني.

٢- دراسة مسألة واحدة في موضع التشابه، وقد التزم ياسين المجيد ذلك في كتابه، فنادرا إن وجدناه يدرس أكثر من مسألة في موضع واحد، وذاك دأب المحدثين، فقد سبقه إلى ذلك المطعني، والسامرائي، وأول من سلك هذا النهج هو الكرمانى -رحمه الله- وسار ابن جماعة والأنصاري على منواله، وسلك كل المحدثين منهج الكرمانى عدا محمد الصامل.

٣- يتلخص منهج تناول ودراسة مسائل المتشابه اللفظي في كتاب [المبنى والمعنى] في طريقتين:

الأول: وخطواته كما يلي:

- بيان القاعدة النحوية في إيجاز^{٥٦٥}.
- ثم يعرض آراء السابقين - إن وجد - بادئا بالإسكافي فالكرمانى فالغرناطي ثم فاضل السامرائي.
- ثم يعرج على كتب التفسير خاصة تفاسير الرازي والزمخشري والشعراوي - إن وجد.

^{٥٦٤} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى، ص ٧٧

^{٥٦٥} مثل: بيانه لعمل [لن] و [لا] النافية، المصدر السابق، ص ٨٨، وكذلك بيانه للفرق بين النفي ب [لا] و [ما]، ص ٩٠

- ثم يعرض رؤيته هو ونتائج التحليل لموضع التشابه، وقد التزم ذلك في أكثر مسائل الفصل الثاني [الآيات المتشابهات بالحروف].

الثاني: وخطواته كما يلي:

- يبدأ فيه ببيان المعاني اللغوية لبعض مفردات الآيتين موضع المسألة، وعمدته في ذلك [المفردات] للأصفهاني، و[اللسان] لابن منظور.

- ثم يعرض آراء السابقين - إن وجد - قدامى ومحدثين من علماء المتشابه اللفظي والمفسرين.

- ثم يعرض رأيه الخاص والنتائج التي وقف عليها. ونلاحظ أن حظ النحو في الطريق الثاني قليل، وقد التزم هذا الطريق في باقي كتابه، بداية من الفصل الثالث وحتى الأخير.

٤- اعتمد ياسين المجيد أسلوب شَيْخِي المتشابه اللفظي [الإسكافي ، الغرناطي] في طريقة توجيه مسائل المتشابه اللفظي، إذ أنه يعرض الآيتين أو الآيات موضع التشابه، ثم يعرض سؤالاً وحيداً، ثم يهتم بالجواب عن هذا السؤال، وذلك كان منهج كل من الإسكافي والغرناطي إلا أنهما كانا يناقشان مسائل عدة في الموطن الواحد.

٥- جاء توجيه ياسين المجيد لمسائله توسطاً بين البسط والإيجاز، وذلك في أكثر المسائل، إلا أننا نجد أحياناً يزيد ويبسط حتى أنه ليوجه مسألة وحيدة في أربع صفحات^{٥٦٦}، ونجد في أحيان أخرى يوجز إيجازاً شديداً حتى لا يتجاوز توجيهه للمسألة سطرين^{٥٦٧} أو ثلاثة^{٥٦٨}، إلا أن الكثير الغالب هو التوسط بين البسط والإيجاز.

٦- السياق عمدة لدى ياسين المجيد في توجيهه لمسائل المتشابه اللفظي، إذ أنه يوجه الآيات في المحيط والسياق التي نزلت فيه، اسمع إليه يقول: "ومن خلال سياق

^{٥٦٦} المصدر السابق، ص ٢٩٧-٤٠١

^{٥٦٧} المصدر السابق، ص ٤٣٦، ص ٤٣٨

^{٥٦٨} المصدر السابق، ص ٤٣٧، ص ٤٣٨

الآيتين يظهر لنا...^{٥٦٩}، ويقول: "ولو عدنا إلى سياق الآيتين لوجدنا...^{٥٧٠}، كثيرا ما نجده يرجع إلى أول السورة، ويستعرض القضية والموضوع العام لها^{٥٧١}، كما نجده أحيانا يستعرض السورة باحثا عن عدد مرات ورود لفظ ما فيها اسمع إليه يقول: "فإن لفظ [العبادة] ومشتقاتها قد وردت في سورة الأنبياء ثماني مرات، ووردت في المؤمنين^{٥٧٢} مرتين فقط..^{٥٧٣}."

٧- كان لياسين المجيد شخصية بارزة في كتابه، وذلك بالرد على أساتذة وشيوخ علم المتشابه، والإتيان بأراء جديدة لها وجاقتها، فنكاد لا نجد مسألة في كتابه وقف عليها علماء المتشابه بالتوجيه إلا وأضاف لياسين المجيد إلى توجيهاتهم رأيا جديدا، فمن ميزاته أنه لم يسلم تسليما لكلام السابقين، إنما يأخذ منه ويرد، وحين يرد لا يرد عن هوى ولا اعتباطا إنما عن حجة وبيان، ومن ذلك توجيهه لآيتي:

- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١).

- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥).

بعد أن عرض في إيجاز رأي كل من الإسكافي والكرماني والغرناطي والرازي قال: "وما أضيفه إلى ما تقدم: إن الآية الأولى فيها إجمال دون تفصيل؛ لأن السورة تتحدث عن خراب الكون وقيام الساعة دون الحديث عن الحساب وما ينتج عنه إما إلى نار أو إلى جنة فجاء الكلام مجملا، أما آية الانفطار: ففيها تفصيل بعد إجمال؛ فالحديث عن قيام الساعة وما بعد قيام الساعة، كذلك فيها ثنائية واضحة ... [تكذبون ويعلمون] ، و[أبرار وفجار] ، و[نعيم وجحيم] ، و[حاضرين وغائبين] ..^{٥٧٤}، وفي إضافة أخرى بدیعة في توجيهه تعاور ﴿

^{٥٦٩} المصدر السابق، ص ١١٣

^{٥٧٠} المصدر السابق، ص ١١٤

^{٥٧١} المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣

^{٥٧٢} الصحيح: [المؤمنون] إذ أن اسم السورة هنا علم يعرب على الحكاية، فلا يوجد في القرآن سورة اسمها [المؤمنين].

^{٥٧٣} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى، ص ٢١٣

^{٥٧٤} المصدر السابق، ص ٢٣١-٢٣٢

فَأَصَابَهُمْ ﴿ و ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ قال: "وما أضيفه إلى ما قاله علماؤنا في هذه المسألة لا يتعلق بما قالوه فيها، فقد خرجوها تخريجا مناسبا، ولكن أضيف ما أغفلوه من تفریق بين ﴿ فَأَصَابَهُمْ ﴾ و ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ فقد استخدم القرآن ﴿ فَأَصَابَهُمْ ﴾ في موضع (النحل ٣٤، والزمر ٥)، واستخدم ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ في موضع آخر (الزمر ٤٨، والجاثية ٣٣) فمتى يكون ذلك؟ عندما يتحدث القرآن عن الماضي والمستقبل يستخدم ﴿ فَأَصَابَهُمْ ﴾^{٥٧٥} ثم يسوق الآيات التي تؤيد كلامه، ثم يقول: " أما عندما يتحدث عن المواجهة وعن اللحظة الحاضرة يستخدم ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾^{٥٧٦} ثم يسوق الآيات التي تؤيد ذلك.

٨- تبرز خاصية النقد في أسلوب ياسين المجيد واضحة، ففي توجيهه لآيتي:

- ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف ٧٨).

- ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف ٨٢).

ذكر صاحب البرهان وعلل هذه المسألة بقوله: جاء في الأولى [تستطع] على الأصل، وفي الثانية [تسطع] على التخفيف لأنه فرع. ورد عليه ياسين المجيد تعجبا: "قد يكون ذلك صحيحا، ولكن لماذا خفف ولم يجر على الأصل أيضا؟ أليس هناك من سبب؟ ما هذا السبب يا ترى؟"^{٥٧٧} ثم مضى يعرض السبب.

وفي توجيهه آيتي:

- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير ٦).

- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ (الانفطار ٣).

قال: "وردت هذه المسألة في الدرّة والبرهان والملاك، كما وردت في التفاسير ومنها تفسير الرازي، واللافت للنظر في هذه المسألة اتفاق العلماء جميعهم على

^{٥٧٥} المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦

^{٥٧٦} المصدر السابق، ص ٢٠٦

^{٥٧٧} المصدر السابق، ص ١٥١

أن ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ معناها أضمرت نارا ... وجاءوا بتفسيرات بعضها مألوف ومنطقي ويقرب من الحقيقة، وبعضها الآخر يتعد كثيرا ليصبح غير معقول، أو مقبول في عصرنا الحاضر، عصر التطور العلمي، كقولهم مثلا: إن الشمس والقمر يقعان في قاع البحر فيشتعلان نارا ملتهبة، وأن فجرت معناها اختلطت المياه العذبة بالمياه المالحة وغير ذلك من تفسيرات، والحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة هي...^{٥٧٨} ثم مضى يعرض التأويل العلمي للآيتين.

٩ - اعتمد ياسين المجيد التفسير العلمي للقرآن الكريم، وكان لذلك الفضل في توجيه بعض الآيات التي غمضت على علماء توجيه وتفسير القرآن، وقد استعان بالتفسير العلمي في مواطن كثيرة من كتابه، فقد نقض ما ذهب إليه علماء توجيه المتشابه وعلماء التفسير في تأويل آيتي:

- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير:٦).

- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ (الانفطار:٣).

قال: "والحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة هي أن البحار مُتَوَضِّعة على فوهات بركانية عظيمة وقديمة ومغلقة تنتظر ساعتها، وكلنا شاهد عبر وسائل الإعلام المرئية كيف تثور البراكين، حيث تبدأ بإطلاق القذائف البركانية من الصخور والحمم التي تحرق الأخضر واليابس وتحول الأرض إلى سيل من النار الملتهبة المتحركة، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: [فُجِّرَتْ ، وَسُجِّرَتْ] فالتفجر أولا، ثم السجور ثانيا، لأننا نعرف أن النار الملتهبة إذا صببت عليها الماء تزداد اشتعالا^{٥٧٩}، لذلك قال سجرت^{٥٨٠}. وفي توجيهه لآيتي:

- ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴾ (الشمس:٣).

- ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (الليل:٢).

^{٥٧٨} المصدر السابق، ص ٢٢٩ - ٢٣٠

^{٥٧٩} من المعلوم أن البنول إذا اختلط بالماء فإنه يطفو على السطح، كما أن تحلل الماء إلى عنصريه [الأكسجين ، والهيدروجين] يزيد المواد السائلة على سطحه اشتعالا.

^{٥٨٠} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى، ص ٢٣٠

قال: "الاختلاف هنا في عودة الضمير، فالضمير في الآية الأولى يعود إلى الشمس، وفي الآية الثانية يعود إلى النهار، وفي الحالتين فإن النهار هو صاحب الفعل، والقائم به، وهذه إشارة واضحة إلى أن الشمس ثابتة، والنهار والليل هما المتحركان، وهذه الإشارة التي غابت عن كثير من المفسرين، وإن كان بعضهم قد تنبه وأشار إشارات لا تخلو من ذكاء وعلمية"^{٥٨١}.

١٠ - قد يوجه ياسين المجيد موضع تشابه ما، سبقه إليه بعض علماء توجيه المتشابه اللفظي ولا يشير إلى ذلك، وقد تكرر منه ذلك، فمن ذلك آيتا [المائدة ١، والحج ٣٠]^{٥٨٢}، وآيتا [هود ٧٧، والعنكبوت ٣٣]^{٥٨٣}، وآيتا [النحل ٧٠، والحج ٥]^{٥٨٤}، وآيات [الكهف ٦٧، و٧٢، و٧٥]^{٥٨٥}، وآيتا [الحج ٦٢، ولقمان ٣٠]^{٥٨٦}، وآيات [الذاريات ١٩، والمعارج ٢٥، ٢٤]^{٥٨٧}. وأصل منهجه أن يبدأ بعرض آراء الإسكافي، والكرماني، والغرناطي، إلا أننا نجد - وهذا نادر - يؤخر ذلك ويشير إليه إشارة عابرة قائلا: "وقد وردت هذه المسألة في الدرّة والبرهان والملاك"^{٥٨٨}.

١١ - اجتهد ياسين المجيد في استدراك الآيات التي لم يقف عليها السابقون في كثير من المسائل، ففي حين وجه الغرناطي اختلاف صيغة الفعل ما بين [بَجَى] و [أَبْجَى] في آيتي [البقرة ٤٩، والأعراف ١٤١]، فقد وجه ياسين المجيد هذا الاختلاف في أربع آيات [البقرة ٤٩، ٥٠، والنمل ٥٣، وفصلت ١٨]، لكننا - وللأسف - نلاحظ أنه أغفل آية الأعراف ١٤١.

^{٥٨١} المصدر السابق، ص ٢٣٣.

^{٥٨٢} المصدر السابق، ص ٣٣٤ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ١، ص ١١٦.

^{٥٨٣} المصدر السابق، ص ٣٤٥ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٢٦١.

^{٥٨٤} المصدر السابق، ص ٣٥٠ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٣٠٢.

^{٥٨٥} المصدر السابق، ص ٣٥١ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٣٢٢.

^{٥٨٦} المصدر السابق، ص ٣٦٠ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٣٦٢.

^{٥٨٧} المصدر السابق، ص ٣٦٢ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٤٥٠.

^{٥٨٨} المصدر السابق، ص ٣٢٦.

١٢ - ترك ياسين المجيد - أو غفل عن - بعض الآيات التي تشابهت لفظا مع بعض مواضع المتشابه التي وجهها، من ذلك مثلا أنه وجّه آيتي:

- ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُوا اللَّهَ ﴾ (الأعراف ٧٣)

- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾

(النمل ٤٥)^{٥٨٩}

- وترك آية هود: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُوا اللَّهَ ﴾

(هود ٦١)، ولا أدري أتركها عمدا لأنها تطابقت في لفظها تماما مع آية

الأعراف فهما لديه سواء، أم أنه غفل عنها؟

ومن ذلك أيضا أنه وجه آيتي:

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٥).

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الجملة ٦)^{٥٩٠}.

وترك آية المرسلات:

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (المرسلات ٥٠).

وأقول هنا: إن كان تركها سهواً وغفلة فلا بأس، وإن كان تركها عمدا لعدم وقوفه على أسرارها فلا بأس أيضا، أما إن كان تركها عمدا باعتبار أن تلك الآيتين المتطابقتين لفظا لا فرق بينهما، وهما سواء، فذاك ما نرفضه، ولا نقبله، فكل لفظة نزلت في منزلها في كتاب الله لحكمة من الله، أما أن نقول إنه تكرار لفظي لا جديد فيه، فأولى بنا أن نرد العجز إلى أنفسنا، ونتهمها بعدم القدرة على الوقوف على خبايا وأسرار تلك الآية.

١٣ - أحيانا نجد ياسين المجيد يوجه آيات ليست من المتشابه اللفظي، يجتهد في بيان

أسرارها، من ذلك توجيهه لآيتي:

^{٥٨٩} المصدر السابق، ص ٣٣٩.

^{٥٩٠} المصدر السابق، ص ٣٨٩.

- ﴿ فَأَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ تَحَشَّوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ۗ ﴾ (النساء: ٧٧).

- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ ﴾ (التوبة: ٣٨)، حيث سأل في هاتين الآيتين سؤالاً: "ما الفرق بين الأسلوبين؟ ولماذا استخدم القرآن الكريم كل أسلوب في موضعه؟" ^{٥٩١}.

١٤ - كثيراً ما ختم ياسين المجيد توجيهه لآيات المتشابه اللفظي بكلمة موجزة عن أثر وقيمة وبلاغة المتشابه اللفظي، وله في ذلك العديد من التعليقات البديعة، منها قوله: "وهكذا فإن أهم ميزة من ميزات المتشابه اللفظي أنه يكمل بعضه بعضاً" ^{٥٩٢}، وقوله: "وهذا هو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لقطات متناثرة بين السور، كل واحدة تركز على جانب من جوانب الحدث أو الأحداث وتبرزه، فإذا جمعت إلى بعضها وربت بشكل صحيح ظهرت لنا القصة كاملة متكاملة، بكل شخصوها، وأحداثها، وزمانها، ومكانها، وأبطالها، ومقوماتها، ونهايتها، دون تكرار، أو استطراد، أو خلل، أو زيادة، أو نقص، وبأسلوب قرآني متميز ومتمكن ورصين" ^{٥٩٣}، واسمع إلى قوله: "فالتشابه اللفظي إحاطة بالصورة من جميع جوانبها، والقرآن كله متشابه من هذه الناحية، ولكن الاختلاف في زاوية النظر إلى الصورة، ونقطة التركيز في الصورة، فإذا وقف على لقطة منها أو على

^{٥٩١} المصدر السابق، ص ٣٣٣.

^{٥٩٢} المصدر السابق، ص ١٨١.

^{٥٩٣} المصدر السابق، ص ٣٤٧.

جزء منها فهذا لا يعني غياب بقية أجزاء الصورة، بل حاضرة في الذهن وحاضرة على الورق، ولكنها موزعة بين السور والآيات، والجمال والإبداع والكمال يكون عند التقاط هذه الأجزاء وضمها إلى بعضها، وترتيبها بما يظهر جمال الصورة، وعظمة المصور^{٥٩٤}، وحقيقةً إن لياسين المجيد العديد من التعبيرات البديعة التي تؤصل روعة المتشابه اللفظي وأثره وفوائده وأغراضه وبلاغته^{٥٩٥}.

المطلب الرابع: مآخذ على ياسين المجيد في كتابه

إن كتاب [المبنى والمعنى] في جملته قيمة علمية عظيمة، ولبنة كبيرة ارتفع بها صرح علم المتشابه اللفظي، لكن ذلك لا يمنع من وجود هنات وزلات، فلا أحد معصوم بعد محمد ﷺ، ولولا أني وجدتها - على وهنها - كثيرة وملفتة، ما أشرت إليها، وإني حين ألفتُ النظر إليها هنا، لا أقصد بذلك النيل من الكتاب، بل إن تلك الهنات والزلات تدوب وتتلاشى أمام فضل الكتاب وأهميته، ولكني قصدت استدراكها في المستقبل من الكاتب فلعلة يطلع على ذلك البحث، وكذلك للباحثين والدارسين الذي قد ينتفعون بهذا الكتاب مستقبلاً، فمن خلال دراستي لكتاب [المبنى والمعنى] وجدت ما يلي:

١ - عرّف ياسين المجيد [المتشابه اللفظي في القرآن] تعريفاً عجيباً غريباً، فقد عرّفه قائلاً: "من خلال العرض الذي سبق ... نستطيع أن نضيف تعريفاً جديداً ومستنبطاً ... فنقول: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو الحرف يشبه الحرف، والكلمة تشبه الكلمة، والجملة تشبه الجملة، والتركيب يشبه التركيب، والعبارة تشبه العبارة، والآية تشبه الآية، أي اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى يشبه المعنى"^{٥٩٦} وهذا تعريف مردود، منقوض، بل إنه نقض نفسه بنفسه، فإذا كان اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى يشبه المعنى، فلماذا أجهد نفسه؟ ولماذا أجهد العلماء السابقون أنفسهم في توجيه الآيات المتشابهات لفظاً؟!

^{٥٩٤} المصدر السابق، ص ٣٣٨.

^{٥٩٥} من أراد المزيد فليراجع هذه الصفحات : ١٩٠، ٢٢٩، ٣٤١، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٣٢، كما يوجد في ثنايا الكتاب العديد من هذه اللغات الجميلة عن المتشابه

اللفظي.

^{٥٩٦} المصدر السابق، ص ٧٩.

٢- نقل ياسين المجيد عن المعجم الوسيط في بيان معنى المحكم نقلاً خطأ، ففهم بسبب الخطأ في النقل عكس مقصود المعنى، فرده ونقضه، حيث قال: "ونختتم تعريفنا للمحكم بما جاء في المعجم الوسيط: فالمحكم هو المتقن من القرآن، والمحكم بالظاهر الذي لا شبهة فيه، ولا يحتاج إلى تأويل"، ويتابع قائلاً: "أما قوله: المحكم هو المتقن من القرآن، فالقرآن كله متقن، وليس فيه متقن وغير متقن كما تعبر عن ذلك [من] التبعيضية، والأصح أن نقول: هو إتقان القرآن وإحكامه"^{٥٩٧}.

وقد تأكد للباحث أن ياسين المجيد نقل خطأ عن المعجم الوسيط، والصحيح الذي ورد في المعجم الوسيط هو: "المحكم: المتقن، ومن القرآن: الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل، وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾"^{٥٩٨}، فقد فسر المعجم [المحكم] لغةً بالمتقن، ثم قال: ومن القرآن، أي: والمحكم من القرآن: هو الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل. فهذا هو النقل الصحيح والفهم الصحيح لما جاء في المعجم الوسيط^{٥٩٩}.

٣- ذكر ياسين المجيد أنه سيتحدث عما يزيد عن ألفي آية في بحثه لكن كتابه لم يتجاوز مائتين وثمان وخمسين آية، قال: "أحصيت فيما تكرر من الآيات أكثر من [٣٠٠] آية وضعتها جانباً؛ لأنها ليست مدار بحثي ... أما ما تشابه من الآيات فإن عددها قد زاد على ألفي آية، سأحدث عنها في أثناء هذا البحث بمشيئة الله"^{٦٠٠}، ولعله قصد أنه سيفعل ذلك في إصدارات وأجزاء متتابعة، والله أعلم.

^{٥٩٧} المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.

^{٥٩٨} المعجم الوسيط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مجمع اللغة العربية مصر، ط ٤، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ج ١، ص ١٩٠، مادة حكم.

^{٥٩٩} وكان أولى ياسين المجيد أن يدرك أن الأساتذة الأجلاء الذين وضعوا المعجم الوسيط ما كانوا ليغيب عنهم أن القرآن كله متقن، وما كانوا ليزلوا فيصنفوا بعض القرآن بغير المتقن، وما كان مجمع اللغة العربية أن يضع كتاباً يحمل مثل هذه الزلة.

^{٦٠٠} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى، ص ٧٨.

٤ - ذكر ياسين المجيد أن فرعون وقومه قد أغرقوا في نهر النيل على غير الراجح، حيث قال إن سورة "الشعراء" تتحدث عن قوم فرعون وما حل بهم من إغراقهم في نهر النيل^{٦٠١}، فإن العديد من المفسرين يرون أن البحر الذي انشق لموسى في قول الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۗ ﴾^ط إنما هو بحر القلزم على الصحيح^{٦٠٢} كما أن الصورة التي عرضها القرآن لمشهد انفلاق البحر تدل دلالة واضحة على أنه البحر^{٦٠٣} وليس النهر، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۗ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۗ ﴾ (الشعراء:٦٣)، فقد أجمع المفسرون على أن الطود العظيم هو الجبل العظيم الضخم، وهذا الوصف لا يصلح لماء النهر؛ لأن عمق النهر أدنى بكثير من عمق البحر، لذا فإن الوصف في الآية أليق بالبحر، والله أعلم.

٥ - سها ياسين المجيد مراتٍ في ذكر الآيات القرآنية، وإيكم أمثلة لذلك:

المثال الأول: ساق هاتين الآيتين:

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ ﴾ [البقرة ٢٣٣، و٢٣٦]،

(الأنعام ١٥٢، و٢٣٣، و٢٨٦).

- ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾ (الأعراف ٤٢، والمؤمنون ٦٢-٦٤)

وسها فيهما في ثلاثة أمور هي:

الأول: نسب الآية الأولى لغير موضعها الصحيح في القرآن، فإنها لم ترد إلا في البقرة الآية

^{٦٠١} المصدر السابق، ص ٢١٥.

^{٦٠٢} الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث، ج ١٩، ص ٨٩ / البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرازق غالب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٥، ص ٣٦٥ / سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ١٤١٢هـ، في ظلال القرآن، ط ١٧، بيروت، والقاهرة، ج ٥، ص ٢٥٩٧ / الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط ١، الفجالة، القاهرة، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١٠، ص ٢٥٢.

^{٦٠٣} والراجح أنه البحر الأحمر، الذراع اليسرى منه المسمى اليوم خليج السويس، والله أعلم.

^{٦٠٤} ياسين المجيد، المبني والمعنى، ص ٢٤١ - ٢٤٢

٢٨٦، أما الآية الثانية فإنها وردت في [الأنعام ١٥٢] إلى جانب [الأعراف ٤٢]،
والمؤمنون ٦٢]

الثاني: بالنظر في تأويله وتوجيهه للآيات، نجد أنه قصد آية أخرى ثالثة، لم يذكرها، وهي:

﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٣٣).

الثالث: سها وترك آية رابعة هي موضع توجيهه، إذ يقارن وجه الاختلاف بينها وبين الثلاث
الأخرى، وهي قول الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتِلَهَا ﴾ (الطلاق ٧) ^{٦٠٥}.

المثال الثاني: نقل إحدى الآيات نقلاً خطأً، وزاد فيها ما ليس منها، حيث زاد:

﴿ يُكْفِرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ في الآية الثانية من الآيتين الآتيتين:

- ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (التغابن ٩).

- ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا [يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ] يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (الطلاق ١١) ^{٦٠٦}.

المثال الثالث: في أحد مواضع توجيهاته، بدلا من أن يذكر الآية موضع التوجيه، ذكر الآية
التي تليها، ونجد ذلك في:

- ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾

(الأعراف ٤).

- ﴿ أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾

(الأعراف ٩٧).

^{٦٠٥} راجع: ياسين المجيد، المبني والمعنى، ص ٢٤١-٢٤٢

^{٦٠٦} المصدر السابق، ص ٣٦٦

- ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(الأعراف ٩٩).

وبالنظر في توجيهه لهذا الموضع، نجد أنه وجه آية ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ

بَأْسًا ضَحِيًّا وَهَمَّ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأعراف ٩٨)، مع الآيتين الأولى والثانية، ولم يوجه

الآية الثالثة.

٦- لم يكن ياسين المجيد في بعض توجيهات - فيما أرى - مُؤَفَّقًا؛ وأسوق على ذلك

مثالين:

المثال الأول: توجيهه للفرق بين [ضلوا] و [أضل] في آتي:

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

(النساء ١٦٧).

- ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ (محمد ١).

حيث نجده انصرف تماما عن كتب التفسير، ونظر في كتابين لغويين اثنين^{٦٠٧} بحث فيهما عن معاني الفعلين والفرق بينهما، وبعد أن عرض معاني الفعلين، قال: "في الآية الأولى حديث عن الرسل والرسالات، ونداء للإيمان بهؤلاء الرسل والكتب، ودعوة لاتباع طريقهم الذي سيوصل إلى الغاية، وغيره يضل ويبعد عن الهدى، ولا يوصل إلا إلى جهنم فليس الحديث عن أضلهم ولا كيفية ضلهم. وهذا ما يتوضح في سورة محمد^{٦٠٨}، ثم ساق بعض الآيات التي تؤيد ما ذهب إليه، ولو نظر في كتب التفسير لكفى نفسه مؤونة بحث طويل، إذ أن تفسير هذين الفعلين واضح جلي، وتكاد تجمع كتب التفسير على تأويل هاتين الآيتين دون خلاف، إلا أن ياسين المجيد اجتهد في التفريق بين الفعلين، ثم أعطى توجيهها للفعل [ضلوا] فقط، ثم إن توجيهه لم يضيف جديدا عما ذهب إليه المفسرون، بل إن آراء المفسرين كانت أكثر

^{٦٠٧} الأول: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ١٩٣٥هـ - ١٩٧٥م، محمد الأنطاكي، ط ٢، دار الشروق، بيروت / والثاني: أوزان الفعل ومعانيها، ١٨٧١،

للدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، بغداد.

^{٦٠٨} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى، ص ١٨٩-١٩٠

وضوحاً، وأقوى حجة، إذ اعتمدت على الأدلة وأسباب النزول. وتتلخص آراء المفسرين في هذين الفعلين فيما يلي:

أما الفعل [أضل] من آية محمد فلم أجد فيه اختلافاً بين المفسرين قدامى ومحدثين، وقالوا فيه: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴾ أي: أبطل وأحبط أعمالهم الخيرية فلا ثواب لها على اختلاف في اللفظ فيما بينهم^{٦٠٩}،

أما الفعل [ضلوا] في ﴿ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٦٧)، فلهم في تأويله ثلاثة آراء لا تختلف فيما بينها كثيراً:

الأول: خرجوا عن [الحق، والهدى، والرشد] وبعثوا عنه بعداً عظيماً^{٦١٠}.

الثاني: جمعوا بين الضلال والإضلال، أي ضلوا وأضلوا^{٦١١}.

الثالث: فسره بعضهم بالكفر، أي أنهم ضلوا لأنهم كفروا^{٦١٢}.

^{٦٠٩} وقد نظرت في أكثر من أربعين تفسيراً فلم يخرج أحدهم عن هذا المعنى، وإن أضاف بعضهم، قوله: أحبط كيد محمد. ^{٦١٠} الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ج ٩، ص ٤١٠ - ٤١١ / ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج ٢، ص ٤٧٦ / الشوكاني، ج ١، ص ٨٥٠ / السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطر، بيروت، دار الفكر، ج ١، ص ١٨٣ / النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، تفسير النسفي [مدارك التنزيل وحقائق التأويل]، تحقيق: يوسف علي البدوي، ط ١، بيروت، دار الكلم، ج ١، ص ٤١٧ / الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيبلي أبو الحسن المعروف بالخازن، ١٤١٥ هـ، تفسير الخازن [لباب التأويل في معاني التنزيل]، تحقيق: محمد علي شاهين، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٤٥١ / الجلالان، الخليلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، ط ١، القاهرة، دار الحديث، ص ١٣٢ // نخبة من أساتذة التفسير، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، التفسير الميسر، ط ٢، مزيدة ومنقحة، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ص ١٠٤ / مقاتل، أبو الحسن مقاتل سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٢٧٢.

^{٦١١} الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ١٤١٥ هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٣، ص ١٩٦ / الرازي، أبو عبد الله بن عمر بن الحسن بن الحسين اليمي الرازي، ١٤٢٠ هـ، مفاتيح الغيب أو [التفسير الكبير] ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث، ج ١١، ص ٢٦٩ / البقاعي، نظم الدرر، ج ٢، ص ٢٧٣ / ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد المودود، والشيخ علي محمد معوض، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٧، ص ١٤٠ / البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، ١٤١٨ هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث، ج ٢، ص ١١٠ / النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ١٤١٦ هـ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ٥٣١ / أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم]، تحقيق: عبد القادر عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج ١، ص ٨١٨ / ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، البحر المديد، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ١٨٨ / الصابوني، محمد علي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، صفوة التفاسير، ط ١، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر، ج ١، ص ٢٩٥ / السيد محمد رشيد رضا، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م، تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ [تفسير المنار]، ط ٢، القاهرة، دار المنار، ج ٦، ص ٧٧ / سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ١٤١٢ هـ، في ظلال القرآن، ط ١، بيروت، والقاهرة، دار الشروق، ج ٢، ص ٨١٣ / أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، مصر دار الفكر العربي، ج ٤، ص ١٩٧ / الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤٢٢ هـ، التفسير الوسيط، ط ١، دمشق، دار الفكر، ج ١، ص ٤١٦ / الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤١٨ هـ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢، دمشق، دار الفكر المعاصر، ج ٦، ص ٤٠. / الطنطاوي، محمد سيد، ١٩٩٧ م، التفسير الوسيط للقرآن الحكيم، ط ١، القاهرة، دار نخبة مصر للطباعة والنشر، ج ٣، ص ٣٩٧ / السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تفسير السعدي [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان] تحقيق عبد الرحمن بن مغللا الوحيق، ط ١، مؤسسة الرسالة، ص ٢١٥.

المثال الثاني: توجيهه للفرق بين [ذوقوا] و [اصلوها] في:

- ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٥).

- ﴿ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (يس ٦٤).

حيث عرض المعنى اللغوي لكلا الفعلين، مُبَيِّنًا أن [الذوق]: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، أما أصل [الصَلِي] فيإيقاد النار ويقال صَلِيَّ بالنار أي بَلِيَّ بها واصطلى. ثم أخذ ينظر في سياق الآيتين ويجتهد في التمييز بين الفعلين^{٦١٣}.

ويبدو أنه لم يقف على التفسير العلمي الذي دلنا على الحكمة من استعمال [ذوقوا]

في العذاب بالنار، وقد فَطِنَ الشعراوي - رحمه الله - إلى الحقيقة العلمية التي ساعدت في الوقوف على تلك الحكمة، قال: "ونظرية [الحسّ] - كما نعرف - شغلت العلماء الماديين، وأرادوا أن يعرفوا كيف نحسّ؟ منهم من قال: نحن نحسّ بالمش... وبعض العلماء قال: إن الإحساس يتم عن طريق النخاع الشوكي والحركة العكسية، ثم انتهوا إلى أن الإحساس إنما ينشأ بشعيرات حسية منبسطة مع الجلد؛ بدليل أنك عندما تأخذ حقنة في العضل، فالحقنة فيها إبرة، ويكون الألم مثل لدغة البرغوث يحدث بمجرد ما تنفذ الإبرة من الجلد، وبعد ذلك لا تحس"^{٦١٤}.

وهذا يعني أن مركز الحس هو الجلد، ومن هنا يمكن أن نقول إن [اصلوها] تعني

دخول النار، والإلقاء فيها، و[ذوقوا] تعني مُقَاسَاة العذاب والإحساس بشدة الألم.

وأسوق إليكم آية جمعت الفعلين، ودلت على أن [ذوقوا] مُتَرَتَّبٌ على [اصلوها]،

وهي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ

جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

^{٦١٢} القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله

بن عبد المحسن التركي، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج ٧، ص ٢٢٧-٢٢٨ / التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٤٦

^{٦١٣} ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص ١٩٨-١٩٩، بتصرف

^{٦١٤} الشعراوي، محمد متورلي، ١٩٩٧م، تفسير الشعراوي [الخواطر] القاهرة، ج ٤، ص ٢٣٣٧

(النساء: ٥٦)، إذ تَصَلَّى الجلود وتُشَوَّى حتى تبلى، فيجددها الله عز وجل عليهم ﴿لِيذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

ويعلق الشعراوي - رحمه الله - قائلا: "﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ أي صارت محترقة احتراقاً تاماً وتعطلت عن الإحساس بالألم، آتيهم بجلد آخر لأديم عليهم العذاب؛ لأنه هو الذي سيوصل للنفس الواعية فتتألم، إذن فالآية مسّت قضية علمية معملية"^{٦١٥} ولقد فسر كثير من المفسرين [اصلوها] في آية يس ب: "ذوقوا وقاسوا حرها أو ادخلوها وذوقوا حرها"^{٦١٦}، فقد علموا وأدركوا أن الإحساس بالألم والعذاب هو الغرض من الإصلاء بالنار.

^{٦١٥} المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٣٧

^{٦١٦} بتصرف: الزحيلي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٢١٥٧ / زاد المسير، ج ٧، ص ٣١ / الشوكاني، ج ٤، ص ٤٩٨ / السعدي، ج ١، ص ١٩٨ / البيضاوي، ج ٥، ص ٩٥ / الألوسي، ج ١٧، ص ١٨ / أبو السعود، ج ٤، ص ٥١٥ / الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، ١٤١٥هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق، وبيروت، دار القلم، والدار الشامية، ص ٩٠٣ / الوسيط للطنطاوي، ج ١٢، ص ٤٧.

المبحث الثالث:

الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي

تمهيد:

لقد كان الدكتور محمد الصامل دقيقا في استعماله لحرف الجر [من] الذي يفيد البعضية في عنوان كتابه [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] إذ يوحي ذلك بإيقان الكاتب أنه لا يمكن لأحد أن يحيط ببلاغة وإعجاز القرآن الكريم سِما المتشابه اللفظي منه، ويعد هذا الكتاب على الرغم من قلة عدد مواضع المتشابه اللفظي -عشرة مواضع فقط- التي تناولها بالبحث والتوجيه يعد نقلة جديدة، ومنهجيا جديدا، في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

المطلب الأول: التعريف بالكاتب

لقد وقر الدكتور الصامل علينا بحثا طويلا عن سيرته ونشاطه العلمي، إذ أنه أورد في كتابه بالسيرة الذاتية للمؤلف^{٦١٧}، وليت كل مؤلف حديث وباحث يفعل فعل الدكتور الصامل، إذ غالبا لا يتوفر لدى الباحثين ما يقف بهم على السيرة الذاتية لأكثر المؤلفين المحدثين. وسأعرض هنا السيرة الذاتية في إيجاز للصامل من خلال ما ورد من سيرته في آخر كتابه.

أولا: نسبه: هو أبو علي محمد بن علي بن محمد بن صامل بن ملاقي بن ناجع الجهني

ثانيا: درجاته العلمية:

- تخرج في كلية اللغة العربية بالرياض سنة [١٣٩٧/١٣٩٨هـ]، ويبدو أن كان طالبا متفوقا؛ يؤكد ذلك أنه عين معيدا في قسم البلاغة والنقد في نفس سنة تخرجه.
- حصل على درجة الماجستير في البلاغة سنة ١٤٠٥هـ
- ثم حصل على الدكتوراه في البلاغة والنقد سنة ١٤١٠هـ.
- تدرج في العمل بالتدريس في قسم البلاغة والنقد من معيد، إلى محاضر، أستاذ مساعد، حتى ترقى إلى درجة أستاذ مشارك ١٤١٨هـ.

^{٦١٧} الصامل، محمد بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار إشبيلية، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

ثالثا: نشاطاته العلمية والثقافية:

لو تأملنا الأنشطة العلمية التي يشارك فيها الدكتور الصامل، وعدد اللجان التي شارك فيها كعضو مؤسس، والدورات التعليمية التي أسهم فيها، لأخذنا العجب من نشاط هذا الرجل، لكنها همة وعزيمة الرجال، يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء، فمن نشاطاته ما يلي:

- إن الصامل عضو في ثماني لجان كل منها ذات أهمية وقيمة علمية رفيعة، ومن هذه اللجان: لجنة البحث والنشر التابعة للمجلس العلمي، وعضو لجنة الدعوة في أفريقيا، عضو مجلس عمادة الدراسات العليا في الجامعة، عضو لجنة المراجعة والتنقيح للطبعة الأولى من الموسوعة العربية العالمية، وعضو تحرير مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود.
- يقدم الصامل برنامج إذاعي في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية يعرض دراسة [بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، "أذيعت أولى حلقاته يوم الخميس ٦ / ١ / ١٤١٧ هـ، ولا يزال مستمرا"^{٦١٨}
- شارك الصامل في العديد من الندوات والمؤتمرات والدورات التعليمية والدعوية في شتى بلاد المسلمين منها: ندوة اللسانيات الثانية التي أقيمت في جامعة الملك الخامس بالرباط والتي استمرت لأكثر من شهر، اللقاء الإسلامي الأول لعلماء غرب أفريقيا الذي عقد في نواكشوط يومي ٢٥-٢٦ / ١٣٤١ هـ، دورة إعداد الأئمة والدعاة التي أقيمت في جاكرتا صيف ١٤٠٠ هـ، عمل مديرا لدورة الأئمة والدعاة التي أقيمت في مدينة واقا في بوركينافاسو ١٤١٢ هـ، والتي أقيمت في أديس أبابا في إثيوبيا ١٤١٣ هـ، والتي أقيمت في مدينة يامو سوكونو بساحل العاج سنة ١٤١٤ هـ، والدورتين اللتين أقيمتا في مدينتي [تلبرخ، وروتدام] في هولندا سنة ١٤١٨ هـ، وغيرها.

رابعا: مصنفاته:

^{٦١٨} المصدر السابق، ص ٦٠.

ورد في سيرة الصامل أنه صنف أربعة كتب لعل أهمها [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، وكتاب الأسلوب الحكيم: دراسة تحليلية والذي طبعته دار إشبيليا مرتين آخرها سنة ١٤٢٢هـ^{٦١٩}، وشارك غيره في تصنيف خمسة كتب أخرى، أربعة منها كتب مقرررة على المدارس الثانوية، حيث شارك في تأليف كتابي البلاغة والنقد للصفين الثاني والثالث قسم العلوم الشرعية والعربية، وشارك في كتابي المطالعة للسنتين الأولى والثانية الثانوية بالمعاهد العلمية^{٦٢٠}.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب

١- **موضوع الكتاب ونوع الدراسة:** أما موضوع الكتاب فهو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ولم يخرج الكتاب عن هذا الموضوع إلى غيره، حيث التزم فيه الكاتب توجيه المتشابه اللفظي والاجتهاد في الوقوف على الدقائق البلاغية التي تضمنتها مواضع المتشابه اللفظي، فبعد أن انتهى الصامل من بيان ما يتصل بالجانب البلاغي في العنوان قال: "وأما ما نعينه بالآيات المتشابهات فهي تلك الآيات التي وردت بألفاظ متفقة أو متقاربة، ولكن وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو جمع وإفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان كلمة"^{٦٢١}

٢- **أصل الكتاب وسبب تأليفه:** نمت فكرة هذا الكتاب للصامل من برنامجه الإذاعي الذي يقدمه في إذاعة القرآن الكريم والذي يعرض فيه دراسة [بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، يقول الصامل: "ثم أعدت النظر فيما أذيع، فأعدته على هيئة بحث علمي محققا، رغبة من الإخوة الأفاضل الذين غمروني بآرائهم السديدة وشجعوني على نشر كل ما أذيع منها، تحقيقا لمزيد من الفائدة للباحث أولا، ولقارئ القرآن الكريم ثانيا"^{٦٢٢}.

^{٦١٩} وله أيضا: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، طبعته دار إشبيليا سنة ١٤١٨هـ.

^{٦٢٠} كما شارك الصامل الدكتور عبد الله العويني تأليف كتاب: شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث.

^{٦٢١} الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ١١.

^{٦٢٢} المصدر السابق، ص ٦.

٣- **محتوى الكتاب ومسائله:** تناول الصامل في كتابه عشرة مواضع فقط من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، قدم لها بمقدمة وتوطئة عن إعجاز القرآن البياني، ثم تناول أهم مصنفات المتشابه اللفظي قديما وحديثا، ثم بين أوجه الاختلاف بين الآيات المتشابهات، ثم شرع في تناول هذه المواضع العشرة موضعا موضعاً دراسة بلاغية دقيقة.

وقد بلغت المسائل التي بحثها الصامل في هذه المواضع، والتي صرح بها تصریحاً، وعددها مسائل كتابه، بلغت ثلاثاً وستين مسألة، لكننا لو نظرنا في هذه المسائل سنجدها مائة مسألة، إذ أننا نجد مسائل فرعية كثيرة تدخل تحت هذه المسائل، فمثلاً نجد في الموضوع الأول ضمن المسألة الثالثة أربع مسائل أخرى لم يعدها الصامل مسائل وإنما ناقشها ضمن المسألة الثالثة، إذا عددها جميعاً مسألة واحدة^{٦٢٣}. وفي الموضوع الثالث المسألة السابعة [إيثار بعض الألفاظ على غيرها] تناول تحتها ثلاث مسائل^{٦٢٤}.

٤- **أثر السابقين في الكتاب:** نلمس أثر السابقين من شيوخ توجيه المتشابه اللفظي في كتاب الصامل، فقد كان الكاتب يرجع إليهم ويستعرض آراءهم، لكننا نلاحظ كأن الصامل لم يقف على كتاب الأنصاري [فتح الرحمن]، فنجد أثر الشيوخ الأربعة الأوائل [الإسكافي، والكرماني، والغرناطي، وابن جماعة] أما الأنصاري فلا نجد له أثراً، وقد استعان الصامل بشيوخ المفسرين قديما وحديثا خاصة تفسيري: الرازي، وابن عاشور.

المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب الصامل في كتابه:

١- لم يقسم الصامل كتابه - كعادة المؤلفين - أبواباً وفصولاً، وإنما يضع الفكرة الرئيسة ثم يتناولها بالبحث، ولو أردنا أن نعيد تقسيمه فصولاً لوجدنا أن التوطئة

^{٦٢٣} المصدر السابق، ص ٤٨ - ٥٩.

^{٦٢٤} المصدر السابق، ص ٨٢ - ٨٣.

وما بعدها حتى الموضوع الأول تعد فصلا قائما^{٦٢٥}، وكل موضع من المواضع العشرة يعد فصلا مستقلا.

٢- وصف الصامل منهج بحثه للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم في مقدمته قائلا: "وقد حرصت على أن تكون الدراسة لمواضع التشابه وفق ترتيب السور في المصحف الشريف، على أن أبدأ أولا بتحديد موضع أو مواضع الاختلاف، ثم البحث في الأسرار البلاغية لهذه الاختلافات، ثم تأمل بعض اللطائف البلاغية في بقية الآيات مما يراه الباحث مفيدا للقارئ الكريم"^{٦٢٦}

٣- اعتمد الصامل منهج الإسكافي والغرناطي وابن جماعة في توجيهه للمتشابه اللفظي، إذ أنه يعرض مسائله في صدر موضع التشابه وبعد الآيات المتشابهات موضع البحث مباشرة، ثم يجيب عن هذه المسائل مسألة مسألة، وهذا مما يشوق القارئ ويجذبه، ولم يكتف بذلك بل إنه كان يعمد إلى حوار القارئ كأنه قائم أمامه، فكثيرا ما نجده يقول: "لعلك أخي القارئ تتساءل.."^{٦٢٧}، أو يقول: "لعلك تلحظ أخي القارئ."^{٦٢٨}، أو يقول: "أخي القارئ: تأمل..."^{٦٢٩}، وقد التزم هذا الأسلوب مع القارئ، وهو أسلوب بديع، له أثره البالغ في نفس القارئ، إذ يشعر القارئ كأنه جالس معه يجاوره، ويناقشه.

٤- اعتمد الصامل منهج البسط والتوسع في توجيهه مواضع التشابه اللفظي وجوابه لمسائله، ولعلنا نلاحظ ذلك بارزا، إذ أن كتابه يزيد على مائتي وعشرين صفحة تناول فيه عشرة مواضع فقط من مواضع التشابه اللفظي، فقد تناول الموضوع

^{٦٢٥} المصدر السابق، ص ٩ - ٣٤

^{٦٢٦} المصدر السابق، ص ٦.

^{٦٢٧} المصدر السابق، ص ٦٩.

^{٦٢٨} المصدر السابق، ص ٩٥.

^{٦٢٩} المصدر السابق، ص ٩٩.

الواحد فيما يزيد على خمس وعشرين صفحة، مثل الموضوع الأول^{٦٣٠}، والموضوع الثالث^{٦٣١}.

٥- لم يعتمد الصامل منهج المحدثين [المطعني، وياسين المجيد، والسامرائي] في تناولهم لمسائل المتشابه اللفظي، إذ أنهم عمدوا إلى مناقشة مسألة وحيدة في موضع التشابه غالباً، إنما اعتمد منهج شياخي علم المتشابه اللفظي في القرآن الإسكافي والغرناطي، إذ أنهما كانا يتناولان مسائل عديدة في الموضوع الواحد، بل إن الصامل قد زاد في ذلك زيادات كبيرة حتى وصل عدد مسائله في موضع واحد إلى إحدى عشرة مسألة^{٦٣٢}، وإننا لنعجب حين نجد أنه قد وجه عشرة مواضع تناول فيها ما يقرب من مائة مسألة.

٦- يبرز في توجيه الصامل للمواضع العشرة الاعتماد اعتماداً كبيراً على النواحي البلاغية، ولا عجب؛ فإن تخصص الكاتب كان له أثره في ذلك، إذ أنه تخرج في كلية اللغة العربية، وحصل على الماجستير والدكتوراه في البلاغة، وهذا لا يعيب منهج الصامل في توجيهه للآيات المتشابهات، بل لعلها ميزة مكنته من الوقوف على ما لم يقف عليه غيره. والمطالع لكتاب الصامل يلحظ أنه مولع بالبلاغة ومؤثر لها، ومُلم بأسرارها ودقائقها، اسمع إليه يقول: "وبعد الانتهاء من الحديث عن مواضع الاختلاف في الآيات المتشابهة، سأعرض بعض اللطائف البلاغية في هذه الآيات، ثم يمضي يعرض لطائفه - وهي بحق لطائف بديعة - وذاك دأبه في كل مواضع المتشابه التي تناولها بالتوجيه.

٧- للصامل عمدتان يعتمد عليهما في توجيه مواضع المتشابه اللفظي، الأولى: البلاغة، والثانية: السياق، وهذا لا يعنى أنه يقف عند هاتين العمدين بل إنه يستعين بالبناء اللغوي وبيانه، والتصريف، والنحو. لكن البلاغة والسياق أخذتا

^{٦٣٠} المصدر السابق، ٣٦ - ٦٠.

^{٦٣١} المصدر السابق، ٦٧ - ٩٤.

^{٦٣٢} المصدر السابق، الموضوع الثالث، ص ٦٧ - ٩٤.

الحظ الأوفر، وهما بحق عمدتان كفيلتان ببيان وكشف الكثير من خصائص وأسرار الآيات المتشابهات لفظاً.

٨- استنباط الصامل لأسرار جديدة من مواضع قديمة، سبقه القدماء إلى توجيهها، فقد أمعن النظر، ودقق، وفحص، وتعمق، وسبر الغور، فأخرج منها لآلىء جديدة، ونفائس جليلة، لم تنلها أيدي الشيوخ الذين سبقوه إلى توجيه هذه المواضع. وأسوق إليكم مثالا أؤيد به ذلك: ففي الموضع الخامس وجه الصامل فيه:

- آية البقرة: ﴿ صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَرَجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٨).

- وآية البقرة: ﴿ صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٧١).

فقد وجه الغرناطي في هذا الموضع مسألة وحيدة، وهي اختلاف الفاصلة، ولم أجد

غير الغرناطي وجههما.

أما الصامل فقد كان له مع هاتين الآيتين شأن آخر، ونظرة أخرى، فقد استطاع أن

يقف فيهما على سبع مسائل، كلها جديدة بالبحث والنظر والتوجيه، وهي كما يلي:

- الموازنة بين الفاصلتين.

- سر الاقتصار على الصفات الثلاث.

- سر ترتيبها.

- مجيء الصفات دون عطف.

- حذف المسند إليه.

- التشبيه في هذه الصفات.

- اسمية الجملة^{٦٣٣}.

وهذا إن دل إنما يدل على سعة أفق الكاتب، وقدرته الفائقة على النظر والتأمل والتعمق في الآيات، وسبر أغوارها، والوقوف على أسرارها وخباياها الدقيقة، والتي لا تظهر إلا لمن مَلَكَ مَلَكَهً خاصة، كان للصامل حظ وافر من هذه المَلَكة.

٩- عمد الصامل أثناء توجيهه للآيات المتشابهات إلى بيان وتفصيل بعض القضايا البلاغية والنحوية، فمن القضايا البلاغية التي فصلها: التصدير^{٦٣٤}، والمراجعة^{٦٣٥}، والاستدراك^{٦٣٦}، والترتيب^{٦٣٧}، ومن القضايا النحوية التي فصلها الفرق بين [ما] و [لا] النافيتين^{٦٣٨}.

١٠- عمد الصامل إلى الرد على بعض أهل الفرق المنحرفة، مثل رده على المعتزلة في نفهم الشفاعة لأهل الكبائر، حيث فند آراءهم وردها بالحجج والأدلة القوية الواضحة^{٦٣٩}.

١١- رد على القائلين بالزيادة في القرآن، وله في ذلك في كتابه منافحة طويلة وقوية، يُفند فيها آراء القائلين بالزيادة في القرآن الكريم ويردها بردود قوية مفحمة^{٦٤٠}.

١٢- لم يكتف الصامل بعرض رأيه بل إنه كانت له نُقُود غاية في الدقة، وحين ينقد لا ينقد دون سند، بل يعتمد على أدلة وحجج وبراهين يؤيد بها رأيه، فإن له رأياً وجيهاً خالف به أحد آراء البلاغيين وردده، وهو في المسألة الخامسة من الموضوع

^{٦٣٣} المصدر السابق، ص ١١٠ - ١٢٢.

^{٦٣٤} التصدير: أن يرد في صدر الكلام ما يشعر بخاتمته. المصدر السابق، ص ٩٧ - ٩٨.

^{٦٣٥} المراجعة: عرض الحوار بأوجز عبارة، وألطف معنى، وأسهل لفظ. المصدر السابق، ص ١٠٣.

^{٦٣٦} الاستدراك: رفع توهم يتولد من الكلام السابق، ولا يقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب. المصدر السابق، ص ١٠٦.

^{٦٣٧} الترتيب: التدرج الطبيعي لما يذكر من الصفات. المصدر السابق، ص ١١٤.

^{٦٣٨} المصدر السابق، ص ١٠٧.

^{٦٣٩} المصدر السابق، ص ١٩٥ - ١٩٩.

^{٦٤٠} المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٣٤.

الخامس والتي وجه فيها حذف المسند إليه قال: "وقد علل بعضهم للسبب في حذف المسند إليه بقوله: صيانة للسان عن ذكرهم. وأقول إن هذا الغرض ذكر في كتب البلاغيين على أنه أحد أغراض حذف المسند إليه، وإن صح في بعض الأمثلة فإنه لا يطرد في كل حذف.... ولهذا فإني أحالف البلاغيين في مثل هذا، وأرى أنه لا بد من التورع عند الحديث عن بلاغة القرآن، فليس كل ما يصلح أن يوصف به الشعر والنثر يصلح إطلاقه على القرآن الكريم"^{٦٤١}.

١٣ - أحد المواضع العشرة التي تناولها - وهو الموضع الرابع - جديد، لم يسبقه إلى توجيهه أحد من رجال المتشابه اللفظي. بل إن هذا الموضع يعد نموذجا جديدا مختلفا اختلافا كليا عن النماذج التي وُجِّهت جميعا؛ ولعل الصامل بهذا النموذج يرسم لونا جديدا من ألوان المتشابه اللفظي، وكذلك يرسم منهجا خاصا لتوجيهه، وتعالوا معي نتأمل هذا الموضع بشيء من الإيجاز، ولكي يتضح لنا منهج الصامل سأضع الآيتين في هذا الجدول على هذا النسق:

الآيتان ١١، ١٢ من سورة البقرة	الآية ١٣ من سورة البقرة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

^{٦٤١} المصدر السابق، ص ١١٦

وقد وجه الصامل في هذا الموضوع وما حوله من الآيات سبع مسائل، كلها جديرة بالبحث، وهي كما يلي:

الأولى : السبب في إثبات الإفساد للمنافقين في الأولى، والسفه في الثانية.

الثانية : الحكمة في نفي الشعور في الأولى، ونفي العلم في الثانية.

الثالثة : التناسب الأسلوبي بين رد المنافقين والرد عليهم.

الرابعة : الحكمة في تقديم النهي عن الإفساد على طلب الإيمان في الحوار مع

المنافقين

الخامسة : مجيء سبب الاستدراك بعد الإفساد والسفه وعدم مجيئه بعد المخادعة.

السادسة : ورد نفي الشعور مرتين نفي بـ [ما] في إحداها، وبـ [لا] في الثانية،

فما سر ذلك؟

السابعة : حذف متعلق [يشعرون] و [يعلمون] .

ثم أخذ يتناول هذه المسائل مسألة مسألة^{٦٤٢}، لكن أهم ما يلفت نظرنا هنا أمران:

أولهما: موضع التشابه، إذ أنه جديد مختلف عن مواضع التشابه الأخرى التي وجهها

السابقون، وثانيهما: المنهج البديع الذي اتبعه الصامل في توجيه هذا الموضوع.

وللباحث في هذه المسألة وقفة:

إذ أني أود أن أضيف مسألة ثامنة إلى مسائل الصامل السبعة، وهي: لماذا سيق المعنى في

الموضع الأول في فاصلتين [آيتين]، في حين سيق المعنى في الموضع الثاني في آية واحدة؟

وأقول - سائلا الله السداد - إن المنافقين في الموضع الثاني رَمَوْا الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّفَهَةِ: ﴿ قَالُوا

أَنْتُمْ مِنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾، فلم يفصل الناظم - جلا وعلا - بفاصلة غَضَبًا وَغَيْرَةً

للمؤمنين، وأسرع في الدفع عنهم: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ ورميهم هم -المنافقين-

بالسفه^{٦٤٣}، أما في الموضع الأول، فقد زعم المنافقون أنهم مصلحون دون رمي المؤمنين بِسَبِّةٍ،

فلم تكن الغضبة فيه مثل التي كانت في الموضع الثاني، والله أعلم.

^{٦٤٢} راجع: المصدر السابق، ٩٥ - ١٠٨

^{٦٤٣} وصدق الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج ٣٨).

المطلب الرابع: وقفات مع كتاب الصامل:

١- لقد صرح الصامل بأمر عجيب في كتابه، فقد قال: "وإذا كنت قد اكتفيت في هذا البحث بالحديث عن عشرة مواضع، فإني عقدت العزم - بمشيئة الله - إذا مد الله في الأجل أن أكمل دراسة كل مواضع المتشابه اللفظي في القرآن التي بلغت أكثر من ٣٨٦ موضع^{٦٤٤}، إن العدد الذي ذكره الصامل إنما هو جملة ما وقف عليه الغرناطي ووجهه في كتابه الملاك، وليس هو كل مواضع المتشابه اللفظي في القرآن، فإن مواضع المتشابه اللفظي تزيد على ألفي موضع، وقد جمعت كتب المتشابه اللفظي الحديثة ما يزيد على هذا العدد بكثير، فأني له أن يحددها بهذا العدد ويعزم على توجيهها كلها؟!

٢- في دراسة الصامل لكتاب الإسكافي [درة التنزيل] استخلص أربع خصال لهذا الكتاب، اثنتان منهما ليستا من خصاله، ولا تنطبق على [درة التنزيل] فقد استخلص:

- "أن كتاب الإسكافي حصيلة اطلاع على ما كتبه السابقون، إضافة على ما اجتهد فيه الخطيب الإسكافي نفسه.

- أنه اتفق مع من قبله في أن غايات التأليف في هذا الموضوع الرد على الطاعنين والملحدين^{٦٤٥}.

إذ أن الإسكافي هو أول من قرع هذا الباب ولم يسبقه إليه أحد، وقد صرح الإسكافي بذلك في مقدمة كتابه، وكان ذلك أحد أهم الأسباب التي دفعته لتصنيف [درة التنزيل]، قال: "بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المتبحرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ولم يُفْرَعَ بابها^{٦٤٦}. والعجيب أن الصامل قد نقل قول الإسكافي هذا بنصه وذكره في كتابه، ثم يستخلص ما يناقضه.

^{٦٤٤} الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٧.

^{٦٤٥} المصدر السابق، ص ٢٠.

^{٦٤٦} الإسكافي، درة التنزيل، ص ٣.

٣- في الموضع الأول، في توجيهه لآية الحمد من سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة ٢)، وآية الجاثية: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية ٢٦)، قال الصامل: "تأملت مواضع الحمد المعرف بـ [ال] في القرآن، فلحظت فيها ما يأتي: وردت في ٢٣ موضعا، تقدم الحمد على لفظ الجلالة أو ضميره في ١٩ موضعا وتأخر الحمد في ٤ مواضع"٦٤٧. إلا أنني أحصيت مواضع الحمد المعرف بـ [ال] فوجدتها ٢٧ موضعا - وليس ٢٣ موضعا - تقدم الحمد على لفظ الجلالة أو ضميره في ٢٣ موضعا٦٤٨ وتأخر في ٤ مواضع٦٤٩.

٤- في الموضع الأول أحصى الصامل صيغة الحمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ختاماً لمقطع أو سورة قائلاً: "جاءت صيغة الحمد في أربعة مواضع دالة على الختام في الأنعام ٤٥، ويونس ١٠ ختام مقطع، وفي الزمر ٧٥، والصفات ١٨٢، ختام سورة"٦٥٠، إلا أن الباحث أحصى صيغة الحمد دالة على الختام في الآيات والسور، فوجد أن الصامل غفل عن أحد المواضع، وهو قول الله تعالى في سورة غافر: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البقرة ٤٥) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (غافر ٦٥).

٥- في الموضع التاسع في توجيهه للفاصلة في آيتي البقرة :

- ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة ٤٥).

٦٤٧ الصامل، بلاغة التشابه اللفظي، ص ٣٧.

٦٤٨ هي: الفاتحة ١، الأنعام ١، الأعراف ٤٣، يونس ١٠، إبراهيم ٣٩، النحل ٧٥، الإسراء ١١١، الكهف ١، المؤمنون ٢٨، النمل ١٥، النمل ٥٩، النمل ٩٣، العنكبوت ٦٣، لقمان ٢٥، سبأ ١، فاطر ١، فاطر ٣، الصفات ١٨٢، الزمر ٢٩، الزمر ٧٤، الزمر ٧٥، غافر ٦٥.

٦٤٩ هي: القصص ٧٠، الروم ١٨، الجاثية ٣٦، التغابن ١.

٦٥٠ الصامل، بلاغة التشابه اللفظي، ص ٣٧.

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة ١٥٣).

قال: "فالأية الأولى ختمت بقوله جلا وعلا: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ وكأن هذا الختام ينادي من يرغب ألا تكون كبيرة عليه أن يكون من الخاشعين... ولهذا فإن من كانت صفته فقد استعدت نفسه لقبول الخير وفعله، وهذا أنسب ما تحتّم به الآية، التي تحتّم أن يكون المخاطب بها بني إسرائيل وغيرهم"^{٦٥١} ويرى الباحث أن كلام الصامل هذا ينساق إلى غير اليهود، أما اليهود فإننا نرى أن الآية تعريض بهم؛ لما هو معروف عنهم من اللؤم، والتكاسل عن الطاعة، والميل إلى المخالفة، والتمرد على أوامر الله ورسوله، ويؤيد ذلك الغرناطي قائلا: "إن قوله جل وتعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ مشير إلى التناقل عنها والتكاسل الجارين في الغالب والأكثر مع ضعف يقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكرت في الآيات قبل"^{٦٥٢}.

٦- في معرض رد الصامل على القائلين بالزيادة في القرآن الكريم وجه الصامل موضعا جديدا من مواضع المتشابه اللفظي لم يسبقه إليه أحد، وهو غير معدود من بين المواضع العشرة التي تناولها بالتوجيه، فليكي يوضح حجته، ويؤيد رأيه قدم مثلا قائلا: "ولكي تتضح الصورة في هذه القصة أعرض أنموذجا تطبيقيا آخر... لبيان بطلان دعوى الزيادة، يقول الله عز وجل في سورة الأحقاف: ﴿يَغْفِرْ

لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (الأحقاف)^{٦٥٣}، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الصف: ﴿

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الصف ١٢)^{٦٥٤} ثم أخذ يوجه الآيتين كل منهما في

سياقها، ثم قال: "الآيات الثلاث التي جاءت فيها [من] الحديث فيها عن

^{٦٥١} المصدر السابق، ص ١٣١، ١٣٢، بتصرف.

^{٦٥٢} الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٢.

^{٦٥٣} وقد وردت هذه الآية في ثلاث سور: إبراهيم ١٠، والأحقاف ٣١، ونوح ٤.

^{٦٥٤} وقد وردت هذه الآية في ثلاث سور: آل عمران ٣١، والأحزاب ٧١، والصف ١٢.

^{٦٥٥} الصامل، بلاغة المتشابه اللفظي، ص ١٣١-١٣٣.

والكافرين، والتي جاءت دون [من] الحديث فيها عن المؤمنين، ومن هنا يتبين أن مجيء [من] في حق الكافرين يدل على أن الله لا يغفر كل ذنوبهم، بل بعضها، أما المؤمنون فلم يأت في الآية التي تحدثت عنهم [من] وهذا إكرام من الله لهم بغفرانه لجميع ذنوبهم وليس بعضها^{٦٥٦}.

وللباحث رأي آخر:

حيث إني لا أتفق مع الصامل في قوله السابق: من أن مجيء [من] في حق الكافرين يدل على أن الله لا يغفر كل ذنوبهم، بل بعضها، إذ أن الآيات القرآنية الأخرى، والأحاديث النبوية الشريفة تنقض وترد هذا التأويل، وتدل على أن الكافر الذي يؤمن تُعْفَرُ جميع ذنوبه، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر ٥٣)، وجاء في الحديث الصحيح أن الإسلام يُجَبُّ ما قبله، فقد صحح الألباني في الإرواء ما روي: "أن عمراً بن العاص قال: قلت: يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال رسول الله ﷺ: إن الإسلام يُجَبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تُجَبُّ ما كان قبلها"^{٦٥٧}.

^{٦٥٦} المصدر السابق، ص ١٣٢.

^{٦٥٧} الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط ٢، بيروت، المكتبة الإسلامية، ج ٥، ص ١٢٢.

المبحث الرابع :

محمد القاضي وكتابه

[المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]

تمهيد:

إنه لمن الصعب أن يقف باحثٌ على كل المصنفات الحديثة التي تناولت علم [المتشابه اللفظي في القرآن] خاصة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ومع اهتمام الجامعات في سائر الأقطار المسلمة -وغير المسلمة- بالبحث في القرآن الكريم وعلومه، والبحث في التراث الإسلامي وإخراج مكنونه، فأنى لباحث أن يحيط أو يقف على إنتاج الجامعات والعلماء في القرآن وعلومه؟!!

فقد كنت أظن أني أكاد أُمُّ بالكتب التي صُنِّفَت في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن]، حتى لكأني بنفسي أخذتها الثقة والغرور أحياناً، فتقول: لا يوجد جديد في هذا العلم، ثقة منها أنها نظرت في كل أو أكثر الكتب المصنفة فيه قديماً وحديثاً، إلى أن وقعت يدي على كتاب للدكتور محمد القاضي أثناء تجوالي بين جنبات وأجنحة بعض المكتبات، ألا وهو كتاب [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق] فوجدت أن هذا الكتاب إضافة جديدة إلى صرح علم [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، فَرَجَرْتُ تلك النفس التي اغترت بقليل من العلم، فزعمت أنه لا جديد، وقلت: لا بد أن دور النشر في العالم الإسلامي قد أفرزت غير هذا الكتاب وقد قصرت يدك عنه، ولا بد أن الجامعات الإسلامية وغير الإسلامية قد أنتجت العديد من الدراسات والأبحاث التي لم تر النور بعد، وما زالت دفيئة مكتبات الجامعات، تحتاج إلى من يَبُثُّ فيها الحياة، ويخرجها من ظلمة رفوف مكتبات الجامعات إلى أنوار وضياء سوق المعرفة.

المطلب الأول: التعريف بالكاتب والكتاب:

أولا التعريف بالكاتب:

إن مما يؤسف له أن الكاتب لم يرفق بالكتاب شيئا عن سيرته الذاتية^{٦٥٨}، ولم يستطع الباحث

أن يقف على شيء من سيرته إلا ما يجده القارئ تحت اسمه على غلاف الكتاب من أنه مدرس للعلوم اللغوية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة حلوان المصرية، وأنه خبير بمجمع اللغة العربية.

ويمكننا استخلاص بعض خصال الكاتب من بين سطور كتابه:

- ١- فهو من حفظة كتاب الله، ومن أسرة ذات علم ودين، تُرَبِّي أبناءها على حب القرآن وحب أهل القرآن، ونرى ذلك في إهداء الكاتب، فقد جاء في الإهداء ما يلي: "إلى والدي الكريم الذي حفظني كتاب الله صغيرا، وحبيني في القرآن وأهله"^{٦٥٩}، وقد أهداه أيضا إلى "السلسلة المباركة من أهل القرآن الذي هم أهل الله وخاصته في كل زمان ومكان"، ونلمس من الإهداء تقدير الكاتب للعلم والعلماء، قال: "وإلى كل من علمني حرفا من أساتذتي الكرام في كل مرحلة من مراحل حياتي"^{٦٦٠}.
- ٢- الكاتب ذو مكانة علمية مرموقة، فهو أستاذ جامعي، وهو بحسب ما جاء على غلاف الكتاب خبير بمجمع اللغة العربية، ولن تتأتى هذه المكانة إلا لمن هو أهل لها.
- ٣- كما يشهد له كتابه بطول باعه في اللغة، والبلاغة، والتفسير، وعلوم القرآن.

ثانيا التعريف بالكتاب:

- ١- موضوع الكتاب: يبحث هذا الكتاب في موضوعين متلازمين، الأول منهما يقوم على خدمة الثاني، والثاني لا تقوم له قائمة إلا بالأول:

^{٦٥٨} إحدى توصيات البحث أن يرفق الباحثون والأساتذة المحدثون موجزا للسيرة الذاتية لهم في آخر أو أول كتبهم.

^{٦٥٩} القاضي، محمد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ص٣

^{٦٦٠} المصدر السابق، ص٣

فالأول هو: نظرية السياق.

والثاني هو: علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

٢- **محتوى الكتاب:** يتضمن الكتاب تمهيدا طويلا وستة فصول، ويعد الكتاب في

جملته ثلاثة أقسام بارزة:

الأول: التمهيد - أربعون صفحة - وهو قسمان: أحدهما يتضمن التعريف بالمتشابه اللفظي

ومصنفاته قديما وحديثا، وثانيهما: بحثٌ في نظرية السياق.

والثاني: الفصل الأول، وبحثٌ فيه الكاتب [آيات المتشابه التام]، وهي الآيات التي تكررت

بلفظها دون تغيير.

والثالث: خمسة فصول من الثاني حتى السادس، وقام فيها الكاتب بدراسة آيات المتشابه

المختلف في بعض ألفاظه، فنجد الفصل الثاني عنوانه [المتشابه المختلف في إبدال

كلمة]، والثالث عنوانه [المتشابه المختلف في أحوال الاسم]، والرابع عنوانه [المتشابه

المختلف في أحوال الفعل] والخامس عنوانه [المتشابه المختلف في زيادة أو حذف]،

والسادس عنوانه [المتشابه المختلف في تقديم أو تأخير].

٣- **أهداف الكتاب:** أبان الكاتب عن أهداف كتابه في مقدمته، والتي سماها

ب[واجهة الكتاب]، ولعل أبرز هذه الأهداف خمسة، ها هي في إيجاز:

- رصّد التشابه من خلال جمل تامة المعنى، وقد تكون الجملة آية كاملة، أو

أكثر من آية، أو بعض آية، وإبراز وجوه الاختلاف بين مواضع المتشابه

اللفظي لمعرفة أثر السياق في هذا الاختلاف.

- الكشف عن دور السياق في إبانة المعنى، والكشف عما يتطلبه كل سياق

من تراكيب خاصة، ومفردات معينة^{٦٦١}.

- وضع إطار عام لكيفية التحليل اللغوي في ضوء سياق النص.

- إبراز سياق الحال الذي يلف الآيات اعتمادا على خمسة مصادر هي:

أسباب نزول الآيات، والمضمون العام للسورة التي نزلت فيها الآية محل

الدراسة، وعلاقة الآية بما قبلها أو بعدها، زمن نزول السورة، ومكان نزولها.

^{٦٦١} هذا الهدف ذكره الكاتب في الخاتمة ص ٢٧٧

- التكرار غير موجود في القرآن، فقد تتشابه المعاني وتختلف التراكيب التي تحملها لاختلاف جانب من سياقها، وقد تتشابه التراكيب وتختلف سياقاتها تماما.

المطلب الثاني: نظرية السياق عند محمد القاضي:

لقد عُني علماء المتشابه اللفظي في القرآن بالسياق عناية كبيرة، إلا أننا نجد رجال البلاغة قد أعطوا للسياق عناية أكبر، فالكلمة ترتبط فصاحتها بالحوار والسياق الذي سبقت فيه، يقول الجرجاني: "وجملة الأمر أننا لا نُوجِبُ الفصاحةَ للفظٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكننا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها"^{٦٦٢}

وللسياق عند القاضي مكانة خاصة، ومنزلة رفيعة في الوقوف على الفهم الصحيح لأي نص، اسمع إليه يقول: "إن أي محاولة لفهم أي نص لغوي فهما كاملا بعيدا عن سياقه هي محاولة فاشلة، فالنص اللغوي دون معرفة سياقه جسد بلا روح، وإنما السياق هو الروح التي تسري في هذا الجسد، فتبعث فيه الحياة، فتكشف معانيه، وتتضح مدلولاته، ويصبح قابلا للفهم الصحيح"^{٦٦٣}.

وقد عقد الكاتب دراسة قيمة حول السياق، حيث بحث القاضي دور السياق في تحديد معاني ومرامي التعبير اللغوي، فالسياق عنده ركن أصيل، جاء في كتابه: "نظرية السياق تشكل ركنا أصيلا من أركان الدرس اللغوي الحديث والمعاصر؛ لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي، أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى..، فلا شك أن السياق له دور كبير في تحديد معنى الكلمة، بل إن الكلمة خارج السياق لا تعنى شيئا محددًا، أو لا تعنى شيئا البتة"^{٦٦٤} ٦٦٥

^{٦٦٢} الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ٥١٤١٣ - ١٩٩٢م، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، جدة، دار المدني، والقاهرة، مطبعة المدني، ص٤٠٢.

^{٦٦٣} القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٢٧٧.

^{٦٦٤} غفل الكاتب هنا عن المعنى المعجمي للكلمة، إذ أنها مفردة يبقى فيها المعنى المعجمي.

^{٦٦٥} القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٣٣.

والمقصود بالسياق عند محمد القاضي هو التوالي، توالي العناصر اللغوية التي يتحقق بها التركيب والسبب، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، ومن هنا فالسياق عنده نوعان:

الأول: السياق اللغوي: وهو الذي تمثله التراكيب بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها.
الثاني: سياق الحال: وهو جملة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي^{٦٦٦}، وهو يعنى بحال المتكلم والمستمع، والظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

ويشير القاضي إلى أن العلماء الأقدمين قد أدركوا مفهوم السياق وأثره حين قالوا: "لكل مقام مقال"، وحين قالوا: "لكل كلمة مع صاحبها مقام"، ولعل علماء البلاغة أكثر من التفتوا إلى ذلك حتى أنهم عرّفوا علم المعاني بـ: "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال"^{٦٦٧}.

وساق القاضي^{٦٦٨} عن علماء اللغة ما قرروه من أن المعنى ينقسم إلى عدة أقسام هي:

المعنى المقالي: ويتكون من المعنى الوظيفي^{٦٦٩} والمعنى المعجمي^{٦٧٠}، كما يشمل القرائن المقالية^{٦٧١}.

المعنى المقامي: ويقصد به الظروف التي أُدِّي فيها المقال، أي القرائن الحالية^{٦٧٢}. وقد كان للدكتور كمال بشر تصوير بارع لمقام الكلمة في سياقها، إذ أنه جعل السياق الذي دارت فيه الكلمة مسرحاً، سماه "المسرح اللغوي"، وهذا المسرح يشتمل على أربعة عناصر، هي:

- المتكلم.
- السامع.

^{٦٦٦} المصدر السابق، ص ٣٣-٣٤.

^{٦٦٧} المصدر السابق، ص ٣٤.

^{٦٦٨} القاضي، محمد، المشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٣٥-٣٦.

^{٦٦٩} المعنى الوظيفي: هو المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة، ويشمل الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية التركيبية.

^{٦٧٠} المعنى المعجمي: هو الذي تدل عليه الكلمة مفردة كما في المعاجم.

^{٦٧١} القرائن المقالية أي: المحيط اللفظي.

^{٦٧٢} القرائن الحالية: أي حال المتكلم، وحال المستمع، والحال العام الذي سيق فيه الكلام.

- المكان وما فيه من أشياء وموضوعات، وما فيه من أناس لهم علاقة بموضوع الحديث.

- الزمان وفترته المعينة في التاريخ.

ثم يقول: "وهكذا لا يتحقق مسرح الكلام ولا تتم فعاليته إلا بوجود هذه العناصر جميعاً"^{٦٧٣}

ويؤيد ذلك استيفان أولمان [STEPHEN ULMANN] في كتابه [دور الكلمة في اللغة] قائلاً: "وكلمة السياق قد استعملت حديثاً في عدة معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معني لهذه العبارة. إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"^{٦٧٤}

إن الكلمة معجمياً تحتل معاني عدة مختلفة وقد تتناقض أحياناً بحسب السياق وبحسب طريقة إلقاءها، وقد أدرك جوزيف فنديريس [JOSEPH VENDRYES] أثر السياق ودوره في بيان معنى اللفظ قبل ستيفن أولمان فرأى أن السياق هو الذي يحدد المعنى المقصود من الكلمة، حيث يقول: "الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"^{٦٧٥}

^{٦٧٣} القاضي، محمد، المشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٣٨، نقلاً عن الدكتور كمال بشر، ٢٠٠٣م، ط ١، فن الكلام، القاهرة، دار غريب، ص ١٢٩-١٣٠.

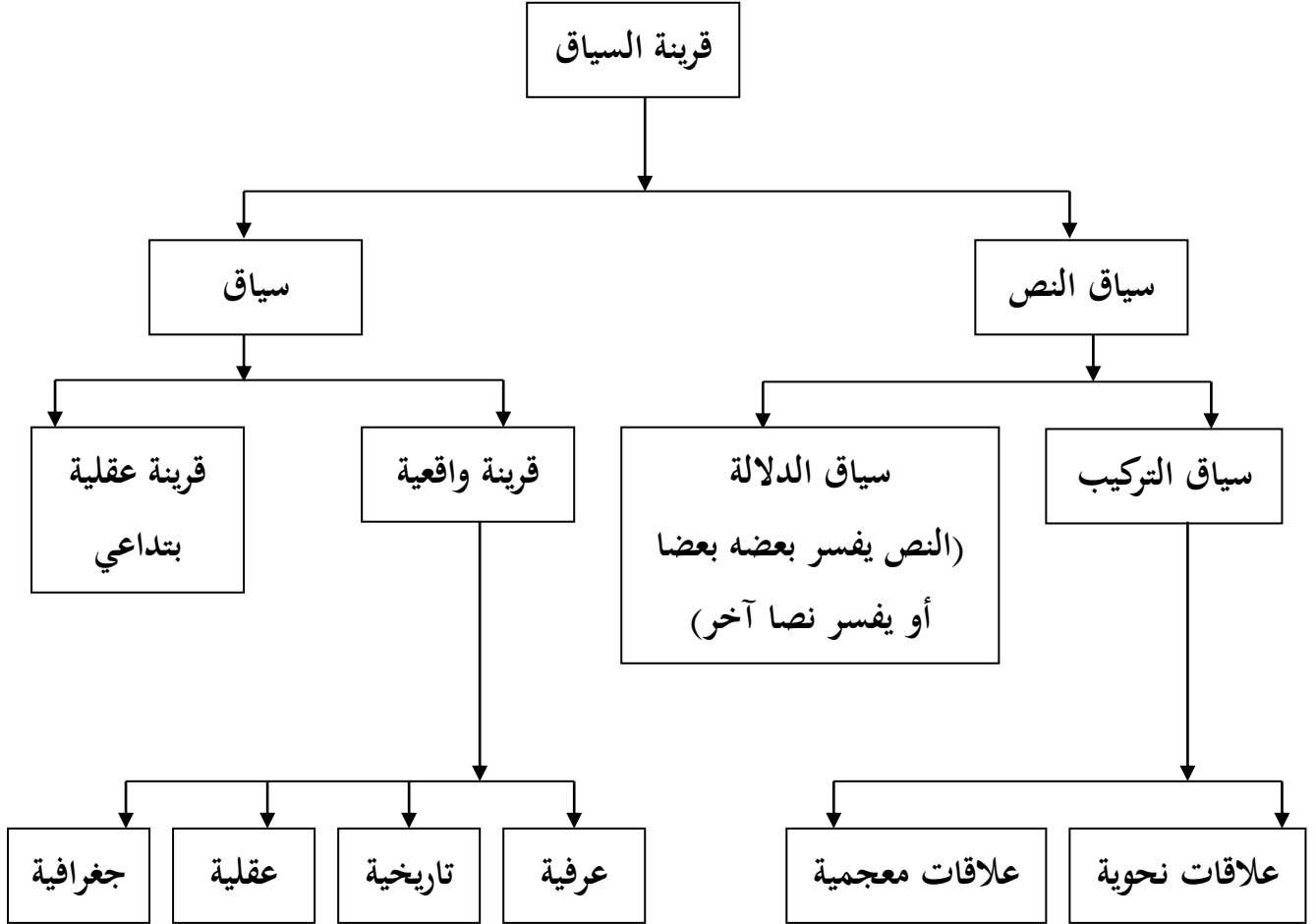
^{٦٧٤} ستيفن أولمان، STEPHEN ULMANN، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال بشر، مصر، المنيرة، مكتبة الشباب، ص ٥٧

^{٦٧٥} جوزيف فنديريس Joseph Vendryes، ١٩٥٠م، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، ص ٢٣١

خريطة قرينة السياق:

لقد عرض محمد القاضي رسماً تخطيطياً بديعاً^{٦٧٦} ضمّن فيها السياق وقرائنه، رأيت فيه إجمالاً

بديعاً واضحاً لتكوينات السياق، ها هو:



^{٦٧٦} القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٤٣.

المطلب الثالث: السابقون والسياق لدى محمد القاضي:

لقد أولى العلماء السابقون السياق عناية فائقة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر السابقين في توظيف السياق للوصول إلى المعاني المقصودة للفظ، فقد كان السياق عمدة علماء تفسير القرآن الكريم، والعمدة الأولى لدى علماء توجيه المتشابه اللفظي، وعمدة علماء اللغة والبلاغة.

ولم يختلف منهج اللغويين المحدثين عن منهج علماء العرب القدامى للوصول إلى المعنى، فقد عمد المحدثون إلى الوقوف على الجانب الصوتي، والجانب النحوي، والجانب المعجمي، والجانب الصرفي، والظروف والملازمات التي تحيط بالحدث اللغوي، وهذا هو المنهج الذي اتبعه المفسرون، والبيانون، والبلاغيون.

لقد سبق اللغويون العرب القدماء علماء اللغة في الغرب في اكتشافهم فكرة المقام، ولقد وضع الدكتور تمام حسان هذه الحقيقة في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، فيقول: لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة^{٦٧٧}

وفي موضع آخر من كتابه ينقل القاضي عن تمام حسان: "ولم يكن مالمينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير يعلم أنه مسبق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله قد سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح (المقام) ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجدته اصطلاح مالمينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة"^{٦٧٨}

ولعل علماء التفسير أول من وظف السياق للوقوف على المعاني والمرامي الدقيقة للفظ في موضع نزوله، ولذلك نجد القاضي قد عقد مبحثا بعنوان [تفسير القرآن والسياق] أثبت فيه أن العلماء العرب قد خبروا قيمة السياق وأثره البالغ، وأنهم سبقوا علماء الغرب في

^{٦٧٧} تمام حسان عمر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٥، عالم الكتب، ص٣٣٧.

^{٦٧٨} المصدر السابق، ص٤٤

هذا الميدان، ولم يكن لعلماء الغرب سوى التحليل والتفصيل، والذي ورد متضمنا في فكر وآثار ومنهج علماء العرب القدامى.

فهذا الزركشي قد جعل السياق من الأمور التي تعين على فهم المعنى عند الإشكال، قال: "دلالة السياق.. فإنها ترشد إلى تبيين الجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظرته"^{٦٧٩}

وللشاطبي كلام في السياق ودوره وأثره في بيان المعنى المقصود يكتب بماء الذهب، اسمع إليه يقول: "إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد العرب، إنما حواراه على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب به، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حاله، وبحسب المخاطبيين، وبحسب غير ذلك"^{٦٨٠}

ثم يؤكد كلامه ويثبته فيضرب مثلا بالاستفهام الواحد الذي تتعدد أغراضه؛ إذ أن لفظه واحد لمن يدخله معان متعددة من تقرير وتوبيخ واستنكار ونفي وغيرها. ومثالا آخر بالأمر الذي يخرج عن مدلوله إلى أغراض أخرى من الإباحة أو التهديد أو التعجيز أو النصح أو غيرها، ثم يقول: "ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجية، أو عمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، فإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكلام"^{٦٨١}

وقد مثل القاضي بنقول عديدة عن علماء السلف، يثبت بها أن السبق والفضل في الوقوف على مرامي اللفظ وعلى المعنى المراد لا يكون إلا من خلال السياق. ثم قال:

^{٦٧٩} الزركشي، البرهان، ج٢، ص٢٠٠

^{٦٨٠} الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،

ط١، دار ابن عفا، ج٤، ص١٤٦.

^{٦٨١} المصدر السابق، ج٤، ص١٤٦.

"جملة هذه النقول تبين لنا أن علماء علوم القرآن والمفسرين قد اعتمدوا في دراسة النص القرآني وفهم دلالاته على جانبي السياق، وهما السياق اللغوي الكلي، أو ما يسمى بـ [سياق النص] و[سياق الموقف]، إذ نظروا إلى الآية القرآنية أو مجموعة الآيات على أنها جزء من نص متكامل هو القرآن، ومعنى ذلك أنهم لا يعتمدون على السياق اللغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة أو مجموعة الآيات المعزولة عن سياقها الكلي، لقد كانوا على وعي تام بفكرة سياق الحال وعناصره التي تعين على فهم النص، ومن يقرأ في كتب التفسير يرى أن المفسرين ربما اختاروا معنى للكلمة غير معناها المعجمي لأن السياق يقتضي ذلك المعنى، وربما فهموا مراد بعض الآيات على غير ظاهرها عندما استدعوا المسرح اللغوي كاملا فأبى إلا معنى آخر غير ظاهر النص^{٦٨٢}

المطلب الرابع: خصائص منهج محمد القاضي وتجديداته في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن:

أولاً: خصائص منهج القاضي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن:

لعل كتاب محمد القاضي يعد متأخرا عن سائر كتب المحدثين، إذ أن طبعته الأولى خرجت سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م أي قبل أقل من عامين تقريبا، ونستطيع أن نلمح بسهولة أثر كتب القدامى في توجيهات القاضي، كما نرى ونلمح أثر السامرائي جليا في توجيهاته ومنهج تناوله ودراسته للمتشابه اللفظي، إلا أن أهم ما يميز منهج القاضي هو نظرية السياق وعنايته الفائقة به وإفرادها بمبحث خاص، وطريقة قياسه وتوجيهه بناء على تلك النظرية التي درسها وبسطها، ويمكننا أن نحمل خصائص منهج القاضي فيما يلي:

- ١- لم يتبع منهج القدامى في الالتزام بترتيب السور، والآيات في سورها، وإنما تابع منهج السامرائي في تقسم المتشابه اللفظي فصولا بحسب نوع الاختلاف والاتفاق فيما بين الآيات، وزاد القاضي على منهج السامرائي أنه حين هم بتوجيه آيات المتشابه اللفظي في القرآن قَسَمَهَا قَسَمِينَ، الأول: جعله للآيات المتشابهات لفظا دونما اختلاف والتي يطلق عليها العلماء التكرار اللفظي،

^{٦٨٢} القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٤٧.

والثاني: جعله للآيات التي وقع فيما بينها اختلاف في بعض الجوانب، بزيادة أو نقص، أو بتعريف وتنكير، أو بتقديم وتأخير، وغيرها.

٢- التوجيه العام أول الباب: ولعل تلك الخصيصة أخذها القاضي عن السامرائي، فمن عادة السامرائي أن يقدم توجيهها عاما للقضية التي يتناولها الباب، ففي باب الإبدال بين حروف العطف قبل أن يخوض في آيات المتشابه اللفظي بدأ القاضي الباب بتوجيه عام استعرض فيه حروف العطف، ثم خص الواو والفاء من حروف العطف بموازنة بين دور وأثر كل منهما في الكلام، وذلك كان قبل أن يعرض توجيه آيتي: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾ (البقرة ٣٥)، و ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (الأعراف ١٩)^{٦٨٣}. ونجد من ذلك المنهج على رأس كل باب تقريبا من أبواب الاختلافات اللفظية بين الآيات المتشابهات لفظا في كتاب القاضي.

٣- التوجيه بناء على عناصر السياق: وعناصر السياق عند القاضي خمسة هي: الزمان، والمكان، والأحداث، والمتكلم، والمخاطب، ولعل تلك الخصيصة تفرد بها القاضي في توجيهه، إذ لم يسبقه إليها أحد على هذا التنسيق، فإن السابق واللاحق من علماء توجيه المتشابه وإن اعتمدوا السياق عمدة، إلا أنهم كانوا يأخذون ببعض جوانبه، ولم يمعنوا النظر فيه إمعان القاضي، كما ابتدع القاضي منهجا بديعا في تحليل السياق إلى عناصره الخمسة السابقة.

٤- اللغة عمدة أساسية إلى جانب السياق لدى القاضي: وهذا مطرد في سائر توجيهاته، فلا نكاد نجد توجيهها إلا وقد قام على هذين العمدين، اللغة والسياق بعناصره الخمسة.

٥- البسط في شرح القضايا النحوية: ولعله تأثر فيها بالغرناطي، حيث إن الغرناطي كان يكثر من تناول القضايا النحوية ويبسطها بسطا، فقد وازن القاضي بين

^{٦٨٣} القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص ٩٥-٩٨.

حروف العطف ثم بين أثر كل من الواو والفاء العاطفتين في ثلاث صفحات^{٦٨٤}،
ووازن بين التعريف والتكثير في اللغة العربية ودلالة كل منهما في ثلاث
صفحات^{٦٨٥}، وهذا البسط في القضايا النحوية سمة عامة لدى القاضي.

٦- البسط في توجيه الآيات المتشابهات: فقد يستغرق توجيه آيتين سبع صفحات،
كما في توجيهه لآيتي: البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا
ءَامِنًا ﴾ (البقرة ١٤٦)، وإبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ
ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم ٣٥)^{٦٨٦}.

٧- دراسة وتوجيه أكثر من مسألة في الموضوع الواحد: وتلك عادة الإسكافي
والغرناطي، في حين أن المحدثين غالباً ما يقفون عند توجيه مسألة واحدة في
موضع التشابه.

٨- الاستفادة من علوم القرآن الأخرى في توجيهاته: فنجده ينظر في أسباب النزول،
ومكان النزول، وترتيب السورة بين السور، ووربطها بما قبلها، والنظر في محتوى
السور كلها، اسمع إليه حين هم بتوجيه تكرار آية القمر: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذُرِي ﴾ (القمر ١٦)، قال: "وردت هذه الآية ومثيلاًتها في سورة القمر، وهي سورة
مكية، وهي السورة السابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، ونزلت بعد سورة
الطارق، وقبل سورة [ص] وكان نزولها في حدود سنة خمس قبل الهجرة،
واشتملت السورة على عدة أغراض أهمها"^{٦٨٧} ثم مضى يعدد هذه الأغراض.

٩- الاجتهاد في استقصاء الآيات المتشابهات في الموضوع الواحد: فنجد القاضي
يستدرك على السابقين الآيات التي أغفلوها في مواضع التوجيه التي بحثوها، غير

^{٦٨٤} المصدر السابق، ص ٩٥-٩٧.

^{٦٨٥} المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤١.

^{٦٨٦} المصدر السابق، ص ١٤١-١٤٨.

^{٦٨٧} المصدر السابق، ص ٧٩-٨٠.

أن القدامى عادة ما يناقشون بعض الآيات ويتركون البعض الآخر، أما القاضي فإنه اجتهد في استقصاء الآيات التي أغفلها السابقون في هذه المواضع، فهذا هو قد جمع لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ تسع آيات، وجه فيها مسألتين:

المسألة الأولى: أن خمسا منها تبدأ بالعطف بالواو: [ومن] الأنعام ٩٣، ٢١، وهوود ١٨، العنكبوت ٦٨، والصف ٧، والأربع الآخر تبدأ بالعطف بالفاء [فمن] الأنعام ١٤٤، والأعراف ٣٧، ويونس ٧، والكهف ١٥.
المسألة الثانية: أن آية واحدة -الصف ٧- من التسع وردت فيها كلمة [الكذب] بالتعريف، في حين وردت [كذبا] نكرة في الآيات الثماني الآخر^{٦٨٨}.

١٠- استعمال الجداول في الموازنة بين توجيه الآيات: وهذه خصيصة استعملها السامرائي في كتابه [التعبير القرآني] لكن بقلّة، واستخدمها فقط لبيان أوجه الاختلاف اللفظي بين الآيات المتشابهات لفظاً، أما القاضي فقد توسع في استعمال الجداول توسعاً كبيراً، فاعتمد عليها في توجيهه أكثر الآيات، كما لم يقف بها عند عرض وجوه الاختلاف بين الآيات بل كانت جداوله عادة ما تتكون من ثلاثة أقسام طولية يعرض في بعضها الآيات المتشابهات وأوجه الاختلاف بينها، ويعرض في البعض الآخر عناصر السياق وتوجيه الاختلافات فيما بين هذه الآيات، وإليك نموذجاً من جداول القاضي:

ففي توجيهه لآيتي: البقرة ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ١٤٢)، والنور: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور ٦١)، قبل أن يفصل توجيه الآيتين وما شابههما من آيات أخرى قال: "وفي الجدول الآتي^{٦٨٩} بيان لعناصر سياق الآيتين:

^{٦٨٨} المصدر السابق، ص ١٤٨ - ١٥٦

^{٦٨٩} المصدر السابق، ص ١٦٢

عناصر السياق	آية سورة البقرة	آية سورة النور
الزمان والمكان	المدينة في أواخر السنة الأولى، أو أوائل السنة الثانية.	المدينة، وقد نزلت هذه السورة منجمة متفرقة في مدة طويلة، وألحق بها بعض آياتها ببعض.
المتكلم	الله سبحانه وتعالى	
المستمع	خطاب المؤمنين	
سبب الحدث الكلامي	تفصيل الكلام عن مجموعة من الأحكام والتشريعات المتعلقة بالزواج من المشركين والمشركات، وأحكام الحائض، والأيمان، والإيلاء، والطلاق، والرضاعة، وعدد النساء، ومتعهن.	تفصيل الكلام عن أحكام تتعلق بالقواعد من النساء، ورفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض، فيما تجره ضرارتهم إليهم من حرج، وإباحة الأكل من بيوت ذوي الرحم والأصدقاء بدون دعوة، وبعض أحكام التحية.
أثر الحدث الكلامي	إدراك حكمة الله من هذه التشريعات واليقين بأن فيها خير للإنسان وصلاحه في الدنيا والآخرة.	أثر إيماني
	تنفيذ هذه الأحكام والتشريعات، واختلاف أمر الناس في ذلك، فمنهم الذي يلتزم بأوامر الله ونواهيه، ومنهم من يعصي الله.	أثر عملي

ثانيا: تجديدات محمد القاضي:

- ١- وجه القاضي ٥٨ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن فيها من التجديد ما يلي:
 - أ- منها ١٢ موضعا جديدا لم يسبق أحد الكاتب إلى توجيهها.
 - ب- استقصاء الآيات المتشابهات في الموضع الواحد، فقد يقف القدامى في موضع المتشابه عند آيتين أو ثلاث، أما القاضي فقد اجتهد في استقصاء الآيات المتشابهات في الموضع الواحد، ودراسة وتوجيه جوانب الاختلاف فيما بينها.

ت- لم يكتف القاضي بما قدمه سابقوه من توجيهات وتآويل لآيات المتشابه اللفظي بل إن له إضافات جديدة معتبرة تناظر وتعاضد توجيهات سابقيه.

٢- تفصيل نظرية السياق، والكشف عن عناصر السياق، وتوجيه مسائل المتشابه اللفظي بناء على هذه العناصر، وهذا المنهج -بحسب علمي- لم يسبق أحد القاضي إليه، وهذه وحدها كفيلة بأن تضع محمد القاضي في الصف الأول لأساتذة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن في العصر الحديث.

الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم

المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج المحدثين في توجيه المتشابه اللفظي:

١- لم يتبع أكثر المحدثين المنهج الذي التزمه القدامى في تناول توجيه آيات المتشابه اللفظي من التزام عرض مواضع الآيات المتشابهات بحسب ترتيبها في منازلها في سورها، وبحسب ترتيب السور في المصحف، إلا أن فاضل السامرائي تابع هذا المنهج في بعض كتبه، ونجد ذلك في كتابه [أسئلة بيانية في نصوص من القرآن الكريم]، كما نجد محمد الصامل في مواضعه العشرة التي تناولها بالتوجيه التزم منهج القدامى من حيث تناول الآيات بحسب ترتيبها في المصحف، وكذلك من حيث عرض المسائل جملة ثم توجيهها مسألة مسألة.

٢- اتباع منهج جديد في توجيه المتشابه اللفظي، استحدثه فاضل السامرائي، يقوم هذا المنهج على تقسيم المتشابه اللفظي باعتبار الأفراد والتركيب، وبنية اللفظ زيادة وتجريدا، ونوع اللفظ اسما أو فعلا أو حرفا، ونوع اللفظ تذكيرا أو تأنيثا، وباعتبار الحذف أو الزيادة في الكلام، وباعتبار التقديم والتأخير، وباعتبار التعريف والتنكير، وغير ذلك من التقسيمات، فجعلوا لكل نوع بابا أو فصلا قائما بذاته، يجمعون تحته مواضع المتشابه اللفظي التي اتفقت في أمر ما مما سبق، وقد نجد تحت الباب الواحد أو الفصل الواحد تقسيمات وتفريعات أخرى، ولعل ذلك جعل تقسيماتهم تزداد وتختلف من مؤلف لآخر.

٣- بحث مسألة وحيدة في موضع المتشابه، وذلك كان دأب كل المحدثين تقريبا، اللهم إلا فاضل السامرائي الذي كان يتناول في أحيان قليلة مسائل عدة في بعض المواضع من كتبه. هذا غير محمد الصامل، حيث إن الصامل قد توسع توسعا عظيما - لم يسبقه إليه أحد- في عدد المسائل التي بحثها في موطن المتشابه.

- ٤- للمحدثين عمدتان أساسيتان في توجيه المتشابه اللفظي، ألا وهما اللغة [صرفيا ونحويا وبلاغيا] مع السياق. وهاتان هما عمدتا التوجيه لدى القدامى أيضا.
- ٥- تكاد تخلو توجيهات المحدثين وكتبهم من العلوم الشرعية التي عمد إليها القدماء في توجيههم لآيات المتشابه اللفظي. فنكاد لا نجد في كتب المحدثين إلا علوم اللغة إلى جانب التفسير، اللهم إلا المطعني وياسين المجيد، فإننا نجد آثار بعض علوم الفقه والقراءات وأسباب النزول، والحديث، أما القدماء فقد كانوا بحدودا في العلوم، فعمدوا إلى الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والقراءات، وعلم الكلام، وغيرها من العلوم، فاستعانوا بها في توجيهاتهم للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
- ٦- الاجتهاد في التقعيد لتوجيه المتشابه اللفظي، وقد برزت تلك المسألة لدى الدكتور فاضل السامرائي خاصة، فنجده إذا ما وجد أمرا ما مشتركا بين عدد من مواضع المتشابه اللفظي وضع قاعدة تضبط توجيه هذه المواضع المشتركة، وسوف يُفردُ الباحث للقواعد التي وضعها السامرائي مبحثا خاصا سيأتي في الباب التالي في فصله الثاني إن شاء الله.
- ٧- التنوع ما بين البسط والإيجاز في توجيه مسائل المتشابه اللفظي، وأكثر من بسط في توجيه محمد الصامل، ثم المطعني ومحمد القاضي، أما فاضل السامرائي، وياسين المجيد فقد كان كل منهما في أكثر توجيهاتهما يعمدان إلى التوسط بين البسط والإيجاز، إلا أننا نجد كلا منهم أحيانا ما يبسط وأخرى يوجز.
- ٨- الاستفادة من كتب المتقدمين، خاصة درة الإسكافي، وملاك الغرناطي، وبرهان الكرمانلي.

٩- لا يوجد أثر لكتاب [فتح الرحمن لما يلتبس من القرآن] للأنصاري لدى كتب المحدثين جميعا، وكأني بهم لم يقفوا عليه، مع العلم أن الكتاب محقق ثلاث مرات، وقد طبعت تحقيقاته الثلاثة^{٦٩٠}.

١٠- الاستعانة بالتفسير العلمي للقرآن، وقد برز ذلك لدى ياسين المجيد في [المبنى والمعنى]، ومحمد الصامل في [من بلاغة المتشابه اللفظي].

المطلب الثاني: تجديدات المحدثين:

١- من حيث المنهج: ابتكر المحدثون منهجا جديدا في تناول آيات المتشابه اللفظي في القرآن، لا يقوم على جمع آيات المتشابه وتناولها بحسب ترتيبها في المصحف، وإنما بتقسيمها أبوابا وفصولا، كل باب وكل فصل يجمع عددا من الآيات التي اشتركت فيما بينها في شيء ما من خصائص آيات المتشابه اللفظي، من تقديم وتأخير، أو إبدال وتغيير، أو تعريف وتنكير، وغير ذلك.

٣- توجيه آيات جديدة: وجه المحدثون آيات كثيرة لم يقف عندها السابقون، فهذا ياسين المجيد قد وجه ٢٥٨ مسألة من مسائل المتشابه اللفظي، منها ١٧٩ مسألة جديدة لم يقف عندها علماء توجيه المتشابه السابقون، أما فاضل السامرائي فقد زاد على ذلك إذ أن جملة ما وجهه في الكتب الثلاثة موضع البحث [التعبير القرآني، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم] يزيد على ٣٤٠ موضعا من مواضع ومسائل المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأكثر هذه المسائل جديد لم يوجه من قبل، حتى أن كتاب [من بلاغة المتشابه اللفظي] لمحمد الصامل والذي وجه فيه ١٠ مواضع من مواضع المتشابه نجد أن أحد هذه العشرة جديدا لم يقف عنده أحد ممن سبق من علماء توجيه المتشابه، وكذلك المواضع التي وقف عندها عبد العظيم المطعني بالتوجيه - على

^{٦٩٠}الأول: تحقيق: محمد علي الصابوني، وطبعته دار القرآن الكريم في بيروت سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، والثاني: تحقيق عبد السميع أحمد حسنين، وطبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ بمكتبة الرياض الحديثة، والثالث: تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، وطبعته الأولى في مركز الكتاب للنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩م

قلتها- نجد بعضها جديدا، أما محمد القاضي فقد وجه ٥٨ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن منها ١٢ موضعا جديدا لم يسبق أحد الكتاب إلى توجيهها، وقد أشرنا إلى ذلك في بحثنا لكل شخصية من شخصيات المحدثين كل في مبحثه.

٢- توجيهات جديدة لبعض الآيات التي سبق توجيهها: قدم المحدثون توجيهات جديدة لكثير من الآيات والمسائل التي سبق ووجهها القدامى ويبرز ذلك عند سائر المحدثين، إذ كان لهم رؤية نافذة وقادة منحتهم قدرة للوقوف على أسرار جديدة لتلك الآيات التي سبقهم إلى توجيهها القدامى.

٣- إثارة مسائل جديدة غير مسائل القدامى: وذلك في المواضع التي وقف عندها السابقون بالتوجيه، حيث أثار فيها المحدثون مسائل جديدة جديدة بالبحث غير المسائل التي أثارها القدامى فاتسعت بذلك دائرة البحث والتوجيه الذي أثرى هذه المواضع إثراء عظيما، ولعل فاضل السامرائي ومحمد الصامل أبرز من أثرى بعض المواضع التي وجهها القدامى بمسائل جديدة لم توجه من قبل، وقد أشرنا إلى نماذج لذلك في مباحث المحدثين.

٤- إثراء التوجيهات القديمة بالتوضيح والتعليل والأدلة: وتلك سمة عامة لدى المحدثين، إذ أننا نجدهم حين يهتمون بتوجيه آيات سبق وأن تناولها القدامى بالتوجيه، نجدهم إما أن يعطوا توجيهها جديدا، أو يضيفوا عللا وأدلة على توجيهات القدامى، أو يبسطوا التوجيهات السابقة.

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
بين القدامى والمحدثين،
أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي:
دراسة مقارنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

محمد رجائي أحمد الجبالي

قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا
كوالالمبور
٢٠١٢

الجزء الثاني

الباب الأول

الغرناطي والسامرائي وآثارهما في المتشابه اللفظي

الفصل الأول: الغرناطي وملاك التأويل

المبحث الأول: نسبه ونشأته.

المبحث الثاني: مكانة الغرناطي العلمية.

المبحث الثالث: أهداف الكتاب ومنهجه.

المبحث الرابع: خصائص أسلوب الغرناطي في [ملاك التأويل].

المبحث الخامس: كتابا الملاك والدرة.

الفصل الثاني : السامرائي ومؤلفاته ومنهجه في المتشابه اللفظي

المبحث الأول: التعريف بالسامرائي.

المبحث الثاني: لقاء الباحث وحواره مع السامرائي.

المبحث الثالث: أهم كتب السامرائي التي اهتمت بالمتشابه اللفظي في القرآن .

الكريم.

المبحث الرابع: خصائص أسلوب السامرائي في تناول المتشابه اللفظي:

المبحث الخامس: القواعد السامرائية.

الباب الثالث:

الغرناطي والسامرائي وآثارهما في المتشابه اللفظي

الفصل الأول

الغرناطي و[ملاك التأويل]

مقدمة:

كتاب [ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل] للغرناطي يُعدُّ المصنف الأكثر قبولاً، والأوسع انتشاراً في باب المتشابه اللفظي في القرآن؛ يتفق الباحث مع محققه سعيد الفلاح حين قال: "بل إن هذا الكتاب يُعدُّ من أوفى وأبسط وأحسن ما ألف في مسأله ومباحثه"^١، إذ أنه تفوق على سابقيه [درة التنزيل للإسكافي، البرهان للكرماني] في هذا الباب، كما لم يأت بعده -بحسب علمي- مصنف في بابه نال من المكانة مثل ما نال كتاب الغرناطي، اللهم إلا ما جاء على يد [فاضل السامرائي] في بعض كتبه، فإنه قد طاول بكتاباته رأس الغرناطي، ونازعه مكانته، وسوف نتناول ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا البحث إن شاء الله.

^١ الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج١، ص٥.

المبحث الأول: نسبه ونشأته

المطلب الأول: الدراسات التي عُقدت حول الغرناطي وكتابه [ملاك التأويل]:

عُقدت حول الغرناطي وكتابه [ملاك التأويل] دراسات عديدة، حيث حُقّق الكتاب ثلاثة تحقيقات، وليستا اثنتين على ما ذهب إليه السامرائي^١ والصعيدي^٢، وفيما يأتي التحقيقات والدراسات التي وقفت عليها حول الغرناطي وكتابه:

الدراسة الأولى: تحقيق [محمود كامل أحمد] ولعله أسبق التحقيقات حيث لم تقع عيني على تحقيق سبقه، وقد "حقق في مصر سنة ١٩٧٩م، في رسالة نال بها درجة الدكتوراه في جامعة عين شمس، تحت عنوان: [المتشابه في القرآن مع تحقيق كتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الثقفي الأندلسي الغرناطي]، ويوجد منها نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة عين شمس"^٣ وقد طبعته دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

الدراسة الثانية: تحقيق [سعيد الفلاح]، وقد طبع هذا التحقيق بدار الغرب الإسلامي بيروت سنة ١٩٨٣م - لعله التحقيق الأفضل من بينها - كان المحقق دقيق البحث؛ لا يدع صغيرة ولا كبيرة، كما أنه درس شخصية الغرناطي وعصره دراسة وافية، ودرس خصائص كتاب الملاك وأسلوبه ما له وما عليه، وعقد لذلك في صدر تحقيقه فصولاً، كما تميز تحقيق الفلاح بفهارس توضيحية تيسر على الباحثين في الكتاب الوصول إلى مآربهم، ونال [الفلاح] بهذا التحقيق درجة الدكتوراه من كلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، وبين يدي الباحث نسخة من هذا التحقيق.

^١ المصدر السابق، ص ٨

^٢ الصعيدي، ياسر عطية، من ملخص لرسائله الدكتوراه ١٩٩٨م بعنوان [ابن الزبير الأندلسي ومنهجه في ملاك التأويل] عرضه بنفسه على موقع أهل التأويل على النت على هذا الرابط <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=27839>، ولم تقع يدي عليها لكن الدكتور الصعيدي قال: "وإن كان

الفرق بين التحقيقين ضئيلاً جداً، ولكن امتاز التحقيق الثاني بالفهارس التوضيحية التي سهلت علي الكثير /٢٠١٠/٠٣

^٣ الصعيدي، ياسر عطية، [ابن الزبير الأندلسي ونهجه في ملاك التأويل]، راجع هذا الرابط:

<http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=27839>

أقف على هذه الدراسة، وقد حاولتُ الاتصال به ومراسلته على النت من شبكة الفصيح - حيث إني عضو في منتداها - فما أمكني.

الدراسة الثامنة: بحث [رشيد الحمدادي] لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا المعمقة بدار الحديث في المغرب بعنوان [المتشابه اللفظي ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي دراسة وتحقيق لكتابه ملاك التأويل]، والبحث مطبوع بنشر مكتبة أولاد الشيخ للتراث^١.

الدراسة التاسعة: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي عقدها لبيب محمد جبران صالح بعنوان [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي] حصل بها على الدكتوراه في قسم القرآن والحديث، كلية أصول الدين، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، بماليزيا، سنة ٢٠٠٨.

المطلب الثاني: نسبُ الغرناطي ونشأته

لقد سبقنا سعيد الفلاح بدراسة شخصية الغرناطي دراسة وافية^٢ في تحقيقه لكتاب الملاك بداية من دراسة العصر الذي ولد فيه، والظروف السياسية والاجتماعية والعلمية والفرق المذهبية، ثم أسرته ونشأته، وخصاله^٣، والأعمال التي أسندت إليه في الدولة، ومذهبه وشيوخه، ومكانته العلمية، والعلوم التي برع فيها. وسأعرض عليكم نسبه ونشأته من واقع كتب التراجم بإيجاز، فهو:

"ابن الزبير^٤، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير

بن عاصم [العاصمي، الثقفي، الغرناطي]^٥ الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء والمحدثين بالأندلس"^١.

^١ هذا البحث ذكره أحد أعضاء منتدى شبكة الفصيح - أبو حاتم - ردا على أخيها اللببي صاحب الدراسة الخامسة الذي طلب المساعدة ولم أقف عليه راجع ذلك على رابط شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية:

<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?۲۹۵۹۸-%C%۷E%۱D%۳ED%۳%۷DE-%E%۶C%۷CB%D%۱E۵->

^٢ فقد ترجم نسبه ونشأته وخصاله في عشر صفحات، ج ١ (٦١-٧١)، وترجم لشيوخه في إحدى عشرة صفحة، ج ١، ص (٧١-٨١)، وتناول مكانته العلمية في إحدى عشرة صفحة، ج ١، ص (٨٠-٩١)، وتناول كتبه في إيجاز نبذة قصيرة عن كل كتاب في ثماني صفحات، ج ١، ص (٩١-٩٧)، وترجم لتلاميذه بإيجاز في أربع صفحات، ج ١، ص (٩٨-١٠١)

^٣ وما ذكره من خصاله: شدة التقوى، ولطف المعشر، والورع وعفة النفس، والتفاني في نصره الحق، والإخلاص في طلب العلم، ج ١، ص (٦٣-٦٥)

^٤ نسبة إلى جده الأول وقد اشتهر به، وغلب على اسمه.

^٥ العاصمي: نسبة إلى جده الثامن. / والثقفي: نسبة إلى بني ثقف جده الأخير. / والغرناطي: نسبة إلى غرناطة التي استقر بها وصار علما من أعلامها. انظر الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ص ٦١

"ولد بمدينة جَيَّان شرقي قرطبة على بُعْدِ سبعة عشر فرسخا منها في ذي القعدة سنة (٢٧ أو ٢٨) وستمائة للهجرة الموافق ١٢٣٠م"^١ ، "وهو من العرب الداخلين إلى الأندلس، ونسبه بها كبير، وحسبه أصيل، وثروته معروفة. خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها عام ثلاثة وأربعين وستمائة، ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانته على طلب العلم"^٢

لقد كانت أسرة ابن الزبير مع عراقية النسب واليسار والثراء من ذوات العلم والمعرفة، فكانت محبة للعلم، معينة للعلماء، باذلة في سبيله المال. قال الصعيدي: "وأجمعت المصادر على أصله - ابن الزبير - وحسبه فقد نشأ في أسرة ميسورة الحال مشجعة للعلم والعلماء، فأبوه إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم الثقفي (ت: بعد ٦٤٣هـ) كان واحدا من مشجعي العلم والعلماء باذلا ماله في سبيل ذلك؛ يقول ابن الخطيب^٣: ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانته على إرفاد من أحوجته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عن قرطبة وإشبيلية"^٤

ونشأة الغرناطي في أسرة كتلك، ولأب يعرف للعلم فضله، ويقدر للعلماء قدرهم، فلا بد وأن أباه حرص على أن يُرْضِعَهُ العلوم منذ نعومة أظفاره، خاصة وأن الغرناطي قد حصَّلَ عددا متنوعا من العلوم والمعارف لا تَنَاقَتِي إلا لمن بدأ رحلته في طلب العلم مبكرا، فتتلمذ على يد أساطين العلماء في شتى أنواع العلوم، "وجددير بالذكر أن المصادر كلها لم تشر إلى حياة ابن الزبير في جَيَّان، كما لم تشر إلى طريقة تعلمه فيها، على الرغم من أنه أمضى مرحلتين من حياته التعليمية هناك، وأُرْجِحُ أنه تلقى في جيان تعليما خاصا نظرا لحب أبيه وأسرته للعلم والعلماء، ومن الراجح كذلك أنه حفظ القرآن الكريم وجوَّده، وتعلم القراءة والكتابة والخط، وأخذ شيئا من علوم التفسير والفقه والحديث، وشيئا من العلوم الإنسانية، وذلك على عادة أهل الأندلس في تعليم أبنائهم. ولعله كان

^١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تذكرة الحفاظ، زكريا عميرات، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٤، ص ١٨٣. تكاد كتب التراجم تجمع على هذا النسب وترتيبه وعلى ألقابه وسيرته، وقد نقلت عن الذهبي - مع تصرف - ولكني راجعت نسب وسيرة الغرناطي لدى غيره فوجدت أنهم ذهبوا إلى ما ذهب إليه، ووجدت أحيانا الشثري في بحثه [ج ١، ص ٦٤] قد اجتهد هو الآخر اجتهدا في تتبع سيرة الغرناطي في كتب التراجم فذكر مثل هذا الذي ذكرت - مع اختلاف طفيف - ثم رده إلى خمسة عشر مصدرا من كتب التراجم، وصدق؛ فإن سيرة الغرناطي تكاد تكون واحدة في أكثر هذه الكتب.

^٢ هذا لفظ سعيد الفلاح في تحقيقه لملاك التأويل، ج ١، ص ٦٢، وقد أجمعت الكتب التي ترجمت للغرناطي على ذلك

^٣ ابن الخطيب، لسان الدين، ١٣٣٩هـ - ١٩٧٣م، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج ١، ص ١٨٨

^٤ يقصد في الإحاطة في أخبار غرناطة وقد جاء ذلك في: ج ١، ص ١٨٨ - ١٨٩

^٥ الصعيدي، ياسر عطية، ابن الزبير الأندلسي ونهجه في ملاك التأويل، راجع ملخص بحثه على موقع أهل التأويل على النت على هذا الرابط:

<http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=٨٣٩٤> , ٢٠١٠/٠٣/٢٧

يشهد بعض الحلقات في الجامع الأعظم ببيان، وهو يشير إلى شيء من هذا عندما يقول في ترجمة عيسى بن علي بن واصل: قد أدركته ببلدنا وتعرفت على أحواله، وتوفي رحمه الله ببيان في حدود سنة ٦٣٧هـ، وحضر جنازته الجماء الغفير، وتفجعوا عليه رحمه الله^١.

وقد ترجم سعيد الفلاح لشيخوخة الغرناطي - بترجمات موجزة امتدت لعشر صفحات^٢ - فعَدَّ منهم سبعة وثلاثين شيخا كل منهم عَلمٌ بارز في كثير من أبواب العلم، وبعضهم أحاط بالعديد من أنواع العلوم كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم اللغة، والفقهاء وغيرها، وذكر أن صاحب الديباج قال: "لقد شد الرحال - ابن الزبير - وتنقل في طلب العلم داخل الأندلس وخارجها، وبلغ شيخوخه نحو الأربعمئة"^٣، فلا عجب إذن أن نجد ابن الزبير قد بلغ شأنا عظيما في شتى هذه العلوم، فنجد قارئنا محدثا فقيها أصوليا مفسرا لغويا مؤرخا ناقدا.

"وتوفي بغرناطة في الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمان وسبعمائة للهجرة وكانت جنازته مهيبة، بالغة أقصى مبالغ الاحتفال، نفر لها الناس من كل أوب، واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم .. وتبعه ثناء جميل، وجزع كبير، رحمه الله"^٤

^١ الصعدي، ياسر عطية، ابن الزبير الأندلسي ونحجه في ملاك التأويل، راجع ملخص بحثه على موقع أهل التأويل على النت على هذا الرابط:

<http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=٨٣٩٤> ، ٢٠١٠/٠٣/٢٧

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ص ٧١-٨١

^٣ المصدر السابق، ص ٧١

^٤ الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٩٣

المبحث الثاني: مكانة الغرناطي العلمية

المطلب الأول: شهرته الواسعة وضياع مصنفاته:

لقد استوقفتني شخصية ابن الزبير طويلاً إعجاباً وعجباً، أما إعجاباً : فذلك لأنك لو نظرت في كتب التراجم تكاد لا تجد كتاباً منها لم يترجم له، ثم إنك تستطيع أن تجد فيها تفاصيل دقيقة عن حياته وأسرته ونشأته، وهذا إن دل فإنما يدل على سعة شهرته، ولولا فضله وسعة علمه وأثره وكثرة تلاميذه ما ذاعت شهرته، ويشهد إعجابك به حين تقرأ سيرته الزكية وتقف على كريم خصاله.

وصَفَّه صاحب الإحاطة فقال : "كان خاتمة المحدثين، وصدر العلماء والمقرئين، نسيج وحده في حسن التعليم، والصبر على التسميع، والملازمة للتدريس، لم تختل له مع تخطي الثمانين، ولا لحقته سامة، كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبرة، صليبا في الحق، شديداً على أهل البدع، ملازماً للسنة، جزلاً، مهيباً، مُعْظَماً عند الخاصة والعامة، عذب الفكاهة ، طيب المجالسة، حلو النادرة، يؤثر عنه في ذلك حكايات لا تحل بوقار، ولا تحل بجلال منصب"^١.

لقد جمع ابن الزبير أطراف الفضل كلها خُلُقًا وَعِلْمًا وَعَمَلًا ، قال عنه تلميذه أبو حيان النحوي: "وكان أفصح عالم رأيته، وأشفقه على خلق الله تعالى، أماراً بالمعروف، له صبر على المحن، يضحك تبسماً، وكان ورعاً عاقلاً"^٢ ذلك سبب شدة إعجابي وتقديري لشخصية ابن الزبير.

وأما عجباً - وعجبي شديد - فلأن الآثار والمصنفات التي خلفها عَلمٌ كابن الزبير قليلة - قليلة جداً - بالمقارنة مع ما علمنا عنه من تبحره في العلوم، وسعيه حثيثاً لنشر العلم مع عمر طويل جاوز الثمانين خريفاً، فأين نتاج هذا الرجل!؟

فحسبك أن تتأمل المصنفات القليلة - اثني عشر مصنفاً - التي وصلت إلينا، فتجدها - على قلتها - متنوعة في علوم شتى، في اللغة، وفي التفسير ، وفي الفقه وأصوله ، وفي علم

^١ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٨٩، واللفظ نفسه ذكره ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمرى، الديقاج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٢٧

^٢ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٤٢

الكلام، في التاريخ والتراجم، وقد تواترت الأخبار على نبوغه في القراءات، والحديث ورجاله.

ولست وحدي الذي عجب لذلك فهذا سعيد الفلاح محقق كتابه - ملاك التأويل - يشتد عجبه بل إنه يتحسر ويتألم لعدم وصول آثار ابن الزبير إلينا قال: "يُعَدُّ ابن الزبير أحد الأعلام المرموقين الذين صنّفوا التصانيف الكثيرة المتنوعة في شتى العلوم لكن - وحسرتاه - لم يصل إلينا من تلك التصانيف إلا أقلها، فقد طال عمر ابن الزبير حتى جاوز الثمانين، واشتهر عنه أنه صارت له الرياسة في الأندلس في علوم كثيرة، ورحلت إليه الطلاب والأساتذة من كل مكان، ومن غير المعقول أن يكون أستاذ رائد كابن الغرناطي في خلقه وعلمه واجتهاده وهمته وطال به المقام في الدنيا أن تقف مؤلفاته على اثني عشر مصنفا"^١

وإني أتفق مع الفلاح فيما ذهب إليه، وأتحسر معه وأتألم، وإن لحسرتنا تلك أصلاً؛ "فإن هذا الرجل تدل دلائل عدة، وأخبار موثقة على أنه كان له من التصانيف الكثير والكثير بما يتناسب والمكانة العلمية الرفيعة التي بلغها"^٢، بل إن له أمهات من الكتب، بحسب ما جاء على لسان أحد أشهر تلاميذه أبي حيان النحوي في الوافي بالوفيات قال: "له اليد الطولى في علم الحديث والقراءات والعربية ومشاركة في أصول الفقه صنف فيه وفي علم الكلام والفقه وله كتب كثيرة وأمّهات"^٣

فأين تلك المصنفات؟! وأين تلك الأمّهات!؟

لقد تأكد للباحث وللباحثين قبله أن شيخنا - الغرناطي - كان له حساد وخصوم وأعداء، فقد تواترت أخبار أعدائه وخصومه في الكتب التي ترجمت له، حتى أن الحقد والحسد دفعهم لنهب ذخائر كتبه، فقد جاء في الإحاطة: "وبلغ الأستاذ النياحة، ففر لوجهه، وكُيس منزله لحينه، فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه، على ما طالت له الحسرة، وجلت فيه الرزية"^٤، فلعل حسد وحقد خصومه وأعدائه كان السبب في ضياع تراث ابن الزبير، فلم يصل إلينا إلا أقله، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب الذيل والتكملة: "وانجرت إليه مطالبات أصلها الحسد

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ٨٩

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٨٩

^٣ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٤١

^٤ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٩١

الذي لا يكاد يسلم منه إلا من عصمه الله من غائلته وسوء مغبته، أدته إلى التحول عن وطنه تارات، أو التحامل والانتقاض به مرات، والله ينفعه، ويدافع عنه، ويكمل خلاصه، ويجعل إنصافه ممن كاده، ويصرف عنه مَنْ بسوء أراده، وقد ولعت طائفة من أهل مَصْرَه بالطعن على تصانيفه وتنقصه بسببها"^١

المطلب الثاني: رياسته العلمية للأندلس:

إن رحلات الغرناطي في طلب العلم وقفت دون حدود الأندلس والمغرب، قال الصعيدي في ذلك: "ورحل ابن الزبير في سبيل ذلك إلى سبته سنة ٦٤٥هـ، وسلا بالمغرب، وإلى مرسية، والمرية، ولورقة، والجزيرة الخضراء، وكان مالمقة الحظ الأوفر من رحلاته؛ حيث أمضى بها أكثر من ثلاثة أعوام، وتردد إليها بعد رجوعه إلى غرناطة"^٢.

ولم يثبت أنه رحل إلى الشرق، " فلم يأت في ثنايا المصادر أي ذكر لذلك، وهذا ما يؤكده ابن عبد الملك المراكشي عندما ذكر في ترجمته جملة من الأساتذة والعلماء المشاركة الذين أجازوا لابن الزبير دون أن يلقاهم"^٣. وإن هذا لا ينال من مكانته العلمية، فإن الأندلس في زمانه كانت إحدى منارات العلم، فإنها كانت من المنزلة العلمية ما يجعلها تنافس وتناظر بغداد في ذلك الزمان، وذلك لما اجتمع فيها من الأعلام المبرزين في شتى العلوم.

بلغ ابن الزبير من المكانة العلمية أعلاها، حتى انتهت رياسته الأندلس -على مكانتها- إلى الغرناطي، مما يدل على تفوقه على سائر أقرانه من العلماء، ولولا ذلك ما انتهت إليه رياسته القطر في العلم، وبسبب تفوقه وفضله أُسْنِدَتْ إليه الخطابة والإمامة في جامع غرناطة الكبير، كما أسند إليه قضاء المناكح، قال في ذلك ابن الخطيب: "ولي قضاء المناكح، والخطبة بالحضرة، وبلغ من الشهرة والإشادة بذكره ما لم يبلغه سواه"^٤.

^١ الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، ج ١، ص ٤٤-٤٥

^٢ الصعيدي، ياسر عطية، ابن الزبير الأندلسي ونحجه في ملاك التأويل، راجع ملخص بحثه على موقع أهل التأويل على النت على هذا الرابط:

<http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=2010/03/27839>

^٣ المصدر السابق.

^٤ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٩٠

ولقد كان لأصحاب التراجم لفتات عن مكانة ابن الزبير العلمية جديدة بأن نعرضها هنا، وقد جمعها سعيد الفلاح، ورجعتُ إليها في كتب التراجم، وكرهتُ أن أنسبها إلى مصادرها الأصلية دون رد الفضل لأهله، فقد نقل عن الوافي بالوفيات: ["وارتحل إلى بابه العلماء لسعة معارفه" ، ونقل عن الذيل والتكملة: "صار قبلة طلاب العلم وصارت الرحلة إليه" ، ونقل عن نفح الطيب: "فكان بحق أستاذ الزمان معظما عند الخاصة والعامة" ، ونقل عن الديباج: "انتهت إليه الرئاسة في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث إلى المشاركة في الفقه والقيام على التفسير والخوض في الأصولين" ، ونقل عن بغية الوعاة: "وكان محدث الأندلس بل المغرب في زمانه، به أبقى الله ما بأيدي الطلبة من العربية وغيرها"]^١.

المطلب الثالث: العلوم التي نبغ فيها وشيوخه :

إن الناظر المتأمل لشيوخ ابن الزبير يأخذه العجب أخذا، لقد أخذ العلم عن نسيج عجيب من الأساتذة الأعلام المبرزين، وشدة العجب تكمن في النظر في تخصصات هؤلاء الأعلام، إن ابن الزبير يكاد لم يترك علما من العلوم إلا وجلس لبعض أساتذته النابغين ليعب منه عبا، فلا بد أنه قد أوتي فضلا عظيما من الله بحب العلم والتعلق به والتفرغ لطلبه ونشره، ولو تساءلنا كيف ومتى أحاط ابن الزبير بهذه العلوم؟ فلا جواب لذلك إلا أنه لابد قد أوتي همة عالية، وقلبا امتلأ حبا للعلم، وعقلا فذا أمكنه من الإلمام بهذه العلوم جميعا، ونفسا قد رَوَّضَهَا فراضت وانسقت له، وفيما يلي سنعرض في إيجاز العلوم التي نبغ فيها ابن الزبير، مع إشارة للعلم الذي أخذ عنه هذا العلم وفضله.

١- الغرناطي النحوي:

لقد "أحكم العربية وأقرأها مدة طويلة"^٢ ومن أراد أن يقف على إمكانات ابن الزبير اللغوية - فصاحة وبلاغة ونحو- فلينظر في كتابه [ملاك التأويل] -بحسبه شاهدا- إذ يجد الناظر في هذا السفر العظيم نفسه أمام عالم علامة في تحرير اللغة، بلغ من الفصاحة مدى بعيدا في حسن اختيار أفضل الألفاظ أدقها، وأسمى التعبيرات المؤدية الفكرة حق أداء، المعبرة عنها في أجمل ثوب

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ج١، ص٨١، بتصرف

^٢ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٤١

من اللفظ، فضلا عن ذلك بلاغة ابن الزبير، ويمكنك أن تلمس ذلك من خلال الأسلوب الخلاب الذي يأخذ بيدك لا يتركها حتى تشبع بالفكرة، كما أن المطالع لكتاب الملاك لا يكاد يمل النظر فيه؛ إذ أنك وأنت تطالعه تنتقل من فكرة لأخرى تستزيده، حيث إنه يجاورك، فتشعر كأنه يجلس إليك ومعك يخاطبك، وما ذلك إلا لبلاغة وجمال أسلوبه، وحسن ترتيب أفكاره، كما تجد التناسق العجيب بين المعنى والأسلوب وطريقة العرض، ولذا فإن تلميذه أبا حيان لم يبالغ حين قال: "كان أفصح عالم رأيته"^١، كما أننا يشق علينا أن نحصي استشهادات الغرناطي في كتابه من الشعر، وأقوال العرب، وآراء النحاة وأعلام اللغة، فلا عجب أن تنتهي "إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية"^٢.

وكان للنحو خاصة نصيب عظيم في توجيهه للآيات "حتى يصل في ذلك أحيانا إلى الإفراط"^٣، ولا عجب أن يكون الغرناطي نابغة في النحو؛ إذ أن أكثر أساتذته الذين أخذ عنهم -إلى جانب ما جمعوا من علوم- كانوا نوابغ نحوية، من مثل أبي مطرف^٤، والعشّاب^٥، والرّواد^٦، وأبي جعفر أحمد بن محمد خديجة^٧، وابن الناظر^٨، وابن رحمون^٩، وأبي الحجاج^{١٠}، والمعافري^{١١} الأندلسي^{١٢}، وابن مفرج^{١٣}، والطنجالي^{١٤}، وقد جمع محقق [ملاك التأويل] أساتذة ابن الزبير وترجم لهم ترجمات مرتبة موجزة وبديعة^{١٥}.

^١ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٤١

^٢ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٨٩

^٣ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج١، ص٨١

^٤ أحمد بن عبد الله بن الحسين المعروف بأبي مطرف ابن عميرة، كان عالما بالفقه والنحو واللغة والطب والحديث، وكان مجيدا في النظم والنثر، ولد سنة ٥٨٢هـ وتوفي سنة ٦٥٨هـ

^٥ أحمد بن محمد بن محمد بن غزاهيم بن محمد المرادي المعروف بالعشّاب، كان مقربا عالما بالتفسير والمعاني والبيان، توفي سنة ٧٣٦هـ

^٦ أحمد بن محمد بن التنجيبي الغرناطي أبو جعفر، المعروف بالرواد، طبيب فاضل مقرر ممن تأثر به ابن الزبير في فنون العربية

^٧ أبو جعفر أحمد بن محمد خديجة، من أهل قرطبة تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية، من كتبه: تسديد اللسان لذكر أنواع البيان، ومختصر التبصرة في القراءات، توفي سنة ٦٤٣هـ

^٨ ابن الناظر، أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص، المحدث المفسر اللغوي المؤرخ ولد سنة ٦٥٠هـ توفي سنة ٦٩٩هـ

^٩ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رحون المصمودي النحوي، مات سنة ٦٤٩هـ

^{١٠} أبو الحجاج، يوسف بن أبي ربحانة المالقي، ولعله يوسف بن أحمد ابن طائوس أبو الحجاج النحوي الطيب، المتوفي سنة ٧٢٠هـ

^{١١} أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكرياء المعافري الأندلسي النحوي المقرئ له منظومة في القراءات ولد سنة ٥٩١هـ

^{١٢} أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن مفرج توفي سنة ٦٥٧هـ

^{١٣} أبو عبد الله محمد بن يوسف الطنجالي، محدث، نحوي مات سنة ٦٥٣هـ

^{١٤} الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٧١-٨٠، وقد اعتمدت عليه في نقل ترجمات هؤلاء الأساتذة

كما أن من بين مصنفات ابن الزبير [تعليق على كتاب سيبويه] وقد أشارت كتب التراجم لهذا المصنف، حيث نوه إليه السيوطي قائلاً: "صنف تعليقاً على كتاب سيبويه"، ويبدو أن لكتاب سيبويه مكانة خاصة لدى ابن الزبير، يؤكد ذلك كثرة ما رد القضايا النحوية إلى إليه، وكثرة ما استرشد برأي سيبويه في كتابه [ملاك التأويل]، من ذلك مثلاً: قوله: "وقد ترجم سيبويه -رحمه الله- على ما ينصب على التعظيم والمدح"^٢، وفي الصفحة التالية مباشرة قوله: "إلا من قال إن القطع في هذه القراءة هو الوجه، وإياه أراد سيبويه"^٣، وما أكثر اعتماد ابن الزبير على كتاب سيبويه! وما أكثر اعتماده على النحو في توجيهه للآيات!

٢- الغرناطي أستاذ القراء:

وهو شيخ القراء قال الذهبي: "الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء ... أفاد الناس في القراءات وعللها ومعرفة طرقها"^٤، وقال ابن الخطيب: "إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن... أخذ عن الجلة المقرئين، كالمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مستنقور الغرناطي الطائي"^٥

لقد أجمعت الكتب التي ترجمت لابن الزبير -وهي كثيرة- على بلوغه في علم القراءات مكانة سامقة بين أقرانه، وكما أن الكثير من أساتذته إلى جانب أنهم كانوا نوابغ في اللغة والنحو كذلك كان أكثرهم ممن عرف واشتهر بإتقان علم القراءات، ومن هؤلاء: الشاري^٦، والحفار^٧، والغزال^٨، وأبو بكر اللخمي الإشبيلي^٩. وغيرهم^{١٠}، وقد "قرأ على أبي الوليد إسماعيل بن يحيى بن أبي الوليد العطار .. سنة ثمان وأربعين وستمائة، وعلي أبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن

^١ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ١٣٣٩هـ - ١٩٧٩م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الفكر، ج ٢، ص ٢٩٢.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق عبد الغني الفاسي، ج ١، ص ٦١.

^٣ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق عبد الغني الفاسي، ج ١، ص ٦٢.

^٤ شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣١.

^٥ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٨٣-١٨٤.

^٦ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٨٩.

^٧ علي بن محمد الشاري، تلا عليه ابن الزبير الكتاب العزيز، وقال عنه في صلة الصلة: "كان شيخاً فاضلاً وراوي ثقة وعدلاً جليلاً متحريراً ضابطاً متيقظاً عارفاً بالأسانيد والطرق والطرق والرجال ... وكنت أتلو عليه الكتاب العزيز ليلاً لاستغراق نهاره في التدريس" ولد سنة ٥٧١هـ وتوفي سنة ٦٤٩هـ.

^٨ سعد بن محمد الحفار، سمع منه ابن الزبير القراءات سنة ٦٤٥، وسمع منه جامع الترمذي، توفي سنة ٦٤٦هـ.

^٩ الغزال، علي بن أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، توفي سنة ٦٧٠هـ.

^{١٠} محمد بن أحمد بن عبيد الله بن العاصي الخطيب المقرئ أبو بكر اللخمي الإشبيلي، رحل إليه ابن الزبير فتلا عليه بالسبع وقال عنه: كان أضبط من قرأت عليه.

^{١١} ومن هؤلاء: العشاب، والسكوني الإشبيلي، والمعافري الأندلسي، وابن مفرج، والزَّوَاد، وأحمد بن محمد خديجة، وهؤلاء سبق الترجمة لهم.

يحيى الشاري^١، قال عنه تلميذه أبو حيان: "وكان ورعاً عاقلاً له اليد الطولى في علم الحديث والقراءات والعربية"^٢.

أما كتابه [ملاك التأويل] فإنه آية واضحة الدلالة على أن ابن الزبير كان ذا باع طويل في علم القراءات، فكثيرا ما كان يعتمد في توجيهه على القراءة، ومواطن ذلك في الكتاب من الكثرة بما لا يدعوننا لأن ندلل بشواهد على ذلك، لكننا نسوق بعضا من ذلك هنا، فمثاله ما ورد في الآية الرابعة من سورة الفاتحة في قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال ابن الزبير: "وفي قراءة عاصم والكسائي ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾"^٣، ومنه ما ورد في الآية العاشرة من سورة هود قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ (هود:٦٨)، قال ابن الزبير: "وقرئ [ثمود] في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه، إلا أن أكثر القراء على الصرف في الأول ومنعه في الثاني، فيترتب على قراءة الأكثرين سؤال: لم صرف في الأول في قراءة غير حفص وحمة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة والكسائي؟"^٤.

٣- الغرناطي محدث الأندلس^٥:

قد تواترت الروايات في كتب التراجم عن مكانة ابن الزبير الرفيعة في علم الحديث، قال تلميذه أبو حيان: "كان محدث الأندلس بل المغرب في زمانه"^٦ وهو شيخ المحدثين بالأندلس، قال الذهبي:

^١ غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص١٣

^٢ الضفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٤١

^٣ المصدر السابق، ج١، ص٢٠، واعتماد ابن الزبير للقراءات كوجه معين لتأويل المشابه اللفظي القرآن كثير فمنه أيضا: ففي الآية الثانية من سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال ابن الزبير: "اتفق القراء السبعة على الاتباع في هذه الصفات العلية وإجرائها على ما قبلها". ومن ذلك أيضا قوله معلقا على آية البقرة: ﴿وَلَيْكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ...﴾ (البقرة:١٧٧)، وآية النساء: ﴿لَكِنِ الرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (النساء:١٦٢)، قال: "اتفق القراء السبعة في هذه الصفات الأربع وهي قوله في آياها حة البقرة: ﴿وَالْمُؤْتُونَ... وَالصَّابِرِينَ...﴾ وفي آية النساء: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ على القطع كما اتفقوا في أم القرآن في الأربع صفات الواردة فيها على الاتباع".

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٢٦١.

^٥ بغية الوعاة، ج١، ص٢٩٢/ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، ١٣٥١هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ج١، ص٣٢.

^٦ الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق: إحسان عباس، ج١، ص٤٥٤ / وبغية الوعاة، ج١، ص٢٩٢.

"الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء والمحدثين بالأندلس"^١، قال الصفدي: "وعني بالحديث أتم عناية، ونظر في الرجال، وفهم، وأتقن، وجمع، وألف"^٢، و"كان حافظا علامة أستاذ القراء، وشيخ الإسناد، عني بالحديث، ونظر في الرجال، وذيل على صلة ابن بشكوال، وكان ثقة وعمدة"^٣، وقد تكاثرت أوصاف ابن الزبير كمحدث، فقد مر بنا أنه: محدث الأندلس والمغرب، وشيخ المحدثين، وشيخ الإسناد، وثقة وعمدة، كما وصفه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة قائلاً: "وهو الآن متصدر لإقراء كتاب الله تعالى، وإسماع الحديث... وهو من أهل التجويد والإتقان، عارف بالقراءات، حافظ للحديث مميز لصحيحه من سقيم، ذاكر لرجالهم وتواريخهم، متسع الرواية، عني بها كثيرا، ورحل بسببها إلى سبتة، وإلى كثير من بلاد الأندلس"^٤، يؤكد كلام ابن عبد الملك مصنف ابن الزبير [برنامج رواياته]، حيث يؤكد على تحريه الرواية والأسانيد والرجال.

كما نلمس وقوفه على هذا العلم وإمامه به في كتابه [ملاك التأويل] حيث استشهد بالكثير من حديث رسول الله ﷺ أحيانا يصرح بالحديث أو بمعناه وأحيانا يذكر الحديث عرضا في ثنايا كلامه، وقد مثل لكل ذلك محمد فاضل السامرائي تمثيلا دقيقا، فمن ذلك مثلا: حين قارن بين معنى [رجع] و [رد] في تأويله للمتشابه من الآية الثانية في سورة الكهف قال ابن الزبير: "وفي الصحيح قوله ﷺ في الشيطان حين تعرض له في صلاته قال ﷺ: [فرده الله حاسئا]^{٥٦٧}."

كما نجد ابن الزبير يؤيد كلامه بما ورد عن الصحابة في تأويل كتاب الله، ومن ذلك حين بين الفرق بين [إمرا] و [نكرا] في آيتي الكهف: ﴿... لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف ٧١)، و﴿... لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف ٧٤)، قال: "وعن قتادة - رحمه الله - النكر أشد من

الإمر"^٨

^١ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٨٣.

^٢ الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٤١.

^٣ الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس، تحقيق إحسان عباس، ج ١، ص ٥٥٤.

^٤ ابن عبد الملك الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق: محمد بن شريفه، بيروت، دار الثقافة، ج ١، ص ٤٣ ص ٤٣

^٥ السامرائي، محمد فاضل السامرائي، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، (ص ٤٢-٤٤).

^٦ رواه الشيخان مع اختلاف في المتن وهذا لفظ مسلم، البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ج ٣، ص ١٢٦٠، رقم ٣٢٤١ / ومسلم

باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، ج ٢، ص ٧٢، رقم ١٢٣٧.

^٧ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٣١٩.

^٨ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٣٢٢.

٤ - الغرناطي المفسر:

يمكننا أن نقف على مكانة ابن الزبير الغرناطي في علم التفسير من خلال ما يلي:

٤ . ١ - إجماع المترجمين على أنه كان أحد نوابغ تفسير كتاب الله، وشواهد ذلك كثيرة، هذا ابن الخطيب قد جمع عليه التمكن في علوم شتى منها القيام على التفسير قال: "إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، والخوض في الأصلين"^١، وهذا تلميذه نابغة النحو جمع على ابن الزبير أكثر مما جمع له ابن الخطيب قال أبو حيان: "كان محدثاً جليلاً، ناقداً، نحوياً، أصولياً، أديباً، فصيحاً، مفوهاً، حسن الخط، مقرئاً، مفسراً، مؤرخاً"^٢

٤ . ٢ - العلوم اللغوية والشرعية التي شهد له بها القاضي والداني تؤهله أن يكون نابغة في التفسير، فقد جمع الشرائط التي يجب أن تتوافر في المفسر جميعها، بل وزاد عليها، فإنه إمام في اللغة نحوها وأدبها، إمام في الحديث، إمام في القراءات، إمام في الفقه وأصوله، فقد جمع أطراف مقومات المفسر جميعاً.

٤ . ٣ - أما الشاهد الحق لابن الزبير بريادته في علم التفسير فإنه كتابه [ملاك التأويل]، وكفى به شاهداً، إن هذا الكتاب ليس تفسيراً عادياً كأي تفسير، بل إنه يعد أدق وأصعب أنواع التفسير، لأنه ليس تفسيراً عاماً شاملاً لكتاب الله، وإنما هو تفسير لمحطات خاصة في كتاب الله غفل عنها المفسرون، أو لعلمهم لم يستطيعوا أن يقفوا عليها فتركوها، إنها محطات المتشابه اللفظي في القرآن، فأتى الغرناطي وحمل عبء المَهْمَةِ، وكان لها أهلاً، اسمع إليه يقول في خطبة كتابه: "وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا - رضي الله عنهم - في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير، فعسر إلا على الماهر حفظاً، وظن الغافل عن التدبر، والمخلد إلى الراحة عن التفكير أن تخصص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه،.... وإن تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضع

^١ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٨٩

^٢ السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩١

ويجافيه ، فتعسا لمن تنكب عن واضح آياته، وكأن لم يقرع سمعه قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ۚ ﴾ (ص ٢٩) "١ .

وتتحلى عظمة ابن الزبير المفسر في حرصه على التحديد دون التقليد، وعلى أن يسبق عقله ورأيه عقول وآراء الآخرين، قال مبينا منهجه في النقل عن غيره: "من غير أن أقف في أكثر ذلك على كلامه - يقصد الإسكافي - إلا بعد إبداء ما يلهمه الله سبحانه وإتمامه ولا ناقلا إلا في الشاذ النادر كلام أحد من أرباب المعاني؛ إذ لم يتعرض أحد غير من تقدم ذكره - أي الإسكافي - لما من هذا الضرب أعاني، وإنما يلقيه فكري إلى ذكري، فيلقيه ترجمان فهمي على قلبي، وإن آثرت بعض ما عليه لغيري عثرت فنقلت، أفصحت بالنسبة وعقلت ... وما سوى ذلك فأنا ابن نجدته وذو عهدته"٢، ثم إنه يدرك خطورة ما أقدم عليه، فينصرف عن التفسير بالرأي قال: "ومحرزا - بفضل الله - من عيون آلات العلوم ما به قوام المفهوم، عائذا بالله - سبحانه - من سوء الوعي والقول في مثل هذا المقصد العلي بالرأي، فقد ملأ المسامع، وعمّر الأفكار قوله ﷺ: [من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار]٣".

٥ - فقه الغرناطي:

إن الفقه أحد أعظم وأكرم العلوم الشرعية، فكل من أوتي قدرا من العلم في غير الفقه يرجو أن يؤتية الله نصيبا وافرا من الفقه، ويسعى لذلك، إذ لا غنى للمسلم عنه، وقد رأينا مكانة الفقهاء في أمتنا قد فاقت أقرانهم من علماء التفسير، وعلماء الحديث، وعلماء اللغة بمدى واسع وطغت على مكانة مَنْ سواهم من العلماء، وما ذلك إلا لأن هذا العلم - الفقه - يرتبط ارتباطا وثيقا مباشرة ب حياة المسلم ليله ونهاره، لذا نال الفقهاء ما لم ينله المفسرون والمحدثون، ولقد كان لشيخنا الغرناطي حظ عظيم من هذا العلم، يشهد بذلك ما يأتي:

١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: الفاسي، ج ١، ص ٧-٨.

٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٨.

٣ الحميدي، محمد بن فتوح، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، ط ٢، بيروت، دار ابن حزم، ج ٣، ص ٣٠٩، رقم ٢٨٩٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج ٣، ص ١٩١، رقم ١١٩٤.

٤ المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٠، رقم ٢٣٨٦.

٥ . ١ - كتب التراجم التي تواتر فيها خبر أن ابن الزبير كان أحد أساطين الفقه وأصوله في الأندلس، قال تلميذه أبو حيان: "له اليد الطولى في علم الحديث والقراءات والعربية ومشاركة في أصول الفقه صنف فيه وفي علم الكلام والفقه وله كتب كثيرة وأمّهات" ^١، وجاء في الذيل والتكملة: "وهو الآن متصدر لإقراء كتاب الله تعالى، وإسماع الحديث، وتعليم العربية، وتدريس الفقه، عامراً بذلك عامة نهاره عاكفاً عليه مثابراً على إفادة العلم ونشره ... وصارت الرحلة إليه" ^٢، ذكر ابن حجر أن تلميذه محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ^٣ "قرأ شيئاً من أصول الفقه على أبي جعفر بن الزبير في الإشارة للباقي ومن المستصفي وقرأ في أصول الدين على ابن الزبير أيضاً" ^٤، ومن أساتذته خطيب مالقة وشيخها ابن الشيخ البلوي ^٥، جاء في الوافي بالوفيات أنه "كان عاكفاً على إقراء المستصفي ^٦، والجواهر الثمينة ^٧، ولازمه أبو جعفر ابن الزبير سنين للاشتغال عليه" ^٨.

٥ . ٢ - ويشهد له برسوخ قدمه في الفقه ما أسند إليه من قضاء المناكح، وما كان ليسند إليه القضاء إلا عن ثقة أنه جدير بذلك أهل له، قال ابن الخطيب: "ولي قضاء المناكح، والخطبة بالحضرة" ^٩، وتبعه في ذلك صاحب بغية الوعاة قال: "ولي الخطابة والإمامة بالجامع الكبير، وقضاء الأنكحة" ^{١٠}.

٥ . ٣ - كتاب [ملاك التأويل] يشهد لابن الزبير بتضلعه في الفقه؛ إذ أننا نجد في كثير من المواطن في كتابه يتناول بعض القضايا الفقهية اسمع إليه يقول: "ألا ترى أن أفعال المكلفين من الأحكام الخمسة وهي: الواجب والمحظور والمندوب والمكروه والمباح، كل ذلك داخل

^١ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٤١.

^٢ ابن عبد الملك الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة، تحقيق: محمد بن شريفه، بيروت، دار الثقافة، ج ١، ص ٤٣.

^٣ محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني ولد في أواخر شوال سنة ٦٥٤ راجع الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٥٨-٦٥، رقم ٢١٧٩.

^٤ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج ٦، ص ٦٣.

^٥ عبد العظيم بن عبد الله بن أبي الحجاج ابن الشيخ البلوي، الخطيب العلامة شيخ مالقة توفي ٦٦٦هـ، راجع الوافي بالوفيات، ترجمة رقم ٧١٢٩، ج ١٩، ص ١٢.

^٦ المستصفي في أصول الفقه الشافعي، لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

^٧ الجواهر الثمينة في مذهب أهل المدينة، لعبد الله بن نجم الدين بن شاش المالكي المتوفى سنة ٦١٠هـ.

^٨ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى، ج ١٩، ص ١٢.

^٩ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٨٩.

^{١٠} بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩٢.

تحت ضابط الأمانة والوفاء بالعهد، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فقد أتى ووفى بجميع التكاليف الشرعية أخذاً وتركاً^١

٦- تمكن الغرناطي من أصول الفقه:

أما تمكنه في أصول الفقه فيشهد بذلك إلى جانب ما سلف من شهادة المترجمين كتابه [ملاك التأويل] بما حوى من استعانة ابن الزبير بقواعد أصول الفقه في تأويله وتوجيهه لآيات المتشابه اللفظي، فمن توجيهاته التي اعتمد فيها على علم الأصول قوله: "فالآية هنا واردة في مخصوصين والكلام مقيد، فلم يكن ليناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بكل المحرزة للعموم والمقتضية الإحاطة والاستغراق، وأما آية الأنفال فقد قال قبلها: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال ٣٨)، وهذا بمقتضى اللفظ في كل كافر، مثل هذا وإن ورد على سبب خاص فإن وروده على ذلك السبب غير مانع من دعوى العموم فيه، وهذا متفق عليه في فن الأصول"^٢.

٧- الغرناطي المتكلم:

ويبدو لنا أن ابن الزبير برع في هذا العلم من خلال أدلة ثلاثة:

٧ . ١- ما ذكرته كتب التراجم عن تلميذه أبي حيان وغيره من أن له "مشاركة في أصول الفقه وصنف فيه وفي علم الكلام"^٣

٧ . ٢- ورد في كتب التراجم أن لابن الزبير مصنفين في علم الكلام، وقد ذكرهما صاحب الذيل والتكملة، الأول: في الرد على الشوذية^٤، أسماء [ردع الجاهل عن اعتساف الجاهل في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية] والثاني: أرجوزة بين فيها مذهب الشوذية^٥.

٧ . ٣- ما نجده في ثنايا كتابه [ملاك التأويل] من قضايا المتكلمين، خاصة في ردوده على

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ج١، ص٨٧.

^٣ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٤١.

^٤ الشوذية فرقة صوفية منحرفة، تقول بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة.

^٥ الذيل والتكملة، ج١، ص٤٤.

الفرق والمذاهب المنحرفة كالمعتزلة والشاذلية، فمن ذلك تأويله حين هم بتوجيه آية الزخرف: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ (الزخرف. ٢٠)، قال: " فكلامهم تَخَرُّصٌ بالقول لا علم وراءه، إذ الكلام في القدر وأحكامه، وإن الإرادة تخالف الرضا، وإن الأمر قد يأمر بما لا يريد، وإنه سبحانه قد يريد إيقاع ما يرضاه، وبيان ما تبني عليه التكاليف وتتعلق به الأوامر والنواهي من القدرة الكسبية التي بمعرفتها وثبوتها حصول السلامة من مذهب الجبر وإنكارها التورط في مذهب الاعتزال أو قول أهل القدر وكلا المذهبين ضلال ونزوح عن الحق" ^١، أضف إلى ذلك أن أحد أهم أهداف كتابه هو الرد على الملحدة والمتكلمة.

٨- الغرناطي أستاذ التاريخ:

يشهد لابن الزبير بالريادة في هذا المجال مصنفاته، فهي أصدق شاهد على أنه أحد مؤرخي الأندلس المرموقين، "ولا غرابة في أن يعد ابن الزبير من المؤرخين، فقد كان له اليد الطولى في التأريخ لأعلام الأندلس" ^٢، فقد "نظر في الرجال وذيل على صلة ابن بشكوال، وكان ثقة وعمدة" ^٣.

ومن أشهر مؤلفاته ما ذيل به على صلة ابن بشكوال والمعروف بـ [صلة الصلة] ^٤، وله أيضا في التاريخ كتاب [الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام] ^٥، كما صنف "معجم شيوخه" جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم ^٦، أضف إلى تلك المصنفات [برنامج رواياته] .

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٤٣٩.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ٨٨.

^٣ الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ج ١، ص ٤٥٤.

^٤ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط،

٣، مؤسسة الرسالة، ج ١٧، ص ١٧٨، وقد اعتمده الذهبي أحد مصادر في الترجمة للأعلام، وتجدر كتاب [صلة الصلة] يتردد في هامش الكتاب مرات / معجم المؤلفين، ج ١،

ص ١٣٨ / تذكرة الحفاظ ن ج ٤، ص ١٨٤ / الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٤١ / الديباج المذهب، ج ١، ص ٢٧ / بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩٢ / فهرس الفهارس، ج ١،

ص ٤٥٤ / الذيل والتكملة، ج ١، ص ٤٣ / كشف الظنون، ج ١، ص ٢٨٥ / الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ١٩٠.

^٥ الذيل والتكملة، ج ١، ص ٤٣ / الدرر الكامنة، ج ١، ص ٩٧.

^٦ الذيل والتكملة، ج ١، ص ٤٣ / الدرر الكامنة، ج ١، ص ٩٧.

وقد ذكرت كتب التراجم أن تلميذه أبا حيان قال عنه أنه كان "كان محدثاً جليلاً، ناقداً، نحوياً، أصولياً، أدبياً، فصيحاً، مفوهاً، حسن الخط، مقرئاً مفسراً مؤرخاً"^١، وقال عنه الزركلي: أبو جعفر محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس"^٢.

٩- الغرناطي الناقد:

وسمَّه بتلك الخصلة -ناقد- تلميذه أبو حيان قال: "كان محدثاً جليلاً، ناقداً"^٣، أما من شاء أن يستوثق من أن ابن الزبير نَقَّادٌ ماهر، ذو رأيٍ سديد، وذو حُجَّةٍ حَاجَّةٍ، فليُنظر في كتابه [ملاك التأويل]، فإن الناظر الباحث في هذه المهارة من مهارات الغرناطي سيجد أن الغرناطي أثناء توجيهه [للمتشابه اللفظي في القرآن] قد نقل من مصادر شتى لكنه لم ينقل نقلاً، وإنما كان ينتقي النقل انتقاءً، ثم إنه لا يُسَلِّمُ لِمَنْ ينقل عنه تسليماً، فإن "ابن الزبير لا يكتفي بالنقل وإنما يتصدى للرد والنقد والتصويب كلما سنحت الفرصة"^٤، بل إنه يحاوره، ويجادله، ويناقشه، ويقبل منه ويرد، ثم يخرج بتوجيه لا تملك بعده إلا أن تميل إلى رأي ابن الزبير دون غيره، وإن أكثر الذين جاءوا بعد الغرناطي ونقلوا عنه - في أكثر الأحوال - لا ينكرون عليه آراءه وتوجيهاته، فإنهم قد يقفون على جديد لم يقف عليه ابن الزبير فيزيدون، لكنهم نادراً ما ينقضون رأي ابن الزبير في توجيهاته للمتشابه اللفظي. وإليكم بعض نماذج نقده لبعض مَنْ نقل عنهم :

- عقب توجيهه لآية المائدة: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۗ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة ١١٨)، قال: "فإن قلت فما جوابك عما ذكر عن بعض المتأخرين من أن جواب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ محذوف، أي وإن تغفر لهم فإنهم عبادك ثم عطف عليه ﴿فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وإن

^١ بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩١.

^٢ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ٢٠٠٢م، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ط ١٥٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج ١، ص ٨٦.

^٣ بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٩١، كما ذكر صاحب معجم المؤلفين تلك الصفة للغرناطي قال عنه: "محدث ناقد" ج ١، ص ١٣٨.

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ٩٠.

المناسبة إنما تحصلت هذا التقدير؟ قلت هنا خطأ من وجهين: توجيه المناسبة، وتوجيه الإعراب" ثم مضى يبين هذين الوجهين^١.

- وهاهو ابن الزبير يأخذ على المفسرين مرورهم على آية التوبة ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^٥ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥) دون إعطائها حقها قال:
"وقد استمر كلام من وقفنا على كلامه من المفسرين على عبور هذا الموضع دون نزول للاعتبار، وهو من المواضع التي يجب أن يتعرض لها"^٢

^١ المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨ - ١٣٩.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٧.

المبحث الثالث: أهداف كتاب [ملاك التأويل] ومنهجه

المطلب الأول: أهداف كتاب [ملاك التأويل]:

حظي كتاب ابن الزبير [ملاك التأويل] في عصرنا هذا بما لم يحظ به كتاب آخر من كتب المتشابه اللفظي من الشهرة، ويعد هذا الكتاب المصدر الأول للباحثين في علم المتشابه اللفظي، كما حظي هذا الكتاب بالعديد من التحقيقات والدراسات والأبحاث، ذكرتُ منها تسعة في مطلع هذا المبحث، وذلك في حدود ما علمته، ووقفت عليه.

ولا غرابة في أن ينال كتاب [ملاك التأويل] هذه المكانة من بين كتب المتشابه اللفظي، إذ أنه جدير بها وحقيق؛ لما تمتع به هذا الكتاب من خصائص تفرد بها، أضف إلى ذلك تقدمه الزمني. وفي هذا المطلب سأجتهد في إبراز خصائص هذا الكتاب ما له وما عليه وآراء السابقين في هذا الاتجاه.

لقد رأى سعيد الفلاح محقق الملاك أن ابن الزبير قصد إلى هدف واحد لتصنيف هذا الكتاب، قال: "اهتم ابن الزبير بتوجيه ما تكرر من آيات الكتاب العزيز لفظاً... فأبرز ما في تلك الآيات من حكم ومعان إلهية سامية تعلو بها نقيصة التكرار والحشو والابتدال، وقصده من وراء ذلك كله القطع بذوي الإلحاد والتعطيل ممن تعلق بمثل هذه الآيات المتشابهة للطعن في كتاب الله والنيل من الدين"^١

أما السامرائي فقد ذكر أن الغرناطي رمى إلى ثلاثة أهداف من وراء القصد لتصنيف هذا الكتاب، ثم أنكّر السامرائي على الغرناطي أحد هذه الأهداف، وهذا ملخص ما وقف عليه السامرائي:

١- إغفال العلماء السابقين التصنيف في المتشابه اللفظي، وعدم الاهتمام بتوجيه آي المتشابه اللفظي.

٢- الرد على من يقول بجواز نزول آية مكان أختها التي تشبهها مع عدم تأثر السياق.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ١٠٩.

٣- التصنيف في المتشابه اللفظي باب جديد لم يقرعه أحد قبله غير الإسكافي^١.

وقبل أن أسوق ما وفقني الله إليه، أود أن أرد على سعيد الفلاح والسامرائي فيما وقفنا عليه من أهداف، أما سعيد الفلاح فقد عدَّ الردَّ على الملحة هدفاً وحيداً لكتاب الغرناطي، وإني وإن كنت أرى أن هذا الهدف هو أحد أهم أهداف تصنيف الكتاب إلا أنه ليس هدفاً وحيداً بل إن للكتاب أهدافاً أخرى سيأتي ذكرها.

وأما الأهداف التي ساقها السامرائي فإنها في مجموعها هدفان اثنان لا غير؛ إذ أن الثالث والأول كلاهما هدف واحد، لا فرق بينهما سوى الاختلاف في اللفظ، ولا أدري كيف غفل السامرائي عن الهدف الأساسي للكتاب، والموجود ضمن عنوان الكتاب.

كما أننا نجد السامرائي أنكر على الغرناطي أحد هذه الأهداف قال: "والسبب الثالث فيه نظر؛ فإنه ليس الخطيب أول من أفرد كتاباً في المتشابه اللفظي في درته كما نفهم من قول الزبير السابق، فالكسائي (ت ١٨٩هـ) هو أول من أفرد الآي المتشابه في اللفظ في مصنف كما نص على ذلك السيوطي، وكذلك فقد سبق ابن الزبير محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥هـ) في كتابه [البرهان في متشابه القرآن] فقد كتبه للغرض نفسه ولكنه لم يشر إليه، ويبدو أنه لم يقف عليه"^٢. وإني لا أوافق السامرائي فيما ذهب إليه، إذ أن كتاب الكسائي ليس في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن؛ إنما هو في جمع آيات المتشابه اللفظي في القرآن، لمساعدة الحفظه والقراء، فكتاب الكسائي جَمَعُ لتلك الآي - جمع فقط - من دون توجيه، فهو إذن ليس من جنس كتاب [ملاك التأويل] لأن الملاك لم يُعَنَّ بجمع آيات المتشابه اللفظي بل بتوجيه هذه الآي، فكتاب الكسائي يكاد يكون أحصى آي المتشابه اللفظي، وكتاب الغرناطي لم يحص ذلك؛ لأن ذلك ليس هدفه، وقد تقدم الكرماني الغرناطي بمصنفه [البرهان في توجيه متشابه القرآن]، ولم يشر إليه الغرناطي إلا أنه كما قال السامرائي: يبدو أنه لم يقف عليه، وهذا ما نراه حقاً، فلو أنه وقف عليه لأشار إليه كما أشار إلى كتاب الإسكافي.

^١ السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص ٣١-٣٣.

^٢ المصدر السابق، ص ٣٣.

وإذا أردنا أن نقف على أهداف كتاب [ملاك التأويل] فعلينا أن نمنع النظر في شيئين، أحدهما عنوان الكتاب، والآخر خطبته؛ فالعنوان يسوق إلينا أهم أهداف الكتاب، والخطبة تسوق إلينا ثلاثة أهداف أخرى، وأخلص إليكم بتلك الأهداف الأربعة:

الهدف الأول: الرد على المُلحِدة والمُعطِّلة ممن تناول على كتاب الله بالطعن والنقيصة، ويبرز ذلك الهدف في عنوان الكتاب [ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل] فلعل هذا الهدف هو الذي من أجله صنف ابن الزبير هذا الكتاب، فهو الأساس والأصل وإن رمى إلى أهداف أخرى.

الهدف الثاني: إغفال العلماء لعلم المتشابه اللفظي في القرآن، وندرة مصنفاته، قال ابن الزبير: "إن من مغفلات مصنفي أئمتنا -رضي الله عنهم- في خدمة علومه وتدبر منظومه توجيه ما تكرر من آياته لفظاً..^١، حتى ذكر أن هذا الباب لم يقرعه أحد قبله غير الإسكافي بكتابه [درة التنزيل وغرة التأويل]^٢، حيث يبدو أن ابن الزبير لم يقف على كتاب الكرماني [البرهان في توجيه متشابه القرآن]."

الهدف الثالث: إنكار التكرار في القرآن؛ اسمع إليه يقول: "فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه، وإن تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضع وينافيه"^٣؛ وهذا يُعنى أنه لا تكرر في الآي المتشابه في القرآن، وإنما كل آية نزلت منزلها الخاص بها، لا يصلح أن تبدل مع أخت لها، مهما بلغت درجة التشابه، ويمكننا أن نلمس هذا في مواطن عديدة من توجيهات ابن الزبير، اسمع إليه بعد أن انتهى من توجيه قول الله تعالى في آيتي البقرة ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ

^١ المصدر السابق، ج ١، ص ٧.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٨.

^٣ أرى كأن هنا خطأ في النسخ في هذا اللفظ، فما كان لابن الزبير بفصاحته وبلاغته أن يكرر الفعل [ينافي] مرتين متابعتين في مثل [ينافي مقصود ذلك الموضع وينافيه]، وأرى كأن الفعل الثاني هو [يجافيه] فهو الأنسب والأبلغ بالكلام هنا، والأليق بالمعنى، ولعل ذلك خطأ من الناسخ، وقد راجعت تحقيق كل من الفاسي وسعيد الفلاح فوجدت التعبير على حاله المذكور.

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٨.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴿١٥٠﴾ (البقرة ١٤٩-١٥٠)، قال: "وبهذا اللحظ لم يتكرر شيء من الآية بمجرد توكيد، بل كل ما يُظنُّ تكراراً مفيد معنى لم يحصل محرزاً مما قبله، ووضع التناسب في ذلك كله، والله أعلم"١، وكذلك توجيهه لتكرار آية الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾٢، وغير ذلك من المسائل التي تدل على إنكار ابن الزبير للتكرار في القرآن.

الهدف الرابع: خدمة كتاب الله وإنفاق العمر والجهد في سبيل ذلك؛ اسمع إليه يقول:
 "فإن كتاب الله تعالى أحق ما أنفقت فيه نفائس الأعمار، وقصر على اعتباره وتدبره المَلَوَان الليل والنهار .. فهو النعمة التي قصر عن الوفاء بشكرها كل مكتوب ومسطور"٣

المطلب الثاني: منهج الغرناطي في كتابه:

١ - سلك ابن الزبير مسلك الإسكافي في خُطَّة ومنهج تناول متشابه القرآن اللفظي؛ قال الغرناطي مصدقاً على قول الإسكافي أنه أول من قرع باب هذا الفن "صدق - رحمه الله - وأحسن فيما سلك وسنَّ، وحقُّ لنا أن نقندي به ونستنُّ"٤، فقد تابع منهج المفسرين في الالتزام بترتيب السور في المصحف والالتزام بترتيب الآيات داخل السورة، فبدأ بالفاتحة آية آية ثم ثنى بالبقرة فتتبع آياتها التي تكرر لفظها في السورة نفسها، ثم في السور المتأخرة بحسب الترتيب، فلما انتهى من البقرة أقبل على آل عمران، فالنساء، فما يليها.

وتخلل هذا المنهج ما يلي:

١ . ١ - قد يترك السورة قائلاً: "قد تقدم ما في هذه السورة"، وأحياناً يجعل تلك الإشارة

١ المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥

٢ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦١ - ٤٦٥.

٣ المصدر السابق، ج ١، ص ٧.

٤ المصدر السابق، ج ١، ص ٨.

في ذيل السورة السابقة للسورة المذكورة، وأحيانا أخرى يذكرها على رأس السورة التي تليها قبل أن يخوض في توجيهه المتشابه فيها، مثل ذلك قوله حين وصل إلى سورة فاطر: "سورة الملائكة قد تقدم ما فيها، وكذلك يس"^١، وفي مطلع سورة نوح قال "وقد تقدم ما في سورة المعارج"^٢، وفي آخر الفتح أشار إلى سورة الحجرات قائلا: "سورة الحجرات قد تقدم ما فيها"^٣.

١ . ٢ - كثيرا ما يترك السورة أو السور دون أن يشير إلى أنها تخلو من المتشابه، أو أنه قد تقدم ما فيها، فهاهو قد مر على الدخان ولم يلفت نظرنا إليها ، وكذا الصف، والجمعة، والتحریم، وعبس، والانفطار، والمطففين^٤، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعدايات، والقارعة، والعصر، والهمزة، والفيل، وقريش، والماعون، والكوثر، والنصر، والمسد.

١ . ٣ - جمع بين سورتي المزمل والمدثر في مبحث واحد، ولم يرد ذلك في غيرهما.

١ . ٤ - استدرك الغرناطي ما وقع فيه الإسكافي في الدرّة من تناوله آيات من سور متقدمة في سور متأخرة، فقد تناول الغرناطي هذه الآيات جميعا كل منها في مكانها من سورها، حيث رد الآيات التي تأخرت في تناول لدى الإسكافي من مواطنها المتأخرة إلى ترتيبها الطبيعي من سورتها.

٢ - تناول ابن الزبير بالتوجيه الآيات التي تناولها الإسكافي، واستدرك عليه ما أغفله، ورمز إلى الآيات المغفلت برمز [غ]، قال ابن الزبير: "معتمدا عين ما ذكره -الإسكافي- من الآيات ومستدركا ما تذكرته مما أغفله -رحمه الله- من أمثالها من المتشابهات ... مما لم يقع في كتاب [درّة التنزيل] ولا تعرض له بذكر بنص التنزيل ولا تأويل، فنبهنا

^١ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٩

^٢ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٣

^٣ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٦

^٤ وضح لنا سعيد الفلاح سبب عدم ذكر المطففين، حيث جاء في الهامش من آخر سورة الانشقاق: "أثر هذا وجد بياض في كل النسخ علق عليه الناسخ في حاشية ٥٥ - نسخة المكتبة الوطنية بتونس المنسوخة سنة ١٠٣٧ هـ - بقوله: كذا وجد بياض بالأصل المنسوخ منه". راجع: الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ٢، ص ١١٤٢

إلى ذلك لينحاز من المجتمع على ذكره ويفصل، فعلامة [غ] تدل على أنه من المغفل" ^١، وسوف نعود إلى المغفل الذي استدركه ابن الزبير على الإسكافي في المطلب التالي. وقد أغفل ابن الزبير الآية السابعة لدى الإسكافي ^٢ من سورة التوبة لم يوجهها، رغم أن الغرناطي استدرك على الإسكافي موضعين في التوبة.

٣- بدأ ابن الزبير في توجيه الآيات بإبداء رأيه أولاً قبل أن يعرض لرأي وتوجيه الإسكافي أو غيره، قال: "من غير أن أقف في أكثر ذلك على كلامه إلا بعد إبدائي ما يلهمه الله سبحانه وإتمامه ولا ناقلاً إلا في الشاذ النادر كلام أحد من أرباب المعاني ... وإنما يلقيه فكري على ذكري، فيلقيه ترجمان فهمي على قلمي وإن آثرت بعض ما عليه لغيري عثرت فنقلت، أفصحت بالنسبة وعقلت" ^٣، وهذا المنهج في التناول يعد " قاعدة من قواعد البحث المعاصر؛ التي تطلب من الباحث ألا يكون أسير أفكار الآخرين، وأن يحزر فكره تماماً قبل كتابة بحثه؛ ليخرج البحث من بنات أفكاره معبراً عن آرائه" ^٤.

٤- اعتمد ابن الزبير منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظاً، وهما المنهجان اللذان اعتمدهما الخطيب الإسكافي، حيث يحلل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات بنظرة فاحصة معجمياً، وصرفياً، ونحوياً، وبلاغياً، ثم يعقد مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحياناً منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار منزل كل آية، وأنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

٥- تتبع ابن الزبير مواضع الآيات المتشابهات في السورة موضعاً موضعاً، وفي كل موضع يعرض الآية الأم ثم الآيات التي تشابها لفظاً ثم يناقش أوجه التشابه والاختلاف

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٨-٩.

^٢ الإسكافي، درة التنزيل، ص ١١١ - ١١٢

^٣ المصدر السابق، ج ١، ص ٨

^٤ الصعدي، ياسر عطية، من ملخص لرسائله الدكتوراه ١٩٩٨ م بعنوان [ابن الزبير الأندلسي ومنهجه في ملاك التأوي] عرضه بنفسه على موقع أهل التأويل على النت على

هذا الرابط <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=٨٣٩> ٢٧/٠٣/٢٠١٠

والأسباب والعلل، ويعرض ذلك في صورة أسئلة - سؤال أو سؤالين أو أكثر - يعرض الأسئلة جميعاً، ثم يتناول الإجابة عن هذه الأسئلة سؤالاً سؤالاً.

٦- سلك ابن الزبير مسلك الجمهور في موقفهم من الحروف المقطعة أوائل السور، قال: "القول الوارد عنهم -أي الجمهور- في هذه الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور على كثرة انتشاره منحصر في طرفين: أحدهما: القول بأنها مما ينبغي ألا يتكلم فيه ويؤمن بها كما جاءت من غير تأويل، والثاني: القول بتأويلها على مقتضى اللسان وهذا مسلك الجمهور، وهذا الذي نعتقد أنه الحق"^١، لذلك نجد ابن الزبير قد عقد للحروف المقطعة مبحثاً قصيراً في صفتين في أول سورة البقرة ولم يطل القول فيه لكنه - على قصره - كان دقيقاً بصيراً^٢.

^١ المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢

^٢ فإن له في الحروف المقطعة قول بديع، لا أدري هل سبق أحد إليه قبل الغرناطي أم لا، قال: " فأقول - وأسأل الله عصمته وسلامته - إنه هذه السور إنما وضع في أول كل منها ما أكثر ترداده فيما تركب من كلمها ، ويوضح لك ما ذكرت أنك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلمها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بما تلك السورة أفراداً وتركيباً أكثر عدداً في كلمها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها ، ... ، وقد أطرده هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ، فلو وقع في موضع [ق] من سورة [ق] [ن] من سورة [ن والقلم] وموضع [ن] [ق] لم يمكن لعدم المناسبة المتأصل رعيها في كتاب الله تعالى ، فإذا أخذت كل افتتاح منها معتبراً بما قدمته لك لم تجد [كهيعص] يصح في موضع [حم عسق] ولا العكس ، ولا [حم] في موضع [طس] ولا العكس ، ولا [المر] في موضع [الم] ولا عكس ذلك ، ولا [المر] في موضع [المص] بجعل الصاد في موضع الراء ولا العكس ، فقد بان وجه اختصاص كل سورة بما افتتحت به ، وأنه لا يناسب سورة منها ما افتتحت غيرها، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣-٢٤

المطلب الثالث: خصائص أسلوب الغرناطي في [ملاك التأويل]:

١- اعتماد أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ:

فقد اعتمد ابن الزبير هذا الأسلوب في كتابه ، مقتديا في ذلك بنهج أستاذه الإسكافي في الدرة، حيث علم كل منهما مدى أثر وفاعلية هذا الأسلوب في القارئ، إذ إنه أسلوب يتميز بالتشويق ، ويجذب انتباه القارئ، وذلك كان بعض منهج رسول الله ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم.

فتجد ابن الزبير كثيرا ما يقول: "فللسائل أن يسأل .." وهذا التعبير استعاره ابن الزبير من الخطيب، فكلاهما استعمله بكثرة، وتجد ابن الزبير كثيرا ما يخاطب القارئ، ومن ذلك قوله: "وإذا تأملت القطع في صفات الثناء والمدح وجدت ما مهدناه جاريا على هذا، ألا ترى أنك إذا قلت: مررتُ بزيد العالم، فأتبعت الصفة لموصوفها .."^١

واتبع ابن الزبير هذا المنهج في كتابه عامة، ومن ذلك أيضا قوله الآية التاسعة عشرة من سورة البقرة: "فإن قلت: إن قوله أبدا قد أحرز هذا قلت: تأكيد أبلغ فنفي بلا وأكد بالتأييد"^٢ ، فإن ابن الزبير "عادة ما يبدأ في توجيه الآية بفرض بعض الأسئلة؛ لتنبية القارئ، وبيان المواطن التي سيعالجها منها، ثم يشرع في الإجابة عنها واحدا تلو الآخر، وفي ثنايا الإجابة نفسها يفترض بعض المداخلات من القارئ، إما بالسؤال أو الاستفسار عن بعض ما يتعلق بجوابه، فيرد عليه آخذا القارئ من سؤال إلى سؤال، ومن جواب إلى آخر، حتى ينتهي به وقد بين له كل ما يتعلق بالآية التي يوجهها، كل ذلك دون أن يمل منه القارئ، ودون أن يخرج به من إجابة إلى أخرى وهو غير مقتنع بشيء مما قاله، فهو يقنعه بأدلته القاطعة، وأسلوبه الجميل"^٣

٢- غلبة التأويل اللغوي [المعجمي النحوي الصرفي البلاغي]:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١٩.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧.

^٣ الصعدي، ياسر عطية، من ملخص لرسائله الدكتوراه ١٩٩٨ م بعنوان [ابن الزبير الأندلسي ومنهجه في ملاك التأويل] عرضه بنفسه على موقع أهل التأويل على النت على هذا الرابط:

حيث يغلب هذا الجانب على تأويل ابن الزبير لآيات المتشابه اللفظي إلى حد الإفراط فيه، ويعتمد على ذلك اعتمادا كبيرا في بيان أوجه الفروق بين الآيات المتشابهات، ونستطيع أن نقول: إن ذلك عام في [ملاك التأويل]، وذهب إلى ذلك سعيد الفلاح فيين أن من خصائص الملاك: "الاعتماد على اللغة بفنونها المختلفة في الوصول إلى مرامي وأسرار التشابه بين الآيات، خاصة أن الغرناطي علامة في هذا الباب خاصة"^١

وأسوق إليكم مثالا: في تأويله للتشابه بين قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَمَنْ

تَبِعَ هُدَايَ ﴾ (البقرة ٣٨)، وقوله تعالى في سورة طه: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ (طه ١٢٣)، قال: " [تبع] و [اتبع] محصلان للمعنى على الوفاء، و [تبع] فعل وهو الأصل، و [اتبع] فرع عنه لأنه يزيد عليه وهو مُنبئ عن زيادة في معنى فعل بمقتضى التضعيف، فعلى هذا وبحسب لحظه ورعيه ورد [فمن تبع] و [فمن اتبع]، وتقدم في الترتيب المتقرر [فمن تبع] لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل ولا تكلف ولا مشقة ، وأما [اتبع] فإن هذه البنية أعني بنية [افتعل] تنبئ عن تعمل وتحميل للنفس... فقدم ما هو أصل، وأخر ما هو فرع"^٢، هذا مثال واحد لكنه طابع عام في كتاب [ملاك التأويل].

٣- اعتماد السياق عمدة في تأويل المتشابه اللفظي:

فقد يظن الناظر في كتاب الملاك أن التأويل اللغوي [معجميا وصرفيا ونحويا وبلاغيا] هو الأصل والأساس لدى ابن الزبير في تأويل المتشابه اللفظي في القرآن، فعلى الرغم من بروز العنصر اللغوي بروزا شديدا إلا أن السياق كان العمدة الأولى لابن الزبير في التأويل، فلا تكاد تجد تأويلا لابن الزبير يخلو من الاعتماد على السياق، "فقد اعتنى بإبراز أسرار النظم القرآني من خلال الآيات المتشابهة فيبحث في سياق الآية ويتأمل مفرداتها وتراكيبها، ويقوم بربط الآية بالسياق المتقدم والمتأخر، وربما نظر في سياق السورة كاملة ليوضح لنا العلاقة التي تربط المعنى بالمبنى"^٣ ، حيث نجد دائما ما يمزج بين التأويل اللغوي والتأويل المعنوي في السياق الذي تقع فيه الآية، ومن ذلك مثلا: في تأويله للفرق بين قول الله تعالى من

^١ ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ١٢٣-١٢٤، بتصرف.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٣٠.

^٣ الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة بلاغية، ص ٧٧.

سورة الفاتحة: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ﴾ في الجاثية (٣٦)، فبعد أن تناول المبتدأ والخبر وحكم تقديمه وتأخيره ومرتبة كل منهما قال: "إن العوارض الموجبة لتقدم ما مرتبته التأخير وتأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة في جهة التركيب اللفظي، بل قد يعرض من جهة المعنى، وتقدير الكلام ما يقتضي ذلك ويوجبه، وإذا تقرر هذا فنقول: إن قوله تعالى: ﴿ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ﴾ ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذب وقهره ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل - عليهم السلام - وظهور ما كذب الجاحد به، فعند وضوح الأمر كأن قد قيل لمن الحمد؟ ومن أهله؟ فجاء الجواب على ذلك فقيل: ﴿ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ﴾^١، فأمثلة ذلك في [ملاك التأويل] كثير بل هو العام الغالب، بل إنه "لم يكتف باعتماد سياق الآيات في توجيه المتشابه بل استعان بما بين السور من ترابط، من ذلك ما جاء في توجيه الآية الأولى من سورة غافر، قال المؤلف: ... والجواب - والله أعلم - أن ذلك جار بحسب المناسبة، ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر"^٢.

٤- الإسهاب في الاستدلال والتفصيل:

وتلك خصيصة تميز بها ابن الزبير عن سائر علماء توجيه المتشابه اللفظي، فقد تجده يعقد لتوجيه مسألة واحدة مبحثاً طويلاً من بضع صفحات، وقد قلنا: إن الخطيب الإسكافي هو الآخر قد أسهب، إلا أن ابن الزبير زاد عليه زيادة بالغة، وقد مدح ذلك الشثري ووصفه بـ "طول النفس"^٣، ومثال ذلك حين تناول ابن الزبير الآيات الثلاث من سورة

المائدة: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة ٤٤).

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة ٤٥).

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة ٤٧).

^١ الغرناطي، ملك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١٢.

^٢ الغرناطي، ملك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ج ١، ص ١١٨.

^٣ الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة بلاغية، ص ٨٣.

فقد عقد لها مبحثا من ثماني صفحات^١، وعقد للآية السادسة من سورة الأعراف مبحثا من سبع صفحات^٢، فكان الإسهاب في دقائق التفاصيل والاستدلال طابعا في الملاك، ويؤيد الصعيدي ذلك قائلا: "وانتهج في توجيهاته نهج البسط والتوسع؛ فقد يستغرق الحديث عن الآية الواحدة عددا من الصفحات، كما فعل في الآيتين الحادية عشرة والثامنة والأربعين من سورة آل عمران؛ حيث ساق في كل واحدة أكثر من خمس صفحات، وفي مواضع أخرى كثيرة، بل إنه قد يستغرق في بيان الكلمة الواحدة أو الحرف بضع صفحات"^٣.

٥- شرح تفاصيل القضايا:

عمد ابن الزبير إلى شرح وتفصيل القضايا التي يستدل بها، سواء كانت قضية نحوية أو أصولية أو فقهية أو كلامية، خاصة القضايا النحوية، فقد كان لها الحظ الأوفر، ولعل ذلك كان لغلبة علم اللغة والنحو على ابن الزبير، أما القضايا النحوية فلسنا في حاجة للتدليل عليها بمثال؛ وذلك لكثرتها وانتشارها في الملاك، وأما الأصول فلها حظ عظيم في الملاك، فمنه ما نجد في مطلع سورة [المؤمنون] في جوابه عن السؤال الأول، قال: "والجواب عن الأول أن حفظ الفروج أحد الأصول الخمسة التي اتفقت فيها الشرائع ولم يخالف فيها أحد من العقلاء، وهي: حفظ النفوس، والأموال، والفروج، والعقول، والأعراض"^٤، كما نجد في مطلع سورة [المؤمنون] حديثا مستفيضا في فقه الصلاة والزكاة، كأن يقول: "وأما المحافظة على الصلوات رعا لأوقاتها، وكيفية أدائها، وما تنطوي عليه من جميع مطلوباتها، ومتعلقاتها، ما تستلزمه، وتستتبعه حتى تكون ناهية عن الفحشاء والمنكر، فذلك كل الدين... والزكاة شقيقة الصلاة في التأكيد؛ لأنها أم العبادات المالية"^٥، وأما تفصيله القضايا الكلامية فمن ذلك توجيهه لقول الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

^١ المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧-١٣٥.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٢-١٨٩.

^٣ الصعيدي، ياسر عطية، من ملخص لرسائله الدكتوراه ١٩٩٨م بعنوان [ابن الزبير الأندلسي ومنهجه في ملاك التأويل] عرضه بنفسه على موقع أهل التأويل على النت على

هذا الرابط <http://www.attaweel.com/vb/showthread.php?t=٢٠١٠/٠٣/٢٧٨٣٩>

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٣٦٥، وقد رتب الأصوليين هذه الضرورات ترتيبا آخر، جاء في شرح منظومة القواعد الفقهية: "وجهور الأصوليين على أن مرتبة الدين مقدمة، ثم مرتبة النفس، ثم مرتبة العقل، ثم مرتبة النسل، ثم مرتبة المال. هذا جمهور الأصوليين، على هذا الترتيب" ص ٦٤.

^٥ المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٥، بتصرف.

لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ (العنكبوت ٦٣) قال: "فوصف أكثرهم هنا بعدم العقل.. وذلك أن العقل فضل الإنسان وبه امتيازه عن البهيمة ولا يمكن العلم بشيء إلا بعد حصوله والاتصاف به وهو مناط التكليف، وهو عند المتكلمين عبارة عن علوم ضرورية، وليس كل العلوم الضرورية، وهو مع هذا خصيصة جليلة إن عدت لم يكن التكليف، ولا وجود علم، وأضداد العلم العامة والخاصة أضداد للعقل"، وتجده أحيانا يعقد فصولا قائمة بذاتها لهذه القضايا سواء نحوية أو كلامية أو أصولية، فمن ذلك فصل لبيان الفرق بين الضلال والكفر عقده في آخر توجيهه للآية الثالثة عشرة من سورة الأعراف^١، وفصل عقده ل [أم] في الآية الثالثة والثلاثين من سورة البقرة^٢.

٦- كثرة الاستشهاد بالحديث والأثر

يعد الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ والآثار ميزة تميز بها ابن الزبير عن سائر علماء توجيه المتشابه اللفظي فقد استدل ابن الزبير بالعديد من أحاديث رسول الله ﷺ فمما أورده قال: وفي حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري، وهو أن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض..^٣ كما نجد في نفس الصفحة إشارة إلى حديث آخر، وفي الصفحة التي تسبقها نجد فيها إشارة إلى حديثين لرسول الله ﷺ، كما ورد في الملاك العديد من الأشعار، فهاهو في توجيهه لسورة الرحمن حين أراد أن يدل على أن التكرار من عادة العرب قال: "وكرر لفظ الميزان جريا على عادة العرب فيما لها به اعتناء وَتَهَمُّمٌ"^٤ ثم ساق ثلاثة نماذج شعرية الأول بيتان للخنساء، والثاني لعدي بن زيد، والثالث هو:

لَيْتَ الْعُرَابَ غَدَاةً يَنْعُبُ دَائِبًا كَانَ الْعُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ^٥

^١ المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٣.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

^٣ المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦.

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٤٨٩.

^٥ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦١.

^٦ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٢. والبيت لجرير من ديوانه ص ١٣٦.

٧- كثرة الرجوع إلى آراء النحاة والمفسرين والمتكلمة:

لقد استعان ابن الزبير بالعديد من أعلام اللغة^١ والتفسير^٢ للوصول إلى سديد الرأي، وهو حين ينقل عن غيره لا يكتفي بالنقل، بل إنه يقف من آراء الآخرين موقف النقاد، يعرض الرأي ويرد عليه إيجاباً أو سلباً، كما أنه كان شديداً حاداً على المتكلمة والملحدة، رادا عليهم تأويلهم الباطلة، فكان قلمه سيفاً مسلطاً عليهم، قاطعاً لأباطيلهم؛ حيث إن أحد أهم أهداف كتابه الرد على الملحدة والمعطلة كما بينا سلفاً.

٨- بروز شخصية المؤلف بروزاً جلياً:

إننا نجد شخصية ابن الزبير في [ملاك التأويل] طاغية البروز، لكنه بروز لا يرفضه القارئ ولا يسأمه، بل إنه يطيب له، ولعل ذلك من أهم خصائص هذا الكتاب، وتلك ملكة لا يملكها كل من تصدى للتأليف، وليس كل مؤلف صالح لأن تبرز فيه شخصية الكاتب، فإن مهارة شخصية مؤلف القصة تكمن في إخفاء شخصيته خلف أبطال قصته، لكن نوع البحث والتأليف في موضوع كتاب الملاك يختلف؛ فإنه في مثل هذا النوع من البحث متى استطاع الكاتب أن يكشف لنا عن شخصه بقدرته على البحث، والتوجيه، والنقد من غير أن يمل القارئ بروز شخصيته، فتلك براعة ومهارة خاصة، وقد ملك زمامها الغرناطي -رحمه الله- وآتاه الله منها حظاً وافراً، فإن القارئ المطالع لكتاب الملاك يجد نفسه جالسا بين يدي ابن الزبير، ممسكاً بيده، يأخذه، ويسبح به في رحاب الفكر، مُشَرِّقاً به ومُعَرِّباً، حتى يُحِطَّ به على شاطئ الدعة، شاطئ المعرفة، والرضا بما اختاره ابن الزبير.

^١ ومن هؤلاء: سيبويه وهو أكثر من نقل عنه، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والفراء، وأبو العباس المبرد.

^٢ وقد جمع سعيد الفلاح هؤلاء المفسرين الذين نقل عنهم ورد عليهم وهم: "الإسكافي ودرته، الزمخشري وكشافه، أبو الفضل ابن الخطيب وكتابه التفسير الكبير، وابن عطية وتفسيره المخرر الوجيز، والقرطبي وتفسيره الجامع لأحكام القرآن، ومكي بن أبي طالب وتفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية، والطرير وتفسيره جامع البيان". راجع: الغرناطي، ملك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج١، ص١٣١. بتصرف.

المبحث الرابع: كتابا الملاك والدرة

المطلب الأول: إحصاء المُغفل:

١- إحصاء سعيد الفلاح:

لقد أحصى سعيد الفلاح المغفل الذي استدركه ابن الزبير على الخطيب الإسكافي، فبعد أن وقف على جملة الآيات التي وجهها الخطيب [٢٧٣ آية] ، والآيات التي وجهها ابن الزبير [٣٧٧ آية] ، طرح هذا من ذلك وقال: "فيكون بذلك عدد ما أغفله صاحب [درة التنزيل] وحظي بعناية صاحب [ملاك التأويل] مائة وأربع آيات [١٠٤ آيات]، يضاف إليه عدد كبير من الآيات أوردها ابن الزبير في نطاق سرد الآيات المتشابهات، أغفلها صاحب الدرة"^١.

٢- إحصاء محمد السامرائي:

أحصى محمد السامرائي أكثر مما أشار إليه الفلاح، قال: "وقد استدرك ابن الزبير على الخطيب كثيرا من الآيات التي أغفلها الخطيب في الدرة، فقد أحصيتُ خمسا وعشرين ومائة آية [١٢٥ آية] ذُكرت في الملاك ولم تذكر في الدرة"^٢. وقد وقف السامرائي على أربعة مواطن صاحبها علامة المغفل [غ] في حين أنها ليست من المغفل بل إنها قائمة موجودة بالدرة، وقد راجعتُ هذه المواطن في الملاك والدرة فوجدت السامرائي غاية في الدقة، وهي كما يلي:

٢ . ١ - الآية السابعة والعشرون من سورة البقرة [غ]^٣، آية البقرة (١٦٤)، حيث وجّهه معها آية العنكبوت (٦٣)، وآية الجاثية (٥)، ونجد الآيات الثلاث موجهة في كتاب الدرة في سورة العنكبوت^٤.

٢ . ٢ - الآية الحادية عشرة من سورة النساء [غ]^٥، آية النساء (١١٥) حيث وجّهه ابن الزبير معها آية الأنفال (١٣)، وآية الحشر (٤)، في حين أنا نجد الآيات الثلاث موجهة في كتاب الدرة في سورة الحشر^١.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ج١، ص١١٣

^٢ السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص٢٨

^٣ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج١، ص٥٥-٥٦

^٤ الإسكافي، درة التنزيل، ص١٩٩-٢٠٠

^٥ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج١، ص١٠٨-١٠٩

٢ . ٣ - الآية الثامنة من سورة يونس [غ]^٢، آية يونس (٦١)، حيث وجّه معها آيتي سبأ (٣ ، ٢٢)، إلا أننا نجد هذه الآيات موجهة في كتاب الدرّة في سورة سبأ^٣.

٢ . ٤ - الآية الحادية عشرة من سورة هود [غ]^٤، آية هود (٧٧) حيث وجّه معها آية العنكبوت (٣٣)، في حين أننا نجد هاتين الآيتين موجهتين في كتاب الدرّة في سورة العنكبوت^٥

٣- إحصاء جديد للمُغفل:

لقد تتبعْتُ الآيات التي صاحبها علامة المغفل [غ] التي استدرکها ابن الزبير ولم يقف عليها الخطيب الإسكافي فوجدت أن جملتها ثلاث وعشرون ومائة آية [١٢٣ آية]، وإذا كان السامرائي قد وقف على أربع آيات صاحبها علامة المغفل [غ] وليست من المغفل، فإني قد وقفتُ على سبع عشرة آية (١٧ آية) مغفلات لم يصحبها علامة المغفل [غ] وهي كما يلي:

٣ . ١ - سورة الفاتحة قد أغفلها الخطيب، أما ابن الزبير فقد تناول فيها أربع آيات ليس عليها علامة [غ] إلا مرة واحدة في أول السورة^٦، إشارة إلى أن الخطيب أغفل السورة كلها، فهذه إذن ثلاث آيات مغفلات يمكن إضافتها إلى جملة المغفل.

٣ . ٢ - سورة الأحزاب تركها الخطيب قائلاً: "ليس فيها شيء من ذلك"^٧، أما ابن الزبير فقد وقف على آيتين في الأحزاب^٨ ولم يصحبهما علامة المغفل [غ]، وهاتان اثنتان أخريان تضافان إلى جملة المغفل.

^١ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢٧٣

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٢٤٦-١٤٨

^٣ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢١٥

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٢٦١

^٥ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢٠١-٢٠٢، ويرجع الفضل في الوقوف على هذه الآيات الأربعة للسامرائي في كتابه [دراسة المشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل]، ص ٣٩.

^٦ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١١

^٧ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢١٥.

^٨ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: الفاسي، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٧

٣ . ٣ - سورة الإخلاص لم يقف فيها الخطيب على شيء، أما ابن الزبير فقد وقف عند لفظ [أحد] في الآيتين الأولى والأخيرة منها ولم يصحبها علامة [غ] وهذه واحدة تضاف إلى المغفل.

٣ . ٤ - سورة الفلق أنكر الخطيب وجود متشابه فيها، أما ابن الزبير فقد وقف عند تعليق الظرف في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ (الفلق ٢-٥) ، ولم يصحبها علامة [غ]، وهذه واحدة تضاف إلى المغفل.

٣ . ٤ - الآية الخامسة عشرة من البقرة [آية (٦١)] ، وجّه ابن الزبير معها ثلاث آيات من آل عمران (٢١)، و(١١١ - ١١٢) من المغفل الذي لم يوجهه الخطيب الإسكافي، ولم يصحبها علامة [غ]^٣.

٣ . ٥ - الآية الخامسة من النساء [آية (٢٥)] ، وجّه ابن الزبير معها آية المائة (٥) من المغفل ولم يصحبها علامة [غ]^٤.

٣ . ٦ - الآية الثالثة من الرعد [آية (١٥)] وجّه معها آية النحل (٤٩) [من المغفل ولم يصحبها علامة [غ]^٥.

٣ . ٧ - الآية الثامنة من الرعد [آية (٣٨)] وجّه ابن الزبير معها آية الروم (٤٧) [من المغفل ولم يصحبها [غ]^٦.

٣ . ٨ - الآية الرابعة من النحل [آية (٣٤)] وجّه معها آية الزمر (٥١) [من المغفل ولم يصحبها [غ]^١.

^١ المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٤-٥١٦

^٢ المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٧-٥١٨

^٣ المصدر السابق، ج ١، ص ٤١-٤٣

^٤ المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٣-١٠٤

^٥ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٨-٢٧٩

^٦ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤

٣ . ٩ - الآية الثالثة من الأنبياء [آية (٤٥) وجّه معها آيتي النمل (٥٢) والروم (٥٢)]
من المغفل ولم يصحبها [غ]^١.

٣ . ١٠ - الآية الأولى من سبأ [آية (٩) وجّه معها آية سبأ (١٩)] من المغفل ولم
يصحبها [غ]^٢.

٢ . ١١ - في سورة الأنعام ثلاثة مواطن قال عنها ابن الزبير بلفظ صريح أنها من المغفل ولم
يشر إليها بالعلامة [غ] التي درج عليها في منهج توجيهه للآيات التي أغفلها الإسكافي
وهذه المواطن الثلاثة هي كما يلي:

الأول: لم يُدخِلْهُ ابن الزبير في ترتيبه للآيات المغفلات، بل عقد له فصلاً خاصاً قائلاً: "من
المغفل زيادة [من] في قول الله تعالى في الأنعام: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن
قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأنعام:٦)، وقوله تعالى في السجدة: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ ﴾ (السجدة:٢٦)، وقوله تعالى في
سورة [ص]: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ قَرْنٍ فَنَادَوا ﴾ (ص:٣)، وردت هذه الآي
الثلاث بزيادة [من] فيها، وسائر ما ورد في القرآن من مثل هذه الآي لم ترد فيها
[من]"^٣، ثم ذكر نماذج الآيات التي خلت من [من] ثم شرع يوجه سبب ذلك.

الثاني: في الآية التاسعة من الأنعام: أشار ابن الزبير في هذا المواطن إلى أن إحدى الآيات
المتشابهات مغفلة حيث ذكر آية الأنعام ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (الأنعام:٣٢)،
وقال: "وهذه الآية الأولى مغفلة"^٤، ثم ضم إليها ما يشابهها من الآيات وشرع في توجيهها.

^١ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٨.

^٢ المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

^٣ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

^٤ المصدر السابق، ج ١، ص ١٤١ - ١٤٣.

^٥ المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥.

الثالث: في الآية العاشرة من سورة الأنعام: ذكر ثلاث آيات، الأنعام (٣٢)، والأعراف (١٦٩)، ويوسف (١٠٩)، ثم قال: "وفي هذه الآي ثلاثة أسئلة والآية الأولى من مغفلات صاحب كتاب الدرّة"^١

فلو جمعنا هذه الآيات المغفلات التي استدرکها ابن الزبير على الخطيب ولم يصحبها علامة المغفل [غ] سنجدها سبع عشرة آية (١٧ آية)، وعلى هذا تكون جملة المغفل [١٧ + ١٢٣] أربعين ومائة آية (١٤٠ آية). ولا ننسى الآيات الأربع التي وقف عليها السامرائي والتي صاحبها علامة المغفل [غ] وأثبت أنها ليست من المغفل، فبطرح هذه الأربعة من جملة ما وقفنا عليه [١٤٠ - ٤] تكون جملة المغفل ستا وثلاثين ومائة آية (١٣٦ آية).

المطلب الثاني: موازنة بين الدرّة والملاك

إن الخطيب الإسكافي وابن الزبير الغرناطي هما فارسا هذا الميدان - ميدان توجيه المتشابه اللفظي في القرآن - بلا منازع، وحين نحاول الموازنة بين كتابي [درّة التنزيل] و [ملاك التأويل] لا نقصد بذلك الحكم لصاح أحدهما على الآخر؛ فلكل فضله وأثره، فإننا إن حكمنا لابن الزبير بفضله البسط والتوسع، رمانا الإسكافي بفضله سبق والإمامة لهذا الفن - علم المتشابه اللفظي في القرآن.

وقد عقد لبيب صالح موازنة بينهما في خاتمة بحثه للدكتوراه [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي]، وصدق إذ قال: "كان الإسكافي والغرناطي نظيرين وكفأين وعديلين في هذا الفن، وإن كان بينهما تفاضل، فإن ذلك لا يقلل من شأن أحدهما البتة"^٢، ولعل في عرضنا السابق لشخصية الغرناطي وكتابه الكفاية التي توضح بعض التمايز بين كتابي الملاك والدرّة، وتجنبنا للتكرار فإني سأجعل الموازنة في إيجاز، في أربعة جوانب فقط، الهدف، والمنهج، والاستدلال، والكمّ.

أولا من حيث الهدف:

^١ المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٧

^٢ لبيب صالح، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، ص ٢٢٥

كلاهما - الإسكافي والغرناطي - رمى إلى ذات الهدف الرد على الملحدة والمعطلة والطاعنين في القرآن القائلين فيه بغير علم، أو القائلين بسوء نية، أو بمرض قلب، فذاك الهدف وإن صاحبه أهداف أخرى فرعية، فإنه الهدف الأساسي الذي من أجله صنف هذان العلمان الدرّة والملاك، وقد بين كل منهما ذلك بلفظ صريح، الإسكافي في خطبة الدرّة^١، والغرناطي بجلاء في اسم كتابه [ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل].

أضف إلى ذلك هدفاً آخر أصيلاً، ألا وهو إزالة الغموض والحجب عن الآيات المتشابهات لفظاً لإزالة اللبس عنها، وكشف أسرارها ومكنوناتها حيث لم يتصد لتأويل هذه الآيات أحد قبلهما.

ثانياً : من حيث المنهج:

اتفق المصنفان اتفاقاً كلياً في منهج تناول وتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن، فقد تابع الغرناطي الإسكافي في منهجه واستن به مصرحاً بذلك^٢، وقد التزم ذلك التزاماً من مطلع كتابه الملاك حتى آخر سورة تناولها. كما تابع الغرناطي الإسكافي في أسلوب الحوار والمناقشة مع القارئ، لكنهما وإن اتفقا في المنهج إلا أننا نجد ابن الزبير - كما أشرنا سلفاً - قد بسط قضايا الكتاب بسطاً، وفصل فيها تفصيلاً واسعاً، وأتى بما لم يأت به الخطيب.

ثالثاً: من حيث الحجّة والاستدلال:

من غير شك، كان الغرناطي الأعلى يداً في هذا الجانب، فقد كانت الحجج والأدلة التي ساقها ابن الزبير في أكثر التوجيهات أقوى دلالة، وأنصح بياناً، ولعل السبب في ذلك أن ابن الزبير جعل السياق عمدته الأولى في توجيه الآيات المتشابهات، كما أنه استعان ووظف سائر علوم اللغة والشريعة وآراء العلماء لخدمة توجيه المتشابه؛ أما الخطيب فقد كانت استعانتة بعلوم الشريعة قليلة محدودة، وصدق لبيب إذ قال عن ابن الزبير: "كان نافذ البصيرة، مُسَدِّدَ الرأي، وأتى بما لم يأت به الإسكافي ممّا يدل على سعة علمه، وطول

^١ الإسكافي، درّة التنزيل وغرّة التأويل، ص ٣.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٨.

باعه، فقد هَيَّأَ له ما لم يَتَهَيَّأَ للإسكافي، فاستفاد منه وزاد عليه؛ ذلك أنّ هذا العلم علم تراكمي متواصل يستفيد فيه الآخر من الأول".^١

رابعاً : من حيث الكمّ:

لقد اجتهد الإسكافي في جمع أيّ المتشابه اللفظي بغرض توجيهها، وجاء من بعده ابن الزبير فكان أكثر استقراءً وتحرياً من الإسكافي؛ فمن حيث الكم فإن عدد الآيات التي تناولها ابن الزبير يفوق عدد الآيات التي تناولها الخطيب الإسكافي بـ [١٣٦] آية. ويتفق الباحث مع السامرائي^٢، وأرفض معه الادعاء بأن هناك مَنْ أحاط بآيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فقد ذكر الشثري أن من خصائص كتاب الغرناطي الإحاطة والشمول، وقال: "لقد تميز ملاك التأويل بإحاطته وشموله لكل الآيات المتشابهة"^٣، قد ذهب سعيد الفلاح إلى ذلك قائلاً عن ابن الزبير: "تتبع كل ما تكرر واشتبه من الآيات في كامل القرآن"^٤، وهذا كلام غير دقيق، إذ أن المتشابه اللفظي أضعاف أضعاف ما وقف عليه كل من الإسكافي والغرناطي.

^١ لبيب صالح، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، ص ٢٢٣

^٢ السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي في ملاك التأويل، ص ٢٨

^٣ الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة بلاغية، ص ٨١

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ١١٤.

الفصل الثاني :

السامرائي ومؤلفاته ومنهجه في المتشابه اللفظي

تمهيد:

عرف العالم العربي والإسلامي الدكتور فاضل السامرائي من خلال برنامجه الشهير [لمسات بيانية] الذي يقدمه في قناة الشارقة الفضائية، فقد حظي هذا البرنامج بإقبال شديد من جمهور المسلمين، ومشاركة فعالة من المشاهدين، ونال الدكتور السامرائي إعجاباً شديداً ممن تابع البرنامج، وأصبح الناس يتربصون موعد البرنامج يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع الساعة التاسعة وأربعين دقيقة مساءً بتوقيت الشارقة، وذاعت كتبه وانتشرت، وفي هذا المبحث سوف نتعرف على هذا العالم الجليل، ونجتهد في الوقوف على منهجه وخصائص أسلوبه في تناول وتوجيه المتشابه اللفظي من خلال ثلاثة كتب له هي: [التعبير القرآني]، و[بلاغة الكلمة في التعبير القرآني]، و[أسئلة بيانية في القرآن الكريم].

المبحث الأول: التعريف بالسامرائي

المطلب الأول: نسبه ونشأته :

هو: "فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة [البدري] إحدى عشائر سامراء، ويكنى بـ [أبي محمد] ومحمد ولده الكبير. ولد السامرائي في سامراء عام ١٩٣٣م في عائلة متوسطة الحال الاقتصادية، كبيرة في الحال الاجتماعية والدينية، أخذه والده منذ نعومة أظفاره إلى مسجد حسن باشا، أحد مساجد سامراء، لتعلم القرآن الكريم، وكشف ذلك عن حدة ذكائه، حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة"^١.

^١ راجع رابط موقع المكتبة الشاملة:

المطلب الثاني: رحلة السامرائي العلمية والعملية:

لقد اهتمت مدينته سامراء اهتماماً شديداً بعالمها الفذ الدكتور فاضل السامرائي وعلى موقعها الالكتروني توجد السيرة الذاتية له ومنه ومن موقع الموسوعة الحرة¹ سوف أستخلص أهم الأعمال التي أسندت إليه وأعرضها هنا في إيجاز وتصرف:

- ١ - أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سامراء، ثم انتقل إلى بغداد في مدينة الأعظمية ليدخل دورة تربوية لإعداد المعلمين، وتخرج فيها عام ١٩٥٣م، وكان متفوقاً في المراحل الدراسية كافة.
- ٢ - عُيّن معلماً في مدينة [بلد] عام ١٩٥٣م.
- ٣ - أكمل دراسته في دار المعلمين العالية - كلية التربية - بقسم اللغة العربية عام ١٩٥٧م، وتخرج فيها عام ١٩٦٠م - ١٩٦١م، وحاز درجة [البكالوريوس] بتقدير امتياز.
- ٤ - وفي أول دورة فتحت للدراسات العليا في العراق درس الماجستير في القسم اللغوي، وكان أول من حاز درجة الماجستير في كلية الآداب، وفي السنة نفسها عُيّن مُعيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد.
- ٥ - نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٨م من جامعة عين شمس في كلية الآداب في قسم اللغة العربية.
- ٦ - عُيّن أستاذاً في كلية الآداب، جامعة بغداد بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب.
- ٧ - عُيّن عميداً لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين تم إلغاء الكليات الأهلية في العراق.
- ٨ - أُعير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية عام ١٩٧٩م.
- ٩ - عُيّن خبيراً في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٨٣م.
- ١٠ - عُيّن عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٩٦م.

¹ راجع رابط مدينة سامراء، وموقع الموسوعة الحرة:

<http://www.samarracity.net/news/articles/٦٨٨-news.html>

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%A7%D8%B6%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A

١١- رحل إلى الخليج ، ليعمل أستاذاً في جامعة عجمان التي أمضى فيها سنة، ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني عام ١٩٩٩م إلى صيف عام ٢٠٠٤م. ثم عاد إلى العراق للعمل مرة أخرى في جامعة بغداد.

١٢- بدأ برناجه الشهير [لمسات بيانية] في قناة الشارقة ١١/٢/٢٠٠٧م. واستمر حتى أوائل عام ٢٠١٠م، إذ عاد الدكتور فاضل إلى العراق^١.

١٣- وبالإضافة لكون الدكتور فاضل نحوياً فذاً، وعالمًا جليلاً، فهو أيضاً شاعر، لكنه لا يجب أن يُعرف عنه أنه شاعر. وعن سب ذلك سأله محاوره في مجلة الرائد العراقية قائلاً: في موقعك على الانترنت عرفت أن لديك شعراً إلا أنك لا تحاول أن تظهره لماذا؟ فأجاب: "الموقع ليس موقعي شخصياً، وإنما هناك فتاتان^٢ محبتان متخصصتان باللغة العربية، طلبتا مني أن ينشرا الموضوعات القرآنية، فوافقت، واشترطت عليهما ألا يكون الأمر لمقاصد تجارية ووافقتا، أما الشعر فقد كنت في شبابي أنظم الشعر، وتركته سنة ١٩٦٥، وذلك لانشغالي بما هو أهم، ولكنني عدت إليه عام ١٩٩٩، عندما كتبت قصيدتين ، إحداهما عن الحج، والأخرى قبل عودتي إلى بغداد، عن معاناتي في الغربة"^٣

ومن القصيدة التي كتبها عن معاناته في الغربة أسوق هذه الأبيات:

أَيُّهَا الْقَاعِدُ فِي الصَّوْبِ الْبَعِيدِ *** يَنْشُدُ الرَّاحَةَ وَالْعَيْشَ الرَّغِيدِ
لَا يَنَالُ الْقَاعِدُ الْعُمَرَ الْمَدِيدَ *** جَاءَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ رَبِّ النَّبِيِّ
أَيُّهَا الْقَاعِدُ وَالْأَرْضُ تَمِيدُ *** هَلْ تَظُنُّ الرَّاحَةَ الرَّأْيِي السَّدِيدَ؟
أَنْتَ لَا تَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ *** إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى رَبِّ النَّبِيِّ^٤

^١ وقد وجدت خبراً على موقع إسلاميات الذي يقوم على نشر إنتاج الدكتور فاضل السامرائي خبراً يرف فيه بشرى عودة الدكتور فاضل السامرائي إلى الشارقة، ومن ثم عودته إلى برناجه الذي ارتبط باسمه [لمسات بيانية]، راجع ذلك على هذا الرابط:

<http://www.lamasaat.am.com/9/21/2010>

^٢ إحداهما وهي المعروف عنها أنها المشرفة على موقع إسلاميات هي الدكتور سمر محمد الأرنؤوط، وهذا هو رابط الموقع:

<http://www.islamiyyat.com/9/21/2010>

^٣ مجلة الرائد العراقية، العدد التاسع، ١٣/٩/٢٠٠٦م ، وراجع هذا الرابط:

<http://www.al-raeed.net/raeedmag/preview.php?id=٣٠١> , 9/21/2010

^٤ مجلة الرائد العراقية، العدد التاسع، ١٣/٩/٢٠٠٦.

المطلب الثالث: شغفه باللغة العربية والنحو خاصة:

في حوار مع الدكتور فاضل أجرته معه مجلة الرائد العراقية سأله المحاور: كيف بدأت علاقة د. فاضل باللغة العربية؟ ومتى؟ فأجاب: "منذ الصغر وأنا أحب العربية، ففي الثالث الابتدائي كنت أحاول أن أجيب المعلم عن أسئلته، وفي الصف الرابع توطدت علاقتي مع القواعد [النحو] .. وكان قبولي في الكلية في القسم الإنكليزي - إذ كان متفوقا في الإنكليزية - فبدأت أتوسط وواسطي حينها د. أحمد عبد الستار الجوارى - معاون عميد الكلية - فقال لي مازحاً: الطلاب يتوسّطون من أجل الدخول في القسم الإنكليزي وأنت بالعكس، وكانت درجتي في اللغة العربية في الدورة التربوية هي مائة - أي حصل على الدرجة القصوى"^١

يقول عنه محاوره: "حدّثني أحد أقرانه عنه عندما كان طالبا في الكلية قائلاً: كنا إذا استعصت على الدكتور وعلينا مسألة نحوية يقول لنا الدكتور: اذهبوا فاسألوا فاضلاً، وفاضل كان طالبا معهم"^٢

وقد جاء في الموقع الإلكتروني على الانترنت لمدينته التي تعزز به وتفخر سامراء أن الدكتور فاضل تحدّث في مرات كثيرة عن حبّه للنحو واللغة منذ نعومة أظفاره فقال: "كنت أحب النحو وأنا طفل حباً يجري في دمي وفي الصف الثالث أو الرابع الابتدائي أحسستُ بصلة وثيقة مع النحو، وكان المعلمون يشجعونني في هذا المجال، والله سبحانه وتعالى يعطي الناس رغبات وأشياء مختلفة، وأعطاني الرغبة في النحو الذي سيطر عليّ، فبدأت قبل أن أدخل الكلية بقراءة ودراسة كتب ابن عقيل، وقراءات في المغني اللبيب، وكتب البلاغة: التلخيص، ودلائل الإعجاز للجرجاني، وأسرار البلاغة قرأته ثلاث مرات قبل دخولي الكلية"^٣

ولشدة حبه للنحو تخصص فيه، وجعل دراساته العليا في النحو، قال: "درست اللغة العربية، وتخصصت في النحو، وكانت رسالة الماجستير بعنوان ابن جنّ النحوي، ورسالة الدكتوراه بعنوان الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري"^٤.

^١ مجلة الرائد العراقية، العدد التاسع، ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦ م.

^٢ مجلة الرائد العراقية، العدد التاسع، ١٣ / ٩ / ٢٠٠٦ م.

^٣ لقاء صحفي للدكتور فاضل السامرائي مع موقع مدينة سامراء، أجري في كلية التربية بسامراء مساء الثلاثاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١٠ م، راجع هذا الرابط:

<http://www.samarracity.net/news/articles/٦٨٨-news.html> , 24/ 7/ 2010

^٤ راجع رابط المصدر السابق.

وانشغل السامرائي بالمعنى وتعلق به تعلقاً شديداً، حتى إنك لتجد أحد أهم كتبه وأجلها في النحو -معاني النحو- تجده يربطه بالمعنى في منهج جديد لتناول النحو، فيسميه [معاني النحو]. اسمع إليه يقول: "وكننت أحب المعنى فيما يعرضه عبد القاهر الجرجاني والآخرين، ويستهويني ابن القيم، وكننت أحب كتبه كثيراً، والجانب اللغوي واستنباطاته، لأني أحب المعنى كثيراً، فقرأت الكشاف وقسما من التفاسير. حتى عندما كنت أعمل مدرّساً بالثانوية، كنت أركز على طلابي على جانب المعنى، وآتي بآيات قرآنية، وأذكر أسرار التعبير فيه. وكننت أقرأ منذ الخمسينات، وبعد أن أنهيت الدكتوراه، بدأ يستهويني المعنى، فكننت [الجملة العربية والمعنى]، و[معاني الأبنية]، و[الجملة العربية تأليفها وأقسامها]، وكلها تتعلق بالمعنى. والقرآن الكريم يستهويني، والنحو، وعلم المعاني الذي يُدرس في كتب البلاغة"¹.

¹ راجع رابط المصدر السابق.

المبحث الثاني: لقاء السامرائي وحوار الباحث معه

المطلب الأول: الترتيب للقاء الدكتور فاضل السامرائي:

حرص الباحث على أن يلتقي الدكتور فاضل السامرائي ليتعرف عليه عن قرب، وينقل إلى القارئ صورة متكاملة عن هذه الشخصية الفذة، فاجتهدت -وأنا في ماليزيا- في البحث والحصول على رقم هاتف الدكتور فاضل السامرائي حتى رزقني الله إياه من الدكتور نجم عبد الرحمن خلف -محقق كتب ابن أبي الدنيا- الذي يعمل بجامعة الشارقة¹، إذ أنه كان منتدبا عندنا في أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا، لإلقاء محاضرة على طلاب الدراسات العليا - الماجستير والدكتوراه- في دورة مناهج البحث التي عقدت بالأكاديمية في خلال أيام السبت من كل أسبوع في شهري يوليو ويونيه من سنة ٢٠٠٩م.

وفي يوم ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٩ الساعة السادسة وست دقائق بتوقيت ماليزيا، أرسلت رسالة تلفزيونية قصيرة [SMS] للدكتور فاضل السامرائي على جواله في دولة الإمارات المتحدة رقم [٠٠٩٧١ / ٥٠٢٠٤٥٥١٥]، نصها ما يلي: "السلام عليكم، تلميذكم محمد رجائي أحمد الجبالي، مصري، أدرس الدكتوراه في جامعة ملايا، ماليزيا، موضوعها [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، الغرناطي والسامرائي نموذجاً، دراسة مقارنة] وأرجو لقاءكم، وسوف أمر بالإمارات أيام ١٠ - ١٥ أكتوبر.

فأجابني مباشرة بهذه الرسالة: "وعليكم السلام، الظروف في حينها ستحكم بإمكانية ذلك، نسأل الله التيسير".

ويوم السبت التاسع من أكتوبر سنة ٢٠٠٩ م انطلقت مسافراً إلى أبو ظبي، وفي طريقي إلى مطار كوالالمبور، أرسلت إليه هذه الرسالة على جواله: السلام عليكم، غدا -إن شاء الله- أكون في أبو ظبي حتى صباح الخميس، أسألكم نصف ساعة من وقتكم، فإن تفضلتم بما عليّ فذاك فضل من الله عظيم، رزقيته على يديك، وإن ضاق عني وقتكم، فليس في قلبي لكم إلا كل حب وتقدير وإجلال، سأتصل بكم الأحد إن شاء الله، تلميذكم محمد رجائي الجبالي، ماليزيا.

¹ جامعة الشارقة، إمارة الشارقة، دولة الإمارات العربية.

فأجابني مباشرة بهذه الرسالة: "وعليكم السلام، يمكن ذلك بعد صلاة العشاء إن شاء الله".

فأرسلت إليه مستفسرا: أيمن الاتصال غدا بعد العشاء أم اللقاء؟

فرد عليّ مباشرة: "لعله اللقاء اتصل قبل الموعد لنرى".

المطلب الثاني: حوار الباحث مع السامرائي

وصلت أبو ظبي ليلة الأحد العاشر من أكتوبر ٢٠٠٩م، حيث الساعة الثانية عشرة وعشر

دقائق، وبعد عصر الأحد أرسلت إليه سائله: أيمن أن ألتقيكم اليوم بعد العشاء؟

فرد عليّ مجيبا: "نعم إن شاء الله".

فتوجهت إلى سكنه في إمارة الشارقة، في عمارة على شاطئ البحيرة، تعلقو بنك أبو ظبي الوطني،

الطابق الثامن، شقة رقم إحدى وعشرين، فالتقاني خير لقاء، وأكرمني إكراما.

- وبدأتُ فعزّته بنفسي، وبموضوع بحث الماجستير، ثم موضوع الدكتوراه الذي بين أيدينا،

وأوضحت غرضي من اللقاء. وعرضت عليه خطة بحث الدكتوراه فتصفحها.

- وبادرني بأن بحثي ودراستي ليس الأول حول شخصه ومؤلفاته، فذكر لي ثلاث دراسات

أخرى سابقة وهي:

١- الدراسات البيانية والبلاغية عند الدكتور فاضل السامرائي [ماجستير].

٢- الدراسات النحوية عند الدكتور فاضل السامرائي [جامعة تكريت].

٣- دراسة لمعاني النحو لدى الدكتور فاضل السامرائي [جامعة بغداد. كلية دار العلوم]

وقد اجتهدت أن أسجل الحوار الذي أجرته معه؛ حيث إني قد هيأت نفسي لهذا الحوار

وأعددت عددا من الأسئلة فكنت أسجل الحوار بالقلم أثناء مناقشتي معه، وكثيرا ما كان الحوار

والنقاش يجذبني ويشغلي عن التسجيل، وهذا الحوار المكتوب إنما هو ملخص موجز لما دار بيني

وبين الدكتور فاضل السامرائي.

وبدأته فاستأذنته في نبذة مختصرة عن حياته ودراساته ومؤلفاته فذكر ما يلي:

قال : وُلِدْتُ في سامراء بالعراق سنة ١٩٣٣م أو ١٩٣٤م لا أذكر يقينا، والتحقت بالكتاب قبل المدرسة، فتعلمت فيه القراءة والكتابة وقراءة القرآن، ثم التحقت بالمدرسة الابتدائية الأولى، ثم المدرسة المتوسطة، ثم الثانوية، وكان ذلك جميعه في سامراء، وبعد الثانوية التحقت بدورة تدريبية لتخريج المعلمين لمدة سنة واحدة في بغداد، ثم اشتغلت معلما أربع سنوات. وتابع قائلًا: التحقت بالجامعة سنة ١٩٥٧م كلية التربية قسم اللغة العربية، وتخرجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٦١م.

- وحصلت على درجة الماجستير في كلية الآداب بجامعة بغداد في أول دورة افتتحت فيها سنة ١٩٦٥م وكان موضوعها في [ابن جني النحوي] .
- وعينت بالجامعة معيدا في كلية التربية.
- ثم واصلت دراستي للدكتوراه في مصر، القاهرة، في جامعة عين شمس حيث لم يكن في جامعة بغداد أبحاث دكتوراه بعد، وحصلت على الدكتوراه في جامعة عين شمس سنة ١٩٦٨م، وكان موضوعها [الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري].
- وحصلت على الأستاذية في كلية التربية سنة ١٩٧٩م، ثم انتقلت إلى كلية الآداب حتى سنة ١٩٩٨م.
- واخترت خبيرا في لجنة الأصول سنة ١٩٨٣م، وفي الجمع العلمي بالعراق، ثم عينت عضوا بجمع علمي سنة ١٩٩٦م.
- سنة ١٩٩٨م تعاقدت مع جامعة الشارقة ثم رجعت حديثا إلى جامعة بغداد.
- المؤلفات ثلاثة أقسام:

١- قسم اللغة العربية:

أ- معاني الأبنية العربية.

ب- معاني النحو [أربعة أجزاء].

ت- الجملة العربية تأليفها وأقسامها.

ث- الجملة العربية والمعنى.

ج- تحقيقات نحوية.

٢- قسم الدراسات القرآنية:

أ- التعبير القرآني.

- ب- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
- ت- بلاغة الكلمة في القرآن الكريم.
- ث- على طريق التفسير البياني [٣ أجزاء].
- ج- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- ح- من أسرار البيان القرآني.
- ٣- في العقيدة وغيرها:
- أ- نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر.
- ب- نبوة محمد من الشك إلى اليقين.
- وسألته: هل خصصت المتشابه اللفظي في القرآن بمؤلف خاص؟
فقال: لا، لم أحص المتشابه اللفظي بمؤلف، لكنه موجود بكثرة في الكتب القرآنية على طريق التفسير وبلاغة الكلمة والتعبير القرآني وغيرها.
- فقلت: لاحظت في كتبك أثناء توجيهك للآيات أنك تعتمد على السياق عمدة أولى في التوجيه، أليس كذلك؟
فقال: هذا صحيح، فإن السياق هو الموجه للمتشابه اللفظي في القرآن، فمنه وبه نقف على المعاني الصحيحة للآيات المتشابهات لفظا.
- فقلت له: ماذا لو رأيتُ توجيهها آخر جديدا غير الذي وقفتَ عليه أنت وغير الذي وقف عليه الغرناطي رحمه الله لآيتين ما؟
فكان رده: لا تنقضي عجائبه، لا بأس بذلك، طالما أنك تسوق حججك وبراهينك التي تؤيد رأيك.
- قلت له: كأني بعلماء المتشابه اللفظي في القرآن يتجنبون الخوض في توجيه الآيات التي نزلت بلفظها دون تغيير أي الآيات المتكررة، سواء الآيات التامة أو الجملة القرآنية المتكررة مرات في القرآن، فما رأيكم؟

فقال: ليس ذلك، ليس تجنبنا ولكن لكل عالم توجهه، ومنهجه الذي صنف على أساسهما مؤلفه، وألفت انتباهك لكتابي: الجملة العربية وتأليفها وأقسامها، والجملة العربية والمعنى، لعلهما يكونا عوناً لك.

- وسألته: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من محكم القرآن أم من متشابهه؟
فقال: بعضه محكم واضح المعالم، وبعضه متشابه يحتمل وجوهاً من التأويل، وبعضه لا نستطيع الوصول والوقوف على مراميه، لكننا يمكننا البحث في الجانب البياني منه.

- ثم سألته: إذا أردت أن أوجّه آية ما، فما الأسس التي عليها أبنى توجيهي لهذه الآية؟
فأرشدني إلى مقدمة كتاب [على طريق التفسير البياني] وقال فيها ستجد الجواب الشافي لهذا السؤال، وأراني هذه المقدمة، فنظرت فيها سريعاً ثم:

- قلت له: هذه أسس عامة للمفسرين، يجب أن يلم بها من يتجشم الخوض في تفسير آيات كتاب الله العزيز، ألا يوجد خصوصية خاصة لمن يتناول الآيات المتشابهات لفظاً يجب أن يتميز بها عن المفسرين؟
فقال: نعم وهذا تجده في آخر المقدمة فانظر فيها، فنظرت، فوجدت أنه شرطاً الموهبة حين الخوض في مثل هذا التفسير.

- سألته: لقد نظرت في خطة البحث - بحثي للدكتوراه - فهل ترى فيها تعديلاً ما إضافة أو حذفاً؟

فقال: هذا مع مشرفك، بالمناقشة معه إن احتاجت الخطة إلى تعديل بزيادة أو غيره فمع مشرفك.

وإلى هنا انتهى اللقاء بالدكتور فاضل السامرائي، فشكرته واستأذنت للخروج، فتبني بكرمه حتى باب المصعد، جزاه الله خيراً.

المطلب الثالث: الخصائص العامة لكتب السامرائي

أولاً: خواطر للسامرائي حول كتبه:

بدأ الدكتور فاضل السامرائي رحلة التأليف مبكراً، إذ أنه ألف كتابه الأول [نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر] حين كان طالباً في الصف الثاني في الكلية، وطُبع في عام ١٩٥٨-١٩٥٩ ووزع في الأسواق. وقد سأله محاوره في مجلة الرائد:

"أليس غريباً أن يكون أول كتبك في العقيدة وشهرتك واختصاصك في اللغة؟

فأجاب: لم أكن حينها معروفاً بذلك، فقد ألفتَه قبل دخولي الكلية، وطُبع وأنا في المرحلة الثانية، وقد ذكرتُ السبب في تألِفي هذا الكتاب في مقدّمة كتابي [نبوة محمد من الشكّ إلى اليقين] والسبب أن الشكّ كان قد ساد بين الشباب آنذاك، وكان للإلحاد موجة عارمة، فالإيمان أمر مهم، إذ عليه سيبنى سلوك الفرد"^١.

وقد تنوعت كتب السامرائي ما بين اللغة والعقيدة والدراسات القرآنية، وقد سئل عن أقرب كتبه وأحبها إليه فقال: "في العقيدة أقربها [نبوة محمد من الشكّ إلى اليقين]، وفي اللغة [معاني النحو]، إذ عكفت عشر سنوات على تأليفه، وقد شغلني ليلاً ونهاراً، وكنت أفكر فيه حتى عندما أسوق السيارة، ولن أبالغ إن قلت حتى في النوم، وما يتعلق بالقرآن فكتاب [التعبير القرآني]"^٢.

ثم سئل عن الفرق بين كتابيه [التعبير القرآني] و[لمسات بيانية]، فقال: "[التعبير القرآني] يهتم بالمواضيع كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وغيرهما، والآيات التي فيه هي للاستشهاد فقط، أمّا [لمسات بيانية] فهو نصوص يبين فيها النواحي البيانية"^٣.

ومن الكتب التي لم يذكرها السامرائي في حوارهِ مع الباحث: أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية، وله محاضرات عديدة بعضها مطبوع والبعض لم يطبع بعد.

^١ لقاء صحفي للدكتور فاضل السامرائي مع موقع مدينة سامراء، أجري في كلية التربية بسامراء مساء الثلاثاء ٢٠ / ٤ / ٢٠١٠م، راجع هذا الرابط:

<http://www.samarracity.net/news/articles/24/7/2010-news.html>

^٢ المصدر السابق.

^٣ المصدر السابق.

ثانيا : الخصائص العامة لكتب السامرائي :

ويمكننا أن نلمس عدة سمات عامة لكتب السامرائي :

١ - غلبة الجانب اللغوي النحوي الصرفي البلاغي: فلو تأملنا كتب السامرائي سنجد أن شغفه باللغة العربية - والنحو منها خاصة- كان له أثره البالغ في مصنفاته، فنجد ستة من مصنفاته في النحو، كما نجد كتبه المتعلقة بالدراسات القرآنية قامت واتكأت اتكاءً على عمادتين أساسيتين، ألا وهما النحو والبلاغة.

٢ - ربط النحو بالمعاني: إن من أعظم آثار السامرائي أنه ربط النحو بالمعاني، أو ربط المعاني بالنحو، - والأولى فيما أعلم هي الأصوب^١ - إذ بَثَّ بهذا الربط الروح في النحو بعد أن كان جثة هامدة، لا حراك فيها، هذا على الرغم من أن النحو كمادة تعليمية يعد مادة شيقة، ممتعة، لذيدة، إذ إنه بمثابة رياضة اللغة، ورياضياتها؛ فهو رياضة اللغة إذ يث فيها القوة والحيوية، وهو رياضيات اللغة إذ هو أحد أهم مواضع الإثارة في اللغة، وأقصد هنا إثارة العقول، وإثارة الحواس، وكثيرا ما كنت أسمع من أستاذي معلم اللغة العربية يقول: "المهارة في النحو دليل على الذكاء والفطنة، لذلك تجدون الماهر في النحو، ماهرا في مادة الرياضيات"

٣ - القرآن الكريم هو موضع ومحل دراسات ومصنفات السامرائي، وهو الشغل الشاغل له في سائر كتبه، ولو ألقينا نظرة عامة على كتبه لوقفنا على تلك الخصيصة، حتى الكتب

^١ ربط النحو بالمعاني، وربط المعاني بالنحو، لعل البعض يظن أن كلا التعبيرين متساويان، كلا، إن بينهما مفارقة تكاد تصل إلى حد التباين؛ فالأولى تعني أن النحو فرع المعنى، وابن له، وناتج عنه، والثانية تعني غير ذلك، إذ تعني أن المعنى تابع للنحو، وهذا غير صحيح، فقد رأى البعض أن المعنى فرع النحو، وقد ساقوا من الحجج ما يؤيد هذا الرأي، وإنما لا ننكر عليهم ما قالوا، لكننا نرد عليهم بأن اللغة ككل متكامل قد نضحت نضوحا، واستوت استواء، وانتظمت على ألسنة العرب انتظاما، من دون أن يعلموا لتلك النظم علة، وإنما كان الفيصل عندهم والحكم هو الفطرة والسليقة التي تميز وتميل إلى الصحيح السليم، وتنفر وترفض الشاذ السقيم، فلما بلغت اللغة العربية أسمى درجاتها، وأحكم العرب أدواتها، نزل القرآن الكريم بما عجزت عنه قرائح العرب جميعا، فسما باللغة سموا، وارتقى بها ارتقاء، وبقيت الفطرة والسليقة هي التي تضبط لسان العرب، حتى فشا الإسلام وانتشر، واختلط العرب بالعجم، ودب اللحن في لسان العرب، فقام للعربية رجال استشعروا عليها الخطر، فنظروا في كلام الله - القرآن الكريم - ثم فيما صح من حديث رسول الله، ثم في ديوان العرب مما سلف من كلامهم شعرا ونثرا، فاستنبطوا لمن يأتي بعدهم قواعد يضبطون بها لسانهم، إذ لم تعد الفطرة اللغوية سوية، ولم تعد السليقة نقية، فاحتاج المتأخرون لتلك القواعد لضبط كلامهم. ومن هنا نقول: إن المعنى هو الذي ضبط النحو أولا، وهو الذي أقامه، ولو ظلت الفطرة العربية والسليقة العربية على ما كانتا عليه لما احتجنا إلى تعقيد النحو، فكيف نقول أن المعنى فرع النحو؟ ولعل الذي دفع إلى القول بذلك، حاجتنا نحن المتأخرين إلى النحو وقواعده، لضبط به كلامنا، والمعاني التي نرمي إليها. كما نرد على هؤلاء بحجة أخرى، فالمعلوم أن المعنى أسبق في الوجود من اللفظ، إذ يقع المعنى في خاطر وذهن الإنسان أولا ثم يسوقه ويعبر عنه لفظا، ولعل المتكلم يجتهد في تقويم وضبط لفظه، ليعبر عن المعنى الذي يريد أفضل تعبير، لكنه حين يقوم ويضبط إنما يفعل ذلك باللفظ، وليس بالمعنى، فالفكرة قائمة في الذهن ويقى التعبير عنها، فإن قصر عن التعبير عنها، إنما ذلك يرجع إلى قدرته اللغوية التعبيرية.

التي يبدو من عنوانها أنها ذات تخصص لغوي بحت، لو قَلَّبنا صفحات أياً من هذه الكتب لوجدنا أن عمدته ومحل بحثه ودراسته هو كتاب الله.

٤- هناك رباط عام يربط بين كتب السامرائي جميعاً، ويجعل موضوعها - وإن اختلف - واحداً، ألا وهو الاشتغال بالنحو والبلاغة، فهذان عنصران يبرزان بروزاً قويا في سائر كتب السامرائي، أضف إلى ذلك وحدة المحل - محل الدراسة والتصنيف - والذي هو القرآن الكريم. ويمكننا أن نقول إن أكثر هذه الكتب يدور في فلك موضوع عام كبير، ألا وهو الإعجاز البياني في القرآن.

المبحث الثالث:

أهم كتب السامرائي التي اهتمت بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

تمهيد:

لقد كان للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم حظ وافر في مصنفات السامرائي، إذ أننا نجد منتشرا بكثرة في العديد من كتبه، لكنه يبرز برونزا في ثلاثة كتب للسامرائي هي: [التعبير القرآني، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم]، وهذه الكتب هي موضع بحثنا للمتشابه لدى السامرائي، كما نجد بكثرة في كتابه [لمسات بيانية في نصوص من التنزيل]، ونجد منتشرا في ثنايا كتابه الشهير [معاني النحو]، فتلك الكتب هي أكثر كتبه اعتناء بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

ولعل البعض يتساءل: لماذا لم يجعل الباحث كتاب [لمسات بيانية في نصوص من التنزيل] محل بحثه رغم كثرة المتشابه اللفظي فيه؟

وهذا سؤال وجيه، والجواب أنني قد وجدت أن كتاب اللمسات لم يعتن فيه السامرائي بكشف أسرار التشابه والاختلاف في أمثلة ونماذج آيات المتشابه اعتناؤه بكشف تلك الأسرار في الكتب الثلاثة التي اخترتها، فقد كان همُّ السامرائي في [لمسات بيانية] كشف الأسرار البيانية في آيات المتشابه وغير المتشابه، كما نجد أن آيات المتشابه اللفظي في الكتب الثلاثة التي اخترتها هي الأصل والأكثر، إذ تكاد هذه الكتب تكون مختصة بالمتشابه اللفظي، أما في [لمسات بيانية] فليس الأمر كذلك.

وإليكم نبذة مختصرة عن الكتب الثلاثة موضع دراستنا للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

المطلب الأول: كتاب [التعبير القرآني]:

طبعته دار عمار طبعته الرابعة سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، موضوعه العام [الإعجاز في القرآن]^١، وقد جاء في ثلاث وخمسين وثلاثمئة صفحة، بدأه بمقدمه عرّف فيها بموضوع الكتاب وأهداف تصنيفه، قال: " ثم قررت أن أدرس القرآن فبدأت أجري موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وما إلى ذلك من أمور لغوية ومعنوية، وأفحصها فحصاً دقيقاً، فراعني ما رأيت من الدقة في التعبير، والإحكام في الفن، والعلو في الصنعة. وجدت تعبيراً فنياً مقصوداً حسب لكل كلمة فيه حسابها، بل لكل حرف، بل لكل حركة"^٢

ويمكننا القول أن هذا الكتاب -التعبير القرآني- أحد مصنفات العصر الحديث التي اختصت بعلم التشابه اللفظي في القرآن الكريم، فعلى الرغم أن السامرائي لم يصرح بذلك، إلا أننا نجد هذا العلم هو عصب هذا الكتاب من مفتحته حتى منتهاه، فكان هو شغل السامرائي الشاغل، وقد أحصيت مواضع التشابه اللفظي التي تناولها السامرائي بالتوجيه في هذا الكتاب، فوجدت أنه قد وجّه ٢١٤ مسألة من مسائل التشابه اللفظي في القرآن الكريم. وهو كم كبير بالمقارنة مع غيره من الكتب التي خصصها أصحابها لدراسة وتوجيه التشابه اللفظي في القرآن، فبعضها^٣ - على أهميته - وقف عند عشر آيات فقط، كما أن السامرائي لم يدّع أنه جمع التشابه اللفظي، بل إنه قال - في حوارٍ معه - إن كتابه لم يتخصص في ذلك، وإنما جاء التشابه اللفظي في ثنايا كتبه.

وكعادة السامرائي لم يقسم كتابه أبواباً وفصولاً، وإنما يصوغ الفكرة الرئيسة، ثم ينطلق يفصلها تفصيلاً، تناول في كتابه عدداً من سمات وخصائص التعبير القرآني من حيث بنيته، ومن حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتوكيد في القرآن، والتشابه والاختلاف، وفواصل الآي، والسمة التعبيرية للسياق، والحشد الفني. وجعل كل خصيصة فكرة عامة ثم يتناولها بالدراسة والبحث والتوجيه للعديد من أمثلة الآيات المتشابهات التي تبرز وتوضح تلك السمة والخصيصة،

^١ الموضوع الرئيسي للكتاب مسجل في صدره ص ٤.

^٢ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٧. ولو تأملنا مقدمات كتب [الدرة للإسكافي، والملوك للغرناطي، والبرهان للكرمانى، والكشف لابن جماعة] نسجد أن هذا هو عين ما رمت إليه.

^٣ مثل كتاب محمد الصامل [بلاغة التشابه اللفظي]

وأحيانا قد يطول البحث في الفكرة فيستغرق عددا كثيرا من الصفحات مثل الحشد الفني الذي استغرق ما يزيد على سبعين صفحة.

ويعد كتاب [التعبير القرآني] أوسع كتب السامرائي في هذا الباب باب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، كما يمكننا القول إنه أول كتبه المختصة بهذا العلم، وإن لم ينوه السامرائي في كتابه إلى اختصاصه بعلم المتشابه اللفظي. فمن غير المعقول أن يحوي الكتاب هذا الكم الكبير -أربعة عشر ومائتي موضع- من دراسة وتوجيه مواضع المتشابه اللفظي في القرآن ولا نقول إنه مختص به. وقد تعددت مجالات دراسة السامرائي للمتشابه اللفظي في كتاب [التعبير القرآني] على النحو الآتي:

١- التعاور ما بين الاسم والفعل في المتشابه: ومثال ذلك توجيهه لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ^ط تَخْرِجُ الْحَيَّ ^ط مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ^ج ذَلِكَمُ اللَّهُ ^ط فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام ٩٥) قال: "استعمل الفعل مع الحي فقال: [يخرج] واستعمل الاسم مع الميت فقال: [مخرج]؛ وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات"^١

٢- العدول عن صيغة لصيغة أخرى: كالعدول عن صيغة جمع التكسير إلى جمع

المؤنث السالم في آتي: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ^ط وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ^ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ^ط يَأْتِيَنَّهَا ^ط ﴾ (يوسف ٤٣)، قال: "فأنت ترى أن العدد في الآيتين واحد وهو سبع، ولكن استعمل معه [سنبلات] مرة، ومرة أخرى [سنابل] وسر ذلك أن

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٢٣

سنا بل جمع كثرة وسنبلات جمع قلة وقد سيقت الآية الأولى في مقام التكثير ومضاعفة الأجور فجيء بها على [سنا بل] لبيان التكثير، وأما قوله [سبع سنبلات] فجاء بها في على لفظة القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير^١

٣- **التقديم والتأخير:** وفيه درس مواطن عديدة بعضها مواطن متشابه لفظي، والبعض الآخر ليس منه، ومثاله: توجيهه لتقديم المغفرة على الرحمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٣)، وفي آيات كثيرة^٢ .. حيث نقل عن الزركشي قوله: "قالوا: وسبب تقديم الغفور على الرحيم أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله ﴿ يَعْلمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا سَخَّرَ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ ٢)، فالرحمة شملتهم جميعا، والمغفرة تخص بعضا، والعموم قبل الخصوص بالرتبة"^٣ ثم وضع ذلك قائلا: "وإيضاح ذلك أن جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم، وأما المغفرة فتخص المكلفين، فالرحمة أعم"^٤

٤- **الذكر والحذف:** ويجدد السامرائي أنواعه قائلا: "يدخل تحت هذا الموضوع ما حذف وأصله أن يذكر، كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر، كما يدخل فيه ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به لأن الموطن اقتضاه"^٥، وقد درس السامرائي ووجه لهذه الأنواع جميعا أمثلة ونماذج عديدة، وإليكم مثلا لأحدها: قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (الأحزاب ٦٧)، "فمد [السيلا] في حين قال في

^١ المصدر السابق، ص ٤٠

^٢ وقد أحصيت لاجتماع لفظي [غفور] و [رحيم] بالتكثير والتعريف ثنتين وسبعين مرة في القرآن الكريم، فضلا عن الطرق والتراكيب الأخرى لاجتماع الرحمة بالمغفرة في القرآن الكريم.

^٣ الزركشي، البرهان، ج ٣، ص ٢٤٩

^٤ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٥٧

^٥ المصدر السابق، ص ٧٥

الآية الرابعة من السورة نفسها: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ فلم يمدده؛ وذلك لأن في كلام أهل النار وهم يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء، فجاء بالمد، وهو المناسب لمد الصوت بالبكاء ورفع، بخلاف الآية الثانية^١.

٥- **التوكيد:** إن مواطن التوكيد في القرآن يشق حصرها، وألوانه متعددة، اسمع للسامرائي يقول: "إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به لانعدام موجب، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له"^٢، وقد أفاض السامرائي في تفصيله، وأكثر من التمثيل له، ومنه التوكيد بضمير الفصل، كقول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ٢٠٠)، فقد وجه السامرائي التوكيد بضمير الفصل وتعريف [السميع العليم] في فصلت دون الأعراف، وأوضح أن سياق كل من الآيتين يقتضي التعبير بما عبر به؛ حيث تقدم آية فصلت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت ٣٤-٣٥)، وتقدم آية الأعراف قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

^١ المصدر السابق، ص ١٠٤

^٢ المصدر السابق، ص ١٢٥

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿ (الأعراف ١٩٩)، ثم قال: "فأنت ترى أنه طلب في سورة فصلت أن يقابل السيئة بالحسنة، وهذا أمر ثقيل على النفس؛ فإن عادة الناس أن يقابلوا السيئة بمثليها، فإذا أرادوا أن يحسنوا عفوا عن المسيء، أم أن يقابلوا السيئة بالحسنة فذلك أمر شاق على الإنسان عسير عليه، .. أما في سورة الأعراف فقد أمر بالإعراض عن الجاهلين وهو أيسر من الإحسان إلى من أساء إليك"^١

٦- إبدال كلمة بكلمة من جنسها: كإبدال اسم باسم، أو ضمير بضمير، أو فعل بفعل، أو حرف بحرف، وهذا النوع أطلق عليه السامرائي، [التشابه والاختلاف]، لکني فضلت أن أطلق عليه [إبدال كلمة بكلمة من جنسها]، إذ أن مسمى [التشابه والاختلاف] يمكن أن يطلق على سائر أنواع المتشابه اللفظي. من ذلك الإبدال بين [فزع] و [صعق] في قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (النمل ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الزمر ٩٨)، فقد وجه السامرائي ذلك الإبدال قائلاً: " فقد قال في النحل ﴿ فَفَزِعَ ﴾ وفي الزمر ﴿ فَصَعِقَ ﴾ ، وإنما قال ذلك في الزمر لمناسبة ما بعده وهو قوله: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر ٦٨)، فإن ذلك مقابل الصعقة، في حين ختم آية النمل بقوله ﴿ وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل ٨٧)، وهو المناسب للفزع إذ معنى داخرين: صاغرون، فناسب كل لفظ مكانه الذي وضع فيه"^٢.

٧- فواصل الآي: للسامرائي في فواصل الآيات كلام بديع، وآراء نافذة سديدة وجديدة، فهي هو يبين بعض أحوال وأغراض الفواصل ويقول: "من المعلوم أن

^١ المصدر السابق، ص ١٤٢

^٢ المصدر السابق، ص ١٧٩

الآيات القرآنية الكريمة تنتهي بفواصل منسجمة موسيقيا بعضها مع بعض .. ومن الملاحظ أن القرآن يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة، لما لذلك من أثر كبير على السمع ، ووقع مؤثر في النفس، فقد ترى مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها انسجاما مع فواصل الآيات... وقد ترى أنه يحذف شيئا من الكلم لتنسجم مع فواصل الآي؛ إذ لو أبقى المحذوف لم ينسجم ... وقد يزيد شيئا في الكلمة للغرض نفسه... وقد يبدل كلمة بكلمة أخرى مع أن الآيتين متشابهتان، ... وقد ترى أنه يضع كلمة في مكان ويضع غيرها في مكان آخر يبدو شبيها بالموضع الأول تجنبا للتكرار"^١

وبعض أهل العلم^٢ يقفون بالفاصلة عند هذه الحدود التي جمعها السامرائي، وقد يزيدون فيها ويُفصّلون، وقد صنف الدكتور السيد خضر^٣ في الفاصلة كتابا سماه [فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية] وذهب في أكثر نواحي كتابه إلى أن الانسجام الموسيقي هو العلة في اختيار الفاصلة، إلا أن له لمحات وتعليقات طيبة أخرى يرد بها الفاصلة إلى السياق والمعنى إلى جانب الانسجام الموسيقي، ونسوق مثلا لذلك، في توجيهه لفاصلة آية الرحمن ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (الرحمن ٤٦)، حيث نقل عن الزركشي قوله: "إنما ثناها لأجل الفاصلة رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن، والقوافي تحتل في الزيادة والنقصان ما يحتمله سائر الكلام"^٤ ثم قال: "ولكن ذكر الفاصلة بلفظ اللجنة مفردة أو مجموعة يذهب بالإيقاع كما ترى فالثنوية محققة لإيقاع الفاصلة، واللجنة ترد في القرآن مفردة لأنها حقيقة جنة واحدة، وجاءت مجموعة لأنها درجات ودرجات، فكأن الجمع فيها للتكثير لا لحقيقة العدد، ولم يبق من صور اللفظ غير الثنية، فجاءت في سورة الرحمن، ولعله الموضع الوحيد الذي جاءت جنة الآخرة

^١ المصدر السابق، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، بتصرف.

^٢ أشار السامرائي إلى القاضي البيضاوي، كما يذهب إلى ذلك أكثر علماء المشابه اللفظي، كالكرماني، وابن جماعة والأنصاري.

^٣ أستاذ اللغويات المساعد بجامعة المنصورة، مصر

^٤ الوركي، البرهان، ج ١، ص ٦٥

فيه مثناة، ليستوفي ذكر الجنة صور اللفظ الثلاث، وهو تلوين للكلام وزيادة في
البيان والإكرام لا ريب" ^١.

أما السامرائي فقد أبان عن نكتة ^٢ بديعة أشار إليها بعض أهل السلف
والخلف لكنهم لم يكشفوا عنها كشف السامرائي، وهي أن الفاصلة ليست لأجل
الجانب الموسيقي فقط، بل إن المعنى هو القائد الأول للنظم، فلم يجر اللفظ على
المعنى لأجل النغم، بل إنه كما يقول السامرائي: "الذي نريد أن نؤكد هنا أن
القرآن الكريم راعى في كل ذلك أيضا ما يقتضيه التعبير والمعنى، ولم يفعل ذلك
للانسجام الموسيقي وحده"، وضرب مثلا بتقديم ﴿مُوسَى﴾ على ﴿هَارُونَ﴾

﴿ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾
﴿ (الشعراء ٤٧-٤٨)، وتأخيره في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا
بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه ٧٠)، وقال: "فهو لم يختتم آية الشعراء بكلمة ﴿

هَارُونَ﴾ وآية طه بكلمة ﴿مُوسَى﴾ مراعاة للانسجام الموسيقي وحده، بل
اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو قد راعى الانسجام الموسيقي وما يقتضيه
الكلام فلم يجر موطن على آخر، وهذا غاية ونهاية الإعجاز" ^٣، وقد فصل
السامرائي مسألة الفاصلة القرآنية، وأفاض فيها بأمثلة عديدة، وسبقت بنت
الشاطئ السامرائي إلى هذا الرأي في الفاصلة، قالت: "وأما تعليل الحذف برعاية
الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض،
وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الملحظ
الشكلي هو الأصل" ^٤

^١ خضر، السيد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، ط٢، القاهرة، مكتبة الآداب، ص ١١٤

^٢ النكتة: تعني الفكرة العظيمة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإمعان فكر. راجع المعجم الوسيط، ج٢، ص ٩٥٠

^٣ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢١٨، وقد وجه السامرائي فاصلة آبي الشعراء وطه ودرسها دراسة وافية في ثلاث صفحات كاملة في كتابه ص ٢٢١ - ٢٢٤

^٤ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٨، القاهرة، دار المعارف، ج١، ص ٣٥

٨- الحشد الفني: درس فيه السامرائي الحشد الفني في السورة، والحشد الفني في

الآيات، والحشد الفني في القصص القرآني. وقد بحث فيها ما يلي:

أ- الحشد الفني في السورة: بحث فيه السورة والترابط فيما بين آياتها،

وعلاقة منتهاها بمبتدأها، "وبيان قسم من العلاقات الفنية التي يراعيها

القرآن في السورة نفسها أو السور الأخرى"^١، وقد ناقش ذلك في عدد

سور القرآن، فمن ذلك سورة الأنعام، قال: "لقد افتتحت السورة بقوله

تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ^ط ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام،١)،

وقال في خاتمة السورة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

(الأنعام،١٦٤)، فناسب بين البدء والختام؛ فقد ذكر أن الذين كفروا برهم

يعدلون، أما هو فلا يعدل بربه شيئاً، فانظر هذه المناسبة والملاءمة في

التعبير حتى كأن التعبيرين في البدء والختام آية واحدة، .. ومن ذلك سورة

[ق] فقد بدأت بقوله تعالى: ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (ق، ١) ،

وختمت بقوله: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن تَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق،٤٥)،

والتناسب هاهنا أظهر من أن يشار إليه"^٢، وفي نهاية هذا المبحث يقول:

"إن التناسب بين مفتتح السور وخواتيمها ليس شيئاً عارضاً، ولا موافقة

عابرة، وإنما سمة بارزة من سمات هذا الكتاب الكريم، وأمر مقصود في هذا

الكلام الرفيع"^٣

ب- الحشد الفني في الآيات: وفيه وجه عددا من مواضع المتشابه اللفظي

المتعددة المسائل، إذ نجد ثلاث أو أربع أو خمس مسائل في الموضع الواحد

تناولها بالتوجيه، فمن ذلك آيتا:

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٢٥٢

^٢ المصدر السابق، ص ٢٥٢ - ٢٥٥

^٣ المصدر السابق، ص ٢٥٥

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۗ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ ۗ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ٣).

- ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۗ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس ٦١) فقد وجه فيهما خمس مسائل، هي:

سبأ	يونس
لا يعزب	وما يعزب
عنه	عن ربك
مثقال ذرة	من مثقال ذرة
في السماوات ولا في الأرض	في الأرض ولا في السماء
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر [بالرفع]	ولا أصغر من ذلك ولا أكبر [بالنصب]

ت- الحشد الفني في القصص القرآني: كما نعلم أن من عادة القرآن توارد القصة الواحدة في مواطن عدة، لكن هذا الورد ليس وروداً واحداً، ولا تكراراً للقصة، بل إن كل ورود للقصة إنما هو ورود جديد، حمل جانباً جديداً من القصة، لم يرد في غيره من المواطن، ويحمل في طياته فائدة وعبرة جديدة لم تكن في غيره من المواطن، ويؤكد السامع ذلك قائلاً: "فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تكرر، ولكن يعرض في كل موطن جانباً منها بحسب ما يقتضيه

السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد^١. وضرب لنا مثلا بقصة موسى قائلا: "إن قصة موسى مثلا فيها مواطن عبر كثيرة ومواطن استشهاد متعددة منها: بيان أن قدر الله ماض لا محالة، وأنه لا يستطيع أحد أن يغيره أو يرجئه مهما حاول واتخذ من أسباب ووسائل، ... ومنها: بيان عاقبة الظلم والظالمين، ... ومنها بيان لنفسية الشعوب المستضعفة المستذلة والسبل التي ينبغي أن تسلكها لتتحرر، ومنها بيان أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس إذا ما عرفته وآمنت به، ... فذكر في كل موطن ما يقتضيه السياق منها"^٢.

وقد درس السامرائي قصتين من القصص القرآني، قصة آدم وقصة موسى -عليهما السلام- كلا على حدة، فعقد موازنة لقصة آدم ﷺ في سورة البقرة مع قصته في الأعراف، ووجه فيها تسع مسائل. وموازنة أخرى للقصة ذاتها فيما بين سورتي الأعراف و [ص]، ووجه فيها خمس مسائل. وعقد موازنة ثالثة لها بين سورتي الحجر و [ص]، ووجه فيها ثماني مسائل.

كما عقد موازنة لقصة موسى ﷺ في سورة البقرة مع قصته في سورة الأعراف، ووجه فيها خمس عشرة مسألة. وموازنة أخرى للقصة ذاتها فيما بين سورتي الأعراف والشعراء، ووجه فيها اثني عشرة مسألة. وهذا أنموذج لطريقة تناوله لبعض مواطن الحشد الفني التي وجهها:

ففي الموازنة فيما بين قصة موسى ﷺ في سورتي البقرة والأعراف، عرض آيات البقرة جملة (الآيات ٥٧ - ٦٠) ثم عرض آيات الأعراف جملة (الآيات ١٥٩ - ١٦٢) ثم وجه فيهما جميعا خمس عشرة مسألة عارضا إياها جملة كما يلي:

الأعراف	البقرة
وإذ قيل لهم	وإذ قلنا
اسكنوا	ادخلوا

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢٨٣

^٢ المصدر السابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٤

فكلوا	وكلوا
رغدا	-
وادخلوا الباب سجدا وقولا حطة	وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
نغفر لكم خطاياكم	نغفر لكم خطيئاتكم
وسنزيد	سنزيد
الذين ظلموا	الذين ظلموا منهم
فأنزلنا	فأرسلنا
على الذين ظلموا	عليهم
يفسقون	يظلمون
وإذ استسقى موسى لقومه	إذ استسقاها قومه
فقلنا اضرب	وأوحينا إلى موسى أن اضرب
فانفجرت	فانبعجت
كلوا واشربوا من رزق الله	-

ثم تساءل: ما سر هذا الاختلاف؟^١ ومضى يجيب عن ذلك، ويوجه هذه المسائل، ويفصل فيها تفصيلا. وهذه الموازنات لها نظير في كتاب [لمسات بيانية] للسامرائي، إذ وازن السامرائي بين قصة موسى في سورتي النمل والقصص^٢

^١ المصدر السابق، ٣١٢.

^٢ السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، ط٢، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ص٨٣-١٠٦.

المطلب الثاني : كتاب [بلاغة الكلمة في التعبير القرآني]:

أولاً: التعريف بالكتاب

طُبِعَتْه شركة العاتك المصرية لصناعة الكتاب طُبِعَتْه الثانية سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، وجاء في ١٢٨ صفحة، وهذا الكتاب -على قلة عدد صفحاته- يعد إضافة عظيمة لباب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، نظرا لدقة موضوعه وأهميته، وقلة من تناوله بالبحث والدرس، ولمواطن المتشابه اللفظي التي تناولها السامرائي بالتوجيه، فقد أحصيت له في كتابه هذا ٥٥ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآني، أكثرها مواضع جديدة، لم يسبقه - فيما أعلم - إلى توجيهها أحد.

لعل الناظر في فهرس كتاب [بلاغة الكلمة في التعبير القرآني] قد يظن أنه لا يختلف عن كتاب [التعبير القرآني] وذلك لتشابه الكثير من عناصر فهرس الكتابين، لكننا حين نقلب صفحات الكتاب وننظر تحت هذه العناصر المتشابهة سنجد اختلافا بيّنا فيما بينهما، فموضوع كتاب [بلاغة الكلمة] قد صرح به السامرائي في مقدمته، قال: "هذا كتاب يبحث في المفردة في القرآن الكريم، والمقصود بـ [المفردة] هو الكلمة الواحدة"^١، وهذا هو الوجه العام للاختلاف بين الكتابين، إذ أن كتاب [التعبير القرآني] لم يُعَنَّ بالمفردة وحيدة، بل إن جُلَّه كان منصبا على الجملة القرآنية، هذا فضلا عن أوجه الاختلاف الأخر.

والمتأمل للكتابين يلحظ حرص السامرائي على ألا يكرر، على الرغم من تقارب موضوعي الكتابين [التعبير القرآني] و [بلاغة الكلمة]، وقد صرح بذلك قائلاً: "لقد حاولت أن أتجنب كثيرا مما بحثته في كتبي السابقة قدر الإمكان، كموضوع الإدغام والفك، الذي ترددت آياته في أكثر من موضوع في كتاب [التعبير القرآني] وكتاب [الجملة العربية] ونحو كثير من معاني الأبنية كالمصادر والجموع وغيرها مما بحثته"^٢

^١ السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص ٣

^٢ المصدر السابق، ص ٥

وعلى الرغم من أن السامرائي اجتهد ألا يقع في التكرار، إلا أننا نجد بعض الأمثلة التي تكررت، فقد وجه آية الكهف ﴿ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَتَبَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (الكهف ٩٧) في [التعبير القرآني]^١، ثم عاد ووجهها في [بلاغة الكلمة]^٢، وهناك أكثر من موضع آخر وقع فيه في التكرار. ولم ييوب السامرائي كتابه على منهج الباحثين في أبواب وفصول، بل سار على المنهج الذي اتبعه في كتاب [التعبير القرآني]، إذ يعرض الفكرة العامة ثم ينطلق يفصلها تفصيلاً.

ثانياً: أهداف تصنيف الكتاب:

- أبان السامرائي في مقدمته عن أسباب تصنيفه لهذا الكتاب وها هي في إيجاز:
- ١ - قلة من بحث في هذا الموضوع، إذ يقول: "إن قسماً مما بحثته في هذا الكتاب لم أجد المعنيين بدراسة بلاغة القرآن والمعنيين بدراسة التشابه قد أشاروا إليه فيما وقع بين يدي من المصادر"^٣.
 - ٢ - عدم اقتناع السامرائي بما قدمه الباحثون السابقون من تعليقات للفروق بين المفردات، قال: "والسبب الآخر .. هو أن قسماً مما بحثته قد طرقة الباحثون قبلي، وحاولوا أن يتلمسوا الفروق بين استخدام المفردات غير أني لم أقتنع بقسم من هذه التعليقات، ورأيت أن كثيراً منها متكلف"^٤.
 - ٣ - لم يجد السامرائي كتباً خاصة بالمفردة القرآنية، قال: "لم أجد في شأن المفردة في القرآن الكريم وتعليل استعمالها كتباً مختصة في حدود ما اطلعت عليه"^٥.
 - ٤ - عدم تبويب كتب [مفردات غريب القرآن] للمفردات على الموضوعات، وعدم دراسة ما تشابه منها، قال: "إن هناك كتباً في مفردات غريب القرآن قد تذكر

^١ وجاء ذلك في باب الذكر والحذف ص ٧٥

^٢ وجاء ذلك في باب الذكر والحذف ص ٩

^٣ المصدر السابق، ص ٣.

^٤ المصدر السابق، ص ٤

^٥ المصدر السابق، ص ٤

الفرق بين لفظة وأخرى، كالفرق بين جاء وأتى ... ، وهو أشبه بما يكتب في الفروق اللغوية، غير أنني لم أر كتابا يبحث في المفردة في القرآن ويوبها على الموضوعات ويجمع ما تشابه من ذلك ويدرسه، فحاولت أن أضع بداية متواضعة في هذا الموضوع"^١.

ثالثا: مجالات دراسة المتشابه اللفظي في كتاب [بلاغة الكلمة في التعبير القرآني]

١- الذكر والحذف [في المفردة]^٢: وذلك بإسقاط حرف من كلمة ما في موضع، وإثباته لنفس الكلمة في موضع آخر، كإسقاط التاء من ﴿أَسْطَعُوا﴾، وإثباتها في ﴿أَسْتَطَعُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف ٩٧)، ووجه عددا كثيرا من إسقاط التاء في مثل ﴿تَنْزَلُ﴾ وإثباتها في ﴿تَنْزَلُ﴾ في مواطن عدة من القرآن، وقد ناقش ووجه من نوع هذا الفعل العديد من النماذج. ومنه إسقاط الياء من آخر الفعل في مثل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ (البقرة ٣)، وإثباتها في: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي﴾ (المائدة ١٥٠)، وقد وجه في إسقاط مثل هذه الياء وإثباتها ستة مواطن^٣ من القرآن الكريم.

والحذف هنا إنما هو عن قصد، ولغرض رمى إليه النظم القرآني، وقد علل السامرائي لهذا الحذف، ووجه له توجيهها عاما، جعله قاعدة عامة لتوجيه مثل هذه النماذج، فقال: "إنه يحذف من الفعل لدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإن كان المقام مقام إيجاز أوجز في

^١ المصدر السابق، ص ٥

^٢ لم يذكر السامرائي تعبير [في المفردة] في فكرته العامة لهذا الباب، وآثرت ذكرها، إذ أن الباب كله بل أكثر كتابه خاص بالمفردة، ولعله لم يذكرها اعتمادا على أنه قد صرح في صدر كتابه أن الكتاب مختص بدراسة المفردة في القرآن الكريم.

^٣ ﴿أَخْرَجْتَنِي﴾ و﴿أَخْرَجْتَنِي﴾، و﴿أَتَّبَعْنِي﴾ و﴿أَتَّبَعْنِي﴾، و﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ و﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾، و﴿تَبِعْ﴾ و﴿تَبِعْ﴾، و﴿عِبَادِي﴾ و﴿عِبَادِي﴾.

ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورته^١

٢- إبدال حرف بحرف آخر في المفردة: وقصد به ورود الكلمة في موطن ما على حروفها الأصلية، وفي موطن آخر يبدل أحد حروفها بحرف آخر، مثل: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ و ﴿يَضَرَّعُونَ﴾، ﴿الْمُتَّصِدِّقِينَ﴾ و ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾، ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ و ﴿يَدَبَّرُونَ﴾، ﴿يَتَزَكَّى﴾ و ﴿يَزَكَّى﴾، ﴿بِبَكَّةَ﴾ و ﴿مَكَّةَ﴾، ﴿الَّتِي﴾ و ﴿وَالَّتِي﴾، وقد وجه من مثل ذلك أحد عشر موطناً في القرآن الكريم. وقد بنى السامرائي قاعدة لتوجيه صيغتي [يَتَفَعَّل] و [يَفْعَل] في القرآن، فالأولى [يَتَفَعَّل] تستعمل في القرآن لما هو أطول زمناً، وقد تستعمل في مقام الإطالة والتفصيل، والثانية [يَفْعَل] تستعمل للمبالغة في الحدث والإكثار منه^٢.

٣- الموازنة بين [فَعَّل] و [أَفْعَل]: اجتهد السامرائي في التماس الفروق بين هاتين الصيغتين في القرآن الكريم، وانتهى إلى أن صيغة [فَعَّل] تفيد التكثير والمبالغة ومقتضياتهما، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول، وأنه يفيد تلبثاً أو مكثاً ففي [عَلَّمَ] من التلبث وطول الوقت في التعلم ما ليس في [أَعْلَمَ] إنا نقول: أعلمتُ محمداً خالداً مسافراً، ونقول: عَلَّمْتَهُ الحساب، ولا نقول: أعلمته الحساب^٣. ومن توجيهاته البديعة في ذلك قوله: "وكاستعمال [أوصى] و [وَصَّى] فهو يستعمل [وَصَّى] لما هو أهم لما فيه من المبالغة فهو يستعمل [وَصَّى] للأمر المعنوية ولأمر الدين، ويستعمل [أوصى] للأمر المادية وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ العنكبوت، وقوله: ﴿وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ (البقرة ١٣٢)، .. في حين قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

^١ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص ٩

^٢ المصدر السابق، ص ٣٩

^٣ بتصرف: المصدر السابق، ص ٥٨

الْأُنثِيَّيْنَ ﴿ (النساء ١١) ^١. وقد ساق السامرائي ثماني موازانات لهاتين الصيغتين في القرآن الكريم. منها أربعة مواضع مختلفة لـ [نزل] و [أنزل].

٤- **المبني للمجهول، والوصف:** ووجه فيهما السامرائي أربعة مواضع جديدة لم يسبق إليها إلا في موطن واحد، لكنه لم يعدم وقوف السامرائي فيه على نكتة جديدة لم أجد من سبقه إليها من علماء المتشابه اللفظي، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم، إن شاء الله.

٥- **تعاور اللفظ بين الأفراد والشبية والجمع:** وقد أفرد السامرائي لذلك مبحثا خاصا في كتابه هذا، وقد تناول مثل هذا المبحث في كتابه السابق [التعبير القرآني] ^٢، لكن الأمثلة ومواضع المتشابه - أربعة مواضع - التي ساقها في [بلاغة الكلمة] غير الأمثلة والمواضع التي ساقها في [التعبير القرآني].

٦- **تعاور المفردات:** ويقصد به اختلاف المواطن المتشابهة في بعض المفردات، قال: "قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني، فتستعمل مفردة في موطن، وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به" ^٣ وقد علل السامرائي لذلك تعليلا عاما قائلا: "إن الذي نريد أن نوضحه هنا أن ذلك ليس تناقضا ولا اختلافا، بل إن ما ذكره في الموضعين حق، حتى لو اختلف معنى المفردتين، ذلك أن المذكور قد يكون عاما في موطن، وخصوصا في موطن آخر، وقد تكون له حالتان، فيذكر حالة في موطن، ويذكر حالة أخرى في موطن آخر، وقد يكون الأمر عاما، فيذكر جزءا منه في موطن، ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر، وهكذا، كل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام" ^٤. وقد تناول في هذا المبحث أربعة مواضع من المتشابه اللفظي، ثلاثة منها قد وجهها ضمن الحشد الفني في القصص القرآني في كتابه السابق [التعبير القرآني].

^١ المصدر السابق، ص ٥٩

^٢ وقد جاء ذلك تحت فكرة معايرة وأوسع وهي [البنية في التعبير القرآني]، وبحت تحتها السامرائي توارد ألفاظ المفرد والجمع في الآيات المتشابهات، ووقع في ثماني صفحات،

ص (٤٠ - ٤٨).

^٣ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة، ص ١٠٩

^٤ المصدر السابق، ص ١٠٩ - ١١٠

المطلب الثالث: كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم]

أولاً: محتوى الكتاب ومنهجه:

لقد كانت نية الباحث أن يقف عند كتابين فقط من كتب السامرائي هما [التعبير القرآني] و[بلاغة الكلمة في التعبير القرآني] بغرض موازنة دراسة المتشابه اللفظي فيهما مع كتاب [ملاك التأويل]، إلا أنني حين وقفت على كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم] رأيت أنني سأكون مقصراً إذا أغفلت هذا الكتاب؛ ذلك لأنه هو الآخر يكاد يكون مختصاً بالمتشابه اللفظي؛ فقد ضمن ٧١ موضوعاً من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وهذا الكتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم] عبارة عن مائة سؤال عُرضت على السامرائي في برنامجه على قناة الشارقة الفضائية [لمسات بيانية] من المشاهدين أو عن طريق المراسلة، فأجاب عن أكثرها عبر البرنامج، ثم جمعها في كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم]، وجاء جُلُّ هذه الأسئلة في الموازنة ما بين آيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فمن بين مائة سؤال كان منها واحد وسبعون سؤالاً في المتشابه اللفظي، وقد جاء الكتاب في ٢١٨ صفحة، وقد طبع طبعته الأولى منذ سنتين فقط ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، في مكتبي الصحابة بالشارقة، والتابعين بالقاهرة.

اختلف منهج السامرائي في هذا الكتاب عن كتابيه السابقين، حيث اتبع فيه منهج القدامى في ترتيب مواضع المتشابه ومسائله، فعرض الأسئلة بحسب ترتيب السور في المصحف، فبدأ بالأسئلة التي وردت في سورة البقرة، ثم بالتي وردت في آل عمران، فما يليها، وهذا هو منهج القدامى من علماء المتشابه اللفظي والمفسرين، قال السامرائي عن منهجه في مقدمة الكتاب: "وقد رتب موضوعات الأسئلة على حسب تسلسلها في المصحف الشريف في الغالب، ولم يختلف هذا المنهج إلا نادراً"^١

ثانياً: المتشابه اللفظي في كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم]:

إلى جانب الكتابين السابقين، يعد هذا الكتاب أحد أهم مصنفات المتشابه اللفظي في العصر الحديث، بل إنه يتميز عنهما في بروز اختصاصه بهذا العلم؛ لوضوح ذلك في مسائل مواطن

^١ السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، الإمارات، الشارقة، مكتبة الصحابة، والقاهرة، مكتبة التابعين، ص ٥-٦

المتشابه التي وقف عندها السامرائي، وَلَكَمَّ الآيات الكبير -واحد وسبعين موضعا- الذي تناوله السامرائي بالبحث والتوجيه.

كما ترجع أهمية هذا الكتاب لسلوكه منهج القدامى في التوجيه، وفيما وقف عليه السامرائي من مواطن المتشابه اللفظي؛ حيث نجد ما يلي:

١- كثير من المواطن التي وجهها السامرائي في هذا الكتاب جديدة، لم يقف عندها السابقون.

٢- المواطن التي وقف عندها السامرائي وسبقه إليه الغرناطي أو غيره من علماء المتشابه القدامى تختلف فيها مسائل السامرائي عن سبقه، فمن ذلك:

- في السؤال الأول: وهو الموضوع الأول من مواضع المتشابه في الكتاب، وجه السامرائي قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢)، مع آيتي ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ (لقمان ٢-٣)١، في حين وجه الغرناطي آيات [البقرة ٢] مع [آل عمران ٣-٤]٢.

وإن كان ابن جماعة قد وجه نفس آيات السامرائي، إلا أن توجيه السامرائي أتى بما لم يأت به ابن جماعة؛ فقد أجاب كلاهما عن سؤال: لماذا زاد الرحمة على الهدى في آية لقمان؟ فأجاب ابن جماعة موجزا بإجازا شديدا أدى إلى الغموض: "لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب المتقين، ولما ذكر ثمَّ الرحمة ناسب المحسنين"٣، أما السامرائي فقد أوضح المسألة إيضاحا، فقال: "إن آية البقرة في المتقين، والمتقي هو الذي يحفظ نفسه، أما آية لقمان ففي المحسنين، والمحسن هو الذي يحسن إلى نفسه وإلى غيره .. جاء في المفردات للراغب: الإحسان على وجهين، أحدهما الإنعام على الغير، والثاني إحسان في فعله .. فلما ذكر في آية لقمان أنهم محسنون، زاد لهم الرحمة على الهدى، وذلك أنهم زادوا في

١ المصدر السابق، ص ٧ - ٨

٢ الغرناطي، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٢٤

٣ ابن جماعة، كشف المعاني، ص ١٣

الوصف على المتقين .. فزاد الله لهم في الجزاء، ثم إن الإحسان إلى الآخرين إنما هو الرحمة، فزاد الله لهم الرحمة، لما رحموا الآخرين..^١

- في السؤال الثاني: وجه فيه السامرائي آيتي [البقرة ٢٣-٢٤] مع آيتي [يونس ٣٨-٣٩] وآيتي [هود ١٣-١٤] أربع مسائل، ووقف الغرناطي عند هذه الآيات فوجه فيها أربع مسائل، لكن مسائل السامرائي غير مسائل الغرناطي إلا مسألة واحدة، وهي سبب زيادة [من] في قوله تعالى: ﴿ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة ٢٣)، عن قوله تعالى: ﴿ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ (يونس ٣٨)، وسوف يأتي في الفصل التالي بحث هاتين الآيتين فيما بين الغرناطي والسامرائي.

^١ السامرائي، صالح، أسئلة بيانية، ص ٧-٨

المبحث الرابع: خصائص أسلوب السامرائي في تناول المتشابه اللفظي:

تمهيد:

لقد سألتُ الدكتور فاضل السامرائي في لقائي معه: هل خصصتَ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بمؤلف خاص به؟ فأجابني: "لا، لم أخص المتشابه اللفظي بمؤلف، لكنه موجود بكثرة في الكتب القرآنية على طريق التفسير، وبلاغة الكلمة، والتعبير القرآني، وغيرها".

والحق أنني أعجب لهذا الأمر؛ إذ أن أكثر كتب السامرائي بما فيها كتب النحو تعنى اعتناء شديداً بالبحث في المتشابه اللفظي في القرآن، وتنصرف إليه الكثير من فصول ومباحث كتبه، فتكاد لا تجد كتاباً للسامرائي إلا وقد ضمّن الكثير من مواضع المتشابه اللفظي والتي يتناولها بالبحث والفحص والتمحيص والتوجيه، لكنه - كما قال - لم يخص المتشابه صراحةً بمصنف قائم له.

وقد اجتهدت في الوقوف على أسباب ذلك، فوجدت كأن السامرائي -والله أعلم- ما أحبّ أن يتقيد بباب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وإنما أراد أن يطلق لنفسه العنان في كتاب الله، ويطوف بين جنانه، ويتنقل بين أغصانه، فلم يقف عند قضايا المتشابه اللفظي بل أطلق العنان لنفسه في القضايا البيانية المختلفة فتناول الكثير منها بالبحث.

المطلب الأول: منهج التناول وأسس توجيه المتشابه لدى السامرائي:

أولاً: منهج التناول: لم يقف السامرائي على منهج واحد في تناول المتشابه اللفظي في القرآن، فقد سلك في ذلك منهجين مختلفين، وهما كما يلي:

المنهج الأول: سلك فيه منهج القدامى، وسار على دربهم، ونجد ذلك في كتابيه [أسئلة بيانية في القرآن الكريم] - موضع بحثنا - والآخر [لمسات بيانية في نصوص من التنزيل]؛ حيث التزم ترتيب السور في المصحف، والتزم ترتيب الآيات في السورة، فبدأ بالبقرة فآل عمران فما بعدها، ولكنه لم يعمد إلى تتبع أي المتشابه اللفظي في السورة، وإنما رتب مواضع

المتشابه التي بحثها، والمسائل التي وجهها، بحسب ترتيب السور والآيات، وقد جاءت أكثر مسائل الكتاب الأول في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المنهج الثاني: لم يسلك فيه السامرائي مسلك القدامى ومنهجهم في تتبع وتقصي مواضع المتشابه اللفظي في القرآن سورة سورة من الفاتحة حتى الناس، بل إنه اعتمد منهاجاً جديداً في التناول، يقوم هذا المنهج على تقسيم المتشابه اللفظي إلى أبواب، كباب الذكر والحذف، وباب التقديم والتأخير، وغيره من أوجه الاختلاف بين الآيات المتشابهات لفظاً في القرآن الكريم، ونجد ذلك بارزاً في كتابيه: [التعبير القرآني] و[بلاغة الكلمة في التعبير القرآني].

ثانياً: أسس توجيه المتشابه اللفظي عند السامرائي:

يقوم توجيه المتشابه اللفظي عند السامرائي على عمدين أساسيتين هما:

العمدة الأولى: السياق، وقد أكد السامرائي ذلك لي بنفسه حين سأله: "لاحظت في كتبك أثناء توجيهك للآيات أنك تعتمد على السياق كعمدة أولى في التوجيه، أليس كذلك؟ فقال: هذا صحيح، فإن السياق هو الموجه للمتشابه اللفظي في القرآن، فمنه وبه نقف على المعاني الصحيحة للآيات المتشابهات لفظاً". والناظر في كتب السامرائي لا يحتاج إلى كثير من النظر ليقف على ذلك، اسمع له حين وجه آيتي النحل وفاطر الآيتين:

- ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ (النحل ٤١).

- ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ (فاطر ١٢).

قال: "قدم [مواخر] على الجار والمجرور [فيه] في النحل، وقدم [فيه] على [مواخر] في فاطر؛ وذلك أنه تقدم الكلام في النحل على وسائط النقل، فذكر الأنعام وأنها تحمل الأثقال، وذكر الخيل والبغال والحمير لتركبها وزينة، ثم ذكر الفلك وهي واسطة نقل أيضاً...، قدم المواخر لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل، وليس السياق كذلك في سورة فاطر... فالكلام فيها على البحر وأنواعه، وما أودع الله فيه من نعم، فلما كان الكلام على البحر قدم ضمير

البحر على المحر فقال: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ ، ولما كان الكلام على وسائل النقل والفلك قدم حالة الفلك^١. فالسياق هو عمدة السامرائي الأولى، ويمكننا أن نلمس ذلك في سائر توجيهاته، وقد أنكر على مَنْ يُهْمَل السياق فعله قائلا: "إنه لا يصح اقتطاع جزء من آية، أو جزء من السياق، وبناء الحكم عليه، بل الذي ينبغي هو أن ينظر في السياق كله، ثم ينظر في ملاءمة الكلام بعضه لبعض"^٢.

والسامرائي لا يقف بالسياق عند حدود المحيط الذي نزلت فيه الآية، بل إنه يتخطاه لأبعد من ذلك، اسمع إليه يقول: "ونود قبل أن نشرع في ضرب الأمثلة أن نبين أنه قد يراعى في اختيار التعبير أمورا عديدة وجوانب كثيرة، فقد يراعى السياق الذي ورد فيه التعبير ، والسورة التي ورد فيها السياق، والسياقات الأخرى التي يرد فيها تعبير مقارب لهذا التعبير، والسور الأخرى التي فيها مواطن تعبيرية مشابهة أو مختلفة، فهو قد يراعى في تعبير السورة الواحدة وبنائها تعبير جميع السور الأخرى من القرآن وبنائها"^٣.

العمدة الثانية: اللغة والنحو والبلاغة، تلك هي العمدة الثانية التي يقوم عليها السامرائي لمسائل المتشابه اللفظي، وقد صرح بذلك السامرائي في نهاية مقدمة كتاب [بلاغة الكلمة] قائلا: "وأود أن أذكر قبل الختام أمرا تجدر الإشارة إليه، وهو أنني حاولت أن أعتمد في التوجيه والترجيح على الأمور اللغوية المسلمة والقواعد المقررة -على قدر علمنا المتواضع- والاستعانة بالسياق لتلمس الفروق في الاستعمال، وهو أمر مهم جدا في الدلالة على سبب الاختيار، لئلا نزل بنا القدم، وتذهب بنا بُنَيَات الطريق"^٤، ولسنا في حاجة لأن نمثل لذلك إذ أن كل توجيهات السامرائي تعتمد اعتمادا على اللغة وعلومها، مع السياق.

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٦٨- ٦٩

^٢ السامرائي، صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٦٨

^٣ المصدر السابق، ص ٢٥٢

^٤ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة، ص ٨

المطلب الثاني: خصائص عامة لأسلوب السامرائي في توجيه المتشابه اللفظي:

١ - سهولة لغة السامرائي وجمالها: إذ عمد السامرائي في كتبه إلى لغة قريبة التناول، سهلة الفهم، بعيدة عن التعقيد والتكلف والتكرار الممل، فما أكثر ما نجده يشرك القارئ في الحوار، ولا يخفى على أحد مدى جاذبية هذا الأسلوب، إذ يشعر القارئ أنه طرف في الحوار مع الكاتب، وهذا الأسلوب كثير منتشر في كتب السامرائي، فكثيرا ما تجده يقول: ألا ترى..^١، أو " فأنت ترى .."^٢ ثم يمضي يأخذ بيد القارئ حتى آخر الفكرة، وتجده يحاور القارئ قائلا: " فانظر كيف عدل عن صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام، وانظر كيف يراعي دقة التعبير"^٣، ويحاوره قائلا: "فإن قلت لم قيل...قلت.."^٤، وقد يطول الحوار مع القارئ في أسلوب إرشادي جذاب^٥، ويعتمد السامرائي على حوار القارئ اعتمادا كبيرا، بما يصبغ أسلوبه بالتشويق، ويجعل القارئ متفاعلا معه منتبها، راغبا في الاستزادة، وهذا الأسلوب ليس خاصا بكتب السامرائي الثلاثة موضع البحث، بل إنه فطرة، وسليقة في أسلوبه؛ لأنك حينما نظرت في أي من كتب السامرائي؛ ستجد أن ذلك الأسلوب هو المعتمد.

٢ - اعتمد السامرائي التوسط في بسط وتوضيح المسائل: هذا هو الأصل في كتب السامرائي، وفي توجيهه لمسائل المتشابه اللفظي، وإن كنا نجده أحيانا يبسط بسطا في بعض المسائل^٦، لكنه بسط لا يدفع إلى كلل أو ملل، نظرا لأسلوبه الجذاب.

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٥٩

^٢ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة، ص ١١، ص ٩٧، ص ٩٨ / والتعبير القرآني، ص ٢٣، ص ٢٨، ص ٢١٥ / لمسات بيانية، ص ١١٦

^٣ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٣٧

^٤ المصدر السابق، ص ٤٨

^٥ راجع ذلك في المصدر السابق، ص ٥٢

^٦ مثل توجيهه لمسألة بناء « يُزْفُونَ » للمجهول في [الصفات ٤٧] وبنائه للمعلوم « يُزْفُونَ » في [الواقعة ١٩]؛ إذ امتد حتى لأكثر من صفحات، راجع: بلاغة الكلمة،

ص ٧٢-٧٧، وتوجيهه لآية آل عمران ٤١، وآية مريم ١٠، في سبع صفحات، راجع: بلاغة الكلمة، ص ١١٤-١٢١

٣- كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية: لعل السبب في ذلك هو اعتماد السامرائي على السياق في توجيهه لمواطن المتشابه اللفظي وإثبات ما ذهب إليه من حجج وأدلة تثبت وجهة نظره.

٤- التنوع ما بين أسلوب السرد وأسلوب المناقشة في عرض المسائل: سلك السامرائي طريقين أو منهجين في عرض مسائل المتشابه اللفظي: الأول: أسلوب السرد: وجاء في كتابيه [التعبير القرآني] و[بلاغة الكلمة]، ويقوم هذا الأسلوب على عرض الآيات موضع التشابه، ثم يمضي يوجهه ويفصل أسرارها. الثاني: أسلوب المناقشة: وجاء في كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم]، ويعتمد على عرض الآيات موضع التشابه، ثم يعرض مسأله جملة على هيئة أسئلة، ثم يمضي يجب عن هذه الأسئلة سؤالاً سؤالاً، وهذا المنهج اعتمده قبل السامرائي الخطيب الإسكافي والغرناطي وابن جماعة. جدير بالذكر أن السامرائي قد يجمع بين هذين الأسلوبين - السرد والمناقشة - في كتاب واحد، ونجد ذلك في كتابه [لمسات بيانية].

٥- تأثر السامرائي بالسابقين: لو بحثنا في كتب السامرائي عن آثار علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن لوجدناها قليلة، وأكثر هذه الآثار نجدها للغرناطي وكتابه [ملاك التأويل]، ثم برهان الكرماني، ثم كتاب الدرّة للخطيب الإسكافي، كما يرجع أحياناً إلى برهان الزركشي، لكننا نجد السامرائي يعود أكثر إلى علماء التفسير ويكثر من الرجوع إليهم خاصة الكشاف، والرازي، وفتح القدير، والبحر المحيط، والظلال، وروح المعاني، وابن القيم، أما كتب اللغة فعلى رأسها اللسان، ثم كتاب سيبويه.

٦- الاستعانة - وهذا قليل - ببعض العلوم الشرعية الأخرى غير التفسير: كالقراءات والفقهاء، فاسمع إليه يشير إلى أركان القراءة الصحيحة التي اعتمد عليها في تأويل وتوجيه الآيات نقلاً عن ابن الجزري: "إن أركان القراءة الصحيحة - كما هو مقرر - ثلاثة: الأول: صحة السند، والثاني: موافقة المصحف العثماني، والثالث: موافقة العربية، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليه ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت

عن السبعة، أم عن العشرة، أم عن أكثر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف^١. ومن ذلك قوله: "إن في [قال] في الآية الرابعة والعشرين قراءتين متواترتين: قراءة بالفعل الماضي [قال] وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم، وقراءة بفعل الأمر [قل] وهي قراءة الباقيين من العشرة"^٢.

كما نبذه يوجه بعض مسائله توجيهها فقهيا بديعا، ففي توجيهه عن سبب مجيء ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾ (المتحنة.١٠)، جملة اسمية، في حين وردت ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ هُنَّ﴾ (المتحنة.١٠)، جملة فعلية، قال: "من المعلوم أن الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتغير، فعبر عن المؤمنات بالاسم؛ لأن الحكم لا يتغير بالنسبة إليهن، ولا يجوز منهن التغير، وعبر عن الكفار بالفعل لأنه يتغير الحكم بالنسبة إليهم إذا غيروا دينهم إلى الإسلام"^٣

٧- نقد آراء السابقين: الناظر في مصنفات السامرائي يجد له آراء كثيرة رد بها بعض آراء السابقين، من المفسرين أو اللغويين، ولكن نقده ليس اعتباطا، ولا عن هوى؛ إذ أنه يبني نقده على أسس وحجج قوية، اسمع إليه ينكر على من يقول بأن معنى كل من صيغتي [افتعل] و[تفاعل] واحد: "لقد ذكر المفسرون^٤ أن [اشتبه] و[تشابه] بمعنى واحد كاختصم وتخاصم، واشترك وتشارك، واستوى وتساوى، ونحوهما مما اشترك فيه باب الافتعال والتفاعل، والذي يبدو لنا أنهما ليسا بمعنى واحد، وأن كل لفظة اختصت بالموطن المناسب لها"^٥ ثم يمضي يثبت ذلك ويفصله بالشواهد القرآنية والبراهين.

والسامرائي حين ينقد يميز ويرد الحق لأهله، فإن فاضل ما بين رأيين في مسألة ما، يبين لماذا أيد هذا الرأي؟ ولماذا أنكرك ذلك؟ فمن ذلك قوله: "صحيح أن قسما من

^١ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٦-٧

^٢ أسامرائي، فاضل، أسئلة بيانية، ص ١٧٦

^٣ المصدر السابق، ص ١٨٦.

^٤ ذكر السامرائي منهم ثلاثة [أبا حيان، والزنجشري، والألوسي] وقد رجعت إلى مصادرهم فوجدت ذلك في: البحر المحيط، ج ٤، ص ١٩٤ / الكشف، ج ٢، ص ٥٢٠ / روح

المعاني، ج ٤، ص ٢٢٦

^٥ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة، ص ٨٠

الذين بحثوا في أسرار التعبير القرآني لم يوفقوا في اكتناه أسرار التأليف، بحيث تدرك أن تعليلاتهم متكلفة وتأويلاتهم بعيدة، وربما أدركت أيضا أنه لو كان الكلام على غير هذه الصورة لأولوه وعللوه تعليلا آخر، لكن هنا قسم آخر تمكن من أن يضع يده على أنفس الجواهر في التأليف، وأن يستكنه أدق أسرار التعبير من غير تكلف ولا غموض، وأحسب أنه من الأولى أن نضرب أمثلة نوضح بها هذا الادعاء، وألا نطيل في الكلام وتقرير الأحكام^١ ثم يمضي يعرض أمثله ومثائله.

المطلب الثالث: تجديدات السامرائي في توجيه المتشابه اللفظي:

١- **جزئية المسائل:** فالأصل عند السامرائي أن يتناول مسألة واحدة في موضع المتشابه، إلا أننا قد نجد أحيانا - وهذا قليل - يتناول أكثر من مسألة في موضع واحد، فنجد في كتابه [أسئلة بيانية] توجيهها لواحد وسبعين موضعا من مواضع المتشابه اللفظي، وجه في كل موضع مسألة واحدة، عدا ستة مواطن، وجه في خمسة منها مسألتين^٢، وفي أحدها وجه أربع مسائل^٣.

كما نجد السامرائي في موضوع [الحشد الفني] من كتابه [التعبير القرآني] قد تجاوز ذلك بمدى بعيد، فقد وجه خمسة مواطن للمتشابه اللفظي: الأول آيتا [سبأ^٣ ويونس ٦١] وجه فيه خمس مسائل، والثاني آيتا [النحل ٣٥ والأنعام ١٤٨] وجه فيه أربع مسائل، والثالث آيتا [التوبة ٥٥ والتوبة ٨٥] وجه فيه ثلاث مسائل، والرابع آيات [الأنبياء ٩٢-٩٣) والمؤمنون (٥٢-٥٣)]، والخامس آيتا [الحج ٢٢ والسجدة ٢٠]، أضف إلى ذلك تناوله للحشد الفني في القصص فقد زادت المسائل فيه زيادة كبيرة نظرا لعدد الآيات الكثير الذي وجهه في المواطن الواحد.

٢- **التوجيه العام للقضية:** فكثيرا ما نجد السامرائي قبل أن يتناول القضية مسألة مسألة يقدم لها بتوجيه عام، فمن ذلك توجيهه لقضية تقديم اللفظ على عامله قال: "ومن هذا الباب تقديم المفعول على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٢١٩

^٢ هذه المواطن الخمسة جاءت في: السؤال الثامن، والسؤال الخامس عشر، والرابعين، الثالث والسبعين والتاسع والثمانين.

^٣ وجاء ذلك في السؤال الثاني من أسئلة الكتاب المائة.

والمحور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك، وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص؛ فقولك [أنجذت خالدا] يفيد أنك أنجذت خالدا، ولا يفيد أنك خصصت خالدا بالنجدة، بل يجوز أنك أنجذت خالدا وغيره، أو أنك لم تنجد أحدا معه، فإذا قلت: [خالدا أنجذت] أفاد ذلك أنك خصصت خالدا بالنجدة، وأنك لم تنجد أحدا آخر^١ وقد أشرنا إلى بعض توجيهاته العامة في الذكر والحذف، وفي التبادل ما بين صيغتي [يَتَفَعَّل] و[فَعَّل]، وغيره في التعليق على كتاب [بلاغة الكلمة].

٣- تفصيل بعض القضايا اللغوية والنحوية: وهذه الخاصة وإن سبقه بعض علماء المتشابهة القدامى إلا أنها بارزة لدى السامرائي وذلك لأنها عادة ما تأتي في صدر الفكرة العامة قبل أن يخوض في توجيه أمثلة ونماذج المتشابه اللفظي فتكون بمثابة توجيه عام للمسألة، من ذلك توجيهه لإبدال الحرف فيما بين صيغتي [يَتَفَعَّل] و[يَفْعَل] قال: " إن بناء [يَتَفَعَّل] أطول من بناء [يَفْعَل] في النطق، فـ[يَتَدَكَّر] أطول من [يَدَكَّر] بمقطع واحد، فـ[يَتَذَكَّر] متكون من خمسة مقاطع: [يَ + تَ + ذَكَّ + كَ + رُ]، في حين [يَدَكَّر] متكون من أربعة مقاطع [يَدُّ + ذَكَّ + كَ + رُ]، .. وإن بناء [يَفْعَل] فيه تضعيف زائد على [يَتَفَعَّل]، ففي [يَفْعَل] تضعيفان، وفي [يَتَفَعَّل] تضعيف واحد"^٢.

واسمع إليه يبين الفرق بين صيغتي [فعلان] و[فعليل]: "﴿ أَلرَّحْمٰنِ ﴾ فعلان من الرحمة، و﴿ أَلرَّحِيْمِ ﴾ فعليل منها، وصيغة [فعلان] تفيد الدلالة على الحدوث والتجدد، وذلك نحو عطشان، وجزعان، وغضبان، ولا تفيد الدلالة على الثبوت، وتفيد أيضا الامتلاء بالوصف،...وصيغة [فعليل] تدل على الثبوت في الصفة نحو

^١ السامرائي، صالح، التعبير القرآني، ص ٤٩

^٢ السامرائي، صالح، بلاغة الكلمة، ص ٣٧

طويل، وجميل، وقبيح، أو التجول في الوصف إلى ما يقرب الثبوت، نحو خطيب،
وبليغ، وكريم"^١.

ويميز السامرائي بين تعدية الفعل [هدى] بنفسه في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وتعديته بالحرف في مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَانَا لِهَذَا﴾ قائلا: "فتعدية الفعل بنفسه تقال لمن كان فيه أي في الصراط، ولمن
لم يكن فيه، أما التعدية باللام وإلى فتكون لمن لم يكن فيه"^٢

٤- التقعيد لتوجيه المتشابه اللفظي: وهذا أمر جديد، اعتمد فيه السامرائي على علمه باللغة
وخبرته بما في وضع قواعد عامة لتوجيه بعض قضايا المتشابه اللفظي ومسائله في القرآن،
وقد التفت ياسين المجيد^٣ ومحمد السامرائي^٤ إلى هذا الأمر وأشارا إليه، كل منهما في كتابه
مرارا. وقد أفردت لتلك الخاصية مبحثا خاصا سيأتي لاحقا.

^١ السامرائي، صالح، لمسات بيانية، ص ٣١

^٢ المصدر السابق، ص ٤٦

^٣ راجع: المبني والمعنى لياسين المجيد، ص [١٣٧، ١٣٨، ١٤٧]

^٤ راجع ذلك في مواطن كثيرة من كتابه: دراسة المتشابه اللفظي في ملاك التأويل، ص [١٠٤، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦]

المبحث الخامس: القواعد السامرائية:

تمهيد:

وقف الدكتور فاضل السامرائي على عدد من الظواهر العامة، وجدها تنساق وتنزل على بعض مواطن المتشابه اللفظي في القرآن، فاجتهد أن يضبط لها قواعد عامة، يمكن القياس عليها في المواطن المشابهة، وسوف أجتهد في هذا المبحث أن أجمع ما استطعت من القواعد التي ضبطها السامرائي، وأقوم ببحثها، ودراستها، وقياس مدى مطابقتها، وسوف ندرس فيها ثلاثة مطالب:

الأول: هل هناك من اجتهد قبل السامرائي في ضبط مثل هذه القواعد؟

الثاني: ما القواعد التي وقف عليها السامرائي؟ وهل يمكن القياس عليها؟

الثالث: هل يمكن ضبط المتشابه اللفظي في القرآن بقواعد عامة تضبط توجيهه؟

المطلب الأول: محاولات السابقين في التقعيد لتوجيه آيات المتشابه:

أما فيما يخص علم التفسير فإن شيوخ التفسير قد اجتهدوا في وضع قواعد وضوابط يُسْتَرْشَدُ بها في الوقوف على مرامي آيات القرآن الكريم وتعبيراته، ووضعوا هذه القواعد أو الضوابط أو الاشتراطات في صدور مصنفاتهم، ولم أقف على مصنف بذاته لشيوخ المفسرين وُضِعَ لضبط قواعد للتفسير، وإنما نجد هذه القواعد متناثرة في مقدمات كتب التفسير، وقد نجد لهذه القواعد فصلا في بعض كتب علوم القرآن كالإتقان للسيوطي^١، والبرهان للزركشي^٢، كما نجد بعض القواعد مأخوذة من علم الأصول، ومن علوم اللغة.

وفي عصرنا الحديث اجتهد بعض الأساتذة في جمع هذه القواعد وضبطها وتصنيفها، وقد وقفت على مؤلفين عظيمين في هذا المجال:

الأول: وهو دراسة عظيمة قيمة جمع فيها الباحث - مجتهدا اجتهدا عظيما - ثمانين

^١ وجاءت ترتيب قواعد التفسير في كتاب الإتقان الثاني والأربعين، بعنوان: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها، راجع: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٢، ٣٣٤.

^٢ ووقعت في أكثر من باب من علوم كتاب البرهان ولعل الباب الحادي والأربعين أهمها وهو بعنوان: معرفة تفسيره وتأويله، راجع: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ط ١، بيروت لبنان، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني الحلبي وشركائه، ج ٢، ص ١٤٦.

وثلاثمائة قاعدة للتفسير، منها ثمانين ومائتين قاعدة أصلية، والمائة الأخرى قواعد فرعية، جمعها مما يقرب من خمسة وعشرين ومائتين كتاب، هذه الدراسة هي: [قواعد التفسير جمعا ودراسة] لخالد بن عثمان السبت، وجاءت في مجلدين فيما يقرب من ألف صفحة^١. والثاني: وهو [القواعد الحسان في التفسير]، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، طبعته مكتبة الرشد بالرياض طبعته الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وجاء الكتاب في إحدى وسبعين ومائة صفحة، وجمع فيه إحدى وسبعين قاعدة^٢.

والتأمل للقواعد المجموعة في هذين الكتابين يجد أن كليهما قد جمع القواعد من كتب شتى على رأسها كتب التفسير وما ورد في مقدماتها، وكتب الأصول، واللغة، فهذا خالد السبت يذكر في مقدمته الكتب التي جمع منها هذه القواعد، ونجده جعلها قسمين: "أحدهما نقل جميع ما ورد في الكتب من قواعد وهي: الكتب المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن بفروعه المختلفة، والكتب المتعلقة بأصول الفقه، والكتب المتعلقة بقواعد الفقه، والكتب المتعلقة باللغة، وكتب متنوعة. أما ثانيهما: فنقل منها بعض القواعد المتضمنة فيها"^٣

أما علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن]، فلم أقف على أحد وضع حدودا وقواعد لضبطه غير الدكتور فاضل السامرائي، حيث نجد بعض القواعد متناثرة على استحياء في بعض كتبه، وإليكم ما وقفت عليه من محاولات قديما وحديثا للتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

أولا: ابن الزبير الغرناطي:

لم يضع ابن الزبير قواعد لضبط المتشابه اللفظي، ولم يصرح بأن هناك قواعد يمكنها أن تضبط توجيهه، لكننا نجد في مواطن كثيرة من كتابه [ملاك التأويل] العديد من التوجيهات العامة التي تصلح أن يُبنى عليها قواعد كتلك التي ضبطها السامرائي، ومن تلك التوجيهات ما يلي:

^١ والكتاب طبعته دار ابن عفان طبعته الأولى سنة ١٤٢١هـ.

^٢ آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ط١، الرياض، مكتبة الرشد.

^٣ خالد بن عثمان السبت، ١٤٢٠هـ، قواعد التفسير جمعا ودراسة، ط١، دار ابن عفان، ج١، ص٣-٤..

١ - الإيجاز بالإيجاز والإطناب بالإطناب: هذا التعبير بلفظه وبمعناه تردد مرارا في توجيهات الغرناطي في مواطن عدة من كتابه، وذلك إذا وجه آيتين متشابهتين اختلفتا بوجه زيادة لفظ، أو حرف، أو غير ذلك في آية عن أختها التي تناظرها لفظا، أو تفاوت بناء لفظتين في آيتين متشابهتين، فمن ذلك قوله: "فناسب الإسهابُ الإسهابَ، والإيجازُ الإيجازَ"^١، وقوله: "إن العرب تراعي في أجوبتها ما نيتها عليه من سؤال أو غيره، إن إطالة إطالة، وإن إيجاز إيجاز"^٢، وقوله: "فنوسب الإيجازُ بالإيجاز، والإطنابُ بالإطناب"^٣، وقوله: "فنوسب الإيجازُ بالإيجاز، والطولُ بالطول"^٤، وقوله: "فإيجاز بإيجاز، وإطناب بإطناب مناسبة بين الجواب وما جووب به، وكلُّ على ما يجب، ولا يجوز العكس على ما تمهد، والله أعلم"^٥، وقوله: "فزيدت [ما] في آية [فصلت] مناسبة لما انجر في ذلك المقصود بها من الإطناب والاستيفاء، ولم ترد في آيات السور البواقي لما بنيت عليه من الإيجاز، فجاء كل منهما على ما يلائم ويناسب"^٦، وجدير بنا هنا الإشارة إلى أن القياس على: [الإيجاز بالإيجاز، والإطناب بالإطناب]، لم ينفرد به الغرناطي، بل إنك إن نظرت في مصنفات رجال المتشابه اللفظي، وغيرهم من المفسرين، ورجال البلاغة، ستجد أنهم يعتمدون ذلك القياس، ولسنا في حاجة لإثبات هذا الكلام، إذ أنه أحد أهم بديهيات الفصاحة والبلاغة، ولكني سأسوق مثالا من المحدثين، وهو الدكتور فاضل السامرائي، سنجد أنه يعتمد ذلك القياس، فهذا هو يقول: "ناسب التفصيل التفصيل، والإجمال الإجمال"^٧، وفي موضع آخر يقول: "فناسب العموم العموم، والخصوص الخصوص"^٨، فهذه القاعدة مطردة قديما وحديثا، متفق عليها بين أهل البيان.

^١ الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، تحقيق:

عبد الغنى محمد علي الفاسي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية ج١، ص٤٨.

^٢ المصدر السابق، ج١، ص٢٠٢.

^٣ المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

^٤ المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٤.

^٥ المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٠.

^٦ بتصرف، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٤، ويوجد خطأ في نقل المحقق؛ فبدلا من أن يقول: آية [فصلت] قال آية السجدة.

^٧ السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، الإمارات، الشارقة، مكتبة الصحابة، والقاهرة، مكتبة التابعين، ص١٤.

^٨ المصدر السابق، ص٣١.

٢- توجيه عام بناء على كلام العرب: ذكر الغرناطي تعبيراً لطيفاً عبر به عن بعض عادة العرب في الكلام، قال: "من المفهوم عن العرب أن المستفهم إذا قصد التقرير والتوبيخ أطال كلامه إدلاءً بحجته، وتعنيفاً لمن يخالفه، والمقهور أبداً محصوراً"، ولعل هذه اللفتة الذكية التي أشار إليها الغرناطي تيسر على الباحثين توجيه بعض آيات المتشابه اللفظي محل الاستفهام التي تتفاوت زيادة ونقصاً.

ثانياً: قواعد الأصفهاني:

ثبت عن الأصفهاني أنه ذكر بعض الظواهر العامة التي تعد بمثابة قواعد عامة يمكن القياس عليها، وبالنظر في هذه الظواهر سنجد أنه ليست على إطلاقها فمن ذلك ما يأتي:

قاعدة أفواه:

يقرر الأصفهاني حكماً عاماً، هذا الحكم بمثابة قاعدة عامة، قال: "أفواه جمع: فم، وأصل [فم] فوه، وكل موضع علق الله تعالى حكم القول بالفم بإشارة إلى الكذب وتنبه أن الاعتقاد لا يطابقه"^١، وقد راجعت مواضع تعليق القول بالأفواه في القرآن الكريم - اثني عشر موضعاً - فوجدت صحة ما ذهب إليه الأصفهاني، وها هي تلك المواطن:

١ - ﴿ وَذُؤا مَا عَنَّم قَد بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (آل عمران ١١٨).

٢ - ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران ١٦٧).

٣ - ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ (المائدة ٤١).

٤ - ﴿ يُرْضُونَكَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة ٨).

٥ - ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (التوبة ٣٠).

^١ المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٦.

^٢ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، وبيروت، دار القلم، والدار الشامية، ج ١، ص ٦٥٠.

٦ - ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة ٣٢).

٧ - ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ (إبراهيم ٩).

٨ - ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف ٥).

٩ - ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (النور ١٥).

١٠ - ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب ٤).

١١ - ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس ٦٥).

١٢ - ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف ٨).

وقد وجدت أن كلام الأصفهاني السابق: "كل موضع علق الله تعالى حكم القول بالفم إشارة إلى الكذب وتبنيه أن الاعتقاد لا يطابقه" ينساق وينطبق على لفظ ﴿ ألسنة ﴾ الذي ورد في القرآن في سبعة مواطن؛ إذ يقع كلام الأصفهاني عليها جميعا وقوعا إلا في موطن واحد، وإليكم هذه المواطن:

١ - ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ الْأَسِنَّةَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (آل عمران ٧٨).

٢ - ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالْأَسِنَّةِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ (النساء ٤٦).

٣ - ﴿ وَتَصِفُ أَسِنَّةَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ (النحل ٦٢).

٤ - ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور ٢٤).

٥ - ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَافِرُ سَلَقُوا سَلْقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ (النحل ١٩).

٦ - ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوَاءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (المتحنة ٢).

أما الموطن الوحيد الذي يخالف ما ذهب إليه الأصفهاني فهو قول الله تعالى:

- ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الفتح ٢٤).

وذكر الدكتور أحمد فرحات أن الأصفهاني أثناء شرحه لبعض الكلمات استخلص عددا من القواعد الكلية، وقد استنتج هذه القواعد من تتبعه للاستعمال القرآني للكلمة، ومن هذه القواعد التي ذكرها الدكتور فرحات عن الأصفهاني ما يأتي:

قواعد كلية:

- كل موضع ذكر فيه لفظ [تبارك] فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات.
- كل موضع أثبت الله السمع للمؤمنين، أو نفيه عن الكافرين، أو حث على تحريمه، فالقصد به تصور المعنى التفكر فيه.
- كل موضع مدح الله تعالى بفعل الصلاة، أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة.

قواعد أكثرية:

في بعض الأحيان ينص الراغب على بعض القواعد بأنها الأكثر في الاستعمال لينفي عنها صفة الكلية، ومنها ما يأتي:

- أكثر ما يستعمل [السعي] في الأحوال الحمودة.
- أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه.
- أكثر ما تستعمل الشفاعة في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى.
- أكثر ما ورد الخوض في القرآن فيما يذم الشرع فيه^١.

^١ فرحات، أحمد حسن، معاجم مفردات القرآن مقترحات وموزانات، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ص ١٥-١٦.

إلا أننا نؤكد على هذا الذي أثبتته الدكتور فرحات عن الراغب إنما هو بمثابة ظواهر عامة لا ترقى لأن تكون قاعدة ثابتة، وقد نقض الدكتور فرحات بعض هذه القواعد بإثبات عدم إمكان إطلاقها على كل المواضع.

ثالثاً: قاعدة للشعراوي:

نقل ياسين المجيد قاعدة عن الشيخ محمد متولي الشعراوي من دروسه التلفزيونية قال: "يقول الشيخ متولي الشعراوي: هناك قاعدة في القرآن الكريم في المنهيات المحرمات يستعمل ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾، وفي المحلات ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"^١ وقد تبعت مواطن ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾ ومواطن ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ في القرآن فثبت للباحث ما ذهب إليه الشعراوي، وهذه هي مواطن ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾:

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ (النساء ٤٣)
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام ١٥١).
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام ١٥٢)
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ٣٢).
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الإسراء ٣٦).

أما ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ فقد وقفت على مواطن لها في القرآن، هاهما:

- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا^ج إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٩٠).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا^ج إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة ٨٧).

^١ ياسين المجيد، المبنى والمعنى، ص ١٧٤

رابعاً: الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد^١

وهذا عنوان كتاب لطيف وضعه مؤلفه [فواز بن سعد] للحَفْظَة والقُرْءَاء، واجتهد فيه أن يضبط قواعد تساعد القُرْءَاء والحفظة على عدم الوقوع في الخطأ والنسيان، وقسم هذه القواعد إلى قسمين: قواعد عامة^٢، وقواعد خاصة.

والقواعد الخاصة هي موضع بحثنا، إذ وضع فواز سعد ثماني عشرة قاعدة، ضبط بها الآيات المتشابهات، لتجنب الخطأ والغفلة والنسيان، ولعل بعض هذه القواعد التي ضبطها المؤلف للحفظة والقُرْءَاء يساعد في توجيه بعض مسائل المتشابه اللفظي في القرآن، ويبرز ذلك في كثير من هذه القواعد، وإليكم نبذة حول بعض هذه القواعد:

القاعدة الأولى: [الترتيب الهجائي]

قال فواز سعد يوضح هذه القاعدة: "يسميها البعض [الترتيب الألفبائي]، والمقصود أنك إذا وجدت آيتين متشابهتين فإنه في الغالب تكون بداية الموضوع المتشابه في الآية الأولى مبدوءاً بحرف هجائي يسبق الحرف المبدوء به في الموضوع الثاني من الآية الثانية وبالمثال يتضح المقال"^٣ ثم مضى يعرض نماذج وأمثلة تثبت ذلك، وقد أكثر من التمثيل لهذه القاعدة، ومن الأمثلة التي ساقها: قول الله تعالى: ﴿صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨)، وقوله تعالى: ﴿صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٧١)، فقد اختلفت الآيتان في لفظي: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ و ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ولو تأملنا سنجد اختلاف الحروف بدأ من الحرف الثاني في كليهما، ففي الأولى حرف [الراء] وفي الثانية حرف [العين] والراء تسبق العين في الترتيب الهجائي، وعلى هذا النمط ساق فواز سعد باقي الأمثلة.

^١ الحنين، فواز بن سعد بع عبد الرحمن، ١٤٢٩هـ، الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد، ط ٢، الرياض، مكتبة فهد الوطنية.

^٢ وهي: ١- الإخلاص لله تعالى. ٢- كثرة القراءة والمراجعة الدائمة للقرآن الكريم. ٣- الالتزام بالقراءة في مصحف واحد. ٤- حضور القراءة والذهن حال القراءة. ٥- قراءة كتب المتشابهات وتدوين الفوائد والفوائد والنظر الدائم فيها. ٦- الدراسة على المتقنين والإفادة من علمهم وتجربتهم. ٧- الدعاء والالتجاء على الله بالعون والإتقان. ٨- ترك المعاصي والذنوب. راجع: المصدر السابق، ص ١٨- ٢١.

^٣ المصدر السابق، ص ٢٢.

القاعدة الثانية: [العناية بالآية الوحيدة]

"وتتعلق هذه القاعدة بالمواضع التي تشابه فيها كثير من الآيات حيث يكون بينها تماثل تام عدا آية واحدة تنفرد عنها في جزء من الآية... مع التنبيه على أنه في الغالب تكون الآية الوحيدة هي الآية الأولى بين المواضع المتشابهة"^١.

وقد مثل لهذه القاعدة بعشرين مثالا، منها: "قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام ١١٧)، بدون الباء في [مَنْ] مع الفعل المضارع [يضل] هي الوحيدة في القرآن، وما عداها بالباء مع الفعل الماضي [ضل] كما في النحل والنجم والقلم"^٢.

القاعدة الثالثة: قاعدة [الواو قبل الفاء]

وهذه القاعدة تتعلق بالآيات المتشابهات وتبدأ بالعطف إما ب [واو] أو [فاء]، فالقاعدة أن الأغلبية في القرآن الكريم أن الأسبقية تكون للآيات التي تبدأ بالواو قبل الفاء، وهذه القاعدة — كما أشار المؤلف — لها مستثنيات قليلة. وقد مثل لهذه القاعدة بعشرين مثالا، منها: "قول الله تعالى: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ (الأنعام ١٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ (الزمر ٧٤)"^٣.

القاعدة الخامسة: [الضبط بالزيادة للموضع المتأخر]

كثير من الآيات المتشابهة يكون بالموضع المتأخر منها فيه زيادة على المتقدم وقد يأتي خلاف ذلك، ولكننا كما أشرنا نضبط الأكثر ونترك المستثنى الأقل. وقد مثل لهذه القاعدة بتسعة عشر مثالا من القرآن، أولها: قول الله تعالى في قصة صالح عليه السلام في سورة الشعراء: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (الشعراء ١٥٤)، وجاء بعدها في قصة شعيب عليه السلام ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (الشعراء ١٨٦)"^٤.

^١ المصدر السابق، ص ٢٥.

^٢ المصدر السابق، ص ٢٧ - ٢٨.

^٣ بتصرف، المصدر السابق، ص ٣١ - ٣٥.

^٤ المصدر السابق، ص ٤٦.

القاعدة السادسة: [العناية بما تمتاز به السورة]

كثرة دوران الكلمة أو الجملة في السورة، وقد مثل لذلك ببعض السور التي تميزت بخصيصة عن غيرها مثل:

- دوران كلمة [أرسل] وما اشتق منها في سورة الأعراف، مثل: [من المرسلين، فأرسلنا، أن أرسل، يرسل، ...] ^١ وهكذا.
- كثرة دوران كلمة [الظلم] وما اشتق منها في سورة الأنعام مثل: [يظلمون، أظلم، بظلم، الظالمون، ظلموا، ...] ^٢.
- كثرة دوران [أهل الكتاب] في المائدة، و[أهل القرى] في الأعراف.

وساق المؤلف لتلك القاعدة أمثلة عديدة وأنماط متنوعة من السور التي اختصت بدوران لفظ ما أو تركيب ما.

والمأمل في القواعد التي بناها فواز سعد سيجد أنه اعتمد اعتمادا كبيرا على كتب المتشابه اللفظي للقدمي في ضبط هذه القواعد، فمن ذلك قاعدة [العناية بما تمتاز به السورة] فيما يعنى باختصاص سورة بدوران كلمة ما ومشتقاتها قال فواز سعد في: كثرة دوران كلمة [العمل] وما اشتق منها في سورة الجاثية، ودوران كلمة [الكسب] وما اشتق منها في سورة الزمر: "ومن ثم لا تخلط بين قول الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ (الجاثية ٣٣)، مع قوله تعالى في الزمر: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ (الزمر ٤٨)، قال الكرمانى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ وقع بين قوله تعالى: ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر ٥٠). فناسب، أما الجاثية فقد وقع قوله تعالى: ﴿ فَاَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الجاثية ٣٠)، بين قوله تعالى: ﴿ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ (الجاثية ٣٣)، فنحصت كل سورة بما اقتضاه ^٣.

^١ المصدر السابق، ص ٥٣.

^٢ المصدر السابق، ص ٥٣.

^٣ المصدر السابق، ص ٥٤.

وفي نفس القاعدة وفيما يخص كثرة دوران كلمة [جعل] في سورة الزخرف وجّه فواز سعد مسألة اختصاص آية طه: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (طه ٥٣) ب ﴿ وَسَلَكَ ﴾ واختصاص آية الزخرف: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (الزخرف ١٠) ب ﴿ وَجَعَلَ ﴾ قال: "والضابط أن الآية الثانية في سورة الزخرف لكثرة دوران [جعل] في السورة وما اشتق منها"^١، ولو رجعنا إلى [ملاك التأويل]^٢ للغرناطي، و[البرهان]^٣ للكرماني، و[فتح الرحمن]^٤ للأنصاري، سنجد أنهم قد نوهوا إلى مثل ذلك في توجيههم لهذه المسألة.

ويبرز بوضوح تأثر فواز سعد بالقدمي في استنتاجه لهذه القواعد باعتماده على توجيهات علماء المتشابه اللفظي السابقين في مواطن عديدة من كتابه، وإن شئت فراجع اختصاص سورة النحل بحذف النون في [لم يك ، لا تك]^٥، وراجع مسألة اختصاص سورة هود بالعطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ (هود ٦٦ و ٨٢) وفي غيرها العطف بالواو^٦.

ونكتفي بما تقدم من التفصيل الموجز في القواعد التي ضبطها المؤلف، وإليكم رءوس هذه القواعد:

القاعدة الرابعة: الضبط بالربط بين الموضع المتشابه واسم السورة

القاعدة السابعة: الضبط بالحصر

القاعدة الثامنة: الضبط بالجملة الإنشائية.

القاعدة التاسعة: الضبط بجمع الحرف الأول من أوائل الكلمات المتشابهة.

القاعدة العاشرة: الضبط بالشعر.

القاعدة الحادية عشرة: الضبط بربط الكلمة المتشابهة مع اسم السورة بالحركات.

القاعدة الثانية عشرة: الضبط بالتنكير والتعريف

^١ المصدر السابق، ص ٥٥.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٣٤١.

^٣ الكرماني، ١٩٩٧م، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ١١٥.

^٤ الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص ١٩٧.

^٥ فواز سعد، الضبط بالتقيد، ص ٥٩.

^٦ المصدر السابق، ص ٥٩.

القاعدة الثالثة عشرة: الربط بين السورتين فأكثر
القاعدة الرابعة عشرة: الضبط بربط الزيادة بالآية أو السورة الطويلة
القاعدة الخامسة عشرة: الضبط بالتأمل للمعنى في الموضع المتشابه
القاعدة السادسة عشرة: الضبط بمعرفة موضع الآية في المصحف
القاعدة السابعة عشرة: الضبط بالصورة الذهنية
القاعدة الثامنة عشرة: الضبط بالمجاورة والموافقة.

ولا يحتاج الناظر في تفصيلات هذه القواعد لطول نظر حتى يرى أن المؤلف لم يعمم هذه القواعد، وإنما كان في أكثر القواعد التي ضبطها يشير صراحة إلى أن ذلك هو الغالب، وأن للقاعدة استثناءات لكن البناء على الأكثر وليس على المستثنى، وقد مر بنا بعض هذه الإشارات في التُّقُول التي نقلناها عن كتاب فواز سعد، فلم يزعم أنها قواعد ثابتة، تجري على كل النماذج والأمثلة المشابهة، بل هو الكثير الغالب.

المطلب الثاني: قواعد السامرائي:

يجدر بي أن أشير إلى أنني لست أول من وقف عند القواعد التي وضعها الدكتور فاضل السامرائي، فقد سبقني إلى ذلك ابنه الدكتور محمد فاضل السامرائي، إذ أشار إلى بعض هذه القواعد في مواطن عديدة من كتابه [دراسة المتشابه اللفظي]، وكذلك الدكتور محمد الصامل صاحب كتاب [من بلاغة المتشابه اللفظي]، إذ أشار مرتين أو ثلاثاً في كتابه إلى بعض قواعد السامرائي، ويأسين المحيد الذي أشار إلى ذلك في [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات].

وجدير بنا قبل أن نخوض في جمع هذه القواعد وعرضها أن نشير إلى أن السامرائي لم يدع أن هذه القواعد سائرة منضبطة انضباطاً تاماً، بل إنه ألمح في أكثر من موطن إلى أنها قد لا تنضبط مع كل الشواهد، وأن الأصل في القياس والوقوف على الأسرار هو السياق الذي وقع فيه الشاهد، وهذه حقيقة واقعة، فالضابط الأول لمعنى لفظ ما في الآية هو السياق الذي سيق فيه اللفظ، والسياق الذي سيق في الآية، وإليكم بعض ما وقفنا عليه من القواعد التي أشار إليها السامرائي في بعض كتبه:

١ - قاعدة [فَعَّلَ - أَفْعَلَ]

ينكر السامرائي على القائلين باتفاق لفظتين في المعنى، وقد اختلفتا مبني، فهو يرى أن كل لفظة ذات معنى خاص بها، اقتضاه الاختلاف في المبني، فاختلفا المبني -لابد- يتبعه اختلاف المعنى، وهذا ليس قول السامرائي وحده، بل إنه قول الجمهور من متقدمي علماء الأمة ومتأخريهم.

وقد أقر محمد فاضل السامرائي قاعدة عن أبيه فاضل السامرائي حول الفعلين [نَجَى - أَنْجَى] قائلا: "ويضع الدكتور فاضل السامرائي قاعدة في الاستعمال القرآني للفعلين [نَجَى - أَنْجَى] ولكن هذه القاعدة ليست بناء على ما تفيده صيغة [فَعَّلَ] من المبالغة والتكثير فيقول: إن القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل [نَجَّى] للتلبث والتمهل في التنجية ويستعمل [أَنْجَى] للإسراع فيها، فإن [أَنْجَى] أسرع من [نَجَّى] في التخليص من الشدة والكرب"^١.

وقد بحث فاضل السامرائي ودرس صيغتي [فَعَّلَ - أَفْعَلَ] في القرآن، وقال على رأس بحثه لهما: "قد يرد في القرآن الكريم [فَعَّلَ - أَفْعَلَ] بمعنى واحد، أو كأنهما بمعنى واحد، مثل: [نَجَى - أَنْجَى] و[نَبَأ - أَنْبَأ] و[نَزَلَ - أَنْزَلَ] ونحن نحاول أن نتلمس الفرق بينهما في الاستعمال القرآني"^٢، ويمكننا أن نخلص من دراسة السامرائي لصيغتي [فَعَّلَ - أَفْعَلَ] بتوجيه عام لعله يكون مطردا في كثير من مواطن هاتين الصيغتين [فَعَّلَ - أَفْعَلَ]، فقد استنتج السامرائي القاعدة التالية:

١ - صيغة [فَعَّلَ] غالبا ما تدل على المبالغة في الحدث، والتكثير منه، والمداومة عليه، ويكثر استعمالها في الأمور المعنوية غير المادية، كما تستعمل فيما هو أهم وأكد مما استعمل فيه [أَفْعَلَ].

٢ - وصيغة [أَفْعَلَ] غالبا ما تدل على الإسراع في الحدث، وحدثه جملة واحدة، ويكثر استعمالها في الأمور المادية.

^١ السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة التشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، دار عمار للنشر، ص ١٠٤.

^٢ السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ص ٥٨.

وقد درس فاضل السامرائي العديد من آيات المتشابه اللفظي التي تفاوتت فيما بينها في هاتين الصيغتين، فقد بدأ بدراسة أمثلة عامة من خارج القرآن مقارنا بين دلالة الصيغتين، ثم درس [كَرَّمَ - أَكْرَمَ]، و[وَصَّى - أَوْصَى]، وساق أمثلة عديدة لصيغتي [نَزَّلَ - أَنْزَلَ]، كما أكثر من نماذج وأمثلة [بَجَّى - أَبْجَى]، إلا أنه لم يدَّع أن القاعدة التي بناها لهاتين الصيغتين مطردة تنطبق على كل الآيات، فبعد أن قرر القاعدة حول الفعلين [بَجَّى - أَبْجَى] وأثبتها، مضى يدل على صحتها وأطرادها بأمثلة ونماذج من آيات عديدة، ثم قال: "إن ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام، فقد يتطلب المقام ذكر الإسراع في النجاة، فيستعمل [أَبْجَى] وقد لا يتطلب ذلك، فيستعمل [بَجَّى]، وكل ذلك صحيح، فقد نستطيل أمرا، وقد نستقصر، بحسب المقام، فقد تقول في مقام [الدنيا طويلة]، وقد تقول في مقام آخر [الدنيا قصيرة] ولكل مقام مقال"^١

ثم مضى يدل على ذلك بالمزيد من الأمثلة والنماذج. فها هو لم يجعل القاعدة مُطَّرَدَةً، بل جعل السياق هو المتحكم في دلالة كل من الصيغتين، فتتبدل القاعدة وتتغير بتغير السياق.

وفي موضع آخر ألمح فاضل السامرائي إلى عدم أطراد هذه القاعدة وذلك حين بدأ توجيه أمثلة ونماذج الفعلين [نَزَلَ - أَنْزَلَ] قال: "والذي يبدو أن استعمال [نَزَلَ] قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة"^٢، فإن تعبير الدكتور فاضل [الذي يبدو] يدل دلالة أكيدة على أنه لم يعمم ذلك، ولا يرى تعميمه.

يؤكد ذلك أن الفعل [أَنْزَلَ] ورد في القرآن يحتمل الدلالة على التفريق والتنجيم؛ ولم يقف عند الدلالة على النزول جملة واحدة، إذ أن القرآن جاء مفعولا به للفعل [أَنْزَلَ] في مواضع عدة من القرآن، والتي منها^٣: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران ٧).

٣- الاقتطاع من الفعل دلالة على الاقتطاع من الحدث:

يقرر السامرائي عدة حقائق هي بمثابة قياس عام، ومن ذلك قوله: "إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال: أنه يحذف من

^١ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٦٨.

^٢ المصدر السابق، ص ٦٠.

^٣ آل عمران ٤، وآل عمران ٧، والنساء ١٠٥، والنساء ١١٣، وغيرها.

الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورته^١، وفي توجيهه لإثبات ياء المتكلم وحذفها في ﴿ كِيدُونَ ﴾ في قول الله تعالى:

﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ ﴾ (الأعراف ١٩٥).

﴿ مِنْ دُونِهِ ۚ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴾ (هود ٥٥).

قال: "فذكر الياء في هود لأن الياء أطول من الكسرة، وحذف الضمير واجتزأ بالكسرة في الأعراف، فناسب بين طول الكلمة والسياق، فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل، والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ"^٢، وقد أكثر السامرائي من التمثيل لإثبات أن الفعل يقتطع منه دلالة على الاقتطاع من الحدث، إلا أن ذلك الأمر لا يُسَلَّم له فيه تسليماً، إذ أن السياق هو الفيصل في ذلك، فمن الأمثلة التي ساقها لتقرير الاقتطاع من بناء الفعل لاقتطاع من الحدث والتي لا نوافقها الرأي فيها، توجيهه لإثبات التاء وحذفها في الفعل ﴿ تَوَفَّيَهُمْ ﴾ في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ (النساء ٩٧).

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (النحل ٢٨).

قال: "في آية النساء ﴿ تَوَفَّيَهُمْ ﴾ بحذف إحدى التاءين، وقال في سورة النحل: ﴿ تَتَوَفَّيَهُمْ ﴾ من دون حذف؛ ذلك أن المتوفين في سورة النساء هم جزء من الذين هم في النحل، فالذين في النحل هم الذين ظلموا أنفسهم من الكافرين على وجه العموم، أما الذين في النساء فهم المستضعفون منهم، فهم قسم منهم، فلما كان هؤلاء أقل، حذف من الفعل إشارة إلى الاقتطاع من الحدث، وإلى قِلَّتِهِ بالنسبة إلى الآخرين، فقال في القسم

^١ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٩.

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٨١.

الأكبر ﴿ تَتَوَفَّاهُمْ ﴾ وقال في القسم القليل ﴿ تَوَفَّاهُمْ ﴾ بحذف إحدى التاءين،
فناسب بين الفعل وكثرة الحدث^١.

وما ذهب إليه السامرائي في هذا التوجيه يَرُدُّهُ أَنَّ ﴿ تَتَوَفَّاهُمْ ﴾ جاءت في
موضع آخر من سورة النحل دالة على القلة، وليس على الكثرة، لكنها مستعملة مع
صنف آخر غير الذين وردوا في الموضع الذي وجهه السامرائي وهو: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(النحل ٣٢).

فمن المعلوم أن هذا الصنف والذي يدخل الجنة على هذه الحال أقل بكثير بالمقارنة
مع جملة البشر الذين سيدخلون النار، وقد تواتر في الحديث مما رواه الشيخان وكتب السنة
ما يدل على ذلك^٢، وقد استعمل معهم ﴿ تَتَوَفَّاهُمْ ﴾ على قلة عددهم بالمقارنة مع
الصنف الآخر، إلا أننا يمكننا القول أن القرآن استوفى بناء الفعل في هذا الموطن إكراما
لهؤلاء الذي يدخلون الجنة طيبين، والله أعلم.

وجددير بالذكر هنا أن نشير إلى أن السامرائي لم يطلق ذلك إطلاقاً مقررًا به قاعدة،
بل إنه جعله من ظواهر التعبير القرآني، والظاهرة ليس حرياً أن تنطبق على كل الأمثلة،
قال: "من الظواهر التعبيرية في القرآن الكريم أنه إذا كان الحدث دون الاكتمال اقتطع من
حروفه، وإذا كان حدثان بعضهما أطول من بعض، أو كان وقوعه أكثر اقتطع مما هو
أقصر"^٣

^١ السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص ١١.

^٢ جاء في البخاري ومسلم: "حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعُيَيْبِيُّ حَدَّثَنَا حَرِيْرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا آدَمُ فَتَقُولُ كَيْفَ وَسَعْدَيْكَ وَالْحَيُّ فِي يَدَيْكَ - قَالَ - يَقُولُ أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ. قَالَ وَمَا بَعَثَ النَّارَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَلِكَ جِئْنَ يَشِيْبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ». قَالَ فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ « أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ تَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ مَلَكَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقَمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ » رواه الشيخان: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ج ٥، ص ٢٣٩٢، رقم: ٦١٦٥ / مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ١٣٣٤ هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجليل، بيروت، ج ١، ص ١٣٨، رقم: ٤٥٢.

^٣ السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، الإمارات، الشارقة، مكتبة الصحابة، والقاهرة، مكتبة التابيعين، ص ١٦٦.

٤ - قاعدة [يَفْعَل - يَتَفَعَّل]:

يقرر محمد السامرائي في هاتين الصيغتين قاعدة عن أبيه قائلا: "وللدكتور فاضل السامرائي قاعدة للتفريق بين صيغتي [يَفْعَل - يَتَفَعَّل] في الاستعمال القرآني، وهي أنه: "إذا اجتمعت صيغتان من هذا البناء [يَفْعَل - يَتَفَعَّل] استعمل [يَتَفَعَّل] لما هو أطول زمنا من [يَفْعَل] وذلك لأن الفك أطول زمنا في النطق كما ذكرنا، فهو ملائم للطول في الحديث... وما كان على وزن [يَفْعَل] يأتي به القرآن فيما يحتاج إلى المبالغة في الحدث، ذلك لأن التضعيف كثيرا ما يؤتى به للمبالغة"^١

وتلك القاعدة التي أشار إليها محمد فاضل قد قررها السامرائي كحقيقة قرآنية تعد قياسا عاما حول هاتين الصيغتين [يَفْعَل - يَتَفَعَّل]، فبعد أن أبان المقاطع الصوتية، والدلالة اللفظية، للبناء الصرفي لكل من هاتين الصيغتين، قال: "وكذلك الأمر في القرآن الكريم... فإنه يستعمل بناء [يَتَفَعَّل] لما هو أطول زمنا، وقد يستعمله في مقام الإطالة والتفصيل، ويستعمل [يَفْعَل] للمبالغة في الحدث والإكثار منه"^٢.

وقد قرر هذه القاعدة بشكل أعم ياسين المجيد نقلا عن السامرائي قائلا: "هناك قاعدة في القرآن الكريم: لَمَّا يكون الفعل زمنه أطول، ويستدعي نظرا أطول، والحدث أطول، يذكر، ويفك الإدغام، فيستعمل الفعل الطويل، وَلَمَّا يكون الوقت ضيقا، والحدث ضيقا، ويكون الفعل الضيق، فيحذف، أو يدغم، أو يُضَعَّف"^٣

وقد ساق السامرائي أمثلة عديدة يثبت بها ويقرر ذلك المبدأ الذي وقف عليه، ومنها ما يلي، قول الله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (النساء ٨٢).

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد ٢٤).

^١ السامرائي، محمد، دراسة المتشابه في ملاك التأويل، ص ١١٤.

^٢ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٣٨ - ٣٩، بتصرف.

^٣ ياسين المجيد، عبد المجيد، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون ٦٨)

قال: "فقال في الآيتين الأوليين ﴿ يَتَدَبَّرُونَ ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ يَدَّبَّرُوا ﴾ ذلك أن المقام في الآيتين الأوليين يحتاج إلى طول التدبر والتأمل، وأن المقام في الآية الأخرى يحتاج إلى عمق في التدبر ومبالغة فيه"¹... ثم يقول: "هذا علاوة على أنه قال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ ولم يقل: [أفلم يدبّروا القرآن] كما قال في الآيتين الأخرين، والقول قد يشمل الآية والآيتين منه، فدعاهم إلى تدبر القول، وهذا يتطلب وقتاً أقصر من تدبر عموم القرآن، فلما قصر من المتدبر قصر من التدبر، ولما أطال في الآيتين الأخرين فجعله القرآن كله أطال البناء والله أعلم"²

وفي هذا النحو قال محمد فاضل السامرائي مقرراً قاعدة عن أبيه: "وللدكتور فاضل السامرائي قاعدة مطردة للتفريق بينهما ﴿ يَذْكُرُ ﴾، ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ يشمل هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات التي ذُكِرَ فيها هذان الفعلان وهي أن القرآن الكريم استعمل ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ للتذكر العقلي ولما يحتاج إلى طول وقت، واستعمل ﴿ يَذْكُرُ ﴾ لما كان فيه هزة للقلب وإيقاظ له ولما كان فيه مبالغة وقوة في التذكر"³

والحق أن الدكتور فاضل السامرائي لم يجعل ذلك مطرداً في ﴿ يَذْكُرُ ﴾، ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ فقط، بل إنه يكاد يجعل ذلك في الصيغة الصرفية [يَفْعَل - يَتَفَعَّل] عامة؛ فما كان على [يَتَفَعَّل] كان للظاهر من الأمور، كطهارة البدن في مثل: ﴿ يَتَطَهَّرُوا ﴾، وطهارة القلب في ﴿ يَطَهَّرُوا ﴾⁴، وفي الفعل ﴿ يَتَرَكَّى ﴾ قال أنه مقرون بإيتاء المال، أما ﴿ يَزَكِّي ﴾ فمقرون بالخشية⁵، واستعمل ﴿ يَتَذَكَّرُ ﴾ للتذكر العقلي ولما يحتاج إلى طول الوقت، أما ﴿ يَذْكُرُ ﴾ فلما كان فيه هزة للقلب⁶.

¹ السامرائي، بلاغة الكلمة، ص ٤٢.

² المصدر السابق، ص ٤٤.

³ السامرائي، محمد، دراسة التشابه في ملك التأويل، ص ١١٦.

⁴ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٤٦، بتصرف.

⁵ المصدر السابق، ص ٤٤، بتصرف.

⁶ المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٩، بتصرف.

إلا أننا لا نُسلِّم أن ذلك مطرد في كل منازل هاتين الصيغتين، بل إن السياق هو الذي يصبغ الصيغة بالدلالة التي تناسبه، فإننا نجد ﴿يَتَرَكِي﴾ غير مقترنة بما ذهب إليه السامرائي من اقترانه بإيتاء المال، كما نجد دالة دلالة واضحة جلية على معنى قلبي، ونجد ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۗ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر ١٨)، والله أعلم.

٥ - تعدي الإيمان باللام والباء:

للسامرائي نكتة رائعة وملاحظة دقيقة، قال: "إذا رأيتَ الإيمان مُعدِّي باللام فاعلم أنه لغير الله، فإنه لا يعديه مع الله إلا بالباء، نحو قوله: ﴿حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُرَ﴾ (المتحنة ٤)، وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف ١٢١)، وفي القرآن عدي [آمن] باللام مع الأشخاص غالباً، وذلك نحو قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ٦١)، وربما استعمله مع غير الأشخاص نادراً وذلك نحو قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا نَقْرُهُرَ﴾ (الإسراء ٩٣)".^١

^١ المصدر السابق، ص ٧٥

المطلب الثالث: هل يمكن ضبط قواعد محددة يقاس عليها توجيه المتشابه اللفظي؟

إن الاجتهاد في ضبط المتشابه بقواعد أمر محمود، لا بأس به، لكن بالبحث في القواعد التي أشرنا إليها سلفا وجدنا أن هذه القواعد غير مطردة، ولا تضبط كل الأمثلة التي تدخل تحتها، إنما المؤثر والموجه الأول للآية هو المنزل الذي نزلت فيه، والسياق الذي درجت فيه، هذا السياق يختلف من منزل لآخر، فأنتي لنا أن نضع قاعدة لآيات ما، نزلت في منازل شتى، تضبط توجيهها في منازلها جميعا، إن ذلك أمر غير وارد.

لعل السامرائي بقواعده التي حاول أن يرسم بها حدودا لبعض الآيات التي اشتركت في جانب أو أكثر، قد قدم ما ييسر علينا توجيه بعض الآيات، لكن تلك القواعد التي ضبطها لم يدع السامرائي أنها مُطَرَّدة في كل المواطن.

ولا يحسنُ بالباحثين في توجيه المتشابه اللفظي أن يبالحوا في التعميد لتوجيه المتشابه اللفظي، إذ لا يمكن ذلك على إطلاقه، إننا قد نحدد للتفسير أنواعا، من تفسير بالرواية والأثر، وبالدراية والرأي، وإشاري، وعلمي، ويمكننا أن نضع ضوابط عامة للتفسير، وضوابط عامة يجب توافرها في المفسر ذاته قبل أن يهتم بالتفسير، لكننا لا يمكننا أن نضع للقرآن الكريم سورة وآياته قواعد كقواعد اللغة تضبط تفسيره ضبطا، كذلك توجيه المتشابه اللفظي، لا يمكننا أن نضبطه بقواعد، إذ أن الآيات المتشابهات جزء من كتاب الله العزيز، الذي يطلع علينا ما بين الفينة والأخرى بالجديد اللطيف، فالقرآن الكريم قدس في ذاته، جديد متجدد في روحه ومعانيه، فإن من أعظم إعجاز هذا الكتاب تجدده بتجدد الأزمان، وكأن ما بقي من أسرار القرآن ومكنوناته أكثر مما كُشِفَ لنا، وكأن ما خفي منه أكثر مما وقفنا عليه من أسرار ومعارف وعلوم، فبين حين وآخر يوجد هذا الكتاب -بِقَدْر- بما يشاء على مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا وَفَضْلًا، فَيَمُنُّ اللهُ عَلَيْهِ بِبَعْضِ فُيُوضُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

لذا لم يكن محمد فاضل السامرائي موفقا حين قرر قاعدة عن أبيه لم يقرها أبوه، وذلك في توجيه الفرق بين ﴿يُشَاقِقُ﴾ و ﴿يُشَاقِقُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ (النساء: ١١٥)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وَمَنْ

يُشَاقُّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ (المشرء)، قال محمد فاضل: "وقد وُضِعَتْ قاعدة في التفريق بينهما - ﴿يُشَاقُّ﴾ و ﴿يُشَاقِقُ﴾ - وهي أنه" وإلى هنا انتهى كلام محمد السامرائي، وبدأ النقل عن أبيه فاضل السامرائي: "يستعمل الفك حيث ورد ذكر الرسول، وحيث لم يرد ذكر الرسول بل ورد ذكر الله وحده أدغم... ولعل - [والصحيح لعله] ١ - وَحَدَّ الحرفين في حرف واحد؛ لأنه ذكر الله وحده، وفكهما وأظهرهما؛ لأنه ذكر الله ورسوله فكانا اثنين" ٢ ولو رجعنا إلى المصدر نجد أن فاضل السامرائي قال: "لعله وَحَدَّ الحرفين في حرف واحد لأنه ذكر الله وحده، وفكهما وأظهرهما .." ٣، فلم يصرح بكلمة قاعدة، ولم يشر إلى أن ذلك حقيقة دارجة، بل إنه قال: "لعله" فكأنه رأيي رآه ورجحه، ولم يطلقه، ولم يجعله قاعدة. أضف إلى ذلك، أن ذلك لا يصلح أن يكون قاعدة هنا لأمرين:

الأول: في موطن آخر جاء الفعل ﴿تُحَادِدُ﴾ و ﴿تُحَادُّونَ﴾ بالفك والإدغام مع العطف، وذلك في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن تُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ (التوبة ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبَتْ لَهُمْ كِتَابَاتٌ خَالِدًا فِيهَا﴾ (المجادلة ٥).

الثاني: أنه لم يفك الإدغام في الماضي ﴿شَاقُّوا﴾ في قوله تعالى: ﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهو جائز.

ويمكننا أن نحدد الأسباب التي تحول دون وضع قواعد محددة مطلقة تضبط توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وهي ما يلي:

١ - الآيات المتشابهات لفظاً جزء من القرآن الكريم الذي لم يقعد في تفسير آياته أحد إلى اليوم، إذ لا يمكن ذلك، فيمكن وضع ضوابط عامة لتفسير القرآن، وشروط يجب

١ إذ ترك محمد فاضل الضمير، فالصحيح [لعله] وقد وردت كذلك في كتابين لأبيه الدكتور فاضل: التعبير القرآني، طبعة دار ابن عمار، ط ١، سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عمان، الأردن ص ١٦، وفي كتاب: الجملة العربية والمعنى، طبعة دار ابن حزم، ط ١، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠، بيروت لبنان، ص ٢٦٢.

٢ السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي في ملاك التأويل، ص ١١٣، بتصرف.

٣ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ١٦. / والجملة العربية والمعنى، ص ٢٦٢.

تحققها في المفسر، أما أن نضع قواعد تضبط تفسير عدد ما من الآيات، بينها رابط ما، فلا يمكن ذلك.

٢- الآيات المتشابهات وإن تشابه لفظها، فإن الآية تحمل معنى جديداً آخر في كل منزل تنزله.

٣- السياق الذي تنزل فيه الآيات المتشابهات هو صاحب الأثر الأول في تحديد المعنى الذي تحمله الآية.

٤- قد تتفق بعض مواطن التشابه اللفظي في بعض الجوانب اللغوية الصرفية الدلالية بما يوحي أن هناك ضابطاً ما يجمعها، لكن حقيقة لا يمكن إطلاق هذا الضابط، فيكون عاماً لكل المواطن، وما ذلك إلا لاختلاف السياقات التي سيقت فيها الآيات المتشابهات.

٥- اختلاف الرؤى والنواظر، فما يراه أحد العلماء، قد لا يوافق فيه غيره، فيرى رأياً آخر، وهذا قائم؛ إذ تتسع دائرة تفسير كتاب الله العزيز يوماً بعد يوم، فيكشف عن بعض مكنونه وأسراره من حين لآخر، لذا لا يمكن ضبط قاعدة لتوجيه الآيات المتشابهات، وهي بعض أسرار هذا الكتاب.

٦- الكثير من آيات التشابه اللفظي تدخل تحت التشابه الذي هو ضد المحكم، إذ لم يستطع أحد أن يكشف عن أسرارها ومكنونها، وقد تقدمت الإشارة إلى أن أبا البقاء قد صرح بذلك في كلياته، كما صرح بذلك أيضاً الدكتور فاضل السامرائي في لقاء الباحث معه.

بين الغرناطي والسامرائي

الفصل الأول: التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه.

المبحث الأول: التشابه والاختلاف في بنية الأفعال.

المبحث الثاني: التشابه والاختلاف في بنية الأسماء.

المبحث الثالث: التشابه والاختلاف بالتوكيد وعدمه.

الفصل الثاني: التشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ.

المبحث الأول: تقديم وتأخير جملة على جملة أخرى.

المبحث الثاني: تقديم وتأخير شبه جملة على شبه جملة أخرى.

المبحث الثالث: تقديم وتأخير كلمة على أخرى.

الفصل الثالث: التشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل

المبحث الأول: التشابه والاختلاف بالإبدال.

المبحث الثاني: التشابه والاختلاف بالذكر والحذف.

المبحث الثالث: تشابه واختلاف الفواصل.

الفصل الأول:

التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه

المبحث الأول: التشابه والاختلاف في بنية الأفعال

المطلب الأول: ما بين صيغتي [أَفْعَل ، فَعَل]

وجه الغرناطي لهاتين الصيغتين ثلاثة مواضع في كتابه، ووقف السامرائي عند هذه المواضع الثلاثة بالتوجيه مرة أخرى، مع الاستعانة بتوجيه الغرناطي، إلا أن السامرائي زاد مواضع أخرى على نفس وزن الصيغتين.

والمتمامل لتوجيه الرجلين لمواطن هاتين الصيغتين يلاحظ أن السامرائي بدأ من حيث انتهى الغرناطي، فرفع السامرائي البناء الذي أسس له الغرناطي، بإضافته التي زادها على توجيهات الغرناطي، وبتوجيهه مواضع جديدة لهاتين الصيغتين [أفعل ، فعل] لم يقف عندها أحد من علماء توجيه المتشابه اللفظي. كما كان للسامرائي خاصة حول هاتين الصيغتين لفتات بارعة، واستنتاجات باهرة.

وسوف نقف هنا عند المواضع الثلاثة التي اشترك كل من الغرناطي والسامرائي في وضع بنائها، وهي:

المسألة الأولى:

قول الله تعالى في مطلع آل عمران ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (آل عمران ٣) وجه كل من الغرناطي والسامرائي سبب تخصيص الكتاب بلفظ ﴿ نَزَّلَ ﴾ المضعف، وتخصيص التوراة والإنجيل بلفظ ﴿ أَنْزَلَ ﴾.

أما الغرناطي:

فقد ذهب مذهبا لطيفا أجمع عليه الكثير من المفسرين^١ وهو: "أن لفظ ﴿ نَزَّل ﴾ يقتضي التكرار لأجل التضعيف ... فقلوه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيده حسب الدعاوي، وأنه لم ينزل دفعة واحدة، أما لفظ ﴿ أَنْزَلَ ﴾ فلا يعطي ذلك إعطاء ﴿ نَزَّل ﴾ وإن كان محتملا، وكذا جرى في أحوال هذه الكتب، فإن التوراة إنما أوتيتها موسى ﷺ جملة واحدة في وقت واحد .. أما الكتاب العزيز فنزل مقسطا من لدن ابتداء الوحي .. إلى آخر عمره ﷺ^٢

أما السامرائي:

فقد بدأ توجيهه لمواطن هاتين الصيغتين بتوجيه عام للدلالة الصرفية لكل منهما؛ إذ أن للتضعيف في [فعل] دلالة ليست في [أفعل]، حيث "يفيد التكرير والمبالغة نحو قطع، وكسّر، وسعّر"^٣، "ومنه [نزل، أنزل] فقد ذهب جماعة إلى أن [نزل] يفيد التدرج والتكرار، وأن الإنزال عام، وقيل: إن ذلك هو الأكثر وليس نصا في أحد المعنيين، ولذلك سمي الكتاب العزيز تنزيلا، لأنه لم ينزل جملة واحدة"^٤، ثم عرض السامرائي بعد ذلك رأي وتوجيه الغرناطي للمسألة، ثم خلص إلى أن الفعل المضعف "﴿ نَزَّل ﴾ يمكن أن يستعمل لأكثر من معنى، فإن هذا الفعل قد يكون للتدرج والتكرير، وقد يكون للمبالغة والاهتمام، فما استعمل فيه ﴿ نَزَّل ﴾ يكون أهم وأكد مما استعمل فيه ﴿ أَنْزَلَ ﴾"^٥ وقد أثبت ذلك بتقديم نماذج عامة من اللغة، ونماذج وشواهد من القرآن الكريم. ومن هنا نجد أن السامرائي قد وافق الغرناطي في توجيهه لمسألة سبب اختصاص الكتاب بـ ﴿ نَزَّل ﴾، وتخصيص التوراة والإنجيل بـ ﴿ أَنْزَلَ ﴾، من أن الفعل ﴿ نَزَّل ﴾ يفيد التدرج والتكرير أو التكرار، وزاد السامرائي إمكان دلالة هذا الفعل على الاهتمام والمبالغة، كما زاد

^١ الألويسي، ج ٢، ص ٧٤-٧٥ / فتح القدير، ج ١، ص ٥٢٤ / زاد المسير، ج ١، ص ٣٤٩ / الرازي، ج ٧، ص ١٣٠ / البقاعي، ج ٢، ص ٩ / البيضاوي، ج ٢، ص ٥ / النسفي، ج ١، ص ٢٣٦ / النيسابوري، ج ٢، ص ١٠١ / الكشف، ج ١، ص ٣٦٤ / الخازن، ج ١، ص ٢٢٤ / التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٤٨.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٧٦.

^٣ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٥٨.

^٤ وقع هنا في كتاب [بلاغة الكلمة] خطأ، أظنه سهوا أو خطأ مطبعيا، فقد ورد الفعل بالألف [أنزل] والسياق يدل على أنه [نزل] بالتضعيف. راجع الطبعة الثانية للكتاب التي طبعتها شركة العاتك بالقاهرة سنة ٢٠٠٦م.

^٥ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٥٩.

^٦ المصدر السابق، ص ٦١.

السامرائي أنه قد يستعمل فيما هو أهم وأبلغ وأكد، وتلك الأخيرة من دلالة الفعل المضعف ﴿ نَزَّل ﴾ لم يشر إليها الغرناطي في هذه المسألة، إنما أشار إليها في مسألة أخرى، تأتي في المسألة التالية.

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (الأنعام ٣٧).

- وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (العنكبوت ٥٠).

وجه الغرناطي فيها مسألتين، سبب تفاوت الفعلين ﴿ نَزَّل ﴾ و ﴿ أَنْزَلَ ﴾ ، وسبب إفراد ﴿ آيَةٌ ﴾ في الأنعام وجمعها في العنكبوت. أما السامرائي فقد وجه المسألة الأولى فقط.

وإن كان السامرائي قد بدأ في الموطن السابق بعرض توجيه الغرناطي ثم انطلق يؤيده ويثبته بالأمثلة، فإنه هنا في هذا الموطن قد بدأ بعرض رأيه وتوجيهه أولاً، ثم عرض رأي الغرناطي يؤيد به ما ذهب إليه ويؤكد.

فبعد أن عرض السامرائي الآيتين - (آية الأنعام ٣٧) و (آية العنكبوت ٥٠) - تامتين قال: "فقد قال في الأنعام: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ وقال في العنكبوت: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ ﴾ والذي يظهر من السياق أن الموقف في الأنعام أشد وأن موقف الكافرين أعنت" ثم مضى يعرض الآيات التي تدل على ذلك من محيط آية العنكبوت، ثم قال: "فالاختلاف بين المقامين واضح وأن موقف الشدة والمجادلة بالباطل والعنت والتكذيب في الأنعام أظهر وأوضح، فاستعمل في الشدة وقوة المواجهة ﴿ نَزَّل ﴾"^١.

وبعد أن عرض السامرائي رأيه هذا، عرض رأي الغرناطي يثبت به صحة ما ذهب إليه، ويؤيده برأي الغرناطي، فقال: "وجاء في [ملاك التأويل] أنهم أتوا بالفعل ﴿ نَزَّل ﴾ مضعفا لما

^١ المصدر السابق، ص ٦٣ - ٦٤

أرادوا من التأكيد. وجاء فيه أيضا أن آية العنكبوت لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف^١

المسألة الثالثة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^ج وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ٤٩).

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^ج وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٤١).

وجه الغرناطي في هذا الموطن ثلاث مسائل: الأولى: ورود ﴿ أَخْبَرْنَاكَ ﴾ في البقرة مضعف، وفي الأعراف ﴿ أَخْبَرْنَاكَ ﴾ غير مُضَعَّف. والثانية: في سورة البقرة ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾، وفي الأعراف يُقْتُلُونَ. والثالثة: قد ورد في سورة إبراهيم ﴿ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ (إبراهيم ٦) منسوقا بحرف العطف.

ووجه السامرائي مسائل الغرناطي الثلاث، الأولى والثالثة وجههما في كتابه [بلاغة الكلمة]^٢، أما المسألة الثانية فقد وجهها في كتابه [أسئلة بيانية]^٣.

وسوف نقف هنا عند المسألة الأولى: ورود ﴿ أَخْبَرْنَاكَ ﴾ في البقرة مضعف، وفي الأعراف ﴿ أَخْبَرْنَاكَ ﴾ غير مضعف، لدى كل من الغرناطي والسامرائي:

أما الغرناطي:

^١ المصدر السابق، ص ٦٤. ومن أراد أن يقف على كلام الغرناطي فليرجع إلى [املاك التأويل]، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩

^٢ المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧١

^٣ السامرائي، فاضل، أسئلة بيانية، ص ١١ - ١٣

فقد بنى توجيهه على السياق الذي وقع فيه الفعلان، والدلالة الصرفية للتضعيف في صيغة [فَعَّلَ] التي تدل على التكثير، فقال: "إن الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه الإنعام على بني إسرائيل وتوالي الامتنان ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر... فذكر نجاتهم من آل فرعون، وفرق البحر بهم، ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق، ثم ذكر عفوهم عنهم في عبادة العجل وتوبته عليهم، وبعثهم من موتهم عند طلبهم الرؤية، وتظليلهم بالغمام، إلى ما ذكر تعالى بعد هذا. فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء دُكِّروا بها ... ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة.. وأيضا فإن التضعيف في ﴿ نَجَّيْنَاكُمْ ﴾ يناسبه التضعيف الوارد بعده في قوله: ﴿ يُذَيِّبُونَ ﴾^١.

أما السامرائي:

فقد اتجه وجهة أخرى غير وجهة الغرناطي، ابتدأها من دلالة البناء الصرفي للفعالين [بَجَّى، أَبْجَى]، حيث أطال السامرائي في توجيه هذين الفعلين، وبسط بسطا امتد لست صفحات، بدأها بتوجيه عام لهذين الفعلين [بَجَّى، أَبْجَى] في القرآن، فقال: "إن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل [بَجَّى] للتلبث والتهمل في التنجية، ويستعمل [أَبْجَى] للإسراع فيها، فإن [أَبْجَى] أسرع من [بَجَّى] في التخلص من الشدة والكرب، هذا وإن البناء اللغوي لكل منهما يدل على ذلك"^٢. ثم مضى يوجه عددا من مواضع هذين الفعلين في القرآن الكريم، ثم خلص إلى: "فاستعمل [أَبْجَى] للإسراع في النجاة، واستعمل [بَجَّى] لما فيه مكث وتمهل"^٣. ثم هَمَّ بتوجيه الفعلين في (البقرة ٤٩) و(الأعراف ١٤١) فقال: "أما في الأعراف فقد أطال وفصل في حالتهم مع فرعون وقومه ابتداء من الآية الرابعة بعد المائة إلى الآية الحادية والأربعين بعد المائة... وذكر أمورا تبين حالة التوتر والمعاناة التي يعيشونها في ذلك المجتمع مما لم يذكر في سورة البقرة.. فاقترض ذلك الإسراع في إنجائهم؛ فقال في البقرة [بَجَّى]، وفي الأعراف [أَبْجَى]"^٤.

وللباحث رأي آخر:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٣٣-٣٤

^٢ السامرائي، فاضل، بلاغة الكلمة، ص ٦٦

^٣ المصدر السابق، ص ٦٧

^٤ المصدر السابق، ص ٧٠-٧١

مع تقديرنا لرأي أستاذنا السامرائي وملاحظاته، فإني أرى أن البيان الذي قدم به لتوجيه الفعل [أَجَّي] في الأعراف يناقض ما انتهى وخلص إليه، حيث قال كما تقدم: "في الأعراف قد أطال وفصّل في حالتهم مع فرعون وقومه .. وطال الكلام والتفصيل"، وهذه الإطالة، وهذا التفصيل، يناقضان الإسراع في الإنجاء، فالإسراع في شيء ما - خاصة مع شدة أذى وتنكيل - يقتضي الإيجاز في القول، أما أن يفصل، ويطيل القول، ويطول الزمن، ، فأنى يكون ذلك إسراعا في الإنجاء؟!!

فلعل توجيه الغرناطي من أن آية البقرة وما حولها "موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ... ناسبه التضعيف في [بَجَّي] لإثباته بالكثرة" أقرب إلى السداد، والله أعلم.

المطلب الثاني: بين التجرد والزيادة

وقف كل من الغرناطي والسامرائي عند:

- قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٣٦).

- وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه ١٢٣).

فوجها فيهما سبب تفاوت الفعلين ﴿ تَبِعَ ﴾ و﴿ أَتَّبَعَ ﴾ ، وبالتأمل في توجيه كل منهما سنجد أنهما بنيا توجيههما - وإن تفاوتتا - على أساس واحد، ألا وهو: إطالة الفعل ناسبت التكلف وزيادة العمل والمشقة ، وتخفيفه ناسب العمل الأخف.

أما الغرناطي:

فقد قدم جوابين لسبب التفاوت في بناء الفعلين، يعد الثاني منهما توضيحا وبيانا للأول، فقد قال في جوابه الأول: "تبع واتبع محصلان للمعنى على الوفاء، و﴿ تَبِعَ ﴾ [فعل] وهو الأصل، و﴿ أَتَّبَعَ ﴾ فرع عنه؛ لأنه يزيد عليه، وهو منبئ عن زيادة في معنى [فعل] بمقتضى التضعيف.. ﴿

فَمَنْ تَبِعَ ﴿﴾ لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل ولا تكلف ولا مشقة، أما ﴿ أَتَّبَع ﴾ فإن هذه البنية أعني بنية افتعل تنبى عن تعمل وتحميل للنفس^١

وفي الجواب الثاني تتبع الغرناطي بعض مواطن بنية ﴿ تَبِع ﴾ و﴿ أَتَّبَع ﴾ في القرآن واجتهد في التدليل وإثبات أن زيادة البنية موافقة لزيادة التكلف والمعالجة والمشقة، وتخفيفها مع الأقل من ذلك، ثم طاف في السياق المحيط بآية البقرة وآية طه، ومايز بينهما، إذ أن كيد الشيطان لآدم وذريته في آية طه كان أشد وأنكى مما لم يرد في محيط آية البقرة قال: "فأفهمت الآية - آية طه - قوة كيد اللعين واستحكام حيلته حتى احتنك الكثير من الذرية .. فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمُّلٍ، فناسبه ﴿ فَمَنْ أَتَّبَع ﴾، كما ناسب ما تقدم في آية البقرة ﴿ فَمَنْ تَبِع ﴾ من حيث لم ييسط فيها من كيد اللعين ما بسط في آية طه، فورد كل على ما يناسب معنى ونظما، إيجازا بإيجاز وإطالة بإطالة"^٢

أما السامرائي:

فقد ذكر للتفاوت بين ﴿ تَبِع ﴾ و﴿ أَتَّبَع ﴾ سببين، كلاهما غاية في عمق الفهم، ودقة الملاحظة، كما أن لغة السامرائي سهلة يسيرة، والسببان هما:
الأول: "أنه اكتفى بالأخف في البقرة ولم يشدد عليهم تخفيفا على البشر مراعاة لمقام التكريم... والتخفيف الذي يفيد التلطف بالعباد مع إسناد القول إلى نفسه ﴿ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا ﴾، وأن التشديد جاء مع إسناد القول إلى الغائب ﴿ قَالَ أَهْبِطَا ﴾، وقد ذكرنا أن الله سبحانه يظهر نفسه في موقف التلطف والتكريم"^٣

والثاني: أن نهاية آية البقرة تتعلق بالآخرة فقط، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٠

^٢ المصدر السابق، ٣١ - ٣٢.

^٣ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٢٩٣.

تَحْزُنُونَ ﴿ (البقرة ٣٨)، أي في الآخرة، ونهاية آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه ١٢٣)، فقوله: ﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ متعلق بالدنيا لأن الضلال إنما يكون فيها، .. وقوله: ﴿ وَلَا يَشْقَى ﴾ متعلق بالآخرة لأن الدنيا لا تخلو من الشقاء، بدليل قوله تعالى لآدم قبيل هذه الآية: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه ١١٧)، أي إذا خرجت من الجنة شقيت، ... إن آية طه تتضمن أمرين مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة، وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملاً أكثر وأشق فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف^١.

المطلب الثالث: ما بين [يَتَفَعَّل] ، وَيَفْعَلْ

- قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام ٤٢).
- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (الأعراف ٩٤).

لقد وجه الغرناطي والسامرائي كلاهما في هذا الموطن تباين بنية الفعلين ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ و﴿ يَضُرَّعُونَ ﴾.

أما الغرناطي:

فقد انصرف إلى بناء الألفاظ المحيطة بهذين الفعلين، يبحث عن سبب مجيء الأول ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ بالفك ومجيء الثاني ﴿ يَضُرَّعُونَ ﴾ بالإدغام، فوجه المسألة توجيهها لفظياً، ولم يلتفت إلى المعاني في السياق المحيط بهما كلٌّ في منزله، فاستند إلى ما وقف عليه سيبويه - رحمه الله - من أن "العرب

^١ المصدر السابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، بتصرف..

تراعي مجاورة الألفاظ فتحمل اللفظ على مجاوره لمجرد المضارعة اللفظية وإن اختلف المعنى^١ ثم قال: "وماضي الفعل من الضراعة لا إدغام فيه إنما تقول تضرع إذ لا حرف مضارعة فيه يسوغ الإدغام، فلما ورد الماضي فيما بني عليه آية الأنعام ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ (الأنعام ٤٣)، ولا إدغام فيه لما ذكرنا، ورد الأول مفكوكا غير مدغم، فقليل يتضرعون رعيًا للمناسبة، أما آية الأعراف لم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة فجاء مدغما على الوجه الأخف، إذ لا داعي لخلافه"^٢

وأما السامرائي:

فقد نظر في البناء اللفظي والسياق معاً، فجاء توجيهه غاية في البيان والإيضاح، وبني توجيهه على قاعدة أو ظاهرة عامة في القرآن خاصة بصيغتين [يتفعل ، يفعل]، فقد وقف - كما أشرنا سلفاً - على أن القرآن الكريم يفرق بين هاتين الصيغتين "فإنه يستعمل بناء [يتفعل] لما هو أطول زمناً، وقد يستعمله في مقام الإطالة والتفصيل، ويستعمل [يفعل] للمبالغة في الحدث والإكثار منه"^٣ وعلى أساس ذلك وجه تباين بنية الفعلين ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ و ﴿ يَضَرَّعُونَ ﴾ قائلاً: "فقال في آية الأنعام ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾، وقال في الأعراف ﴿ يَضَرَّعُونَ ﴾ بالإبدال والإدغام، وذلك أنه قال في الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وقال في الأعراف: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال: ﴿ يَتَضَرَّعُونَ ﴾، ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿ يَضَرَّعُونَ ﴾ فجاء بما هو أقصر من البناء"^٤.

وقد زاد هنا السامرائي توجيهها آخر لا أتفق معه فيه، فقد قال: "ومن ناحية أخرى أنه استعمل في آية الأنعام [أرسل إلى] فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ ﴾، واستعمل في الأعراف

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١٦١.

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ١٦١.

^٣ السامرائي، بلاغة الكلمة، ص ٣٩.

^٤ المصدر السابق، ص ٣٩.

[أرسل في] فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ ﴾ والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، فإنك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلغها ويعود، وأما الإرسال في القرية أو المدينة، فإنه يقتضي التبليغ والمكث فإن [في] تفيد الظرفية، وهذا يعنى بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله ويريهم آياته المؤيدة، ولاشك أن هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه، فحاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه فقال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ، فوضع كل مفردة في مكانها اللائق^١.

وللباحث رأي:

وأقول: إن كانت [في] في ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ ﴾ أفادت الظرفية -وهذا صحيح- وتدل على المكث والبقاء، فإن [إلى] في ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ ﴾ لا ينطبق عليها قول السامرائي: "والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، فإنك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلغها ويعود" ، إذ أن الرسول هنا ليس شخصا عاديا يحمل رسالة يضعها حيث أمر بتبليغها ويرجع، كما أن المرسل أو الرسالة المحمولة ليست شيئا عاديا يضعه الرسول حيث أمر بوضعه وتبليغه ثم يدعه وينصرف، فإن الرسول والرسالة هنا حتما ولا بد أن يبقيا ويطول مكثهما كل في الأمة التي أرسل إليها، وأرى أن [إلى] في ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ ﴾ يفيد الانتهاء، أي الانتهاء إلى هذه الأمم وإفادة أن الرسول برسالته التي معه قد انتهى كل إلى الأمة التي بعث فيها. و[الانتهاء] هو أصل معاني [إلى] وقد رأى السامرائي ذلك في كتابه [معاني النحو] قال: "وهكذا بقية معاني هذا الحرف [إلى]، فإنها لا تكاد تخرج عن معنى الانتهاء، والأولى كما ذكرنا إبقاء الحرف على أصل معناه ما أمكن"^٢ ، والانتهاء هنا يعنى المكث وطول الإقامة لتبليغ الرسالة، والله أعلم.

المطلب الرابع: حذف تاء [استفعل] وإثباتها

^١ المصدر السابق، ص ٣٩.

^٢ السامرائي، فاضل، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، معاني النحو، ط ٢، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ج ٣، ص ١٦.

إن المتأمل في توجيهات المتشابه اللفظي في كتاب الغرناطي [ملاك التأويل] وتوجيهات السامرائي في كتبه سيجد أن هذين الرجلين قد توافقا في أشياء كثيرة، خاصة في عمق التفكير، وتوافق النظر والرؤى، وأهم ما اتفقا فيه هو اعتماد كل منهما على عمدتين أساسيتين في توجيه مواضع المتشابه اللفظي هما اللغة والسياق، مما جعلهما يتفقان في كثير من توجيهاتهما، وفي كثير من المواطن نجد أن توجيه السامرائي إتمام وإضافة لتوجيه الغرناطي، إذ لا نكاد نجدده يخالفه أو ينكر عليه توجيهه.

اسطاعوا استطاعوا

من يرد أن يتأكد من توافق النظر، وتقارب الفكر والرؤى أو تشابهما لدى كل من الغرناطي والسامرائي فليُنظر في توجيه هذين الفعلين عند كل منهما، إذ يبدو أن السامرائي لم يكن قد اطلع على كتاب الغرناطي، وقد وجه تلك الآية، فلما وقعت يده على الكتاب فإذا به يجد الغرناطي قد سبقه إلى نفس التوجيه، لذا بعد أن عرض السامرائي توجيهه تجده ينزل إلى هامش الكتاب قائلاً: "كنت أقول بهذا التعليل منذ وقت طويل، ولم أكن أعلم أن أحدا قد ذكره حتى وقع في يدي كتاب [ملاك التأويل] فوجدته قد ذكره ثم أشار إلى موضع توجيه الغرناطي للآية في كتابه"^١.

ففي آية الكهف ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (الكهف ٩٧) وجه كل منهما سبب حذف التاء في ﴿ اسْتَطَعُوا ﴾ وإثباتها في ﴿ اسْتَطَعُوا ﴾، قال الغرناطي: "فَجِيءَ أَوْلاً بِالْفِعْلِ مُحَقَّقًا عِنْدَ إِرَادَةِ نَفْيِ قَدْرَتِهِمْ عَلَى الظُّهُورِ عَلَى السَّدِّ وَالصُّعُودِ فَوْقَهُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَصْلِ الْفِعْلِ مُسْتَوْفَى الْحُرُوفِ عِنْدَ نَفْيِ قَدْرَتِهِمْ عَلَى نَقْبِهِ وَخَرْقِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الظُّهُورَ أَيْسَرُ مِنَ النَّقْبِ، وَالنَّقْبَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَثْقَلَ، فَجِيءَ بِالْفِعْلِ مُحَقَّفًا مَعَ الْأَخْفِ، وَجِيءَ بِهِ تَامًا مُسْتَوْفَى مَعَ الْأَثْقَلِ، فَتَنَاسَبَ، وَلَوْ قَدَرَ بِالْعَكْسِ لَمَا تَنَاسَبَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الثَّانِيَّ فِي مَحَلِّ التَّأَكِيدِ لِنَفْيِ قَدْرَتِهِمْ عَلَى الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى السَّدِّ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْهُ، فَتَنَاسَبَ ذَلِكَ الْإِطَالَةُ"^٢، ولو نظرنا في توجيه السامرائي، سنجد أنهما يتفقان تماماً في سبب التوجيه، ولا يختلفان إلا في اللفظ.^٣

^١ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٧٥.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

^٣ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٧٥.

المبحث الثاني: التشابه والاختلاف في بنية الأسماء

المطلب الأول: بين التعريف والتكبير

المسألة الأولى: الحق .. حق

وقف كل من الغرناطي السامرائي عند هذا المواطن من مواطن المتشابه:

- قول الله تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (البقرة ٦١).

- وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ (آل عمران ١١٢).

أما السامرائي فقد اعتمد توجيه الغرناطي ضمن توجيهه، فذهب مذهبه، ثم أبان كلام الغرناطي، ووضحه بأسلوبه السهل المباشر، وأكدته بأدلة جديدة من محيط الآية.

وأبدأ بالسامرائي:

قال: "فَعَرَّفَ الحق في الأولى، ونكَّره في الثانية، وذلك أن كلمة الحق المعرفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم، أما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً، لا حق يدعو إلى قتل أو غيره. أي ...".^١

ثم مضى السامرائي يعرض بعض كلام الغرناطي^٢ الذي يؤيد ويطلق ما ذكره، ثم استعان بالسياق يستدل منه على أن التشنيع والذم على اليهود في آية آل عمران أشد منه وأكبر من آية البقرة، فقال: "وأما آية آل عمران فقد أكد وكرر وعمم، فقال: ﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا ﴾ (آل عمران ١١٢)، فجعلها عامة بقوله: ﴿ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا ﴾ ثم قال: ﴿ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ

^١ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ١٨٨

^٢ وقد لاحظت أن الكلام الذي نقله السامرائي عن الغرناطي غير موجود في تحقيق سعيد الفلاح للملاك، ولا في تحقيق علي الفاسي، وهما التحقيقان اللذان بين يدي، لكني وجدت أنه اعتمد على تحقيق محمود كامل في النقل، ولم تقع يدي عليه.

الْمَسْكَنَةُ ﴿ فاعاد الفعل وحرف الجر للزيادة في التوكيد؛ فإن قولك: [أنهاك عن الكبر، وأنهاك عن الرياء] أكد من قولك: [أنهاك عن الكبر والرياء]، ثم إنه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القلة فقال: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ ﴾ وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة^١، فقال: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ ﴾، أي يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق^٢.

لفتة خاصة بالغرناطي:

جدير بالذكر أن الغرناطي قد التفت إلى أمر غاية في الأهمية لم يلتفت إليه السامرائي، وهو سبب نزول الآيات، والذي كشف عن بعض مكونات آية (آل عمران ١١٢)، فقد كشف أن آية البقرة نزلت فيمن سلف من اليهود، أما آية آل عمران فنزلت فيمن شاهد محمدا ﷺ، فكان النكير والتشنيع والذم عليهم أشد. اسمع إليه يقول: "بعد العلم بأن المذكورين في هذه الآية الأخيرة (آل عمران ١١٢) لَمَّا كانت فيمن شاهد منهم أمر محمد ﷺ وعائين واستوضح أنه الذي أخبر عنه موسى ﷺ .. ثم لم يجد ذلك عليهم إلا التماذي في الكفر والعناد من بعد ما تبين لهم الحق، كان الأنسب لمرتكبهم في كفرهم أن يعبر عنهم ﴿ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ أي أنهم ارتكبوه بغير شبهة ولا سبب، وذلك أوغل في ذمهم ... ولما كانت الآية الأولى (البقرة ٦١) إنما هي في سلفهم ممن لم يشاهد أمر محمد ﷺ ... فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوه ما وقع التعبير به من قوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾؛ إذ ليس المُعَرَّفُ في قوة المُنْكَرِ"^٣.

المسألة الثانية: بالمعروف .. من معروف

- قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٣٤).

^١ إشارة لما هو معلوم من أن جمع السالم يدل على القلة، وجمع التكسير يدل على الكثرة.

^٢ المصدر السابق، ص ١٨٩

^٣ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٤١-٤٢ بتصرف

- وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۖ فَإِنْ حَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٤٠).

وَجَّهَ كل من الغرناطي والسامرائي في هذا الموضوع سبب التعريف في [المعروف] واختصاصه بالباء في الآية الأولى، والتنكير في [معروف] واختصاصه بـ [من].

أما الغرناطي:

فقد قدم لتلك المسألة جوابين:

الأول: تأويل لفظي لطيف جعل فيه الغرناطي سبب التعريف في الآية الأولى إلى التقييد بما تقتضيه [إذا] في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ ﴾، أي فقد استوفين أربعة أشهر وعشرا، أي تمام الأجل المضروب لعدتهن، وهذا أمد محدود، معلوم القدر، معروف الغاية، يتقيد به خروجهن، فناسبه التعريف. وسبب التنكير في الآية الثانية يرجع إلى التقييد الحاصل بـ [إن] في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَرَجْنَ ﴾، إذ أن التقييد بـ [إن] ليس كالتقييد بـ [إذا] فـ [إذا] تقتضي التعقيب، أما [إن] فتقتضي التقييد بالاستقبال دون اقتضاء تعقيب أو مباحة^١

الثاني: زَوَجَ فيه الغرناطي بين اللفظ والمعنى، فقال: "في الآية الأولى: ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ المراد

به الوجه الذي لا ينكره الشرع، ولا يمنع، ولهذا وصل الفعل ها هنا بالباء، والإحالة على متقرر معلوم، وهو الشرع، فورد معرفا بأداة العهد، وعُدِّي [فعلن] بالباء، ثم جاءت الآية الثانية لتأخرها في التلاوة مشيرة إلى تفصيل ما يفعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب وما يجاري ذلك من معروف مما ليس بمنكر شرعا، والتنكير هنا محرز للمعنى

^١ بتصرف كبير، الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٦٨ - ٦٩

المقصود و[من] للتبعيض وهو تفسير.. أي لهن أن يتزين ويتعرضن للخطاب، وغير ذلك من مصالهن المباحة لهن شرعا^١

أما السامرائي:

فقد رأى وجهها آخر، وهو: "أنه عرّف [المعروف] المقصود به الزواج، لأن الزواج شيء واحد معروف، ونكّر الثاني لأنه لم يُقصد به فعل معين، بل كل ما كان مباحا لهن في الشرع، فنكره لذلك"^٢، ودل على ذلك بأنه "جاء بالباء الدالة على الإلصاق، والزواج إصاق، كما قال الله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ﴾ (البقرة ١٨٧)"^٣.

وقد اختار السامرائي الرأي غير الراجح لدى المفسرين، فقد ذهب قلة منهم إلى أن المقصود بـ ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الزواج، أما الجمهرة الكبرى من المفسرين فقد رأوا أن: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ ﴾ المراد بالبلوغ هنا: انقضاء العدة، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ من التزين، والتعرض للخطاب ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الذي لا يخالف شرعاً، ولا عادة مستحسنة^٤.

وذكر ابن كثير ما يلي: "عن ابن عباس: إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها، فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتعرض للتزويج، فذلك المعروف. روي عن

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٦٩

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ١٩١

^٣ المصدر السابق، ص ١٩١

^٤ هذا تأويل العديد من المفسرين مع تفاوت في الألفاظ، ومن هؤلاء: الطبري، ج ٥، ص ٩٣ / الشوكاني، ج ١، ص ٤٣٢ / النسفي، ج ١، ص ١٩٦ / النيسابوري، ج ١، ص ٦٤٦ / الكشف، ج ١، ص ٣١٠ / البغوي، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج ١، ص ٢٨٢ / حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي، روح البيان، دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٣٦٥ / الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ١٢٨٥هـ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، القاهرة، مطبعة بولاق، ج ١، ص ١٥٣ / الجلالين، ص ٤٨ / السعدي، ج ١، ص ١٠٤ / أبو السعود، ج ١، ص ٣٦٠ / البحر المديد، ج ١، ص ٢٩٨ / مقاتل، ج ١، ص ١٢٤ / التعلي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلي النيسابوري، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث، ج ٢، ص ١٨٥ / التفسير الميسر، ص ٣٨ / أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط ٥، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ص ٢٢٣ / الزحيلي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ١٣١ / السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، ١٩٩٣م، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، ج ١، ص ٦٩١ / لجنة من علماء الأزهر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط ١٨، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبع مؤسسة الأزهر، ص ٥٥ / تفسير الشعراوي، ج ٢، ص ١٠١١ / تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ٢، ص ٤٢١ / ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، ط ١، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ج ٣، ص ١٥٥

مقاتل بن حيان نحوه، وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: هو النكاح الحلال الطيب، وروي عن الحسن، والزهري، والسدي نحو ذلك^١

وبعض المفسرين جمع بين الرأيين فقال: "قوله تعالى: ﴿فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ فيه قولان أحدهما: أنه التزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل، والثاني: أنه النكاح، قاله الزهري، والسدي^٢.

المطلب الثاني: بين الأفراد والجمع

المسألة الأولى: دار .. وديار

لقد كان لمن تقدم من علماء المتشابه فضل عظيم على من تأخر منهم، وبحسب هؤلاء فضل سبق، ووضع أسس بناء علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وكثيرا ما يجد المحدثون أنفسهم أمام كثير من مواطن المتشابه اللفظي التي سبق إليها القدامى لا يستطيعون أن يضيفوا إليها شيئا يأخذوها كما هي، مقرين بأنها حازت التوجيه الشافي، فليس لدينا ما نضيفه.

ففي توجيه أفراد كلمة [دار] وجمعها [ديار] في الآيات التالية لم يجد السامرائي ما يضيفه، فاكتفى بالنقل عن سبق، وبقي له فضل حسن تنسيق الفِكر وجمال الأسلوب، وتعالوا نرى ذلك فيما بين السامرائي والغرناطي في توجيه الآيات التالية:

^١ ابن كثير، ج ١، ص ٦٣٨ / وممن رأى تأويل المعروف بالزوج: الواحد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، ١٤١٥هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط ١، دمشق، دار القلم، وبيروت، دار الشامية، ص ١٧٣ / وقد ذهب الواحدي إلى ذلك في تفسيره الآخر الواسع [الوسيط في تفسير القرآن المجيد]، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٤٥ / ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ٤، ص ١٩٧ / ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٠٥ / السمرقندي، ج ١، ص ١٨٠ / السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تفسير السمعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ج ١، ص ٢٣٩.

^٢ زاد المسير، ج ١، ص ٢٧٦ / وجمع بين الرأيين: العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقي الشافعي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، تفسير ابن عبد السلام [اختصار النكت للماوردي]، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط ١، بيروت، دار ابن حزم، ج ١، ص ١٢١ / نظم الدرر، ج ١، ص ٤٤٣ / الخازن، ج ١، ص ٢٣٩ / الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج ١، ص ٣٠٣ / أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا، المكتبة العصرية، ج ٢، ص ٤٣٧ / محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج ١، ص ٨٢٠ / الصايوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ١٣٦ / العدوي، أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، التسهيل لتأويل التنزيل [التفسير في سؤال وجواب]، ط ١، مصر، مكتبة الهدى، ج ٣، ص ٣٨٤.

- قول الله تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ (الأعراف ٧٨).

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴾

(هود ٦٧).

أما الغرناطي:

فقد ضم قول الله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (هود ٦٥) إلى الآيتين السابقتين، ثم قال: "... الصيحة وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقاً دون تقييد بصفة، وهو من الألفاظ الكلية، فإن لم يكن عاماً فانتشار موقعه من حيث الكلية حاصلة. وأما الرجفة الزلزلة، فلهذا اللفظ خصوص وهو جزئي... فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول لفظها إلا ما كان عذاباً بها، فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم، وناسب خصوص الرجفة أفراد الدار"^١

وأما السامرائي:

فقد ضم قول الله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ (هود ٩٤)، ثم ساق توجيه الكرمانى في [البرهان] - مشيراً إلى ذلك - مع حسن التصرف فيه، بحسن الترتيب، وسلاسة وجمال الأسلوب، قال: "فأنت ترى حيث ذكر الصيحة جمع الدار، وحيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة الشديدة، وحد الدار، وذلك لأن الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة، فالرجفة تختص بجزء من الأرض، أما الصيحة فإنما يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة؛ فلذلك وحد مع الرجفة، وجمع مع الصيحة"^٢

المسألة الثانية: رسالة .. ورسالات:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٠١

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٤٧..

- قول الله تعالى في قصة صالح: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ (الأعراف ٧٩).

- وقوله تعالى في قصة شعيب: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف ٩٣).

ونتناول في هذا الموطن توجيه مسألة أفراد ﴿ رِسَالَةَ ﴾ مع صالح ﷺ وجمعها ﴿ رِسَالَت ﴾ مع شعيب ﷺ.

أما الغرناطي:

فقد بنى توجيهه على عادة العرب في الكلام "إن إطالة فإطالة، أو إيجاز فإيجاز، .. ولما ورد في دعاء شعيب ﷺ تفصيل في الأمر والنهي والتحذير... وقبيح ردهم وشنيع مرتكبهم في مجاوبتهم على أعظم اجترام، فحصل هذا من خطابه إياهم وما ردوا به وجابوه ﷺ بإطناب في العبارة وإمعان فيما تحتها من المعاني... فناسب ذلك الجمع في قوله تعالى: ﴿ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ ، أما قصة صالح ﷺ ... فلم تفصل مكالمته إياهم كتفصيل ما تقدم في قصة شعيب، فناسب الأفراد الوارد في قوله تعالى: ﴿ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾^١.

ولم يغفل الغرناطي عن موطنين آخرين ورد فيهما ﴿ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ بالجمع في قصة نبيين آخرين: قصة نوح ﷺ (الأعراف ٦٢)، وقصة هود ﷺ (الأعراف ٦٨).

فعل ذلك أن قوم نوح قد رموه بالضلال ﴿ قَالَ أَلْمَأُتَىٰ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأعراف ٦٠)، وهذا الوصف ينسحب على مسميات شتى كثيرة فأشبهه الواقع في قصة شعيب ﷺ، ... فقد حصل من هذا إطناب وتفصيل في المعنى، ولطول المجاورة بينه وبين قومه... وأما قول قوم هود ﷺ في جوابهم لبيهم: ﴿ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ (الأعراف ٦٦)، ولسفاهة

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٣، بتصرف.

الطيش وقلة الحلم، فحال من اتصف بذلك كحال من اتصف بالضلال، فلا يثبت على قول، ولا يعتمد عليه، فهذه كقضية قوم نوح،... وكل وارد على ما يجب ويناسب^١

وأما السامرائي:

فقد ذهب مذهبا آخر، غير ما ذهب إليه الغرناطي، فقال: "أفرد الرسالة مع صالح وجمعها مع شعيب، فقال: ﴿رَسَلْت﴾، قالوا: وذلك أن شعيبا بعث إلى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة، وصالحا بعث إلى أمة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف ٨٥)، وقال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (الشعراء ١٧٦-١٧٧)، ومدين غير أصحاب الأيكة، وشعيب ﷺ كان من مدين ولم يكن من أصحاب الأيكة، ولذلك إذا ذكرت مدين قال [أخوهم] وإذا ذكر أصحاب الأيكة لم يقل [أخوهم]، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، المؤمنون ٣٦)، وقد ذكر الله جملة من الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء، وكلهم قال فيه [أخوهم] إلا أصحاب الأيكة... فانظر كيف قال: [أخوهم] مع الأنبياء الذين أرسلوا إلى أقوامهم، ولم يقل فيمن أرسل إلى غير قومه"^٢

وبناء على توجيه السامرائي فإننا نتوجه إليه بسؤالين:

الأول: إن كان سبب جمع ﴿رَسَلْت﴾ مع شعيب ﷺ كونه أرسل إلى أمتين، فما سبب جمعها

مع نوح ﷺ في (الأعراف ٦٢)، ومع هود ﷺ في (الأعراف ٦٨)؟

الثاني: أحقا بُعِثَ شعيب ﷺ في أمتين؟

أما التساؤل الأول: فقد كفانا الغرناطي مؤونة الجواب، إذ رد ذلك إلى طول مجاورة نوح لقومه والامتداد الزمني الطويل لدعوته ﷺ، أضف إلى ذلك ما دل على كثرة التفاصيل، والأخذ والرد فيما بينهما عليهما السلام وقوم كل منهما فناسب ذلك جمع ﴿رَسَلْت﴾. وقد رُمِيَ نوح عليه السلام بالضلال، ورُمِيَ هود عليه السلام بالسفاهة وهذا يناظر ما رُمِيَ به شعيب عليه السلام.

^١ ينصرف، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤.

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٤٥-٤٦.

وأما التساؤل الثاني: فالناظر في كتب التفسير سيجد أن عددا غير قليل قد قال بأن شعيب قد بعث في أمتين: مدين وأصحاب الأيكة، والبعض الآخر رأى أن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة. وقد بحثت طويلا في الآثار الواردة حول هذا الأمر - صحيح أن شعيب ﷺ بعث في أمتين - فوجدت أثرين اثنين لم تبث صحتهما:

الأثر الأول: ما ذكره الألوسي: " قد أخرج ابن عساكر وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله تعالى إليهما شعبياً عليه السلام"^١.

والأثر الثاني: ما جاء في تفسير أبي حاتم: "حدثنا أبو زرعة، عن صفوان بن صالح، عن الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة بن دعامة السدوسي، في قول الله: قال: أصحاب الأيكة ومدين هما أمتان أرسل إليهما شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وعذبا بعذاب شتى، أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة وكانوا أهل مدينة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أصحاب شجر متكأوس وركوات"^٢

وقد بحثت طويلا في صحة هذين الأثرين في المكتبة الشاملة، في كتب متون الحديث وشروحها، وفي كتب الألباني، فما حصلتهما، فلا أثر لهما في كتب السنة وشروحها قاطبة، ووجدت في هذين الأثرين ما يلي:

بالنسبة للأثر الأول: قال ابن كثير رحمه الله "هؤلاء - أعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالعِضْة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: "إذ قال لهم أخوهم شعيب"^٣ ثم عقب على ذلك قائلا

^١ الألوسي، ج٧، ص٣١٨

^٢ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ١٤١٩ هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج٩، ص٢٨١٥.

^٣ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة ج٦، ص١٥٨

: "ومن الناس مَنْ لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام، بعثه الله إلى أمتين"^١

وذكر ابن كثير رواية أخرى وأنكرها، قال: "وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شعيب، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبيه، عن معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان، بعث الله إليهما شعيبًا النبي، عليه السلام" وعقب على تلك الرواية قائلًا: "وهذا غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا. والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة"^٢، وقد وصف ابن كثير هذا الحديث في البداية والنهاية مرة أخرى بقوله: "فإنه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه"^٣

وبالنسبة للأثر الثاني: فقد جاء في العلل لابن أبي حاتم ما يلي: وسئل ابن الجنيدي عن حديث رواه عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام، عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي أنه قال ذات يوم: إن مدين وأصحاب الأيكة أمتين؛ بعث إليهما شعيب؟ فقال: هذا باطل؛ الصواب: ما حدثنا أحمد بن صالح، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عمرو بن عبد الله، عن قتادة؛ قال: أصحاب الأيكة - والأيكة: الشجر الملتف^٤

وبناء على ما وقفنا عليه من عدم ثبوت هذين الأثرين، وما تقدم من أن لفظ ﴿رسلت﴾ جاء مجموعًا مع نوح ﷺ في (الأعراف ٦٢)، ومع هود ﷺ في (الأعراف ٦٨)، فإن ما ذهب إليه

^١ المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٩

^٢ المصدر السابق، ص ١٥٩.

^٣ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٢١٩.

^٤ جاءت [أمتين] بالنصب على الباء في النسخ الأصلية، وعلق المحقق على ذلك قائلًا: وقوله: «أمتين» كذا جاء في جميع النسخ، وظاهر الجادة أن يقال: «أمتان»؛ لأنها خير «إن»، وفي مصادر التخریج: «كانتا أمتين»، لكن قوله: «أمتين» هنا صحيح؛ وفيه وجهان: الأول: وجه النصب «أمتين» بتقدير «كانتا»، ويكون «أمتين» خبرها، وحذف «كان» واسمها مع بقاء خبرها منصوبًا يكثر بعد «إن» و«لو».

^٥ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط ١، مطابع الحميضي، ج ٥، ص ٣٢-٣٣.

السامرائي من أن لفظ ﴿ رَسَلْت ﴾ جاء جمعا مع شعيب لأنه بُعِثَ في أمتين ليس براجح، والأرجح في ذلك التوجيه ما ذهب إليه الغرناطي، والله أعلم.

المطلب الثالث: بين اسم الفاعل وأفعال التفضيل

الأخسرون والخاسرون:

لقد استفاد السامرائي من أساتذة علم المتشابه اللفظي السابقين، ولعل الغرناطي هو أشدهم أثرا في السامرائي، فأثار كتابه الملاك أكثر من غيرها من كتب المتشابه الأخرى، وقد رأينا السامرائي في توجيهاته ذا شخصية بارزة، وأكثر توجيهاته جديدة، حتى مواطن المتشابه التي سبق ووجهها العلماء السابقون، لم يقف السامرائي عند توجيهاتهم، فقدم توجيهات جديدة، وآراء أخرى سديدة، لها أسانيدها، وحججها القوية، إلا أن هذا لم يمنعه من الوقوف عند بعض توجيهات السابقين دون أن يزيد عليها، إذ رأى أنها أوفى وأليق فوقف عندها ولم يزد عليها، ومن ذلك توجيهه لهاتين الآيتين:

- قول الله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود: ٢٢).

- وقول الله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴾ (النحل: ١٠٩).

وأبدأ هنا بالسامرائي:

فقد اختار السامرائي وارتضى رأي الإسكافي والذي تابعه فيه الكرمانى وهذا الرأي هو: "سر الاختلاف أن آية هود فيمن صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، وضوعف لهم العذاب، وآية النحل فيمن صدَّ هو ولم يصدَّ غيره، فكان الأولون أخسر من الآخرين، فجيء لهم باسم التفضيل"^١. وقد جاء هذا التأويل ذاته في درة الإسكافي^٢، وبرهان الكرمانى^٣، وقد أشار السامرائي إليهما.

^١ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٢٣٠.

^٢ الإسكافي، درة التنزيل، ص ١١٩.

^٣ الكرمانى، البرهان، تحقيق: سيد الجميلي، ص ٨٢.

أما الغرناطي:

فقد ذهب مذهبا آخر، إذ وجه المسألة توجيهها لفظيا فقط، فنظر في السياق اللفظي، قائلا: "إن آية هود قد تقدمها ما يُفهمُ المفاضلة، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ ﴾ (هود:١٧)، ... ثم أتبع هذا بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (هود:١٨)، فهذا صريح مفاضلة، ... فناسب لفظ الأخرين بصيغة التفاضل... أما آية النحل فلم يقع قبلها [أفعل] التي للمفاضلة والتفاوت ولا ما يفهمهما... وجاء قبلها الفواصل الآتية ﴿ ... وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴾ ﴿ ... وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ ﴾ فتأمل هذه الفواصل واتفاقها في اسم الفاعل المجموع جمع السلامة في قوم متفقي الأحوال في كفرهم إلى أن ختم وصفهم بقوله: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْأَخْرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾، فتناسب الآي في السياق والفواصل، وختمت بمثل ما به بدئت^١.

فقد جاء التوجيهان توجيه كل من الغرناطي والسامرائي متكاملين، يتمم كل منهما الآخر.

المطلب الرابع: بين التأييث والتذكير

معدودة ... ومعدودات

- قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة:٨٠).
 - وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (آل عمران:٢٤).
- ما سبب وصف ﴿ أَيَّامًا ﴾ بالمفرد المؤنث ﴿ مَّعْدُودَةٌ ﴾ في آية البقرة وبالجمع السالم ﴿ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ في آية آل عمران؟ تلك هي المسألة التي وجهها كل من الغرناطي والسامرائي في

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٥، بتصرف.

هذا الموضوع، وقد بدأ الغرناطي والسامرائي كل منهما توجيه المسألة ببيان أحوال وصف الجمع بالمفرد المؤنث أو الجمع السالم، لكن السامرائي فصل قضية غير القضية التي فصلها الغرناطي في أحوال هذا الوصف:

فأما الغرناطي:

فقال: "إن ما يجمع جمع التكسير من ذكر غير عاقل قد يتبع بالصفة المفردة مؤنثة بالتاء كما يفعل بالخبر، تقول: ذنوب مغفورة، وأعمال محسوبة، وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۗ ﴾ (الغاشية ١٣-١٤)، .. ثم قد يجمع هذا الضرب بالألف والتاء رعيًا لمفرده وإن لم يكن إلا أنه فصيح، ومنه قوله تعالى: ﴿ * وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة ٢٠٣)".^١

ثم بنى الغرناطي توجيهه على أساس لفظي، فرأى أن القرآن بسط في حال اليهود وجرائمهم في آية آل عمران، في حين أوجز في آية البقرة، ثم قال: "فناسب الإفراد الإيجاز، وناسب الجمع الإسهاب"^٢.

أما السامرائي:

فقد نحا منحى آخر، فبين الفرق بين الوصف بالمفرد المؤنث، والوصف بالجمع السالم لموصوف جمع غير عاقل، فقال: "المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف أكثر منه إذا كانت صفته جمعا سالما، .. فالأنهار في قولك: [أنهار جارية] أكثر منها في: [أنهار جاريات]، وعلى هذا فالأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات"^٣.

ثم أوضح أن السياق في آية البقرة غير السياق في آية عمران، فذكر أن سياق آية آل عمران يدل على أن الجرم فيها دون الجرم في آية البقرة، قال: "فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد، وتحريف كلام الله، ففرق كبير بين المقامين،

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٤٦

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦-٤٧

^٣ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٤١

فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل، فقال: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ بصيغة جمع القلة في آل عمران، بخلاف آية البقرة^١.

وللباحث توجيه آخر:

فإن اليهود حين قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة ٨٠)، قد قصدوا التقليل والاستهانة، وحين قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران ٢٤)، قصدوا أيضا التقليل والاستهانة، فكلا الوصفين: ﴿مَعْدُودَةٌ﴾ و ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾^٢ قصد به المتكلمون - اليهود - تقليل عدد أيام العذاب، والاستهانة بها، وعدم الاعتناء، واللامبالاة، وذلك سواء طال السياق أو قصر، وسواء كبر الجرم أو صغر.

وأرى في اختلاف الوصفين: ﴿مَعْدُودَةٌ﴾ ، ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ في آيتي البقرة وآل عمران السالفتين توجيهها آخر إضافة إلى توجيهي الغرناطي والسامرائي، فإن كلا الوصفين دل على التقليل والاستهانة، لكن ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ كونه جمعا سالما، فإنه يدل على الأقل، وقد تم البسط في كلتا الآيتين في بيان جرائم اليهود وقبائحهم - وإن زاد البسط في آية البقرة - فإن آية آل عمران ورد في السياق حولها ما لم يرد في سياق آية البقرة، فقد سبقها قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران ٢٣)، فإن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ يدل على مزيد من الاستهانة، ومزيد من عدم الاعتناء، ومزيد من اللامبالاة، فناسب تلك الحال وصف ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ ، الذي يدل على الأقل، وبالتالي يناسب المزيد من الاستهانة والتقليل واللامبالاة، والله أعلم.

^١ المصدر السابق، ص ٤٢

^٢ أما وصف ﴿مَعْدُودَةٌ﴾ فلا شك أنه دل على القلة؛ لأن الشيء الذي يُعَدُّ إنما هو قليل، وقد ورد هذا الوصف في القرآن في موطن آخر يدل دلالة قاطعة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَسَتَرُوهُ بِنُجُومٍ بِحُسْنِ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ (يوسف ٢٠)، فوصف ﴿مَعْدُودَةٌ﴾ في الآية قد أجمع المفسرون إجماعا على أن المقصود به التقليل، لكن ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ كونه جمعا سالما، فإنه دل على الأقل.

المطلب الخامس: اختلاف نوع الجمع:

المسألة الأولى: خطايا ... وخطيئات

كثيرا ما وافق توجيه السامرائي توجيه الغرناطي، إلا أن توجيه السامرائي عادة ما يأتي أكثر إيجازا، وأبسط أسلوبا، وأيسر على الأفهام، ومن ذلك توجيههما لاختلاف الجمع ما بين جمع التكسير

﴿ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ وجمع السالم ﴿ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ في آيتي:

- ﴿ وَأَدْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة ٥٨).

- ﴿ وَأَدْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف ١٦١).

وأبدأ بتوجيه السامرائي ثم أعرض ما زاد عليه في توجيه الغرناطي:

قال السامرائي: "قال في سورة البقرة ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ بجمع الكثرة لأن الخطايا جمع

كثرة، وهو مناسب لمقام تعداد النعم والتكريم، أي: مهما كانت خطاياكم كثيرة فإننا نغفرها لكم.

وقال في سورة الأعراف ﴿ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ بجمع القلة لأن الجمع السالم يفيد القلة، أي يغفر

لهم خطيئات قليلة، وهو مناسب لمقام التقريع والتأنيب"^١.

وبمراجعة توجيه الغرناطي نجد أن السامرائي قد حازه، إلا أننا نجد توجيه الغرناطي قد زاد

فيه بيان الدلالة المعنوية لجمع التكسير وجمع السالم، فقال: "جموع التكسير ماعدا الأربعة أبنية التي

هي: أفْعُلُ وَأَفْعَالُ وَأَفْعَلَةٌ وَفَعْلَةٌ إنما ترد في الغالب للكثرة، فطابق الوارد في البقرة ما قصد من

تكثر الآلاء والنعم، وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضا، ما لم يقترن به ما يبين

أن المراد به الكثرة، فناسب ما ورد في الأعراف من حيث لم تبين أيها من قصد تعداد النعم، على

ما بنيت عليه آية البقرة، فجاء كل على ما يناسب"^٢.

^١ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٣٢١.

^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٨.

المسألة الثانية: سنابل ... سنبلات

- قول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ١٦١).
- وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ (يوسف ٤٣).

اتفق كل من الغرناطي والسامرائي تمام الاتفاق - مع اختلاف لفظيهما - في توجيه مسألة اتفاق العدد [سبعة]، واتفاق المعدود، مع اختلاف في صيغة الجمع فورد في آية البقرة جمع تكسير، وفي آية يوسف جمع سالم، فرأيا أن: "بناء آية البقرة قام على التكثر ومضاعفة الأجر، فناسبه جمع الكثرة [سنابل] ، وفي آية يوسف فالعدد [سبعة] دون العشرة ، ولا حاجة للتكثر، فناسبه جمع القلة [سنبلات]".^١

^١ بتصرف، راجع: الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٧٠ / والسامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٤٠.

المبحث الثالث: التشابه والاختلاف بالتوكيد وعدمه

المسألة الأولى:

- قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام ١٦٥).
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف ١٦٧).

لماذا حُصِّت آية الأعراف بزيادة لام التوكيد في ﴿لَسَرِيعٌ﴾ دون آية الأنعام؟

تلك هي المسألة التي وجهها كل من الغرناطي والسامرائي في هذا الموضوع، ورغم أنهما كلاهما قد اعتمدا على السياق في التوجيه إلا أنهما اختلفا اختلافاً بيّناً.

أما الغرناطي:

في آية الأنعام رأى أن الآيات المتقدمة عليها تناول خطاباً لمحمد ﷺ ولأمته وفيه من اللين والرحمة، لذا: "جاء الخبر من قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ بغير لام التأكيد مناسباً للحال، إذ هؤلاء المذكورون ليسوا بجملتهم ممن استحق عقاباً... أما آية الأعراف فقد ورد قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف ١٦٧).. فتخلصت الآية للمستحقين العقاب بمجرحتهم المفصحة بكفرهم فناسب تأكيد الخبر المنبئ بعقابهم وسوء مآلهم".^١

وأما السامرائي:

فقد وقف على توجيهه بديع للزركشي لهذه المسألة، فاعتمد عليه، وأيد به ما ذهب إليه، فقد وجد أن الآيات المتقدمة على آية الأعراف قد ذُكرت في سياق العقوبات العاجلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَهَجْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ١٧٦

يُسْؤِمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ^ط وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾
 (الأعراف ١٦٥-١٦٧)، وأن الآية المتقدمة على آية الأنعام ذُكرت في سياق العقوبات الآجلة في
 الآخرة قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
 فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأعراف ١٦٤).

وعلى هذا الأساس بنى السامرائي توجيهه فقال: "فلما عَجَّلَ لهم العقوبة في الدنيا في سورة
 الأعراف أكد سرعة العقاب بإن واللام، ولما أمهلهم إلى يوم القيامة في سورة الأنعام قلل توكيد
 سرعة العقاب؛ لأنه لم يسرع في عقوبتهم بل أمهلهم"^١.

ثم عرض السامرائي توجيه الزركشي يؤيد به ما ذهب إليه، فكان كلام الزركشي - رحمه الله
 - هو عين ما ذهب إليه السامرائي، بل لعل كلام الزركشي أكثر إحاطة وبياناً من كلام
 السامرائي، وقد ختم الزركشي كلامه بجملة بديعة كانت هي الفصل، قال: "ولما اختصت آية
 الأعراف بزيادة العذاب عاجلاً، اختصت بزيادة التأكيد لفظاً بإن واللام"^٢.

وقد رد السامرائي النقل الذي نقله عن [البرهان] إلى كل من الزركشي في [البرهان]
 والغرناطي في [ملاك التأويل]، لكن هذا التوجيه خاص بالزركشي، إذ لم أجد أحداً سبقه إليه، ولا
 أثر له في كتاب [ملاك التأويل]، وقد راجعت تحقيقين^٣ للملاك فلم أجد له أثراً، بل وجدتهما
 متطابقين وهو التوجيه الذي أوردته موجزاً منذ قليل.

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ
 الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الحج ٦٣).

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٦٧.

^٢ الزركشي، البرهان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤، ص ٦٦.

^٣ تحقيق علي الفاسي، ج ١، ص ١٧١ / تحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ٤٨٤ / وجدد بالذکر أن السامرائي اعتمد على تحقيق محمود كامل، وقد يقول البعض لعل هذا التوجيه
 ورد في تحقيق محمود كامل دون التحقيقين الآخرين، وأقول: من غير المعقول ذلك؛ لأن علي الفاسي وسعيد الفلاح قد اتفقا اتفاقاً في التوجيه الذي ذكره عن الغرناطي، فإن
 كان هذا التوجيه قائماً في تحقيق محمود كامل، فلعل الغرناطي قدم توجيهه للمسألة - وكثيراً ما يفعل ذلك - وسقط أحدهما من النسخ الأصلية التي اعتمد عليها سعيد
 الفلاح وعلي الفاسي، والله أعلم.

- وقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكِ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنْ
اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (لقمان ٣٠).

كان للغرناطي والسامرائي في هذا الموضوع توافقا ملحوظا، إذ أنهما وجها فيه مسألة زيادة التأكيد بالضمير ﴿ هُوَ ﴾ في آية الحج وسقوطه في آية لقمان. ومع اتفاق السامرائي واستناده على ما وقف عليه الغرناطي إلا أنه لم يكتف برأي الغرناطي؛ إذ أنه وجه المسألة توجيها جديدا أكثر إيضاحا وبيانا، كما أنه أكثر حُجِّيَّةً.

أما الغرناطي:

فنظر في سورة الحج، وربط أول السورة بآخرها، وتأمل أحداثها، والأسباب التي دعت إلى التأكيد فيها دون سورة لقمان، فرأى أن سورة الحج قد ورد فيها ما يستدعي التأكيد بالضمير المنفصل "وهو تكرر الإشارة إلى آهتهم والإفصاح بذكرها تعريفا بوهن مرتكبهم وشنيع حالهم، وأوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج ٣١)، وقوله في آخر السورة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ تَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^ط وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ (الحج ٧٣) ... فورد قوله تعالى: ﴿ ذَلِكِ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ ﴾ بناء على قوله: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾، وتمهيدا وتوطئة لما وُجِّهوا به بعدها وقُورِعُوا مما يجدون لا عليه جوابا^١.

واكتفى الغرناطي في توجيه آية لقمان بأنه لم يأت فيها ما ورد في آية الحج فلم يرد فيها

التأكيد^٢

أما السامرائي:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٣٦٢، بتصرف.

^٢ الصدر السابق، ص ٢٦٣

فقد كان له مع هاتين الآيتين شأن آخر، فقد جمع رأي ونظرة الغرناطي إلى رأيه ونظرته فكانت الصورة أمامه أكثر وضوحا وتبيانا، فبعد أن استعرض الآيات المتقدمة على آية الحج، أرجع التأكيد بالضمير في آية الحج دون آية لقمان إلى سببين، هما مع تصرف وإيجاز^١:

الأول: آية الحج واقعة في سياق الصراع مع أهل الباطل الذين يسعون معاجزين معاندين

مصارعين، ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (الحج ٥١)، وقد نتج عن هذا الصراع هجرة المؤمنين أو قتلهم، فاحتاج الأمر إلى زيادة تثبيت المؤمنين وعدم افتتانهم بسلطة أصحاب الباطل... فاقضى السياق توكيد أن ما هم -أي الكافرون- عليه هو الباطل.

أما آية لقمان فقد استعرض بعض الآيات المتقدمة عليها والتي منها: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (لقمان ٢١)، فإنها تدور في سياق الجدل العقلي والمحااجة بين الفريقين، وليس فيها ذكر لصولة الباطل وبطشه.

الثاني: أنه تقدم على آية الحج ذكر ما يدعون من دون الله من المعبودات الباطلة فقال:

﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (الحج ١٢)، ولم يتقدم مثل ذلك في لقمان، لذلك أكد في الحج بالضمير دون لقمان. ثم أيد هذا الرأي برأي الغرناطي الذي أشرنا إليه آنفا.

المسألة الثالثة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة ١٩٣).

^١ راجع توجيه السامرائي لهذه المسألة في: التعبير القرآني، ص ١٤٣ - ١٤٥

- وقوله تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ
أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال ٣٩).

وجه الغرناطي والسامرائي في هذا الموضوع مسألتين، الأولى: التأكيد بـ ﴿ كُفُّهُ ﴾ في آية الأنفال
دون البقرة. والثانية: ما وجه ختم آية البقرة بقوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
وختم آية الأنفال بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾؟

وقد اتفق السامرائي مع الغرناطي اتفاقاً في المسألة الأولى وبعض الثانية، واعتمد السامرائي
توجيه الغرناطي في المسألة الأولى فلم يخالفه في شيء، ولم يضيف جديداً على توجيه الغرناطي، إلا
أنه زاده جلاء، وسأكتفي بعرض توجيه الغرناطي في إيجاز مع تصرف مني ثم أعرض ما اختلف فيه
السامرائي مع الغرناطي في المسألة الثانية.

قد توافق كلاهما - الغرناطي والسامرائي - في المسألة الأولى على أن: " آية البقرة نزلت في
مخصوصين وهم الذين كانوا بمكة ممن نصب لعداوة رسول الله ﷺ وتعرض بالظلم والتنكيل لمن
آمن به ﷺ وطردوهم كل مطرد فأذن الله لرسوله في قتالهم لظلمهم إياهم فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ
لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ (الحج ٣٩) .. ويعضد ذلك ويبين خصوصه بمن ذكر قوله
تعالى: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (البقرة ١٩١)، وإنما أخرجهم أهل مكة ... ثم قال نهاية
الآية ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .. فالآية هنا واردة في مخصوصين، والكلام مقيد فلم
يكن ليناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بـ ﴿ كُفُّهُ ﴾ المحرزة للعموم والمقتضية
الإحاطة والاستغراق.

أما آية الأنفال فقد قال قبلها: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

سَلَفَ ﴿ (الأنفال ٣٨)، وهذا بمقتضى اللفظ في كل كافر ... فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم
ناسب ذلك التأكيد والمعمم فقال تعالى: ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾^١.

أما في توجيه فاصلة آية الأنفال فقد اختلف السامرائي مع الغرناطي، وإن لم يبعد عنه
كثيراً، فقد رأى الغرناطي أن "الحاجز عن قتالهم تظاهرهم بالإسلام ونطقهم بالشهادتين وتوكل
سرايرهم إلى الله أعقب الآية بقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
(الأنفال ٣٩)، أي لا تخفى عليه أعمالهم وليس لك أن تنقب عن قلوبهم"^٢.

أما السامرائي فرأى في فاصلة آية الأنفال أن: "المقصود أن تكون السيطرة للإسلام، وليس
معناه دخول أهل الأديان كافة في الإسلام بحيث لا يبقى أحد منهم على دينه، بل ربما بقي من
أهل الملل الأخرى من بقي على دينه في حكم الإسلام، فقال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴾^٣، أي إذا كادوا فإن الله بصير بكيدهم"^٣.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٦٣-٦٤ / السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٣٩-١٤٠ / وسبق الجميع إلى هذا التوجيه إمام علم المشابه ومؤسسه أبو الخطيب
الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢٥-٢٦ / ووجه المسألة الأولى كل من: الكرمانى فذهب إلى ما ذهب إليه الإسكافي لكن في إيجاز شديد، راجع البرهان، تحقيق: السيد الجميلي،
ص ٢٩ / وابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٢٧ / والأنصاري، وكان أشدهم إيجازاً، راجع فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٣٥.

^٢ لغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٦٤.

^٣ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٤١.

الفصل الثاني:

التشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ

تمهيد:

ويقصد بترتيب الألفاظ هنا التقديم والتأخير، ويشمل ثلاثة أنواع: تقديم جملة في موضع وتأخيرها في موضع آخر، وتقديم شبه جملة في موضع وتأخيرها في موضع آخر، وتقديم كلمة في موضع وتأخيرها في موضع آخر.

المبحث الأول: تقديم وتأخير جملة

المسألة الأولى:

- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام ١٠٢).
- قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ﴾ (غافر ٦٢).

المسألة البارزة في هذا الموطن هي: ما سبب تقديم كلمة التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ على ﴿خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في آية الأنعام، وعكس ذلك في آية غافر؟

لقد وجَّه هذه المسألة أربعة من علماء المتشابه القدامى^١، ثم وجهها المطعني^٢ والسامرائي^٣ حديثاً، فلم يختلف الستة جميعهم في توجيهها، بل كانوا جميعاً على قلب رجل واحد في تأويلها، وأعرض عليكم هنا بلساني تفصيل ما ذهبوا إليه:

^١ الإسكافي في درة التنزيل، ص ٦٩ / والكرماني في البرهان، تحقيق الجميلي، ص ٥٣ / والغزناطي في ملك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨ / وابن جماعة في كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٥٤.

^٢ المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٨.

^٣ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٦٦-٦٧.

فقد رأوا - جميعا - أن آية الأنعام تقدمها ادعاؤهم الشريك لله - سبحانه - وادعاؤهم له
الصاحبة والولد - سبحانه - قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُد

بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أُنَى يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ (الأنعام ١٠٠-١٠١)، فكان الأنسب تقديم كلمة التوحيد ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ على
الخلق.

أما في آية غافر، فقد تقدمها استعراض بعض آيات الله في خلقه، وبعض آيات قدرته في
كونه، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (غافر ٥٧)، حتى قال عز وجل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَلِ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر ٦١)، فكان حقيقا تقديم الخلق هنا ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ على كلمة
التوحيد ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾، والله أعلم.

المسألة الثانية:

لعل السمة البارزة التي نلمسها فيما بين الغرناطي والسامرائي أن الغرناطي قد وضع حجرا وأساسا،
ثم جاء السامرائي فرفع البناء، ووضع حجرا فوق حجر الغرناطي، وجمل شكل البناء ورزقته، فما
أعظم أن يتم المتأخر جهد المتقدم!

لقد وجه كل من الغرناطي والسامرائي مسألة تأخير وتقديم ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ في الآيتين:

- قول الله تعالى: ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ (البقرة ٥٨).

- وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ (الأعراف ١٦١).

ولو نظرنا في توجيه كل منهما، سنجد أن السامرائي قد ذهب في اتجاه غير اتجاه الغرناطي، وسار في طريق غير طريقه، لكن إذا جمعنا كلا التوجيهين إلى جانب الآخر سنجدهما متكاملين، غير متناقضين، يتم كل منهما الآخر.

أما الغرناطي:

فقد رأى: "أن قولهم ﴿ حِطَّةٌ ﴾ دعاء أمروا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين، غير مساوق أحدهما للآخر على أحد احتمالات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده، ... وأن المراد: وادخلوا الباب سجدا قائلين في سجودكم ﴿ حِطَّةٌ ﴾"^١.

أما السامرائي:

فقد رأى أن تقديم السجود في سورة البقرة كان لسببين:
"الأول: لأن السجود أشرف من القول، لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فناسب التكرم.

والثاني: لأن السياق يقتضي ذلك، فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ... ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة ٤٣...٤٥)، فناسب ههنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف، فأخر السجود"^٢.
فجاء توجيه الغرناطي والسامرائي كلاهما متكاملين، متتامين.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٧

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٣١٩

المبحث الثاني: تقديم وتأخير شبه جملة

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل ١٤).

- وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (فاطر ١٢).

المسألة موضع البحث هنا هي: ما سبب تأخير شبه الجملة في: ﴿ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ في آية النحل، وتقديمها في: ﴿ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ آية فاطر؟

أما الغرناطي:

فقد اتجه اتجاهها لفظيا، فنظر في السياق اللفظي في آية النحل فوجد أنها "بُنِيَتْ عَلَى تَأْخِيرِ الْمَجْرُورَاتِ عَنْ مَتَعَلِّقِهَا، وَجَرَى الْكَلَامُ جَرِيًّا وَاحِدًا لِلتَّنَاسُبِ وَالتَّشَاكُلِ، فَقِيلَ: ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ ﴾ ، و ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ ﴾ ، فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَأْخِيرَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فِي: ﴿ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ ، أَمَا آيَةُ فَاطِرٍ، فَمَبْنِيَةٌ عَلَى تَقَدُّمِ الْمَجْرُورِ عَلَى مَتَعَلِّقِهِ فَقَالَ: ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ ﴾ فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَأْخِيرَ الْعَامِلِ أَيْضًا فِي الْمَجْرُورِ الثَّانِي ﴿ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ لِتَنَاسُبِ الْكَلَامِ بِنَاءِ آخِرِهِ عَلَى مَا بَنِيَ أَوَّلَهُ"^١

وأما السامرائي:

فقد وقف على نكتة جديدة لطيفة وعظيمة، تُتَمَّمُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْغَرْنَاطِيُّ، فَذَكَرَ أَنَّ الْكَلَامَ الْمَتَقَدِّمَ عَلَى آيَةِ النُّحْلِ يَتَنَاوَلُ وَيَفْصَلُ فِي: "وَسَائِطِ النُّقْلِ، فَذَكَرَ الْأَنْعَامَ، وَأَنَّهَا تَحْمِلُ الْأَثْقَالَ، وَذَكَرَ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكِبِهَا وَزِينَتِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْفُلْكَ، وَهِيَ وَاسِطَةٌ نَقْلٍ أَيْضًا، فَقَالَ: ﴿

^١ بتصرف، الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴿١﴾ قدم المواخر لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل، وليس السياق كذلك في سورة فاطر، إذ الكلام فيها على البحر وأنواعه، وما أودع الله فيه من نعم جليلة، لذا قدم ضمير البحر على المخر فقال: ﴿١﴾ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴿١﴾

المسألة الثانية:

إننا حين نوازن بين توجيه كل من الغرناطي والسامرائي، لا نقصد بذلك المفاضلة بينهما، والحكم لأحدهما على الآخر، وإنما نريد أن نضع أيدينا على الوجه الأكمل - ما استطعنا - لتوجيه آيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وقد رأينا أننا لا نكاد نجد موطناً نحكم فيه لأحدهما على الآخر، وإنما كانا دائماً فَرَسَيَّ رَهان في ميدان المتشابه اللفظي، ويبقى للغرناطي فضل السبق والتأسيس والموسوعية.

وفي الموطن الآتي وجه كلا الرجلين مسألة تأخير شبه الجملة [به] عن ﴿٢﴾ قُلُوبِكُمْ ﴿٢﴾ وتقديمها عليها في الآيتين:

- قول الله تعالى: ﴿٣﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٤﴾ (آل عمران ١٢٦).

- وقوله تعالى: ﴿٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ

عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ (الأنفال ١٠).

أما الغرناطي:

فقد رأى أنه قد تقدم آية آل عمران ذكر الطائفتين المؤمنين والكافرين: "فجيء بضمير خطابهم متصلاً بلام الجر المقتضية الاستحقاق فقيل: ﴿٧﴾ بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴿٧﴾ وبين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك

^١ بتصرف، السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٦٨

فقيل: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فقدمت القلوب على المحرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب، أما آية الأنفال: فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين^١ فلم يحتج الأمر فيها إلى ما احتج إليه في آل عمران.

وأما السامرائي:

فقد اعتمد على أسباب النزول فَبَلَّغَتْهُ إِلَى تَوْجِيهِ دَقِيقٍ لِسَبَبِ تَقْدِيمِ ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ عَلَى الْجَارِ وَالْمَحْرُورِ فِي الْأُولَى وَتَأْخِيرِهَا فِي الثَّانِيَةِ، إِذْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَتَيْنِ عَلَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ "غَيْرَ أَنَّ الْمَوْقِفَ مُخْتَلَفًا، فَفِي آلِ عِمْرَانَ ذَكَرَ مَعْرَكَةَ بَدْرٍ تَمْهِيدًا لَذِكْرِ مَوْقِعَةِ أَحَدٍ وَمَا أَصَابَهُمْ فِيهَا مِنْ فَرْحٍ وَحُزْنٍ، وَالْمَقَامَ مَقَامِ مَسْحِ عَلَى الْقُلُوبِ وَطَمَئِنَّةِهَا .. فَذَكَرَ أَنَّ الْبَشْرَى لَهُمْ، وَقَدَّمَ [قُلُوبَهُمْ] عَلَى الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: ﴿إِلَّا بُشِّرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ كل ذلك من قبيل المواساة والتبشير والطمأننة، أما المقام في الأنفال فليس كذلك إذ أنه مقام انتصار وإبراز دور الإمداد الرباني لذا قدم ﴿به﴾ على القلوب، والضمير يعود على الإمداد^٢.

وللباحث رأي آخر:

من دون أن أنكر على الغرناطي رأيه، ودون أن أرد على السامرائي تجديده، فكلا التوجيهين مقبول، لكني لحت في ثنايا الآيات شيئاً لم يلتفت إليه كل من الغرناطي و السامرائي، ألا وهو:

بالنظر في سياق آية (الأنفال ٩) نجد في الآية السابقة لها مباشرة استغاثة من المؤمنين، يطلبون المدد، فجاءت الاستجابة سريعة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال ٩)، فكان جديراً في الآية التالية أن يتقدم ذكر المدد؛ لأنه هو سبب تحقق الطمأنينة للقلوب، فقال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأنفال ١٠)، فقدم الضمير العائد على المدد طلباً لتحقيق الطمأنينة في قلوب المؤمنين، والله أعلم^٣.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٨٩

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٧١ - ٧٢

^٣ لقد تبين لي هذا التوجيه، ووفقني الله إليه، وانتهيت منه، وسجلته، ولم أكن أعلم أن عبد العظيم المطعني - رحمه الله - قد سبقني إليه، راجع: خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٦٨ - ١٧٠

أما آية (آل عمران ١٢٦) وسبب تقدم ﴿ قُلُوبِكُمْ ﴾ على ﴿ به ﴾ ذلك لأن الحال مختلف، فقد جاءهم البشرى بالمدد؛ إذ دل السياق قبلها أن النبي ﷺ قد بشرهم به، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ [١٢٤] بَلَىٰ إِنَّ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [١٢٥] (آل عمران ١٢٤-١٢٥)، فكان تقدم ﴿ قُلُوبِكُمْ ﴾ أولى، إذ وقعت البشرى عليها مباشرة، ثم عقب بالسبب ﴿ به ﴾ الذي هو المدد، فجاء كل بحسب ما يشفي القلوب ويغرس فيها الطمأنينة، والله أعلم.

المسألة الثالثة:

مسألة تقدم ﴿ به ﴾ على ﴿ لَغَيْرِ اللَّهِ ﴾ في آية البقرة وتأخيره في الآيات الأخرى:

- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٣).

- وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (المائدة ٣).

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٤٥).

أما الغرناطي:

فقد جمع إلى الآيات السابقة موضعاً مشابهاً من سورة النحل، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٥)، إلى الآيات الثلاثة ووجه فيهن المسألة ذاتها، لكنه - وللأسف - لم يلتفت إلى آية النحل، فقد جمعها إلى الآيات الثلاث ثم غفل عنها، رغم أن آية النحل تكاد تنسف ما ذهب إليه.

فقد اعتمد الغرناطي في توجيهه لهذه المسألة على أمرين:

الأول: عادة العرب في الكلام إذا أرادت الاعتناء بشيء ما وزيادة تأكيده أو تشريفه، فإنهم يعمدون إلى تقديمه، وقد تحصل ذلك في آية البقرة فقدم ﴿ به ﴾ اعتناء واهتماماً وتأكيذاً.

والثاني: من منطلق اللغة، رأى أن آية البقرة "خُصَّتْ بـ ﴿ إِنَّمَا ﴾ المقتضية الحصر .. فلما

تحصل في هذه الآية - آية البقرة - ما أشير إليه من تأكيد هذا المحرم ما ليس في الآي الأخر ناسبه تقديم المضمرة المجرور في قوله: ﴿ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ١٧٣)، ليكون الكلام بتقديم المجرور بقوة أن لو قيل: إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والمُهْلُ به لغير الله... أما الآي الأخر فليس فيها ما في هذه، فتأخر الضمير المجرور إلى محله الذي هو موضعه؛ إذ لم يقصد هذا القصد، ولم يكن ليلائمه التقديم".

لكننا حين ننظر في آية النحل ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٥)، نجد أنها تنقض ما ذهب إليه الغرناطي، فقد تأخر فيها الجار والمجرور المضمرة ﴿ به ﴾، وقد حصرت الآية بـ ﴿ إِنَّمَا ﴾.

وقد التفت محمد فاضل السامرائي إلى غفلة الغرناطي عن آية النحل، فرد عليه قائلاً:

^١ الغرناطي، ملاك التاويل، ج ١، ص ٥٧ - ٥٨

"وأقول: إذا كان ابن الزبير يرى أن سبب تقديم الجار والمجرور ﴿ به ﴾ على ﴿ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ في آية البقرة هو تخصيصها بكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ المفيدة للحصر، فإن آية النحل قد تقدمها ﴿ إِنَّمَا ﴾ المقتضية للحصر أيضا، فلماذا ورد ﴿ به ﴾ بعد ﴿ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾؟"^١

أما السامرائي:

فإنه هو الآخر لم يلتفت إلى آية النحل ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل ١١٥) إلا حين رد بها على الغنطائي، ووجه مسألة تقديم ﴿ به ﴾ على ﴿ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ في آيات [البقرة ١٧٣، والمائدة ٣، والأنعام ١٤٥] المتقدمة فقط، واعتمد اعتمادا على السياق في توجيه المسألة، فبدأ بتوجيه آيتي المائدة والأنعام، ورأى ما يلي:

"المقام في آية الأنعام هو في الكلام على المفتريين على الله ممن كانوا يشرعون للناس باسم الله، وهم يفترون عليه، فقال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا... ﴿١٦﴾ ... وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ

﴿ ١٦ ﴾ (الأنعام ١٣٦-١٣٨)، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن ثمة ذوات غير الله تحلل وتحرم مفترية على الله .. فلذا قدم إبطال هذه المعبودات من غير الله على ﴿ به ﴾ فقال: ﴿ أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ ﴾"^٢

ثم طاف السامرائي في سياق آية المائدة ورأى أنه جارٍ على رفض أية جهة تحلل وتحرم من غير الله، فيجعل التحليل والتحريم بيده وحده، ويرفض أية جهة أخرى تقوم بذلك، لأنه من الشرك الذي أبطله الإسلام.

^١ السامرائي، محمد، دراسة التشابه اللفظي في ملاك التأويل، ص ١٨١

^٢ السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٧٣

ثم قال: "وجاء في المواطنين بذكر اسم الله على الذبائح، فالمشركون لا يذكرون عمدا اسم الله على ذبائحهم ﴿وَأَتَعَمَّمُوا لَّا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ (الأنعام ١٣٨)، وأمر المؤمنين بذكر اسم الله على ذبائحهم ﴿وَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (المائدة ٤) فناسب ذلك تقديم بطلان ذكر غير الله ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^١.

ويرد محمد فاضل السامرائي على أبيه قائلا: "وأقول إن الكلام في النحل أيضا على التحليل والتحریم ورفض أية جهة أخرى تحلل وتحرم من غير الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (النحل ١١٦)^٢، لكن - وللأسف - لم يمنحنا محمد السامرائي ما يعالج به العوار في توجيه كل من الغرناطي والسامرائي.

وللمطعني رأي آخر:

لقد راجعت كتب توجيه المتشابه اللفظي قديما وحديثا، أجتهد في الوقوف على توجيه مسألة تقديم الجار والمجرور ﴿به﴾ في آية البقرة ١٧٣، وتأخيره في الآيات الثلاث الأخرى: المائدة ٣، والأنعام ١٤٥، والنحل ١١٥، فوجدت أن الإسكافي^٣ والكرماني^٤ والأنصاري^٥ ثلاثتهم قد ذهبوا مذهب الغرناطي مع اختلافات طفيفة فيما بينهم طولا وقصرا.

أما ابن جماعة فقد وقف على لفتات طيبة، فإنه قد ذهب مذهبها آخر غير مذهب الجميع، والتفت إلى أماكن نزول السور، فكان ذلك سببا في توفيقه بقدر؛ إذ لم يعط توجيهها شافيا، فبعد أن أشار في إيجاز إلى السياق الذي سبق آيات البقرة والمائدة والنحل، وأن التقديم والتأخير فيها جاء بحسب ما يناسب السياق، قال: "وأیضا فأية النحل والأنعام نزلتا بمكة، فكان

^١ المصدر السابق، ص ٧٣، بتصرف.

^٢ السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي في ملاك التأويل، ص ١٨٢.

^٣ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٢٢-٢٣.

^٤ الكرماني، البرهان، ص ٢٧.

^٥ الأنصاري، ص ٣٢.

تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائهم، لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم^١.

أما المحدثون فلم أجد أحدا وجه هذه المسألة إلا اثنين:

الأول: فاضل السامرائي، وقد سبق وبحثنا توجيهه.

والثاني: عبد العظيم المطعني - وسبحان الله - لقد وفقه الله ومنحه ما لم يمنحه لغيره، فبعد أن عرض الآيات الأربعة السالفة الذكر، بيّن الأصل وغير الأصل في التقديم والتأخير، وبيّن أن الآيات جاءت على الأصل في موضع واحد وهو آية البقرة ١٧٣، وجاءت على غير الأصل في ثلاثة مواضع المائدة ٣، والأنعام ١٤٥، والنحل ١١٥ ثم قال: "أما المواضع التي على غير الأصل منها موضعان مكيان هما الأنعام والنحل، والموضع الثالث - وهو المائدة - مدنية إلا الآية التي فيها هذه العبارة ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ فمكية نزلت في حجة الوداع كما نص على ذلك العلماء. وجاءت العبارة على الأصل ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^٢ في موضع واحد، وهو سورة البقرة، وهي مدنية بلا خلاف"^٣.

وحين وقف عبد العظيم المطعني على ذلك رأى أنه قد أمسك بالسر - وأظنه صدق - فقال: "الآن نستطيع أن نفهم السر في التقديم والتأخير في هذه النصوص الحكيمة، وخلاصة القول فيه: إن ما قدم فيه ﴿ لِّغَيْرِ اللَّهِ ﴾ على ﴿ به ﴾ خطاب لأهل مكة، مسارعة إلى نفي الشرك وإبطالا لاتخاذ الأصنام آلهة تُعبد، ويُذبح ويُنحر باسمها، وذلك وقع في آيات المائدة، والأنعام، والنحل... أما ما قدم فيه ﴿ به ﴾ على ﴿ لِّغَيْرِ اللَّهِ ﴾ في آية البقرة، فهو خطاب لأهل المدينة، وهم ليسوا كافرين حتى يسارع إلى نفي الشرك... فمع أهل مكة هدف القرآن إلى نفي

^١ ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٣٦

^٢ سها عبد العظيم المطعني هنا وقال: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ والصحيح ما ذكرناه، وقد سها سهوا آخر حين عرض نصوص الآيات الأربعة، إذ وقع خطأ في نص آية البقرة، فورد فيها ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ والصحيح: ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ ﴾.

^٣ المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٦٣

الشرك أولاً، ثم تحريم ما حرم ثانياً، ومع أهل المدينة هدف إلى تحريم ما يحرم أولاً، ثم الثبات على ما هم عليه من الإيمان ثانياً"^١

ولم يكتب عبد العظيم المطعني بذلك، وكأنه توقع أو افترض أن يقول قائل: لقد قسم كثير من العلماء القرآن إلى مكّي ومدني^٢ باعتبار زمني، فما كان قبل الهجرة فهو مكّي، وما كان بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل بمكة، وعلى هذا التقسيم فإن آية المائدة^٣ والتي نزلت بمكة في حجة الوداع هي مدنية، وليست مكية، لكن المطعني قد أعدَّ عُدَّتَهُ، فَجَهَّزَ الرد على ذلك في براعة وحكمة، قال: "وكان القرآن يقول لأهل مكة: لا تظنوا أن الإسلام قد سكت عما أنكر عليكم، وقد رحل رسوله ورجاله عن دياركم، وغابوا عنكم طيلة عشر سنين، فإن الإسلام باق على دعوته، الحلال حلال، والحرام حرام، لأنه مبادئ وأسس ثابتة، لا تقبل الإبطال أو التبديل"^٣، فرحم الله عبد العظيم المطعني رحمة واسعة.

^١ بتصرف، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٣

^٢ المكّي والمدني: ذهب فيهما العلماء ثلاثة مذاهب: الأول: المكّي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها، بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً كالمنزّل في بدر وأحد. والثاني: المكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. والثالث: وهو المشهور أن المكّي ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهذا التقسيم تقسيم صحيح سليم لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف بخلاف سابقه ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

فوائد معرفة المكّي والمدني: ١- معرفة الناسخ من المنسوخ. ٢- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم. ٣- إبراز عناية المسلمين بالقرآن والثقة بأن القرآن وصل إلينا سالماً من التغيير والتحرّف. ٤- الوصول إلى الفهم الصحيح لآيات القرآن وسوره. ٥- التذوق اللغوي لأساليب البيان العالية في القرآن الكريم.

ضوابط القرآني المكّي وسماته: ١- كل سورة فيها لفظ كلا فهي مكية. ٢- كل سورة فيها سجدة فهي مكية لا مدنية. ٣- كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران فإثما مدنيتان بالإجماع، وفي الرعد خلاف. ٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة. ٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة أيضاً. ٥- كل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مكية. ٦- كل سورة من المفصل فهي مكية. ٧- وأسلوب القرآن المكّي يتميز في الغالب بقوة الأسلوب، وشدة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين معروضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك. ٨- الغالب في المكّي قصر الآيات، وقوة الحاجة؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون، فخطبوا بما تقتضيه حالهم. ٩- الغالب في المكّي تقرير التوحيد والعقيدة السليمة، خصوصاً ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

ضوابط القرآن المدني وسماته: ١- كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية. ٢- كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية. ٣- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت. ٤- الغالب في أسلوب القرآن المدني اللين، وسهولة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون. ٥- الغالب فيه طول الآيات، وذكر الأحكام مرسله بدون حاجة. ٦- الغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة، فهم في حاجة لتفصيل العبادات والمعاملات. ٧- الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم. راجع: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٦-١٣٧ / وراجع: موقع الإسلام سؤال وجواب، على هذا الرابط:

<http://www.islam-qa.com/ar/ref/١١٣١٤٨> 2/8/2011

^٣ المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني، ج ٢، ص ١٦٣.

المبحث الثالث: تقديم وتأخير كلمة

المسألة الأولى:

لا نبالغ إذا قلنا: إن الغرناطي يعد أستاذ هذا العلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] من بين القدماء جميعا، وهذا لا يبخس قدر باقي الأساتذة القدامى، فلهم الفضل والسبق، خاصة الأستاذ والمؤسس الأول الإسكافي، أما لو نظرنا في آثار أساتذة هذا العلم المحدثين، فإننا يمكننا القول ودون مبالغة: إن السامرائي أستاذ المحدثين بلا منازع.

لكنني أعجب لمدى التناغم والتكامل بين هذين العَلَمَين، فكثيرا ما وافق السامرائي الغرناطي، وذهب إلى ما ذهب إليه، لكن السامرائي لا يقف عند حد الموافقة، بل يتخطى مجرد الموافقة إما بالتوضيح مع إيجاز، أو إلى التوضيح والإثبات والتأييد بأدلة جديدة، وأمثلة ونماذج مشابهة. فمن ذلك مثلا توجيههما لمسألة تقديم النفع على الضر وعكس ذلك في:

- قول الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الأعراف ١٨٨).
- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (يونس ٤٩).

جدير بالذكر أن نشير إلى أن أكثر علماء المتشابه اللفظي قد توافقوا على رأي وحيد في توجيه مسألة تقديم النفع على الضر أو عكسه في هذا الموطن والمواطن الشبيهة به، وكان عمدتهم جميعا في توجيه السياق، فمتى تقدم النفع نجد في السياق - المتقدم أو المتأخر - أن كل ما دل على النفع تقدم على ما دل على الضر، والعكس، متى تقدم الضر على النفع كان السياق متناغما مع ذلك بتقديم دلالات الضر على ما دل على النفع^١.

أما الغرناطي:

^١ راجع: درة التنزيل للإسكافي، ص ١٠٠-١٠١ / والبرهان للكرمانى، تحقيق: السيد الجميلي، ص ١٦٠-١٦١ / وكشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٦٥ / فتح الرحمن للأنصاري، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ١١٥-١١٦.

استند الغرناطي في توجيهه لسبب تقدم النفع في آية الأعراف إلى السياق قائلًا: "لما تقدم سؤالهم عن الساعة وتكرر في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (الأعراف ١٨٧)، ... فعرفهم أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً، وتقدم ذكر النفع لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها، فأعلمهم أنه - سبحانه - استأثر بعلمها، .. ﴿لَا تُجَلِّبُهَا لِوَقْتَهَا إِلَّا هُوَ﴾ ثم تأكد هذا الغرض بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ (الأعراف ١٨٨) ... أما في يونس فقد تقدم الضر وتأخر النفع، لأنهم طلبوا تعجيل العذاب استهانة وتكديبا ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس ٤٨)، فَأَمَرَ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الضَّرَّ وَلَا النِّفْعَ لِنَفْسِي وَلَا لَكُمْ... فقدم الضر لأجل ما تقدم من طلبهم إياه".^١

أما السامرائي:

فقد انطلق هو الآخر من حيث انطلق الغرناطي، أي من السياق، لكنه كان أكثر بساطة وتوضيحا، ولم يكتف بهذا الموضع من تقدم النفع على الضر وتأخره، بل ساق مواضع أخرى عدة اقترن فيها النفع بالضر تقديمًا وتأخيرا. فرأى أن السياق المتقدم على آية الأعراف جاء فيه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف ١٧٨)، "فقدم الهداية على الضلال، وجاء بعدها ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (الأعراف ١٨٨)، فقدم الخير على السوء. ثم نظر في السياق المتقدم على آية يونس فوجد أنه قد جاء فيه ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ (يونس ١٢)، فقدم الضر على النفع ... فكان المناسب تقديم الضر على النفع ههنا".^٢

^١ بتصرف، الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٣.

^٢ بتصرف، السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ص ٦٠.

ثم وجه عددا آخر من الآيات المشابهة، اقترن فيها النفع بالضرر، وجاء توجيهه على منهج توجيه آيتي الأعراف ويونس السابقتين، أي من السياق السابق واللاحق بالآيتين^١.

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

(الأنعام ١٥١).

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء ٣١).

لقد طُفَّت في كتب المتشابه اللفظي^٢، وأكثر كتب المفسرين، فوجدت كل من بحث الاختلاف اللفظي بين هاتين الآيتين قد أجمعوا على رأي واحد فيهما دون خلاف، لكن كان أوسعهم وأوسعهم فكرا الغرناطي - رحمه الله - إذ أننا نلمح في توجيهه إضافات لا نجدها عند غيره ممن وجهوا هاتين الآيات، أما أشدهم إيجازا مع إحاطة بالتوجيه دون إحلال به فكان للكرماني، لذا سأكتفي هنا ببحث توجيه كل من الغرناطي والكرماني، نظرا للفائدة الأكبر المحققة في توجيههما، ولا حاجة لعرض توجيهات الآخرين سواء من رجال المتشابه اللفظي، أو المفسرين، إذ لا جديد.

أما الغرناطي:

فجاء في ملاكه ما يلي في إيجاز: "قيل ﴿ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ أي من أجل الإملاق الحاصل، ثم قيل لهم: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم، وكأن السياق يُشعر بتشجيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكان قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم.. وأما الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب، وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع، والعجز عن مؤنتهن فيما يتوقعونه مستقبلا، فقيل: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم.. والمعلول الذي هو الإملاق لم يقع بعد، وضمن تعالى لهم رزقهم ورزق

^١ راجع: المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦١.

^٢ راجع: الإسكافي، درة التنزيل، ص ٧٤ / الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٥٥ / ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ٥٦ / الأنصاري، فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٩٩ / السامرائي، التعبير القرآني، ص ٦٣ - ٦٤.

أولادهم، ودفع ذلك المتوقع، ليرفع خشيتهم، فلهذا قدم ضمير الأولاد، ثم عطف عليه ضمير الآباء"¹.

ولقد كان للكرماني توجيه -على إيجازه الشديد- بديع، فقد جمع أطراف المعنى، وصاغها في أقل لفظ، قال: "قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ وقال في (سبحان)²: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ على الضد؛ لأن التقدير: من إملاق بكم نحن نرزقكم وإياهم، وفي (سبحان) خشية إملاق يقع بهم نحن نرزقهم وإياكم"³.

¹ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: سعيد الفلاح، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣.

² سورة الإسراء.

³ الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٥٥.

الفصل الثالث

التشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل

المبحث الأول: التشابه والاختلاف بالإبدال

المطلب الأول: إبدال اسم باسم

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران ١٦٧).
- وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح ١١).

لماذا قيل في آية آل عمران ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وقيل في آية الفتح ﴿ بِاللِّسَانِ ﴾؟

وجه الغرناطي والسامرائي هذه المسألة في هذا الموضوع، وقد دخل السامرائي إلى توجيه هذه المسألة من باب آخر غير الذي وَلِجَ منه الغرناطي، فقد نظر السامرائي إلى المسألة من ناحية [القول الذي قيل]، أما الغرناطي فقد رأى المسألة من ناحية [حال المتكلمين] لكنك إذا نظرت في توجيه كلا الرجلين تجد أنهما كليهما غاية في الدقة، والبراعة، وْحُجِّيَّةِ الرَّأْيِ، وإصابة الهدف، فكلاهما أصاب الهدف، ورغم أنهما اختلفا في توجيه المسألة في المدخل، وفي النتيجة، لكن كل منهما وقف على توجيه دقيق لها، ولا مانع من وجود أكثر من وجه للمسألة.

أما الغرناطي:

فَمَهَّدَ لتوجيه المسألة بقوله: " ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ينبئ عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أو

قصد لا يحصل من قوله: ﴿ بِاللِّسَانِ ﴾ ألا ترى قولهم: تكلم بملء فيه، حين يريدون

المبالغة^١، ثم دخل إلى المسألة من باب حال المتكلمين، إذ المتكلمون في آية الفتح غير المتكلمين في آية آل عمران، فإنهم في الفتح هم الأعراب الذين دخلوا الإسلام حديثا ولم يتمكن الإسلام من قلوبهم بعد، والذين قال الله فيهم: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات ١٤)، وهؤلاء قالوا: ﴿ شَغَلْتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (الفتح ١١)، فذاك كان قولهم الاعتذار وطلب الاستغفار، فهم ليسوا منافقين مُسْتَقِرًّا نفاقهم كالفریق الآخر، الذين فيهم النفاق أصل مستحکم كعبد الله بن أبي وأصحابه، والذين قالوا عن شهداء [أُحُد] ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ (آل عمران ١٦٨)، والذين أخبر الله عنهم: ﴿ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٧). فعبر في آية الفتح بالألسنة ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ إشعارا بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آية آل عمران، فلاختلاف حال الطائفتين اختلفت العبارة^٢.

أما السامرائي:

فقد دخل من مدخل آخر لطيف وبديع، ألا وهو الكلام الذي قاله المنافقون في آية آل عمران، والكلام الذي قاله الصنف الثاني منهم في آية الفتح، فقد رأى أن قول المنافقين في آية آل عمران أقبح وأشد وأشنع من قول الآخرين في آية الفتح، فناسبت ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ المنافقين في الصنف الأول في آية آل عمران، وناسبت ﴿ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ الصنف الثاني في آية الفتح؛ وذلك لأن: "الأفواه أعم وأشمل من الألسنة، فإن اللسان جزء من الفم، والمناسب أنه إذا كان القول كبيرا عظيما ذكرت الأفواه، وإذا كان أقل ذكرت الألسنة مناسبة لكل حالة"^٣.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٩٤.

^٢ بنصرف كبير، راجع: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٤.

^٣ السامرائي، أسئلة بيانية، ص ٤٠.

ثم مضى يثبت أن القول في آية آل عمران كان أبشع وأشد، فقال: "إن السياق في آل عمران إنما هو في المتخلفين عن القتال في أحد، فقد دُعُوا إلى القتال أو الدفع عن المدينة فامتنعوا قائلين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ (آل عمران ١٦٧) .. وقالوا عن الشهداء: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران ١٦٨). أما المذكورون في آية الفتح فهم المتخلفون عن عمرة الحديبية فهم لم يذهبوا إلى العمرة معتلين بالشغل، ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح ١١) ... فالقول في آيات آل عمران أعظم وأكبر منه مما في الفتح؛ فهم كانوا مصرين على عدم المشاركة في القتال، بل ويُحَدِّثُونَ غيرهم وِزْيُونُ لهم القعود، أما في الفتح فإنهم أظهروا الاعتذار وطلب الاستغفار، فقول أصحاب أحد أكبر وأعظم، وموقفهم أخطر، فناسب أن يذكر فيهم ما هو أكبر وهو الأفواه، وناسب ذكر الألسنة في آية الفتح".^١

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُمُ^ط فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (الرعد ٣٢).
- وقوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُمُ الْكٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُمُ^ط فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الحج ٤٤).

وجه الغرناطي والسامرائي هنا سبب تعقيب الآية الأولى بـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وتعقيب الثانية بـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾. فوافق السامرائي الغرناطي في توجيهه، ولم يخالفه، بل إنه لم يزد عليه.

أما الغرناطي:

^١ المصدر السابق، ص ٤١.

فقد رأى: "أن العقاب أشد موقعا من النكير لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه، وعلى ما فيه العقاب ... وقد تقدم في آية الرعد ﴿وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجرمة مرتكبة أشنع جرمة، فناسبها الإفصاح بالعقاب. أما آية الحج فإن الوعيد فيها للمذكورين بالتكذيب، ولم يذكر منهم استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ (الحج ٤٢-٤٣)، فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب وليس التكذيب كالأستهزاء، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله، أما المستهزئ فلا يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الحجر ١)، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب" ^١.

وأما السامرائي:

فقد عقب على هذه المسألة قائلا: "المستهزئون أعظم جرما من المكذبين، لأنهم يجمعون السخرية إلى التكذيب، فكان الوعيد لهم أشد، إذ رب نكير لا يصحبه عقاب، فجعل كل بإزاء جرمه الذي يناسبه" ^٢، ثم عرض توجيه الغرناطي للمسألة كاملا دون تدخل منه، يؤيد به ما ذهب إليه.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، حقيق الفاسي، ج ٢، ص ٢٨٢

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢٢٨

المطلب الثاني: إبدال فعل بفعل

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ^ط فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة ٦٠).

- وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا^ج وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ^ط أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ^ط فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف ١٦٠).

قال في آية البقرة ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ ، وقال في آية الأعراف ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ ، فما وجه اختصاص كل منهما بما ورد فيها؟

تلك المسألة هي موضع التوجيه والبحث في هاتين الآيتين، وقد لاحظتُ أن هناك اتفاقاً بين سائر من وجهوا هذه المسألة، وكان توجيه الكرمانى والغرناطى العمدة لمن بعدهما، وإن زادوا بعض الزيادات، إلا أن السامرائى جمع في توجيهه كل ما سبق من التوجيهات.

أما الغرناطى:

فقد استعان بأعلام المفسرين ليقف على الفرق بين الانبجاس والانفجار، فنظر في القرطبي فوجده قد رأى أن: "الانبجاس أول الانفجار"^١، ونظر لدى ابن عطية فوجده قد قال: "انبجست انفجرت لكنه أخف"^٢، واعتماداً على تأويل كل من القرطبي وابن عطية بنى الغرناطى توجيهه قائلاً: "والله أعلم أن الفعلين وإن اجتمعا في المعنى فليسا على حد سواء بل الانبجاس ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له، ... إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى ﷺ

^١ راجع: القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، ج ١، ص ٤١٩، وهذا لفظ القرطبي: "والانبجاس أضيق من الانفجار؛ لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً"

^٢ راجع ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج ٢، ص ٥٣٥. وهذا لفظ ابن عطية: "و{انبجست} معناه انفجرت، إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار"، وقال أيضاً في تفسير آية البقرة: "والانبجاس في الماء أقل من الانفجار". راجع ابن عطية، ج ١، ص ١٣٢

السقيا، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴾ والوارد في البقرة طلب موسى ﷺ من ربه ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ فطلبهم ابتداءً فناسبه الابتداء، وطلب موسى ﷺ غاية لطلبهم لأنه واقع بعده ومرتب عليه، فناسب الابتداء الابتداء، والغاية الغاية، فقيل جواباً لطلبهم ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ ﴾، وقيل إجابة لطلبه ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾^١.

وأخذ الشعراوي هذا الرأي وبسطه بلغة أيسر وأوضح مع زيادة جديرة بأن نعرضها هنا قال: "وقصة الاستسقاء وردت من قبل في سورة البقرة: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾، وفي سورة الأعراف التي نحن بصدد خواطرنا عنها، هم الذين طلبوا الاستسقاء، فهل هناك تعارض؟ طبعاً لا؛ لأن قوم موسى طلبوا السقيا من موسى، فطلب لهم السقيا من ربه، فهل هذا تكرار؟ لا؛ ... نؤكد أنه لا خلاف ولا تكرار؛ لأن المستسقي هنا القوم، والمستسقي لهم هنا هو موسى، والمستسقي منه هو الله - جلت قدرته - وهذا أمر طبيعي"^٢.

وأما السامرائي:

فقد بدأ السامرائي برأيه والذي كان خلاصة لسائر الآراء المتفككة، قال: "وثمة فرق بين الانفجار والاننجاس، فإن الانفجار للماء الكثير، والاننجاس للماء القليل، وكل تعبير يناسب موطنه، فإن المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: لأن موسى هو الذي استسقى ربه فناسب إجابته بانفجار الماء، ومن ناحية ثالثة: إن الله قال لموسى اضرب بعصاك الحجر ولم يوح إليه وحيًا، فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير بخلاف ما ورد في سورة الأعراف فجاء الاننجاس"^٣.

ثم استعرض السامرائي بعد رأيه الزيادات التي وردت لدى الآخرين، فذكر أن السيوطي رأى سبباً آخر، قال: "ثمة سبب آخر دعا إلى ذكر الانفجار في البقرة والاننجاس في الأعراف علاوة على ما سبق، ذلك أنه قال في البقرة ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٦٠) فجمع

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٤٠

^٢ راجع الشعراوي، ج ٧، ص ٤٣٩٥.

^٣ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٣٢٢، وقد لخص السامرائي ما أورده حول هذه المسألة في كتابه الآخر: بلاغة الكلمة، ص ١١٤.

بين الأكل والشرب، ولم يرد في الأعراف ذكر الشرب، فناسب ذلك أن يبالغ في ذكر الماء في البقرة^١.

ثم أيد كلامه وكلام السيوطي برأي الكرمانى في البرهان: "لأن الانفجار انصباب الماء بكثرة، والانبجاس ظهور الماء، وكان في هذه السورة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فذكر بلفظ بليغ، وفي الأعراف ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (الأعراف ١٦٠)، وليس فيه: ﴿وَاشْرَبُوا﴾ فلم يبالغ فيه^٢.

ثم عرض رأياً ثالثاً لم ينسبه لأحد: "وقيل إن الماء أول ما انفجر كان كثيراً، ثم قلَّ بعضيائهم، فَعَبَّرَ في مقام المدح بالانفجار، وفي حالة الدم بالانبجاس"^٣، وقد قرأتُ وسمعتُ هذا الرأي قبل ذلك دون الوقوف على مصدره، واجتهدت هنا في البحث عن من قال هذا الرأي من المفسرين وغيرهم فما وقفتُ عليه.

وقال السامرائي في إحدى حلقات برنامج [لمسات بيانية] حول هاتين الآيتين: لذلك هم قالوا قلَّ الماء بمعاصيهم وهو طبيعي مثلما قلت أنه في أول مرة ينفجر بالماء الكثير ثم يقل وهذا مشاهد، وهناك حقيقة عن ترتيب لطيف أيضاً في وضع الآيات: (فَانفَجَرَتْ) وضعها في سورة البقرة و(فَانبَجَسَتْ) في الأعراف، أيُّ الأسبق في الترتيب؟ البقرة، فذكر الانفجار أولاً من المبدأ لأنها انفجرت بالماء الكثير ثم قلَّت فذكرها في الأعراف، ففي المقدمة ذكر الانفجار^٤.

للباحث رأي:

أما قول القائلين ب: "إن الماء أول ما انفجر كان كثيراً، ثم قلَّ بعضيائهم، فَعَبَّرَ في مقام المدح بالانفجار، وفي حالة الدم بالانبجاس" فإنه مردود بما أفاده العطف ب [الفاء] في كلتا الآيتين بعد قوله تعالى: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ في الآيتين (البقرة ٦٠، الأعراف ١٦٠) فقد ورد الفعل عقبها مباشرة معطوفاً ب [الفاء] ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ مما أفاد التعقيب، فقد ضُربَ

^١ المصدر السابق، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

^٢ المصدر السابق، ص ٣٢٣.

^٣ المصدر السابق، ص ٣٢٣ / الكرمانى، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٢١ / ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ١٩ / الأنصاري، فتح الرحمن، تحقيق:

السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٢٢.

^٤ قناة الشارقة، برنامج لمسات بيانية، الحلقة ٢٢٦.

الحجر، وحين ضُربَ انشق وخرج منه الماء [وهذا هو الانبجاس]، ثم ما لبث أن اندفع الماء وكثر [وهذا هو الانفجار]. فالانبجاس أول الانفجار ومقدمته.

وهذا هو ما أجمع عليه المفسرون، إذ يكاد يجمع المفسرون على هذا التأويل، فنجد منهم من يسوي بين الانفجار والانبجاس ويروّهم بمعنى، وأكثرهم جعل الانبجاس مقدمة وأول الانفجار. ولا خلاف في ذلك، ولسنا في حاجة هنا لسوق نماذج من كتب المفسرين، فيكفيك أن تفتح ما تشاء منها فتجد هذا الرأي، وقد نظرت في ما يقرب من خمسين تفسيراً فما وجدتهم خرجوا عما ذكرنا، وسمع إلى الخازن يقول: " قال المفسرون: انفجرت وانبجست: بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت" ^١.

أما رأي السامرائي السابق من أن: "هناك حقيقة عن ترتيب لطيف أيضاً في وضع الآيات: ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾ وضعها في سورة البقرة و ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ ﴾ في الأعراف، أيُّ الأسبق في الترتيب؟ البقرة، فذكر الانفجار أولاً من المبدأ لأنها انفجرت بالماء الكثير ثم قلت فذكرها في الأعراف"، فإن الباحث لا يتفق مع السامرائي في هذا الرأي، لأن العبرة هنا بنزول السور والآيات، وليس بترتيبها في المصحف، ومن المعلوم أن سورة الأعراف أسبق في النزول من سورة البقرة، لذا فآية انبجاس الماء ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (الأعراف ١٦٠) أسبق في النزول من آية الانفجار ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة ٦٠)، فالانبجاس كما ذكرنا سلفاً أول الانفجار ومقدمته، وهو الأسبق حدوثاً ثم تلاه وتبعه الانفجار، ويؤيد ذلك ثلاثة أمور:

- الأول نزول سورة الأعراف قبل سورة البقرة.

- ورود الفعلين: ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ ﴾، ﴿ فَأَنْبَجَسَتْ ﴾ بعد حدث واحد هو: ﴿ أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ فكلاهما لحدث واحد.

- رأي جمهور المفسرين، إذ رأى أكثرهم أن الانبجاس مقدمة وأول الانفجار. والله أعلم

المسألة الثانية:

^١ الخازن، ج ١، ص ٤٩.

- قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ٤٩).
- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٤١).

وجه الغرناطي في هاتين الآيتين ثلاث مسائل، إحداها: لماذا قال في آية البقرة ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾ وقال في آية الأعراف ﴿ يُقْتُلُونَ ﴾؟ وهي المسألة التي وجهها السامرائي في هذا الموضوع، وسوف نبحت رأي كل منهما في هذه المسألة، ولا عجب أن يتفوق التلميذ على أستاذه، إذ أننا سنجد أن توجيه السامرائي جاء أكثر دقة وملائمة فقد حوى ما ذهب إليه الغرناطي، مع زيادة نكتة جديدة لطيفة.

أما الغرناطي:

فقد اعتمد في توجيهه للفعل ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾ في آية البقرة على حقيقة أن الذبح يخبرنا بالقتل وبالكيفية، أما القتل فإنما هو إخبار بالقتل الذي ينم عن الموت دون أن يشمل كيفية القتل، قال: "إن الذبح مُنبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبر أولاً بما يوحي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز.. فقيل: ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾".^١

أما في توجيهه للفعل ﴿ يُقْتُلُونَ ﴾ فقد وجه الفعل بناء على قراءة نافع والتي جاءت بالتخفيف ﴿ يَقْتُلُونَ ﴾ من دون تضعيف عين الفعل، رغم أن الجمهور^٢ قرءوا بالتشديد على

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٤.

^٢ راجع: البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٧٨ / والبغوي، ج ٣، ص ٢٧٤ / بحر العلوم للسمرقندي، ج ١، ص ٥٦٢.

التكثير من التقتيل، قال: "وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ ﴿يُذَنِّحُونَ﴾ لأجل التضعيف، إذ لفظ ﴿يُذَنِّحُونَ﴾ أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل"^١، وكما نرى فقد ترك الغرناطي قراءة الجمهور واعتمد على قراءة نافع، وكان الأولى أن يوجهها على قراءة الجمهور.

وأما السامرائي:

فقد ذكر أكثر من سبب لاختصاص آية البقرة بـ ﴿يُذَنِّحُونَ﴾ واختصاص آية الأعراف بـ ﴿يُقْتَلُونَ﴾ وهي كما يلي^٢:

١- إنه قال في الأعراف في قصة موسى قبل هذه الآية: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ

أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْتِلُ

أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف ١٢٧)، فناسب قول

فرعون فعله، فقد قال: ﴿سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وقد فعل، قال: ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ

﴾، فقد فعل ما قاله وهدد به.

٢- القتل أعم من الذبح، والقصة في الأعراف مبنية على العموم والتفصيل في موقف

فرعون من بني إسرائيل... حيث فصلت الأعراف في ذكر الحوادث قبل موسى وبعده،

فأكثر في التفاصيل، فناسب العموم في الأعراف العموم في اللفظ وهو التقتيل.

٣- لم يرد في البقرة ذكر لهارون، في حين ورد أكثر من مرة في الأعراف، وذكر موسى

وهارون معا أعم من ذكر موسى وحده، فناسب العموم العموم.

المسألة الثالثة:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٣٤

^٢ بتصرف وإيجاز: السامرائي، أسئلة بيانية، ص ١١-١٣

- قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (الكهف ٣٦).

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ (فصلت ٥٠).

لماذا قال في آية الكهف ﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ ﴾ وقال في آية فصلت ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ ﴾؟

تلك هي المسألة التي انشغل بها الغرناطي والسامرائي في هاتين الآيتين وكان لكل منهما توجيه يختلف اختلافا بينا عن الآخر.

أما الغرناطي:

فقد نظر في المتكلم في كلتا الآيتين، ولعل ذلك كان السبب في أن يضع يده مباشرة على توجيهه هو أقرب إلى الحق، فإن الآيتين كليهما في وصف حال الكافر وإنكاره للبعث، لكن كل واحدة منهما ذات شأن يختلف عن الأخرى، قال: " إن آية الكهف أقوى تعريفا ببعث الكافر المضروب به المثل عن حال الإيمان، وأما آية فصلت^١ فصالحة لاتصاف الكافر والمؤمن بالحال المفتوحة بها قوله: ﴿ لَا يَسْئَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ (فصلت ٤٩)، من حيث إن هذا الوصف وصف يعم المؤمن والكافر... فلما افرقت الآيتان فيما ذكر، ناسب آية الكهف قوله: ﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ ﴾، لما يشعر لفظ [رددت] ويحتمله من القهر والتعنيف وقوعا أكثريا لا بالوضع، بخلاف لفظ [رجع] إذا قلت منه: رجعت أو رجعت فإنه لا يحتمل ولا يفهم من معنى القهر والتعنيف ما يحتمله رد^٢.

أما السامرائي:

فنظر نظرة أخرى مختلفة، فلم يلتفت إلى السياق، أو المعاني، وإنما نظر في سورتي الكهف وفصلت فوجد "أن لفظ [الرد] ورد في الكهف ثلاث مرات، ولم يرد في فصلت إلا مرة واحدة، وأما

^١ يبدو أن سعيد الفلاح، وعلي الفاسي، محقق كتاب الملاك قد سهوا هنا، إذ وردت في تحقيق كل منهما [السجدة] والصحيح [فصلت] وهو ما ذكرناه.
^٢ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٣١٩.

[الرجع] فلم يرد في الكهف، وقد ورد في فصلت مرتين، فوضع كل فعل في مكانه الذي هو أليق به^١.

وللباحث رأي:

أولاً: رد على السامرائي:

بالنظر في توجيهات بعض علماء توجيه المتشابه اللفظي نجد ما يأتي:

- توجيه حذف لفظ ما أو استبداله بغيره تجنباً للتكرار وهذا كثير.
- توجيه اختيار لفظ ما، وترك الآخر، لأن الأول تردد وتكرر في سياق الآية وفي السورة أكثر من تكرار الآخر فكان الأنسب ذكر اللفظ، وهذا التوجيه نقيض التوجيه السابق، وقد لجأ إليه السامرائي في أكثر من موطن، أحدها الموطن الذي بين أيدينا، وفي توجيهه لمسألة اختصاص لفظ الجلالة [الله] للفاصلة في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(البقرة، واختصاص فاصلة آية الأنعام ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٤٥)

بلفظ [رب]^٢.

إن ما ذهب إليه السامرائي من سبب اختيار فعل أو اختيار لفظ ما بالموضع الذي نزل به بسبب تردده في السياق والسورة الذي نزل فيه لا أراه توجيهاً لائقاً، حيث إن علة تردد اللفظ هنا أو هناك أكثر أو أقل، لا يميل الباحث إلى جعلها سبباً أساسياً في التوجيه، إذ لا يرى الباحث حكمة في أن يلجأ الناظم لترديد لفظ ما في موقع ما دون الآخر، بحجة أن هذا اللفظ قد تردد في سياق هذا الموقع أكثر من تردده في السياق الآخر، علماً أننا نجمع على أن التكرار في أكثره - ما خلا النظم القرآني - مذموم ونتجنبه، فلماذا نجعل الآن التكرار علة وسبباً وجيهاً لذكر اللفظ، فنقول أن هذا اللفظ تكرر في هذه السورة أكثر من تلك فهو أنسب لها في موضعه.

ثانياً: توجيه جديد للمسألة:

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

^٢ المصدر السابق، ص ٢٣٩، بتصرف

لماذا قال في آية الكهف ﴿وَلَيْنِ رُدِدْتُ﴾ وقال في آية فصلت ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ﴾؟

تعالوا نتأمل جواب الشرط في كلا الآيتين:

- ﴿وَلَيْنِ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (الكهف ٣٦).

- ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (فصلت ٥٠).

إن جواب الشرط في الكهف ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ في حين أن جواب الشرط في

فصلت ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ وبالتأمل نجد أن:

- جواب الشرط في الكهف جملة فعلية فعلها مضارع، كما نجد ما أقصى ما توقعه المتكلم [الكافر] هو خير المنقلب.

- جواب الشرط في فصلت جملة اسمية، وقد توقع المتكلم [الكافر] أنه له الحسنى تنتظره في الآخرة.

وبناء على ذلك يمكننا أن نستنتج الآتي:

١- المتكلم في آية الكهف يتوقع ويأمل الخير في الآخرة دل على ذلك استعماله للفعل المضارع الذي يدل على الاستقبال ولم يدل على الحال.

٢- المتكلم في آية فصلت لم يفترض ولم يتوقع بل إنه يثق ثقة تامة أن له الحسنى في الآخرة دل على ذلك استعماله الجملة الاسمية الخبرية، التي تدل على الثبوت، فإنه خبر قائم ثابت، كما أنه قال [الحسنى] ولم يقل [خيرا]، و[الحسنى] أعلى درجة ومرتبة من [خيرا].

٣- الفعل [رُدِدْتُ] فيه شدة وعنف، أما الفعل [رُجِعْتُ] لا يحمل من الشدة

والعنف مثل الفعل [رُدِدْتُ]، وعلى هذا فقد جاء كل فعل بما يناسب المعنى

الذي نزل في سياقه. والله أعلم.

المطلب الثالث: إبدال حرف بحرف

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد ٢).

- وقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان ٢٨-٢٩).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

- ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر ١٣).

- وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾ (الزمر ٥).

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، و﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ما سبب اختلاف حرف الجر ما بين [اللام]، و[إلى] في الآيات السابقة؟

تلك هي المسألة التي انشغل بها رجال المتشابه اللفظي في هذا الموضوع^١، والعجيب أن أقدمهم وأبعدهم زمنا كان -بحسب ما أرى- أكثرهم توفيقا، إنه العلامة الخطيب الإسكافي - رحمه الله -

^١ علما أن بعضهم غفل عن بعض آيات هذا الموضوع، فقد غفل الإسكافي والغرناطي وابن جماعة والأنصاري وياسين الحميد عن آية الرعد، وغفل السامرائي عن آية فاطر.

فإن توجيهه هو الأكثر وجاهة ولياقة، وهو الذي اختاره الكرمانى في موضعين من كتابه^١، ومال إليه ابن جماعة^٢، وبَسَطَه الأنصارى^٣، وبَسَطَه السامرائى، وارتضاه ياسين المجيد مع إضافة علمية قيِّمة سيأتي الإشارة إليها.

واسمحو لي بأن أبدأ بتوجيه الخطيب الإسكافى؛ إذ أنه هو الأحق هنا بالتقديم؛ للسبق والفضل أولاً، وثانياً لعمق نظرته، وبعد بصره وبصيرته، وثالثاً لأن أكثر من جاء بعده قد اعتمد على ما وقف عليه الخطيب.

أما الخطيب الإسكافى:

فقد رأى أن: "معنى قوله: ﴿تَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله: ﴿تَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معناه لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بـ [إلى] التي للانتهاء، واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة قبلها: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان ٢٨)، فكان المعنى كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتنكدر فيه النجوم، كما أخبر الله تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق.. وكذلك في سورة الملائكة إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر.. فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها"^٤.

أما الغرناطي:

فقد وجه المسألة توجيهها لفظياً، فقد رأى أن آية لقمان: "قد طال فيها الكلام بحسب ما اقتضاه مقصوده، فناسب طولها الجر بما يناسبه مما لا يخرج عن معنى اللام الجارة وهو [إلى] فانجر الأجل

^١ راجع: البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٩٠، و ص ١٤٧

^٢ راجع: كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص ١١٩

^٣ راجع: فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٢٤٧

^٤ الإسكافى، درة التنزيل، ص ٢٠٩

بها. وَلَمَّا بُنِيَتِ الْآيَاتَانِ بَعْدَ عَلَيِّ إِيجَازٍ لَيْسَ فِي آيَةِ لَقْمَانَ نَاسِبُهُ الْجُرِّ بِاللَّامِ اِكْتِفَاءً بِمَا يَجْرُزُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ، وَيُنَاسِبُ التَّرْكِيبَ"^١.

وأما السامرائي:

فقد وجه المسألة السابقة قائلاً: "والفرق بينهما أن ما ورد باللام يفيد التعليل بمعنى: كل يجري لبلوغ الأجل، أي كل يجري لهذه الغاية، كما تقول: كلهم يجري لوصول الهدف وبلوغه"^٢ ثم عرض توجيه الخطيب الإسكافي للمسألة كاملاً دون تدخل منه فيه.

وأما ياسين المجيد:

فإن له إضافة جديدة بالبحث والنظر، إذ أنه التفت إلى جانب العلوم الطبيعية، وحركة الشمس والقمر، وتقلب الليل والنهار، أو إلى ما نسميه اليوم التفسير العلمي للقرآن، وقدم تأويلاً جديداً لهذه المسألة، قال: "والمعنى الذي أراه أقرب إلى الصواب، والذي اقترب منه صاحب الدرّة ثم ابتعد عنه من دون أن يطرقه مباشرة، هو أن هناك أجلين، أجل قريب، وأجل بعيد، فالعلم الحديث كشف لنا عن دورة الأرض حول نفسها، حيث يحدث الليل والنهار، ودورتها حول الشمس، حيث تحدث الفصول الأربعة، وكذلك دورة القمر، ورصد لنا حركة الكواكب الأخرى، وحركة الشمس وغير ذلك، فما كان للدورة القريبة اليومية والشهرية والسنوية استخدم لها اللام ﴿لِأَجَلٍ﴾، وما كان عن الأجل البعيد الذي ينتظرنا جميعاً، ومنتظره، استخدم الحرف [إلى] ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾، والله أعلم"^٣. وهذا رأي ليس لأحد أن ينكره، ولكن ما علينا إلا أن نبحت ونتأكد من صحته، فإن هذا العلم – التفسير العلمي للقرآن – فتح أبواباً كانت موصدة، ورفع أستاراً كانت مسدلة، وأماط اللثام عن أشياء كثيرة، لم نقف عليها إلا بعد الوقوف على الثورة العلمية الحديثة، فتصدى لها رجال كالدكتور زغلول النجار^٤ وأساتذة أجلاء غيره، فطلعوا علينا بمعانٍ وتأويلات جديدة وجيهة لكثير من آيات القرآن الكريم.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ٢، ص ٤٠٣

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢٠٩

^٣ ياسين المجيد، عبد المجيد، المبني والمعنى في الآيات المتشابهات، ص ١١٨ - ١١٩

^٤ الدكتور زغلول النجار، سيرة هذا الرجل زاخرة، جديرة بالاطلاع والتعرف عليها، لذا أحيلكم إلى موقعه على الشبكة لمن شاء أن يتعرف عليه راجع هذا الرابط:

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا^ط وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف ٥٧).

- وقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة ٢٢).

لماذا عطف بالفاء ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ في آية الكهف، وعطف بثم ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ في آية السجدة؟

تلك هي المسألة موضع بحثنا في هاتين الآيتين، في الموازنة بين منهج كل من الغرناطي والسامرائي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

أما الغرناطي:

فقدم جوابين لهذه المسألة، الأول منهما يكتنفه الغموض، أما الثاني: فلعله أقرب إلى الفهم وأيسر، وهذا هو ما ذهب إليه الغرناطي في إيجاز وتصرف، فقد رأى أن: "الكافرين كذبوا الرسل عقب الدعوة مباشرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُزِّلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ^ع وَجُودِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ (الكهف ٥٦)، فناسب ذلك العطف بالفاء، لأنهم أعرضوا عقب دعاء الرسل إياهم .. أما آية السجدة فقد ورد فيها انقسام المكلفين ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا^ع لَا يَسْتَوِينَ ﴾ (السجدة ١٨)، ثم ذكر مآل الفريقين وأن الفاسقين مأواهم النار ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ^ط كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا

﴿ (السجدة ٢٠)، ولا شك أن استحقاق جزائهم بذلك إنما هو تماديهم على الكفر مدى حياتهم إلى الوفاة ... والجزاء متأخر، فناسب ذلك العطف بـ [ثم] المقتضية للمهلة"١.

وأما السامرائي:

فقد رأى: "أن وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع منه في آية السجدة، إذ هو واقع في عقب التذكير، يدل على ذلك قوله تعالى في آية الكهف: ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ وهذا الوصف مما يسرع في إعراضهم .. وليس الأمر كذلك في السجدة"٢ ومن هنا كانت [الفاء] أنسب في موقعها في آية الكهف وكانت [ثم] أنسب في موقعها في آية السجدة.

ثم أضاف قائلا: "ومن ناحية أن الفاء قد تدل على السبب فجاء بالفاء للدلالة على أن التذكير كأنه كان سببا لإعراضهم وزيادة رجسهم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة ١٢٥)"٣.

رأي آخر وجيه:

وقد سبق الإسكافي - رحمه الله - إلى توجيه تلك المسألة ووقف على رأي حسنٍ أميل إليه وأختاره، كما اختاره ومال إليه كل من الكرمانى والأنصاري، وقد ذهب ثلاثتهم إلى - وهذا لفظ الكرمانى - أن: "ما في سورة الكهف في الأحياء من الكفار، إذ ذُكِّرُوا فَأَعْرَضُوا عَقِيبَ مَا ذُكِّرُوا، ونسوا ذنوبهم، وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا، وما في السجدة ففي الأموات من الكفار، بدليل قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (السجدة ١٢)، أي ذكروا مرة بعد أخرى، وزمانا بعد زمان، ثم أعرضوا بالموت، فلم يؤمنوا، وانقطع رجاء إيمانهم"٤.

المسألة الثالثة:

١ بنصرف، الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢٢

٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٩٩-٢٠٠

٣ المصدر السابق، ص ٢٠٠

٤ راجع: الكرمانى، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ١٠٩ / والإسكافي، درة التنزيل، ص ١٥٧ / والأنصاري، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، فتح الرحمن، ص ١٨٥

- قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ﴾ (الأعراف ١٢٣).
- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مِّنْكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ (الشعراء ٤٩).
- وقول الله تعالى: ﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مِّنْكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ (طه ٧١).

ما وجه الاختلاف في الجر بالباء ﴿ بِهِ ﴾ في آية الأعراف، والجر باللام ﴿ لَهُ ﴾ آيتي الشعراء وطه؟

تلك هي المسألة التي نبحثها فيما بين الغرناطي والسامرائي في هذا الموضوع. وجدير بالذكر أن الخطيب الإسكافي - رحمه الله - قد سبق الجميع إلى توجيه هذه المسألة، ورأى فيها رأياً بديعاً هو الراجح الذي اختاره جم غفير من المفسرين^١، وهو الذي اختاره الأنصاري^٢ والسامرائي، فقد رأى أن: "الهَاءُ فِي ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ غَيْرُ الْهَاءِ فِي ﴿ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَعُودُ إِلَى غَيْرِ مَا تَعُودُ إِلَيْهِ الْآخَرَى، فَالَّتِي فِي ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَمٌ عَنْهُمْ ﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (الأعراف ١٢١)، وهو الذي دعا إليه موسى، وأما الهَاءُ فِي ﴿ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾ فَمَوْسَى ﷺ، والدليل على ذلك أنها جاءت في السورتين وبعدها في كل واحدة منهما ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مِّنْكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾، فالهَاءُ فِي ﴿ إِنَّهُ ﴾ لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي فِي ﴿ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾، ولا خلاف أن هذه لموسى ﷺ^٣.

^١ منهم: ابن كثير، ج ٣، ص ٤٥٨، ج ٥، ص ٣٠٤ / والألويسي، ج ٥، ص ٢٧ / والبحر المحيط، ج ٤، ص ٣٦٥ / والبقاعي، ج ٣، ص ٨٤، ج ٥، ص ٣١ / والبيضاوي، ج ٣، ص ٢٨، ج ٤، ص ٣٣ / السنفي، ج ٢، ص ٣٧٤ / أبو السعود، ج ٢، ص ٣٨٩، ج ٣، ص ٦٤٨ / الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيم، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، أضواء البيان في إيضاح القرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٣، ص ٦٣-٦٤ / الوسيط للطنطاوي، ج ٥، ص ٣٥١، ج ٩، ص ١٢٧، ج ١٠، ص ٢٤٧ / الميسر، ص ١٦٥، ص ٣١٦، ص ٣٦٩.

^٢ راجع: فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ١١١.

^٣ الإسكافي، درة التنزيل، ص ٩٨.

وتعالوا معي ننظر فيما ذهب إليه كل من الغرناطي والسامرائي:

أما الغرناطي:

فرغم وقوفه على توجيهه أستاذ ومؤسس هذا العلم الإسكافي، إلا أنه ذهب مذهبا آخر غير مذهبه، ولم يشر من قريب أو من بعيد إلى رأي الإسكافي، وكأنه رأى أن الضمير في كلا الآيتين يعود إلى موسى ﷺ، قال: "الباء في قوله ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ واللام في ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ محتاج إلى كل واحد منهما من حيث إن التصديق والانقياد معنيان يحتاج إليهما، والباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد والإذعان، فبدئ بالباء المعطية معنى التصديق، وهي أخص بالمقصود من اللام، فاقضى الترتيب تقديمها، ثم أعقب في السورتين بعد باللام، حتى كأن قد قيل لهم: أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله فحصل المقصود على أكمل ما يمكن".^١

وأما السامرائي:

فقد اختار رأي الإسكافي والذي ذهب إليه الكثير من المفسرين، فقال: "إن معنى ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أي بالله تعالى، و﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ أي لموسى ﷺ والمعنى صدقتم وأقرتم له والسياق يوضح ذلك"^٢، ثم مضى يعرض الآيات التي تؤكد ما ذكر.

وكان للسامرائي نكتة رائعة، أكدت دقة رأيه، قال: "إذا رأيت الإيمان مُعَدَّى باللام فاعلم أنه لغير الله، فإنه لا يُعَدَّى مع الله إلا بالباء، نحو قوله: ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ (المتحنة ٤)، وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف ١٢١)، وفي القرآن عدي [آمن] باللام مع الأشخاص غالبا، وذلك نحو قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة ٥٥)، وقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ٦١)، وربما استعمله مع غير الأشخاص نادرا وذلك نحو قوله: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ (الإسراء ٩٣)"^٣

^١ الغرناطي، ملك التاويل، ج ١، ص ٢٢٠.

^٢ السامرائي، أسئلة بيانية، ص ٧٤.

^٣ المصدر السابق، ص ٧٥.

المبحث الثاني: التشابه والاختلاف بالذكر والحذف

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة ١٣).

- وقوله تعالى: ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ
تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة ٤١).

ففي الآية الأولى ﴿ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ وفي الثانية ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ فما موجب ذلك؟

رجع السامرائي في توجيهه لهذه المسألة إلى السابقين، فأخذ برأيهم دون إضافة، فقد اعتمد على ثلاثة من علماء المتشابه الإسكافي والكرماني والغرناطي، وساق توجيههم بلسانه في إيجاز بديع، قال: "ذلك لأن الكلام في الآية الأولى على أوائل اليهود الذين حرفوا التوراة، وفي الثانية على اليهود الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ والذين حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زماناً"^١

جدير بالذكر أن نشير إلى أن الأنصاري قد اختار أيضا هذا الرأي وذكره كما هو دون إضافة^٢، أما ابن جماعة فقد استبدل بآية [المائدة ١٣] آية ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (النساء ٤٦)، وذهب إلى ما ذهب إليه الجميع^٣.

وللباحث وقفة مع هاتين الآيتين:

لا يختلف الباحث مع السامرائي وأساتذة علم توجيه المتشابه اللفظي فيما ذهبوا إليه، لكني

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٨٥ / الإسكافي، درة التنزيل، ص ٤٨-٤٩ / الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص ٤٤ / الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣

^٢ الأنصاري، فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص ٧٥

^٣ ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد حسن، ص ٤٤

استوفني وجود آية أخرى في سورة النساء وافقت آية [المائدة ١٣] وهي:
 قول الله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
 وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ (النساء ٤٦).
 ولنا أن نتساءل هنا:

هل يمكن أن نجري توجيه آية المائدة ١٣ السابق على آية النساء تلك، فيوافقها ويناسبها؟

وأقول -مستعينا بالله- إن ما قيل في آية المائدة من أن الكلام في الآية عن أوائل اليهود لا
 يتناسب مع آية النساء، إذ أن السياق في النساء غير السياق في المائدة، فالكلام في النساء عن
 اليهود المعاصرين للنبي ﷺ والذين يلوون ألسنتهم بالكلام، ليدلوا معانيه ومرامييه، بما يقصدون به
 إيذاء وشتم محمد ﷺ، فإن قوله الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ
 وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ تفصيل وبيان لما جاء قبلها ﴿تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
 مَوَاضِعِهِ﴾ ولم يختلف في ذلك المفسرون، وعلى هذا فقولته تعالى: ﴿تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
 مَوَاضِعِهِ﴾ يحتمل وجهين كلاهما في اليهود الذين في زمن النبي ﷺ، وهما:

الأول: اليهود الذين في زمن النبي ﷺ والذين حرفوا التوراة من بعد أن وضعها الله مواضعها
 وعرفوها وعملوا بها زمانا.

الثاني: اليهود الذين في زمن النبي ﷺ والذين كانوا يلوون ألسنتهم بالكلام، ليدلوا معانيه ومرامييه،
 بما يقصدون به إيذاء وشتم محمد ﷺ، وهذا الوجه هو الذي أختاره، إذ أن السياق يدل
 دلالة واضحة أنها في معاصري النبي ﷺ من اليهود.

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ
 قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف ١٠١).

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (يونس ٧٠).

لماذا حُذِفَ ﴿ به ﴾ في آية الأعراف ﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ وأُثْبِتَ في آية يونس ﴿ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾؟

تلك هي المسألة التي اشترك الغرناطي والسامرائي في توجيهها في هذا الموضوع، وقد اعتمد كل منهما على اللغة والبلاغة في توجيه هذه المسألة، إلا أن توجيه السامرائي اختلف اختلافاً كلياً عن توجيه الغرناطي، وقد وقف السامرائي على لطيفة وإضافة جديدة زادت المسألة جلاءً وبيانا وإن لم يتم كشف كل أسرارها بعد.

أما الغرناطي:

فقد رأى أنه قد: "تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ﴾ (الأعراف ٨٦)، وقوله: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ ﴾ (الأعراف ٨٧)، فاكتفى بما تقدم من قوله: ﴿ بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ ﴾ والذي أرسل به هو الذي طلب منهم الإيمان به، فحصل المقصود، فلو قيل أخيراً ﴿ به ﴾ في ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا ﴾ لكان تكراراً، فاقتضى الإيجاز وإحراز البلاغة حذفه لحصوله... أما في يونس فإنه لم يتقدم هنا ما تقدم هناك، فلم يكن بد من الإتيان بالضمير ليحصل ما وقع من التكذيب، ولترتبط الصلة بالموصول"^١

أما السامرائي:

فقد رأى سبباً آخر لحذف ﴿ به ﴾ من الأعراف، وإثباته في يونس، ويتلخص في: "أن الإطلاق هو سياق الأعراف، والتخصيص هو سياق سورة يونس، فقد جاء قبل آية الأعراف قوله: ﴿ وَلَوْ

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٢١٢-٢١٣.

أَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ (الأعراف ٩٦)، فأطلق التكذيب، ولم يذكر بما كذبوا، وهو نظير الإطلاق في الآية التي بعدها: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، في حين أن السياق في يونس سياق الذكر لا الإطلاق، فقد جاء قبل الآية المذكورة قوله تعالى: ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (يونس ٧٣)، وهو نظير الذكر في الآية التي بعدها ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ﴾^١.

وللباحث رأي:

من دون أن أنقض رأي الغرناطي والسامرائي، وإنما لمحت شيئاً آخر، من جانب آخر في هذه المسألة، فلعله يزيدنا بيانا وجلاء.

فلو تأملنا سياق آية (الأعراف ١٠١) سنجد أنه فَصَّلَ تفصيلا واسعا قبلها في قصص الأمم السابقة وأنبيائهم، وتكذيب هذه الأمم لأنبيائهم، وقد بدأ ذلك من (الآية ٥٩) حين شرع في سرد قصة نوح عليه السلام وقومه، ثم هود عليه السلام وقومه، ثم صالح عليه السلام وقومه، ثم شعيب عليه السلام وقومه، وفصَّلَ في مواقف هؤلاء الأقوام من أنبيائهم وتكذبيهم إياهم صلى الله عليهم أجمعين، ولم يكتف بذلك، بل أخذ بعد هذا التفصيل يتكلم عن أهل هذه القرى عامة ومواقفهم من أنبيائهم وتكذبيهم، وفصَّلَ في المُكذَّب به تفصيلا طويلا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (الأعراف ٩٤)، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف ٩٦)، فلما فصَّلَ هذا التفصيل في أحوال أهل القرى وتكذبيهم، وفيما كذبوا، لم يكن في حاجة إلى ذكره مرة أخرى بذكر الضمير ﴿به﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ (الأعراف ١٠١)، إذ صار المُكذَّبُ به معلوما

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٩١ - ٩٢.

واضحاً، وما زال حاضراً في الكلام والأذهان، فلا حاجة لذكره، وإلا زاد الكلام بغير فائدة.

أما آية (يونس ٧٣) فلو نظرنا في السياق قبلها سنجد أنه قد أُجْمِلَ وأوجز الكلام، ولم يُفصّل، فذكر قبلها قصة نوح ﷺ فقط مُحمّلة في آيتين اثنتين (٧١ - ٧٢)، من دون تفصيل، ثم ذكر إرسال الرسل إلى أقوامهم وتكذيبهم إياهم إجمالاً في آية واحدة - هي موضع المسألة - دون تفصيل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (يونس ٧٠)، فلم يفصل في أحوال هؤلاء الأقوام مع الرسل، فناسب ذلك ذكر ﴿ به ﴾ إبرازاً وبيانا للمكذب به، ولعل هذا يناقض القاعدة الشهيرة: [الإيجاز بالإيجاز، والإطالة بالإطالة] لكن الباحث - كما أشرت من قبل - يرى أنه لا يمكن ضبط توجيه التشابه اللفظي بقاعدة تنساق على كل المواطن؛ إذ أن السياق هو الضابط الأول لتوجيه مواضع التشابه اللفظي في القرآن، لذا فلا يمكن ضبط سائر المواطن بقاعدة، والله أعلم.

المسألة الثالثة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود ٦٠).

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود ٩٩).

طرح السامرائي في كتابه [أسئلة بيانية] في هذا الموضوع سؤالاً هو: "لماذا قال في عاد ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ فذكر الدنيا، وقال في قوم فرعون: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾ ولم يذكر الدنيا، مع أن المقصود بالإشارة هي الدنيا؟ وهذا السؤال هو نفسه السؤال الذي أجاب عنه الغرناطي في الملاك.

أما الغرناطي:

فقد رأى أن ذكر الدنيا بعد اسم الإشارة في الآية الأولى وسقوطه في الآية الثانية يرجع لسببين:
"الأول: أن قصة هود عليه السلام في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسى عليه السلام بكثير فناسب
الطول الطول، والإيجاز الإيجاز.

الثاني: أن قوله تعالى في قصة هود: ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ وارد على الأصل
من الجمع بين التابع نعتا أو عطف بيان وبين متبوعه، وجاء في قصة موسى عليه السلام ﴿
وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾ على حذف الوصف للاكتفاء باسم الإشارة، وكل فصيح،
فجيء بما هو في الأصل أولا، ثم جيء ثانيا بما هو ثان عنه على ما ينبغي"¹.

أما السامرائي:

فقد رأى لذكر الدنيا بعد اسم الإشارة في الآية الأولى وسقوطه في الآية الثانية أربعة أسباب، الأول
منها هو عين السبب الأول الذي ذكره الغرناطي، فقد رأى ما يلي في إيجاز²:

١- قصة عاد جاءت أطول من قصة موسى مع فرعون... فناسب ذكر الدنيا مقام الإطالة
والتبسط في قصة عاد، وناسب عدم ذكرها والاكتفاء بالإشارة في مقام الإيجاز.

٢- ذكر في قصة عاد أمورا تتعلق بالدنيا لم يذكرها في قصة موسى، كسعة الرزق، وزيادة
القوة، قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ

عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود ٥٢).

٣- أشار إلى العذاب الذي أحاط بعاد ونجاة هود ومن معه في الدنيا في حين لم يشر إلى
ذلك في فرعون وقومه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (هود ٥٨).

٤- ذكر عذاب فرعون وقومه في الآخرة، ولم يذكر شيئا عن عذاب عاد في الآخرة ﴿
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (هود ٩٨)،

¹ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٥٨.

² بتصرف، السامرائي، أسئلة بيانية، ص ٩٠-٩٢.

فناسب ذكر الدنيا في قصة عاد، وعدم ذكرها والاكتفاء بالإشارة إليها في قصة فرعون.

المسألة الرابعة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ^ج وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ^ج أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص ٦٠).

- وقوله تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ^ط وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ^ط لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الشورى ٣٦).

ما وجه زيادة ﴿ وَزَيَّنَّتْهَا ﴾ في آية القصص دون آية الشورى؟

وجه الغرناطي والسامرائي هذه المسألة فلم يختلفا، بل إن السامرائي اختار توجيه السيوطي في [معترك الأقران]، والذي هو ذاته توجيه الغرناطي، فلو نظر السامرائي في لفظ الغرناطي في الملاك لعلم أنه هو نفسه لفظ السيوطي، أو يكاد، كما سيأتي:

فأما الغرناطي:

فقد رأى "أن سورة القصص تضمنت ذكر قارون وما أوتيته من المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ (القصص ٧٦)، ثم أخبر تعالى عن زهوه واختياله بماله وظنه استحقاقه إياه، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (القصص ٧٩)، ... فالتحمت الآية بتلك القصة، وقيل هنا ﴿ وَزَيَّنَّتْهَا ﴾ كما قيل في تلك ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾.

ولم يقع في آية الشورى ذكر ﴿ وَزَيَّنْتُهَا ﴾ إذ لم يرد في السورة من أولها إلى آخرها ذكر بسط حال دنيوي لأحد، بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها، وأنه مقدور غير مبسوط، وتلك حال الأكثر^١.

أما السامرائي:

فقد علل لذكر ﴿ وَزَيَّنْتُهَا ﴾ في القصص دون الشورى بقوله: "قد ورد ذكر الزينة في القصص لورودها فيما بعد في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (القصص ٧٩)، بخلاف سورة الشورى، فإنها لم يرد فيها مثل ذلك"^٢.

ثم نقل السامرائي عن [معتك الأقران] ما يلي: "فإن قلت ما وجه زيادة [الزينة] في هذه الآية على آية الشورى ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾؟ والجواب لورود ذكرها في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (القصص ٧٩)، فالتحمت الآية بتلك القصة. ولم يرد في سورة الشورى من أولها إلى آخرها حال دنيوي بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط، وتلك حال الأكثر"^٣.

وكما تلاحظ لو قارنت الوارد في [معتك الأقران] يكاد يكون هو كلام الغرناطي الذي أوردناه آنفاً.

المسألة الخامسة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ٢٣).

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٣٨٤ - ٢٨٥.

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٢٢.

^٣ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، معتك الأقران، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٣، ص ٣٤٣ / والسامرائي، التعبير القرآني، ص ١٢٢ - ١٢٣.

- وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ^ط قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس ٣٨).

وجه كل من السامرائي والغرناطي ذكر [من] في آية البقرة وحذفها في آية يونس.

أما الغرناطي:

فقد رأى أن الضمير في لفظ ﴿ مِثْلِهِ ﴾ في آية البقرة ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ يعود على شخص النبي محمد ﷺ ، قال: "فكأنه قد قيل: إن شككتم في نبوته وتخصيصنا إياه بذلك فلتأتوا برجل منكم غيره يصدر عنه أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم"^١

أما الضمير في ﴿ مِثْلِهِ ﴾ في آية يونس ﴿ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ فرأى الغرناطي أنه يعود على القرآن، قال: "وأما الورد في يونس فإنما أريد به ما يجري مع قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ فقيل لهم: إذا كان مفترى كما تزعمون فما المانع لكم من معارضته فأتوا بسورة مماثلة للقرآن فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن .. والمراد في البقرة نفي شخص يماثله ﷺ"^٢

وأما السامرائي :

فقد بدأ السامرائي توجيهه الآيتين ببيان الفرق بين قولنا [أئتني بشيء من مثله]، وقولنا: [أئتني بشيء مثله]، وقال: إن الأولى تفترض أن له أمثالا، أما الثانية: فلا تفترض أن له مثلا، ثم قال: ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ تحتمل أن يكون من مثل القرآن أو من مثل الرسول ﷺ .. وهو أعم مما في آية يونس .. فناسب العموم العموم، وإن كان المعنى الأول أظهر .. وقد قالوا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ ...

فرد عليهم ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي افترأ أنتم كما افترأ"^٣.

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٧

^٢ المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧

^٣ بتصرف، السامرائي، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، ص ٨ - ١١.

المبحث الثالث: تشابه واختلاف الفواصل

المسألة الأولى:

- قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٣).

- وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٤٥).

لماذا اختصت آية البقرة بلفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ في حين اختصت آية الأنعام بلفظ ﴿ رَبَّكَ ﴾؟

تلك هي المسألة التي اشترك في توجيهها كل من الغرناطي والسامرائي، وكلاهما ذهباً مذهباً غير الآخر، وكل منهما في مذهبه مُحَقِّقٌ، فلا مانع أن تحتمل الآية الواحدة أكثر من تأويل، وذلك من غير تكلف، فلا نحمل اللفظ أو الآية ما لا يحتملان.

أما الغرناطي:

فقد دخل إلى المسألة من الناحية البلاغية، فرأى أنه: "عدل إلى الخطاب التفاتاً فقيلاً ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ ﴾ لأن الكلام إذا تنوع حرك الخواطر إلى تفهمه .. فورد الالتفات باسم الربوبية مع الإضافة إلى ضمير خطابه ﷺ ولم يقل ﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ .. لما قصد فيه من نحو الوارد في قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (محمد ١١)، وما ورد من مثله ليكون ذلك معرفاً بمكانته ﷺ، وتحكيماً للإعراض عنهم وعدم التفاتهم وتناسب آخر الكلام وأوله"١.

أما السامرائي:

فقد دخل إلى المسألة من مدخلين مختلفين:

١ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: علي الفاسي، ج ١، ص ٥٨ - ٥٩

الأول: ورود لفظ الجلالة ﴿الله﴾ في البقرة ٢٨٢ مرة في حين ورد في الأنعام ٨٧ مرة فقط، أما كلمة [رب] فقد وردت في البقرة على طولها ٤٧ مرة، في حين وردت في الأنعام ٥٣ مرة، فناسب أن يضع لفظ الجلالة ﴿الله﴾ في البقرة ، وكلمة [رب] في الأنعام.

الثاني: إن آية البقرة في سياق العبادة ولفظ ﴿الله﴾ أولى أن يوضع في هذا السياق لأنه من الألوهية، والألوهية هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة ١٧٢)، .. أما سياق آية الأنعام ففي الأتعمة ولفظ [رب] ألصق بهذا السياق؛ لأن الرب من التربية والتنشئة^١.

المسألة الثانية:

- قول الله تعالى: ﴿فَإِذْ نُنزِّلُ الْآنِطِينَ﴾ الَّذِينَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ (الأعراف ٤٤-٤٥)
- وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾ (هود ١٨-١٩).

قد زيد في آية هود ضمير الفصل من دون آية الأعراف، فلماذا؟

من دون تناقض، اختلف الغرناطي والسامرائي في توجيه هذه المسألة، إذ أن الغرناطي وجه المسألة من الجانب اللفظي البلاغي، في حين اعتمد السامرائي على السياق للوقوف على أسرار زيادة التوكيد بضمير الفصل في الآية الثانية دون الأولى، لذا جاء توجيه كليهما متناغمين متكاملين.

أما الغرناطي:

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ٢٣٩، بتصرف

فقد رأى - بإيجاز - أن في آية هود إطناب بزيادة الإخبار عن أحوال الملعونين، أما في آية الأعراف ففيها إيجاز، فناسب ذكر ضمير الفصل ﴿ هُمْ ﴾ الإطناب، وناسب الإيجاز سقوط هذا الضمير^١.

أما السامرائي:

فقد نحى منحى آخر غير منحى الغرناطي، إذ نظر في سياق الآيتين فلمح أن عناد وصفات الظالمين في آية هود أكثر وأشد منها في آية الأعراف، فناسب آية هود التأكيد بضمير الفصل لما زاد فيها من افتراء الظالمين الكذب على الله، قال: "فقد ذكر في الأعراف من صفات الظالمين أنهم ﴿ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (الأعراف ٤٥)، وذكرها في هود وزاد عليها افتراء الكذب على الله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (هود ١٨)، فلما زاد في صفات الضلال أكد فيهم صفة الكفر بزيادة ﴿ هُمْ ﴾، وزاد لهم في العذاب فقال: ﴿ يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ (هود ٢٠)، وزاد في صفة الخسران فقال: ﴿ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود ٢٢)^٢.

وللباحث وقفة مع هاتين الآيتين:

فقد وقفت على موضعين آخرين في القرآن الكريم ورد فيهما التوكيد بضمير الفصل على نمط آية هود السابقة، وهما:

- قول الله تعالى: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (يوسف ٣٧).

- وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (فصلت ٧).

وإني هنا أجعل المسألة عامة في الآيات الأربع: لماذا سقط ضمير الفصل المؤكد من آية [الأعراف ٤٥] من دون الآيات الثلاث الأخرى [هود ١٨، ويوسف ٣٧، وفصلت ٧]؟

^١ بنصرف وإيجاز، الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: الفاسي، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٢

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٥٦

وأقول - مستعينا بالله - بالنظر في محيط وسياق الآيات الأربع نجد ما يلي:

١- إن الكلام والحوار في آية الأعراف حادث في الآخرة، فكأن الساعة قد قامت، وأصحاب الجنة في الجنة، وأصحاب النار في النار، وأصحاب الأعراف على جسر الأعراف، يشهدون أهل الجنة في نعيمهم فيطمعون، ويرون أهل النار في العذاب فيستعيذون، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأعراف ٤٤-٤٦).

٢- أما الآيات الثلاث الأخرى [هود ١٩، ويوسف ٣٧، وفصلت ٧] فجميعها في الكلام عن أحوال الظالمين والكافرين في الدنيا:

- ففي هود يفترون على الله الكذب ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (هود ١٨)، ويصدون عن سبيل الله ﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (هود ١٩)، فكان جزاؤهم الخسران الذي سيأتي في الآخرة ﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود ٢٢)، فالحديث والأحوال جارية في الدنيا.

- وفي يوسف، يتبرأ يوسف ﷺ من ملتهم قائلا: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (يوسف ٣٠)، وهذا حال وجوده في السجن، أي في الدنيا.

- وفي فصلت، أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده واستغفاره، وأن يحذرهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

وَأَسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كٰفِرُونَ ﴿٦٧﴾ (فصلت ٦-٧)، ولا شك أن ذلك واقع في الدنيا.

٣- ومن ذلك يتبين لنا أنه لَمَّا كان الكلام في الأعراف عن الآخرة، وقد صار المؤمنون في الجنة، والكافرون في النار، فلا حاجة هنا للتأكيد أنهم كافرون بالآخرة، فسقط ضمير الفصل، ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف ٤٥).
وَلَمَّا كان الكلام في الآيات الثلاث الأخرى [هود ١٨ ، ويوسف ٣٧، وفصلت ٧] عن أحوال الظالمين في الدنيا، كان الكلام في حاجة إلى التأكيد؛ إذ أن الآخرة وما فيها غيب، فثبت ضمير الفصل ولم يسقط ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ﴾ تأكيداً، والله أعلم.

المسألة الثالثة:

- قول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف ٢٠٠).
- وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت ٣٦).

ما سبب اختصاص آية الأعراف بتكثير الصفتين ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ مع خلوها من التأكيد بضمير الفصل، وعكس ذلك في آية فصلت، إذ جاءت الصفتان معرفتين مع تأكيد بضمير الفصل ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾؟

تلك هي المسألة التي عني بتوجيهها الغرناطي والسامرائي، والمتأمل يجد أن السامرائي ذهب مذهب الغرناطي ووافق، مع إضافة جديدة في التوجيه ومع إيضاح وبيان لما ذهب إليه الغرناطي وتأكيد.

فأما الغرناطي:

فقد تأمل السياق حول الآيتين وخلص إلى أنه قد تقدم في الأعراف قبل الآية موضع البحث: "وصف آهتهم المنحوتة من الحجاره والخشب التي ونحوها بعبادتها... فمنفي عنهم القدرة والسمع والبصر وآلة المشي وآلة البطش بقوله: "أَلْهُمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمَّ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمَّ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا^ط أَمْ لَهُمَّ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا^ط ﴿الأعراف ١٩٥﴾،... فورد الوصفان بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ موردا لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شيء من ذلك لغيره تعالى".^١

"أما آية فصلت"^٢ فقد رأى الغرناطي أنه قد تقدم قبلها الحديث عن الإنس والجن ﴿أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ (فصلت ٢٩)، "وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر، ومن ينسب إليهم علم، فلما تقدم في سورة (فصلت)^٣ من يظن منه الغنى ويمكن منه أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفى ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى، ثم أكد ذلك بضمير الفصل المقتضي التخصيص فقوي المفهوم"^٤.

أما السامرائي:

فقد أضاف لما ذكره الغرناطي أنهم وصفوا الله تعالى بأنه - سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - لا يعلم بكثير من أمورهم وشأنهم، فكان ذلك سببا في تعريف الوصفين والقصر، إذ أن ذلك يثبت العلم كله لله، وينفيه عن سواه إذا ما قيس بعلم الله تعالى، قال: "وذلك أنه ورد قبل آية الأعراف وصف آهتهم بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتحرك ولا تقدر على شيء مما يدل على أنها فيها شيء من الحياة .. فوصف الله نفسه بالسمع والعلم في مقابل آهتهم التي لا تسمع ولا تعي، أما آية فصلت فقد تقدم قبلها قوله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ١، ص ٢٢٣.

^٢ ورد لدى تحقيق الفاسي وتحقيق سعيد الفلاح [أما آية الأعراف]، والصحيح ما ذكرناه. راجع تحقيق الفاسي للملاك ج ١، ص ٢٢٣ / وتحقيق سعيد الفلاح للملاك ج ١، ص ٥٧٩.

^٣ ورد لدى تحقيق الفاسي وتحقيق سعيد الفلاح سورة (السجدة)، والصحيح هو ما ذكرناه. راجع تحقيق الفاسي للملاك، ج ١، ص ٢٢٣ / وتحقيق سعيد الفلاح للملاك، ج ١، ص ٥٨٠.

^٤ الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق الفاسي، ج ١، ص ٢٢٣ / وتحقيق سعيد الفلاح، ج ١، ص ٥٧٩ - ٥٨٠.

(فصلت ٢٢)، فأثبتوا لله قليل العلم ونفوا عنه كثيره، فاقتضى ذلك أن يبين لهم أنه هو المختص بالعلم الكامل والسمع الكامل، فجاء بالصفتين معرفتين للدلالة على الكمال في الوصف، وجاء بضمير الفصل للدلالة على قصر هاتين الصفتين عليه سبحانه وبيان أن ما عداه لا يعلم ولا يسمع إذا قيس بعلمه وسمعه^١.

ثم عرض السامرائي بعد إضافته تلك توجيه الغرناطي كاملا دون تدخل منه، يؤيد به ما ذهب إليه ويؤكد^٢.

المسألة الرابعة:

- قول الله تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (المؤمنون ٤١).

- وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّبَعَنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون ٤٤).

لقد وقفتُ على توجيه ستة علماء من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لهاتين الآيتين، وجه فيها أربعة منهم [الكرماني، وابن جماعة، والأنصاري، والسامرائي] سبب مجيء كلمة [القوم] معرفة في الآية الأولى، ونكرة في الآية الثانية، فاتفقوا جميعا في توجيههم اتفاقا، حتى ليكاد يكون لفظهم جميعا واحدا.

أما الإسكافي، وتلميذه الغرناطي فنظرا إلى الآيتين نظرة أوسع، فوجَّها اختلاف لفظ [القوم] تنكيها وتعريفا، واختلاف الوصف في الأولى ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ عنه في الآية الثانية ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ولقد كان توجيههما أكد؛ إذ أن التعريف والتكثير للفظ [قوم] في الآيتين لا ينفصل عن الوصف التابع له في كل من الآيتين.

وإليكم توجيه كلا الفريقين كل على حدة، وسأبدأ بالفريق الأول:

^١ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٩٤

^٢ راجع المصدر السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥

أما الكرمانى، وابن جماعة، والأنصارى، والسامرائى:

فقد رأوا أن سبب مجيء كلمة [القوم] معرفة في الآية الأولى، ومجىء [قوم] نكرة في الآية الثانية يرجع - وهذا لفظ السامرائى - إلى أن: "الأولى في قوم معينين وهم قوم صالح، فعرفهم بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴾ (المؤمنون ٤١)، وأما الثانية فلم تكن في قوم معينين بدليل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ (المؤمنون ٤٢)، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُوهَُا كَذَّبُوهُ ﴾ (المؤمنون ٤٤)، فخصهم بالنكرة"^١

وأما الإسكافى والغرناطى:

فإن الغرناطى وإن وافق - إلى حد كبير - أستاذه الإسكافى، إلا أن توجيه الإسكافى كان أكثر وضوحاً وجلاءً، كما جاء أسلوبه وحججه وأدلته أقرب للفهم وأيسر، قال: "إن القصة الأولى وإن خرجت عن لفظ التنكير فقال: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (المؤمنون ٣١-٣٢)، فإنه معلوم من المراد بالرسول وبالمرسل إليهم.. وهم قوم صالح ﷺ فلما كان في أقوام معلومين أتى بذكرهم معرفة فقيل: ﴿ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وخص وصفهم بالظلم لأنه شيء عاملوا به غيرهم، وعاملوا بهم أنفسهم لتكذيبهم الرسل.. أما قوله ﴿ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فإنه جاء بعد خاتمة قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ (المؤمنون ٣١)، فلم يبين المعنى من المراد كما بين في الأولى، وكانوا منكورين للمسلمين، فلما أمر بلفظ الدعاء عليهم استعمل فيهم ما استعمل فيمن لم يتعين، فنكر اللفظ فقال: ﴿ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي أهلك كل قوم لا يؤمنون.. فأخبر خبراً عاماً، وأمر أن يدعى عليهم دعاء عاماً"^٢.

المسألة الخامسة:

^١ راجع: السامرائى، التعبير القرآنى، ص ١٩٢-١٩٣. / والكرمانى، البرهان، تحقيق السيد الجميلى، ص ١٢٦ / ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق محمد حسن، ص ١٠٢ / الأنصارى، فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلى، وأحمد السايح، ص ٢١١.
^٢ بتصرف، راجع: الإسكافى، درة التنزيل، ص ١٧٦-١٧٧ / والغرناطى، ملاك التأويل، تحقيق علي الفاسى، ج ٢، ص ٣٦٨-٣٦٩.

- قول الله تعالى: ﴿ يَبُئِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان ١٧).

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى ٤٣).

لماذا زيدت لام التوكيد في فاصلة آية الشورى دون فاصلة آية لقمان؟

رحم الله المتقدمين من علماء توجيه المتشابه اللفظي، فقد فتحوا للمتأخرين الأبواب، وهيئوا لهم الأسباب، فكان المتقدمون للمتأخرين منارة تسوقهم إلى بر الهدى والحق، إن رجال هذا العلم متقدمين ومتأخرين مثلهم كمثل عمال مهرة، تتابعوا على إنشاء بناء عظيم، قام أولهم فاختار الأرض ورسم الخطوط ووضع القواعد، ثم قام الآخر فأقام الأسس ورفع العمدة، ثم تتابع الآخرون واحدا تلو الآخر، فمنهم واضع حجر رافع للبناء، ومنهم القصاص المرمم، ومنهم النقاش المعني بالتزيين والتجميل.

فقد وجه المسألة السابقة السامرائي معتمدا على أساتذة توجيه المتشابه السابقين، ولا يمنع ذلك من أن السامرائي ترك لمستته البارعة.

أما الغرناطي:

فقد نظر إلى الآيتين من الناحية اللغوية البلاغية، فرأى أن: "آية الشورى لما دخلها معنى القسم، وكانت على تقديره، إذ اللام في قوله: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ توطئة له ودالة على تضمين الآية معناه، ناسب ذلك زيادة لام التأكيد في خبر إن، وذلك ظاهر في معنى الآية، وأما آية لقمان فقوله فيها ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ مجرد إخبار عن حال ما، وقعت الوصية به، ولا مدخل للقسم هنا ولا معنى له، فلم تدخل لام التأكيد في الخبر؛ إذ ليس في الآية معنى قسم يستدعيه".^١

وأما السامرائي:

^١ الغرناطي، ملاك التأويل، ج ٢، ص ٤٠٢-٤٠٣.

فقد اختار توجيه الأستاذين الأولين لعلم المتشابه اللفظي الإسكافي والكرماني، فقال: "فقد أوصانا ربنا في الشورى بشيئين الصبر والمغفرة لمن أساء إلينا، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ وأوصى لقمان ابنه بالصبر، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ والأول أشق على النفس من مجرد الصبر، فاحتاج إلى زيادة التوكيد، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^١ (الشورى ٤٣) "٢.

ثم أكد السامرائي كلامه وأيده بتوجيه الإسكافي والغرناطي، واختار لفظ الكرماني لأنه أوجز وأوضح، فقد رأى أن توكيد الخبر في الشورى وتركه في لقمان سببه: "أن الصبر على وجهين: صبر على مكروه ينال الإنسان ظلماً، كمن قتل بعض أعزته، وصبر ينال الإنسان ليس بظلم، كمن مات بعض أعزته، فالصبر على الأول أشد، والعزم عليه أوكد، وكان ما في هذه السورة - الشورى - من الجنس الأول؛ لقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فأكد الخبر باللام، وفي لقمان من الجنس الثاني فلم يؤكد "٣.

^١ جدير بالذكر أن السامرائي غفل هنا وذكر آخر آية لقمان التي بدون توكيد ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، والصحيح، وهو مقصود السامرائي، هو ما ذكرناه.

^٢ السامرائي، التعبير القرآني، ص ١٦٩.

^٣ الكرماني، البرهان، تحقيق السيد الجميلي، ص ١٧١ / الإسكافي، درة التنزيل، ٢٤١.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، تلك النعمة التي لا يدرك قيمتها حقاً إلا الذي جاورَ مَنْ يَعْبُدُ البقر، وشاهد مَنْ يَسْجُدُ للحجر - وقد عاينت الصنفين - فالحمد لله الذي هدانا إليه، ونسأله تعالى أن يثبتنا على طريقه المستقيم، حتى نلقاه، وأن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه، وأصلي على أكرم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وإن كان الإسلام أَجَلَ نِعَمِ الله علينا نحن المسلمين، فإن من أعظم النعم التي لا تقدر وفضلاً كوننا على سنة رسول الإسلام، ومن أهل السنة النبوية الحنيفية، فالحمد لله أننا مسلمون على سنة محمد ﷺ.

ومن أعظم النعم علينا نحن المسلمين القرآن، فإنه أعظم وأجلُّ نعمة في الإسلام، فالحمد لله أن أنزل علينا القرآن شِرعاً وَمَنْهَاجاً، ودليلاً وَنَبْرَاساً، وله الحمد سبحانه أن تكفل بحفظ القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر، ٩)، فلم يَكِلْ إلينا حفظه، فَسَلِمَ مما لم تسلم منه الكتب السماوية السابقة، "فلم يُصِبْهُ ما أصابها من تَبْدِيلٍ وَتَغْيِيرٍ، ولم يقع فيه ما وقع فيها من تحريف وتزيف، ولم يَنْلُهُ ما نالها من نسيان وضياع، وقد حاول الأعداء قديماً وحديثاً، عربٌ جاهليون، وغربٌ مستشرقون، وزنادقةٌ حاقدون، حاولوا جميعاً العبث به، والتشكيك في صدقه، والادعاء عليه، والنيل منه، فخذلهم الله، وبقي القرآن هو هو، كما أنزل على محمد ﷺ، وسيبقى هو هو، كما أنزل إلى أن يأذن الله بزوال الدنيا"^١.

وكل ما يحتاجه المسلم من صلاح وإصلاح، ونجاة وفلاح، وسعادة في الأولى، وفوز في الأخرى إنما هو محصور في القرآن، وفي هدي مَنْ كان خلقه القرآن محمد ﷺ. وما أعظم نصح الحسن البصري رحمه الله: "الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب"^٢

^١ الجبالي، محمد رجائي أحمد، ٢٠٠٨، القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية، ط١، دار السلف الصالح، المنصورة، مصر، ص٢٠٢

^٢ من مقال للدكتور: بدر البدر الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

٢٠٠٨/٠٢/٢٨، <http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&id=6027&task=view§ionid=1>

"إن الأمة حين اتخذت القرآن إماما سادت، وامتدت أطرافها إلى مشارق الأرض ومغاربها، وحين أعرضت عن القرآن وابتغت الهدى في غيره ذلت، وهانت، وصارت أذلَّ أهل الأرض، ولا نجاة لنا، ولا عودة لعزنا إلا بالعودة للقرآن".^١

ذلك الكتاب الذي يتجدد بتجدد وتتابع الأزمنة، ويُجددُ كُلَّ مَنْ ينظر فيه قارئاً ومتأملاً، يجدد فيه قلبه، ويجدد فيه عقله، ويجدد فيه نفسه، ويُسعِّعُ عليه من الفضائل والمكارم ما لا يناله غير أهل القرآن من الحُقَّاط، والمتأملين لآياته، والباحثين في وجوه إعجازه.

لقد كان هذا البحث تجربة أفاضت على صاحبها فيوضاً جليلاً، وألبسته حللاً ثمينة، ومنحه الله بها من الفضل والمنن ما يقصر شكر العمر كله - لو شكر - عن أداء حقه، فما أعظم النظر والتأمل في كتاب الله والبحث في أسراره! وما أعظم أن تجلس بين يدي العلماء تناقشهم وتحاورهم! وما أعظم أن تطوف بين طيِّبات الكتب! وما أروع أن تقف على فكرة ورأي جديد له ما يسدده! وما أروع أن تبني فكرة لها عمادها الذي يحملها دون أن يضطرب بها! وما أروع أن تصوغ تلك الفكرة في بناء من اللفظ متين!

لم يكن هذا البحث في أساسه طلباً لشهادة علياً ترفع قدر الباحث، وإنما كان لتلك الدراسة هدف آخر أسمى وأعظم، إنما هو الرغبة في العلم، ذلك هو الهدف الذي رمى إليه الباحث من قبل ومن بعد، فضلاً عن شغف الباحث بالبلاغة والنحو، واللذان يجتمعان متآلفين، ويتزاوجان متلائمين، يمتزجان متناغمين في القرآن الكريم.

إن المطالعة والقراءة من أجل البحث والدرس غالباً ما تكون شاقة مرهقة، لكن العجب - أشد العجب - أن تجد في المشقة والتعب لذة وتمعن، ما بالك حين تجد في المشقة والإرهاق متعة ولذة! إن الباحث بقدر ما تعب وأُجهد وأُرهق في هذا البحث، بقدر ما استمتع وتلذذ بهذا التعب، وذلك الجهد، وذلك الإرهاق.

وهذا بحث أرجو الله تعالى أن أكون قد وضعت به لَبِنَةً رفعت بناء علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأن أكون قد أضفت بهذا البحث شيئاً جديداً إلى هذا العلم، ينتفع به اللاحقون من طالبي العلم والباحثون والدارسون.

^١ الجبالي، محمد رجائي أحمد، ٢٠٠٨، القصر بالأدوات في القرآن الكريم، دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية، ماجستير، دار السلف الصالح، المنصورة، مصر، ص ٢٠٢.

فقد قدم هذا البحث دراسات - على إيجازها أحسبها وافية - حول خمسة من علماء

توجيه المتشابه اللفظي القدامى والكتب التي صنفوها في علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ إذ أنها خلاصة تكاد تكون وافية شافية لما شملت من التعريف بهؤلاء العلماء، ودورهم في التأسيس والتأصيل لعلم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

كما قدم البحث دراسات موجزة وافية حول خمسة من علماء توجيه المتشابه اللفظي المحدثين، تعريفًا بهم، ومؤلّفاتهم في هذا الباب، ومدى تأثرهم بالعلماء القدامى، واللمسات التي وضعوها، والإضافات التي أضافوها إلى هذا العلم، مع موازنة بين كل من القدامى والمحدثين من حيث المنهج والخصائص.

وقد قدم البحث نموذجًا للموازنة العملية بين القدامى والمحدثين، فاختار الباحث أهم شخصيتين من كل عصر، فكان الغرناطي ممثلًا للقدامى، والدكتور فاضل السامرائي ممثلًا للمحدثين، فقدم الباحث دراسة وافية حول هاتين الشخصيتين بتوسع أكثر من باقي الشخصيات الأخرى من العصرين، مع الموازنة بين كليهما منهجًا وخصائص وآثارًا، ثم قام الباحث بالموازنة العملية بين كل من الغرناطي والسامرائي، من خلال بحث ودراسة ثلاث وأربعين مسألة اشترك كل منهما في توجيهها.

وأخيرًا ورغم أني أود وأرجو أن تُعَمَّ الفائدة بهذا البحث، وتتسع دائرة نفعه وتنتشر، ويدوم النفع به حتى يأذن الله بالساعة، إلا أني أقول: بحسبي خدمتي لكتاب الله، وبحسبي الطواف والنظر في إنتاج المتقدمين والمتأخرين من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وبحسبي متعة البحث والنظر في كتاب الله والعلوم الملحقة به على تنوعها.

والله من وراء القصد

وإياه أسأل الهداية والسداد والتوفيق

محمد رجائي أحمد الجبالي

النتائج:

- ويمكننا بناء على هذا البحث، أن نستنتج عددا من النتائج الهامة، وهي كما يلي:
١. علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] مازال بكرا غضا، ورغم طول عمره فمازال في مراحل الأولى بعد، إذ أن مصنفاته مازالت قليلة محدودة.
 ٢. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بعضه من المتشابه الذي هو ضد المحكم، خاصة الآيات التي تكررت دونما تغير في لفظها.
 ٣. اعتماد المتأخر من علماء [توجيه المتشابه اللفظي] على المتقدم منهم، بداية من الخطيب الإسكافي المؤسس الأول لهذا العلم وحتى فاضل السامرائي والمحدثين من الذين صنّفوا في هذا العلم.
 ٤. إضافات المحدثين لبناء علم [توجيه المتشابه اللفظي] مازالت قليلة ومحدودة.
 ٥. علم توجيه المتشابه اللفظي وإن كان لونا من ألوان التفسير إلا أنه لا بد وأن يجتمع فيمن يخوض غماره حس خاص، ونظرة خاصة، تختلف عن عامة المفسرين، وصفها السامرائي في مقدمة كتابه [على طريق التفسير البياني] بـ "الموهبة"، وذلك حين عد ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني في خمسة عشر أمرا، يحتاج إليها من يخوض غمار هذا النوع من التفسير، حيث قال في الشرط الخامس عشر: "وأساس ذلك كله الموهبة: فإن الموهبة أساس كل علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، على ألا يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل"^١
 ٦. علم المتشابه اللفظي يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الإعجاز في القرآن، إذ أن الآيات المتشابهات لفظا أحد دلائل الإعجاز في القرآن الكريم، لما تحوي من أسرار جليلة، تلك الأسرار لا تتأتى إلا للخاصة الخاصة من الباحثين الدارسين والمتأملين في كتاب الله.

^١ السامرائي، فاضل، على طريق التفسير البياني، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، طبعته جامعة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ج ١، ص ١٤.

٧. لا يمكن لأحد أن يدعي أنه قد قال القول الفصل في توجيه آية ما، خاصة آيات المتشابه اللفظي، إذ أن هذا الكتاب - القرآن - كتاب جديد متجدد، مازال الكثير من أسراره لم تكشف بعد، بدليل ما يتكشف لنا كل يوم من هذا الكتاب.
٨. التفسير العلمي للقرآن صار له دور فعال في تأويل وتوجيه الكثير من آيات القرآن عامة، وآيات المتشابه اللفظي خاصة.
٩. السياق واللغة والبلاغة والنحو هي أهم الأسس التي يقوم عليها علم توجيه آيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

التوصيات:

وقبل أن نختتم هذه الدراسة فإني أود أن أوصي ببضع توصيات، وهي:

١. تكوين لجان دائمة من الأساتذة والباحثين في القرآن وعلومه للقيام على تحديد الموضوعات التي يمكن بحثها في علم [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] جمعاً وتبويباً وتوجيهاً، وجعلها في متناول طلاب البحث في القرآن.
٢. أن يصرف الأساتذة طلابهم، ويلفتوا نظرهم إلى [علم توجيه المتشابه اللفظي] وضرورة البحث فيه.
٣. جمع الدراسات التي قامت بالبحث في [المتشابه اللفظي في القرآن] والتعريف بها، والعمل على طباعة ونشر هذه الدراسات ما أمكن.
٤. حبذا لو وضع الأساتذة المحدثون الذين يصنفون في علم توجيه المتشابه اللفظي، بل وفي شتى العلوم لو وضعوا سيرتهم الذاتية في إيجاز في صدر مؤلفاتهم، حيث يشق على الباحثين الترجمة للعلماء المحدثين، إذ لا يوجد كتب ترجمت لهم.

المصادر والمراجع:

- ١- إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، بإشراف: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية، مصر.
- ٢- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم [تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة والتابعين]، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا، المكتبة العصرية.
- ٣- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ١٤١٩ هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ٤- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر محمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.
- ٥- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف، ١٣٥١هـ، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية.
- ٦- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، ١٩٨٥م، المدهش، تحقيق: الدكتور مروان قباني، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٧- ابن الجوزي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، الطبعة الأولى، بيروت، دار البشائر.
- ٨- ابن الجوزي، ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي.
- ٩- ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن كثير.

- ١٠- ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ١٤١٠هـ، تفسير القرآن الكريم لابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية بإشراف الشيخ: إبراهيم رمضان، بيروت، دار مكتبة الهلال.
- ١١- ابن المنادي، ١٩٩٣م، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبدالله بن محمد الغيمان، دمنهور، مصر، مكتبة لينة.
- ١٢- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة.
- ١٣- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، صحيح ابن حبان بترتيب بابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ١٤- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ١٥- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله السجستاني، مسند أحمد بن حنبل، مذيّل بأحكام شعيب الأرنؤوط، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
- ١٦- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، الطبعة الأولى، المنصورة، مصر، دار الوفاء.
- ١٧- ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه المثاني، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف.
- ١٨- ابن جماعة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٧م، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٩- ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق وتعليق: عبد الجواد خلف، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، سلسلة منشورات الجامعة الإسلامية، باكستان، مكتبة ابن تيمية.

- ٢٠- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانكي.
- ٢١- ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، حيدر آباد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- ٢٢- ابن رشيقي، أبو علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل.
- ٢٣- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد المودود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢٤- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٩٧م، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ٢٥- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.
- ٢٦- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، البحر المديد، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢٧- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية.
- ٢٨- ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
- ٢٩- ابن قاضي شهبه، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، ١٤٠٧هـ، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب.

- ٣٠- ابن فرجون، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرجون برهان الدين اليعمري، الديباح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٣١- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- ٣٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٣٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٤- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر العربي.
- ٣٥- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حيفة بن منظور، اللسان، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف.
- ٣٦- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الكليات [معجم في المصطلحات والفروق اللغوية]، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ٣٧- أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة.
- ٣٨- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الطبعة الخامسة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
- ٣٩- أبو بكر عبد الرزاق همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي.

- ٤٠ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العيسبي الكوفي، المستدرک على الصحيحين الشهير بمستدرک الحاكم، تحقيق: محمد عون، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، الهند.
- ٤١ - سعدي، أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الفكر، دمشق.
- ٤٢ - أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٤٣ - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، مذيّل بتعليق الألباني.
- ٤٤ - أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- ٤٥ - أبو شيبة، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة العيسبي الكوفي، مصنف أبي شيبة، تحقيق: محمد عون، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.
- ٤٦ - أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سزكين، وطبع في مكتبة الخانجي بالقاهرة في جزئين.
- ٤٧ - أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية.
- ٤٨ - آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ط ١، الرياض، مكتبة الرشد.
- ٤٩ - الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- ٥٠ - الإسكافي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى أيدين الطبعة الأولى، مكة المكرمة، طبعة جامعة أم القرى.
- ٥١ - الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي.

- ٥٢- الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، الطبعة الخامسة، الرياض، مكتبة المعارف.
- ٥٣- الألباني، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الطبعة الأولى، الرياض، دار المعارف.
- ٥٤- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٥٥- الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق: محمد بن شريفه، بيروت، دار الثقافة.
- ٥٦- الأنصاري، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.
- ٥٧- الأنصاري، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، بيروت، دار القرآن الكريم.
- ٥٨- الأنصاري، صورة "فوتوغرافية" من مخطوط لكتاب، فتح الرحمن على الكمبيوتر، كتبه: أبو بكر بن إسماعيل بن فخر الدين الشواني، على واجهته رقم كودي ١٣٨٥/علوم القرآن، عدد الصفحات ١٤٦ صفحة من القطع الكبير، كل صفحة تحوي ٣١ سطرا تقريبا، وهذه النسخة من مخطوطات الأزهر الشريف، رقم ٣٠٣٠١٣، عدد أوراقها ٧٣ ورقة، راجع: <http://www.alazharonline.org>
- ٥٩- الأنصاري، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- ٦٠- الأنطاكي، محمد، ١٩٣٥هـ- ١٩٧٥م، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت.
- ٦١- البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن كثير.
- ٦٢- البركة، محمد بن راشد بن محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، والرسالة موجودة على

الشبكة في موقع المكتبة الشاملة: [/http://islamport.com](http://islamport.com)

٢٠٠٩/٠٧/١٩

٦٣- الباقلائي، الإعجاز في القرآن، على هامش كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، بيروت، دار الفكر.

٦٤- البرزالي، عَلمُ الدِّينِ القاسمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يوسف، مشيخة بدر الدين بن جماعة، دراسة وتحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر بن عبدالعزيز، صدرت هذه الدراسة عن جامعة أمّ القُرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٥- البغوي، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٦٦- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تفسير البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدة الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦٧- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث.

٦٨- البيهقي، أحمد ابن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز.

٦٩- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ١٣٤٤هـ، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، الطبعة الأولى، الهند، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية.

٧٠- الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث.

٧١- التلمساني، أحمد بن المقرئ التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، ١٩٩٧م، طبعة جديدة، بيروت، لبنان، دار صادر.

- ٧٢- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث.
- ٧٣- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٧٤- الجبالي، محمد رجائي أحمد، القصر بالأدوات في القرآن الكريم، دار السلف الصالح، المنصورة، والقاهرة، مصر.
- ٧٥- الجرجاني، علي بن محمد علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإياري، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٧٦- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، جدة، دار المدني، والقاهرة، مطبعة المدني.
- ٧٧- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث
- ٧٨- الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مذيّل بتعليق الذهبي في التخليص، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٧٩- الحربي، عبد العزيز بن علي بن علي، ١٤١٧ هـ، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.
- ٨٠- الحميدي، محمد بن فتوح، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن حزم.
- ٨١- الحنين، فواز بن سعد بع عبد الرحمن، ١٤٢٩ هـ، الضبط بالتععيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد، ط٢، الرياض، مكتبة فهد الوطنية.

- ٨٢- الخازن، علاء الجين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، ١٤١٥هـ، تفسير الخازن [لباب التأويل في معاني التنزيل]، تحقيق: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٨٣- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت، لبنان، دار الفكر.
- ٨٤- الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ١٢٨٥هـ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، القاهرة، مطبعة بولاق.
- ٨٥- الخطيب، محمد عبد الله، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي.
- ٨٦- الخليل، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومتبة الهلال.
- ٨٧- الحميسي، أحمد حسن، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٩٣ و ٩٤، آذار وحزيران ٢٠٠٤ - المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤
- ٨٨- الدوري، محمد ياس خضر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٨٩- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بغشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة.
- ٩٠- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٩١- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تذكرة الحفاظ، زكريا عميرات، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

- ٩٢- الزاهر الزبيدي، حسين بن عبد الباقي ، من كتاب النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، المصدر مكتبة المصطفى للكتب المصورة to pdf: www.al-mostafa.com
- ٩٣- الرازي، أبو عبد الله بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب أو [التفسير الكبير] الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث.
- ٩٤- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر ، مختار الصحاح، طبعة جديدة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- ٩٥- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، وبيروت، دار القلم، والدار الشامية.
- ٩٦- الرافعي، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصر، المكتبة التوفيقية.
- ٩٧- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤١٨هـ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دمشق، دار الفكر المعاصر.
- ٩٨- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤٢٢هـ، التفسير الوسيط، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر.
- ٩٩- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ١٠٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ١٠١- الزركلي، خير الدين، ١٩٨٠م، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العربي والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين.
- ١٠٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ١٠٣- السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، الإمارات، الشارقة، مكتبة الصحابة، والقاهرة، مكتبة التابعيين.
- ١٠٤- السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، التعبير القرآني، الطبعة الأولى، الأردن عمان، دار ابن عمار.
- ١٠٥- السامرائي، فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم.
- ١٠٦- السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب.
- ١٠٧- السامرائي، فاضل صالح، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، الطبعة الثانية، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب.
- ١٠٨- السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، دار عمار للنشر.
- ١٠٩- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، ١٤١٣هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، دار هجر للطباعة والنشر.
- ١١٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تفسير السعدي [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان] تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
- ١١١- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرحي، بيروت، دار الفكر.
- ١١٢- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن.
- ١١٣- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، ١٩٩٣م، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر.
- ١١٤- السيوطي، جلال الدين السيوطي الشافعي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الإتيان في علوم القرآن وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، بيروت، دار الفكر.

- ١١٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي أبو الفضل، لباب النقول، دار إحياء التراث، بيروت.
- ١١٦- السيوطي، ، ١٤٠٣هـ، طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١١٧- السيوطي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، معترك الأقران، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١١٨- السيوطي، ١٩٢٧م، نظم العقيان، تحرير: فيليب حتي، نيويورك، المطبعة السورية الأمريكية، توزيع دار الكتب العلمية بيروت.
- ١١٩- السيوطي، ١٣٣٩هـ- ١٩٧٩م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر.
- ١٢٠- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، دار ابن عфан.
- ١٢١- القاضي، محمد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، ط ١، القاهرة، دار الصحوة
- ١٢٢- القرضاوي، يوسف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م فوائد البنك هي الربا الحرام، القاهرة، دار الصحوة، والمنصورة، دار الوفاء.
- ١٢٣- الشثري، صالح عبد الله محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١.
- ١٢٤- الشريف أبو القاسم علي بن طاهر أبي أحمد الحسين، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النسائي الحلبي، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة السعادة.
- ١٢٥- الشعراوي، محمد متولي، ١٩٩٧م، تفسير الشعراوي [الخواطر] القاهرة، مطابع الأخبار.
- ١٢٦- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخرج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، دار الوفاء.

- ١٢٧- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيني، ١٤١٥هـ -
 ١٩٩٥م، أضواء البيان في إيضاح القرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٢٨- الصامل، محمد بن علي بن محمد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، من بلاغة المتشابه اللفظي في
 القرآن الكريم، الطبعة الأولى، الرياض، دار إشبيليا للنشر والتوزيع.
- ١٢٩- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الوافي
 بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، الطبعة الأولى، بيروت.
- ١٣٠- الطبراني، أبو القاسم بن أحمد، ١٤١٥هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض
 الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.
- ١٣١- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م،
 مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة
 الرسالة.
- ١٣٢- الطبراني، سليمان أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣، المعجم
 الكبير، تحقيق: حمدين عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، الموصل، مكتبة العلوم
 والحكم.
- ١٣٣- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل
 القرآن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة
 الرسالة.
- ١٣٤- الطنطاوي، محمد سيد، ١٩٩٧م، التفسير الوسيط للقرآن الحكيم، الطبعة الأولى،
 القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- ١٣٥- العبد، محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام، حلية الحفاظ شرح منظومة
 الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع.
- ١٣٦- العدوي، أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، التسهيل لتأويل
 التنزيل [التفسير في سؤال وجواب]، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة الهدى.
- ١٣٧- العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي
 الشافعي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، تفسير ابن عبد السلام [اختصار النكت للماوردي]،
 تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم.

- ١٣٨- العفيفي، محمد، القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، الكويت، المطبعة العصرية، وذات السلاسل للطباعة والنشر.
- ١٣٩- العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، ١٤٠٥هـ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، الطبعة الأولى، بيروت دار الكتب العلمية.
- ١٤٠- الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٤١- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ، تحقيق: سعيد الفلاح، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ١٤٢- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجدي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، الطبعة الأولى، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ١٤٣- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- ١٤٤- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
- ١٤٥- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب.
- ١٤٦- القرطبي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة.

- ١٤٧- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زميرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الريان، ودار ابن حزم.
- ١٤٨- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي.
- ١٤٩- الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين، ١٩٩٧م، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.
- ١٥٠- الكرمانى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، البرهان في متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٥١- الكسائي، أبو حمزة الحسن بن علي بن حمزة، ١٩٩٤م، متشابه القرآن، تحقيق صبح التميمي، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، السلسلة التراثية.
- ١٥٢- الكسائي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، متشابه القرآن، تحقيق: محمد بن عيد الشعباني، طنطا، مصر، دار الصحابة للتراث.
- ١٥٣- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- ١٥٤- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٥٥- المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، طبعته دار إشبيليا سنة ١٤١٨هـ.
- ١٥٦- المراغي، أحمد مصطفى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، تفسير المراغي، الطبعة، مصر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٥٧- المعجم الوجيز، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مجمع اللغة العربية، طبعة جديدة شرعية، مطابع الأهرام التجارية، قلوب مصر، مكتبة دبي للتوزيع.
- ١٥٨- المطعني، عبد العظيم إبراهيم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة.

- ١٥٩- النسائي، أحمد شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، المحتجى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مذيّل بأحكام الألباني.
- ١٦٠- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تفسير النسفي [مدارك التنزيل وحقائق التأويل]، تحقيق: يوسف علي البدوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكلم.
- ١٦١- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ١٤١٦هـ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٦٢- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، ١٤١٥هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية.
- ١٦٣- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٦٤- باحاذق، عمر محمد عمر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، ط١، بيروت، دار المأمون للتراث.
- ١٦٥- بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ١٦٦- برنامج مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إصدار موقع روح الإسلام، راجع هذا الرابط: www.islamspirit.com ١١/٠٣/٢٧
- ١٦٧- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار المعارف.
- ١٦٨- تمام حسان عمر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة، عالم الكتب.

- ١٦٩- جوزيف فندريس **Joseph Vendryes** ، ١٩٥٠م، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص.
- ١٧٠- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي الفلسطيني المشهور باسم حاجي خليفة، ١٩٤١م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثني، ولبنان، دار إحياء التراث، ودار الكتب العلمية، ودار العلوم الحديثة.
- ١٧١- حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستنبولي الحنفي، روح البيان، دار إحياء التراث العربي.
- ١٧٢- خالد بن عثمان السبت، ١٤٢٠هـ، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ط١، دار ابن عفان، ج١، ص٣-٤.
- ١٧٣- خضر، السيد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الآداب.
- ١٧٤- ستيفن أولمان، **STEPHEN ULMANN**، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال بشر، مصر، المنيرة، مكتبة الشباب.
- ١٧٥- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ١٤١٢هـ، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشرة، بيروت، والقاهرة، دار الشروق.
- ١٧٦- شلاش، هاشم طه، أوزان الفعل ومعانيها، ١٨٧١م، مطبعة الآداب، بغداد.
- ١٧٧- عادل نويه، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٨م، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، الطبعة الثالثة، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
- ١٧٨- عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ويمكن تصفحه في: <http://bookstree.com/books/6/6.htm>
- ١٧٩- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ١٤٠٣هـ، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي.
- ١٨٠- عدنان زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه.
- ١٨١- رضا، محمد رشيد رضا، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ [تفسير: المنار]، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المنار.

١٨٢- فرحات، أحمد حسن، معاجم مفردات القرآن مقترحات وموزانات، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

١٨٣- فلوجل، جوستوف، [GUSTAVUS FLUGEL]، ١٨٧٥م، نجوم الفرقان في أطراف القرآن، [CONCORDANTIA CORANI ARABICAE AD LITERAUM ORDINEM ET [VERBORUM RADCES DILIKNTER DISPOSUIT . lipsiae sumpibus bemesti bredtil ،

١٨٤- قيطاز، محمد عدنان ، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٥٤ - السنة ١٤ - كانون الثاني "يناير" ١٩٩٤ - شعبان ١٤١٤

١٨٥- كحالة، عمر ، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربي، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث.

١٨٦- لبيب محمد جبران صالح، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والسنة.

١٨٧- لجنة من علماء الأزهر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثامنة عشرة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبع مؤسسة الأزهر.

١٨٨- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان.

١٨٩- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية.

١٩٠- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالى، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة التراث إصدار وزارة الإعلام.

١٩١- مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليلي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان ، مكتبة دنديس.

- ١٩٢- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسبوري، الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، بيروت، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة.
- ١٩٣- مقاتل، أبو الحسن مقاتل سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١٩٤- موسى علي موسى مسعود، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، بحث ماجستير بعنوان: [إعراب القرآن العظيم، المنسوب للعلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دراسة وتحقيق]، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض.
- ١٩٥- نخبة من أساتذة التفسير، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، التفسير الميسر، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
- ١٩٦- نصار، حسين، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، التكرار، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي
- ١٩٧- هنداوي، عبد الحميد أحمد يوسف، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.
- ١٩٨- ياسر بن محمد بن محمد بن مرسى بن يومي، الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني، طبعته دار التقوى للنشر والتوزيع، مصر شبرا الخيمة.
- ١٩٩- ياسين المجيد، عبد المجيد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، المبني والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم.
- ٢٠٠- يسري عبد الغني عبد الله، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، معجم المعاجم العربية، بيروت، دار الجيل.

- المواقع الإلكترونية على شبكة الاتصال الإلكتروني [انترنت]

- ٢ - موقع إخوان أون لاين:

- <http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=39423&SecID=290/> ٢٠٠٩/٠٥/١٦

- <http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=٣٧٤٨٥&SecID=٢٩٥>. ٢٠١٠ /٠٧/١٥

- ٣ - موقع الإسلام اليوم:

- <http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-٤٩٥٩٠-٦٠.htm/>
٢٠١٠/٠٧/١٥

- ٤ - موقع الإسلام سؤال وجواب:

- www.islamqa.com/ar/ref/7226/doc
2/8/2011 ١١٣١٤٨ <http://www.islam-qa.com/ar/ref/>

- ٥ - موقع الجماعة الإسلامية، مصر:

- <http://www.egyig.com/>
- <http://www.egyig.com/Public/articles/soft/6/18961824.shtml> ٢٠٠٩/٠٧/٠٤ ،

- ٦ - موقع الدكتور محمد الصلابي:

- <http://www.alsallaby.co> ٢٠١٠ /٠٧/١٥

- ٧ - موقع النيل والفرات:

- <http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb٩٠٦٠٣-١٣٠٤٧٣&search=books> 9/19/2010

- ٨ - موقع الكاتب: محمود القاعود:

- <http://alqaoud.wordpress.com>

- ٩ - موقع المكتبة الشاملة:

- <http://islamport.com>

- <http://shamela.ws/>

- <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?۲۹۵۹۸-%C%۷E%۱D%۳ED%C%۷DE-%E%۶C%۷CB%D%۱E۵->
موقع شبكة دهشة: ١٦-
- <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=۳۰۹۳۱>
٢٠٠٩/٠٨/٢٧
موقع شبكة رواء للأدب وفنون العربية: ١٧-
- <http://www.ruowaa.com/vb۳/showthread.php?t=۱۰۸۵۷۲۰۰۸/۰۳/۲۲>
موقع صحيفة المصريون الالكترونية: ١٨-
- <http://www.almesryoon.com/ShowDetails.asp?NewID=۴۹۰۰۶&Page=۱> ٢٠١٠/٠٧/١٥
موقع صيد الفوائد: ١٩-
- <http://www.saaaid.net/Doat/hasn/۸۱.htm> ٢٠١٠/٠٧/١٤
موقع فهرس مكتبات الملك سعود: ٢٠-
- <http://catalog.library.ksu.edu.sa/digital/408953.html>
موقع مجلة العصر: ٢١-
- <http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=10239> ٢٠٠٩/٠٧/٠٤
موقع مجلة المنار الجديد: ٢٢-
- <http://www.almanaraljaded.com/paget۱.asp?PageId=۱&PartId=۷۲۰۱۰/۰۷/۱۸>
موقع مدونة السياحة في مصر: ٢٣-
- <http://romiofayoum.jeeran.com/archive/۶۵۳۸۶۰/۸/۲۰۰۸.html> ٢٠١٠/٠٧/١٤
موقع ملتقى أهل التفسير: ٢٤-

- <http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?p=٥٤٩٨٧>
٢٠١٠/٠٥/١٥
 - <http://www.tafsir.net/vb/attachment.php?attachmentid=١٨٣٨&d=١٢١٥٧٤٤٦٥٥٢٠٠٩/٠٨/٢٧>
 - <http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=12535&highlight=%E1> ٢٠١٠/٠٧/١٤،
 - <http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=١٢٥٣٥>
٢٠١٠/٠٧/١٨،
- ٢٥ - موقع ملتقى أهل الحديث:
- <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦> ٢٠٠٩/٠٨/٢٨
 - <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦٢> ٢٠٠٩/٠٨/٢٨
- ٢٥ - موقع منتدى الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه:
- <http://www.aslein.net/showthread.php?t=٣٢٤٥> /٠٧/٠٤
٢٠١٠
- ٢٦ - موقع ملتقى البلاغيين والنقاد العرب:
- <http://www.bn-arab.com/vb/showthread.php?t=٤٩٠>
- ٢٧ - موقع منتدى اللغة العربية وآدابها:
- <http://bacdz.forums-free.com/topic-t26.html> ٢٠٠٩/٠٢/٢١

الفهارس

فهرس الآيات المتشابهات التي تم دراستها في البحث

مسلسل	الآيات المتشابهات بأرقامها	السورة	الصفحة
١	﴿ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾	الرحمن	٥٢، ٥٤ ٥٩
٢	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾	القمر	٥٢، ٥٤ ٥٩
٣	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴾	القمر	٥٣ ٢٣٥
٤	﴿ وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكذِّبِينَ ﴾	المرسلات	٥٣
٥	﴿ قَالَ لِلْمَلَآءِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْأَلُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنِ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾	الشعراء	-٥٤ ٥٥
		الأعراف	
٦	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	البقرة	٥٥
		آل عمران	
		آل عمران	
٧	﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾	الحاقة	٥٥
٨	﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾	القارعة	٥٥
٩	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٢﴾ ﴾	المطففين	٥٥
١٠	﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١﴾ ﴾	الواقعة	٥٥
١١	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ ﴾	الواقعة	٥٦
١٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾	القدر	٥٦

		﴿ لَيْلَةُ الْقَدَرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ﴿٢﴾	
٥٦	التوبة	﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَنْكُرَ غَيْرِ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٣﴾	١٣
	التوبة	وَأَنَّ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَدَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾	
٥٦	النبأ	﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٤
٥٦	القيامة	﴿ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾	١٥
٥٦	النحل	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٦﴾	١٦
٥٧	آل عمران	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ تَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٧﴾	١٧
٥٧	المدثر	﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾	١٨
٥٨	غافر	﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومٍ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢١﴾ ﴾	١٩
٥٩	الفجر	﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢١﴾ ﴾	٢٠
٥٩، ١٢١	النمل	﴿ أءَلَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ ﴿٢١﴾	٢١
٦٠	آل عمران	﴿ فَانفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ۗ وَأُحْيَى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ ﴾ ﴿٢٢﴾	٢٢
٦٠	الكافرون	﴿ قُلْ يَتَّبِعُهَا الْكَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٣

		وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴿	
٦١	البقرة	﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦١﴾ ﴿	٢٤
٦١	البقرة	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ لَنَا آخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ ﴿	٢٥
٦١	البقرة	﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ﴿٦١﴾ ﴿	٢٦
٦٨	البقرة	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢٥٥﴾ ﴿	٢٧
	آل عمران	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢٥٦﴾ ﴿	
	طه	﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿٢٥٧﴾ ﴿	
٦٨		﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْخًا إِمْرًا ﴿٦٨﴾ ﴿	٢٨
		﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْخًا نُّكْرًا ﴿٦٩﴾ ﴿	
٦٩	الشرح	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٩﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٧٠﴾ ﴿	٢٩
٦٩، ١٤٥	آل عمران	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِئًا بِالْقَسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٥﴾ ﴿	٣٠
١١٧	المؤمنون	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ۗ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجِجٍ آثْنَيْنِ ﴿١١٧﴾ ﴿	٣١
	هود	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ۗ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجِجٍ آثْنَيْنِ ﴿١١٧﴾ ﴿	
١١٧	الأنعام	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الأنعام	٣٢

		﴿ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾	
	النمل	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾	
	العنكبوت	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿١١٩﴾ ﴾	
	الروم	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	
١١٨	النحل	﴿ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾	٣٣
	العنكبوت	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	
١١٩	الأنعام	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾	٣٤
	الأنعام	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾	
١٢١	الجنات	﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾	٣٥
	الجنات	﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾	
	الجنات	﴿ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾	
١٣١	الأنعام	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ﴿١٢٨﴾ ﴾	٣٦
	القلم	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴿١٢٩﴾ ﴾	
١٣١	البقرة	﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴿١٣٠﴾ ﴾	٣٧
	المائدة	﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴿١٣١﴾ ﴾	
١٣٢	البقرة	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٣٢﴾ ﴾	٣٨

	آل عمران	﴿ أَمْرٌ حَسْبَتْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾	
	التوبة	﴿ أَمْرٌ حَسْبَتْكُمْ أَنْ تَتَّكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ ﴾ ﴿٥١﴾	
١٣٢- ١٣٣	الأعراف	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾	٣٩
	يونس	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾	
١٣٣	الإسراء	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ ﴿٥١﴾	٤٠
	سبأ	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ﴿٥٢﴾	
١٣٣- ١٣٤	الرعد	﴿ كُلُّ نَفْسٍ نَحْمَدُهَا لَاجِلٍ مُسَمًّى ﴾ ﴿٥١﴾	٤١
	لقمان	﴿ كُلُّ نَفْسٍ نَحْمَدُهَا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ ﴿٥٢﴾	
١٣٤، ٢٧٤	البقرة	﴿ فَمَنْ تَبِعَ ﴾ ﴿٥٣﴾	٤٢
	طه	﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ ﴾ ﴿٥٤﴾	
١٣٥	ق	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ ﴿٥٥﴾	٤٣
	طه	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ﴿٥٦﴾	
١٣٥	الأنعام	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾	٤٤
	الأنعام	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾	
١٣٥	الأنعام	﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾	٤٥
	الأنعام	﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾	
١٤٤	البقرة	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٦١﴾	٤٦

	يس	﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾	
١٤٥،	البقرة	﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾	٤٧
٢٣٥	إبراهيم	﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾	
١٥٠	النساء	﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾	٤٩
	المائدة	﴿ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾	
١٥٩	البقرة	﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	٥٠
	التحریم	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾	
١٦٠	البقرة	﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ﴾	٥١
	البقرة	﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾	
١٦٢	البقرة	﴿ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٥٢
	الأعراف	﴿ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	
	آل عمران	﴿ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	
١٨٦	البقرة	﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾	٥٣
	الأعراف	﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾	
١٨٩	البقرة	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾	٥٤
	الحج	﴿ هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾	
١٩٠	البقرة	﴿ أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾	٥٥
	المائدة ٣	﴿ أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾	

	الأنعام ١٧٣ النحل ١١٤		
١٩٠-	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي ۗ ﴾	٥٦
١٩١	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَقِي ۗ ﴾	
١٩٨	التكوير	﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۗ ﴾	٥٧
	الانفطار	﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَمْتَ وَأَخْرْتَ ۗ ﴾	
١٩٩	الكهف	﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۗ ﴾	٥٨
	الكهف	﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۗ ﴾	
١٩٩،	التكوير	﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۗ ﴾	٥٩
٢٠٠	الانفطار	﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۗ ﴾	
٢٠٠	الشمس	﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَدَهَا ۗ ﴾	٦٠
	الليل	﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۗ ﴾	
٢٠١	الأعراف	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ ۗ ﴾	٦١
	النمل	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ۗ ﴾	
٢٠٢	الأعراف	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾	٦٢
	الجنائفة	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾	
	المرسلات	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾	
٢٠٦	البقرة	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ ﴾	٦٣
	الأنعام ١٥٢ الأعراف ٤٢ المؤمنون ٦٢	﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۗ ﴾	
٢٠٧	التغابن	﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۗ ﴾	٦٤

		وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١﴾	
	الطلاق	وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢﴾	
٢٠٧	الأعراف	﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿١﴾ ﴾	٦٥
	الأعراف	﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٢﴾ ﴾	
	الأعراف	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾	
٢٠٨	النساء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧﴾ ﴾	٦٦
	محمد	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾	
٢٠٩	الأنفال	﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	٦٧
	يس	﴿ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	
	النساء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾	
٢١٧، ٣٣٢	البقرة	﴿ صُمْ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	٦٨
	البقرة	﴿ صُمْ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	
٢١٩	البقرة	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	٦٩
		أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ	

		﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾	
	البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾	
٢٢١	الفاتحة	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾	٧٠
	الجاثية	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾	
٢٢٢	البقرة	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٤﴾﴾	٧١
	البقرة	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾	
٢٢٣	الأحقاف	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿١٠﴾﴾	٧٢
	الصف	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١١﴾﴾	
-٢٣٦	البقرة	﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٣٦﴾﴾	٧٣
٢٣٧	النور	﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٣٧﴾﴾	
٢٦٤	المائدة	﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾	٧٤
	المائدة	﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾﴾	
	المائدة	﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾﴾	
٢٦٩	البقرة	﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ	٧٥

		﴿ الْحَرَامِ ٤٩ ﴾	
	البقرة	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾	
٢٧٥	الفاتحة	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾	٧٦
	الجاثية ٣٦	﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾	
٢٨١	الفلق	﴿ وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿ ٤٠ ﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿ ٥٠ ﴾	٧٧
٣٠١	الأنعام	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴿ ١٠٠ ﴾ مَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَمَخْرُجُ الْمَمِيَّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ﴿ ١٠١ ﴾ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿ ١٠٢ ﴾	٧٨
٣٠١	الأنعام	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ ١١٠ ﴾	٧٩
	يوسف	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَتَأَيَّأُ... ﴾ ﴿ ١٢٢ ﴾	
٣٠٢	البقرة	﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ١٧٢ ﴾	٨٠
	سبا	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿ ٢٠ ﴾	
٣٠٢	الأحزاب	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿ ٦٧ ﴾	٨١
	الأحزاب	﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿ ٦٨ ﴾	
٣٠٣	فصلت	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٦١ ﴾	٨٢
	الأعراف	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ	

		سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠٤﴾	
٣٠٤	النمل	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ﴿٣٠٥﴾	٨٣
	الزمر	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ﴿٣٠٦﴾	
٣٠٦	الشعراء	﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٠٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٣٠٨﴾	٨٤
	طه	﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ ﴿٣٠٩﴾	
٣٠٧	سبأ	﴿ عَلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٣١٠﴾	٨٥
	يونس	﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٣١١﴾	
٣١٧	البقرة	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣١٢﴾	٨٦
	لقمان	﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ ﴿٣١٣﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣١٤﴾	
٣١٩	النحل	﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ ﴾ ﴿٣١٥﴾	٨٧
	فاطر	﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ ﴾ ﴿٣١٦﴾	
٣٢٣	المتحنة	﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ ﴿٣١٧﴾	٨٨
	المتحنة	﴿ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ ﴾ ﴿٣١٨﴾	
٣٣١	النساء	﴿ لَا تَقْرَبُوا ﴾ ﴿٣١٩﴾	٨٩
	البقرة	﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ ﴿٣٢٠﴾	
٣٣٣	الشعراء	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ ﴿٣٢١﴾	٩٠

	الشعراء	﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بُشْرٌ مِّثْلُنَا ﴾ ﴿١٨٦﴾	
٣٣٤	الجمانية	﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ ﴿٣٣﴾	٩١
	الزمر	﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ ﴿٤٤﴾	
٣٣٥	طه	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ ﴿٥٢﴾	٩٢
	الزخرف	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ ﴿١﴾	
٣٣٩	الأعراف	﴿ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ﴿١٤٥﴾	٩٣
	هود	﴿ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ ﴿٥٥﴾	
٣٣٩- ٣٤٠	النساء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ ﴿٣٧﴾	٩٤
	النحل	﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ﴿٣٨﴾	
	النحل	﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾	
٣٤٢	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ .. ﴾ ﴿٤٧﴾	٩٥
	محمد	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾	
	المؤمنون	﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾	
٣٤٤	النساء	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ .. ﴾ ﴿١٥﴾	٩٦
	الحشر	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٤١﴾	

فهرس الآيات المتشابهات موضع الموازنة بين الغرناطي والسامرائي

٣٤٨	آل عمران	﴿ تَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُنزِلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾	١
٣٥٠	الأنعام	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾	٢
	العنكبوت	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾	
٣٥١	البقرة	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	٣
	الأعراف	﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	
٣٥٣	البقرة	﴿ فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٤
	طه	﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾	
٣٥٥	الأنعام	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾	٦
	الأعراف	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾	
٣٥٨	الكهف	﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾	٧
٣٥٩	البقرة	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بَغْيَ الْحَقِّ ﴾	٨
	آل عمران	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ ﴾	

			بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿١١٢﴾	
٣٦١	البقرة		﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٤﴾ ﴾	٩
	البقرة		﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾	
٣٦٤	الأعراف		﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾	١٠
	هود		﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾	
	هود		﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿١١٨﴾ ﴾	
	هود		﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	
٣٦٥	الأعراف		﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	١١
	الأعراف		﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾	
٣٦٩	هود		﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	١٢
	النحل		﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾	
٣٧١	البقرة		﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴿١٢٤﴾ ﴾	١٣
	آل عمران		﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴿١٢٤﴾ ﴾	
٣٧٣	البقرة		﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ۗ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾	١٤
	الأعراف		﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ۗ سَنَزِيدُ	

		﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١١﴾	
٣٧٤	البقرة	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾	١٥
	يوسف	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ تَعْبُرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾	
٣٧٥	الأنعام	﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٦٥﴾	١٦
	الأعراف	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٧٧﴾	
٣٧٧	الحج	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿٢٢﴾	١٧
	لقمان	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿٢٢﴾	
٣٧٨	البقرة	﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٢٩﴾	١٨
	الأنفال	﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢١٦﴾	
٣٨١	الأنعام	﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٢٢﴾	١٩
	غافر	﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِّي تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾	
٣٨٢	البقرة	﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ﴿٢٤﴾	٢٠

	الأعراف	﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ ﴿٣٨٤﴾	
٣٨٤	النحل	﴿ وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٨٤﴾	٢١
	فاطر	﴿ وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٨٤﴾	
٣٨٥	آل عمران	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ ﴿٣٨٥﴾	٢٢
	الأنفال	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ ﴿٣٨٥﴾	
٣٨٧	البقرة	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ ﴿٣٨٧﴾	٢٣
	المائدة	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ ﴿٣٨٧﴾	
	الأنعام	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ ﴿٣٨٧﴾	
	النحل	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ ﴿٣٨٧﴾	
٣٩٣	الأعراف	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ﴿٣٩٣﴾	٢٤
	يونس	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ﴿٣٩٣﴾	
٣٩٥	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَأَبَاءَهُمْ ﴾ ﴿٣٩٥﴾	٢٥
	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ كَبِيرًا ﴾ ﴿٣٩٥﴾	

٣٩٧	آل عمران	﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿٢٦﴾	٢٦
	الفتح	﴿ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ مِمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿٢٧﴾	
٣٩٩	الرعد	﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ﴿٢٨﴾	٢٧
	الحج	﴿ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ﴿٢٩﴾	
٤٠٠	البقرة	﴿ فَأَنْفَجَرْتُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ ﴿٣٠﴾	٢٨
	الأعراف	﴿ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ ﴿٣١﴾	
٤٠٤	البقرة	﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٣٢﴾	٢٩
	الأعراف	﴿ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾	
٤٠٦	الكهف	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ﴿٣٤﴾	٣٠
	فصلت	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ ﴿٣٥﴾	
٤٠٧	الرعد	﴿ كُلُّ نَجْمٍ يَّجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ﴿٣٦﴾	٣١
	لقمان	﴿ كُلُّ نَجْمٍ يَّجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ﴿٣٧﴾	
	فاطر	﴿ كُلُّ نَجْمٍ يَّجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ﴿٣٨﴾	
	الزمر	﴿ كُلُّ نَجْمٍ يَّجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ﴿٣٩﴾	
٤١٠		﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ ﴿٤٠﴾	٣٢
		﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ ﴿٤١﴾	

٤١٢	الأعراف	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ﴾ (٣٣)	٣٣
	الشعراء	﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ﴾ (٣٤)	
	طه	﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ﴾ (٣٥)	
٤١٥	المائدة	﴿ سُحْرُفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٣٦)	٣٤
	المائدة	﴿ سُحْرُفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٣٧)	
٤١٧	الأعراف	﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣٨)	٣٥
	يونس	﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣٩)	
٤١٩	هود	﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤٠)	٣٦
	هود	﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٤١)	
٤٢١	القصص	﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾ (٤٢)	٣٧
	الشورى	﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٤٣)	
٤٢٣	البقرة	﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٤٤)	٣٨
	يونس	﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٤٥)	
٤٢٥	البقرة	﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤٦)	٣٩
	الأنعام	﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤٧)	
٤٢٦	الأعراف	﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (٤٨)	٤٠
	هود	﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٤٩)	
	يوسف	﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٠)	
	فصلت	﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥١)	
٤٢٩	الأعراف	﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٢)	٤١
	فصلت	﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥٣)	

٤٣١	المؤمنون	﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾	٤٢
	المؤمنون	﴿ فَاتَّبَعَنَا بِعَظْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	
٤٣٣	لقمان	﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣
	الشورى	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾ ﴾	

فهرس المصطلحات

هذه فهرسة لأهم المصطلحات التي تناولها البحث بالبيان والتفصيل، مع عرض موجز للتعريف الذي خلص إليه الباحث، أو التعريف الذي مال إليه الباحث من بين عدة تعريفات تم استعراضها ومناقشتها في محلها من البحث.

م	المصطلح	التعريف	الصفحة
١	التوجيه لغة	بيان وجوه المعاني التي يتجه إليها أمر ما.	٢٣
2	التوجيه اصطلاحاً	إزالة الصعوبة في فهم كلام ما - من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك - قد يُفهم على غير الوجه الصحيح، أو لا يُفهم أصلاً، أو يُفهم مع انقداح في النفس.	٣٦
٣	التوجيه في البلاغة	: إيراد الكلام مُتَحَمِّلاً لوجهين مختلفين.	٢٣
٤	التوجيه في الشعر	حركة الحرف قبل الروي المقيد.	٢٣
٥	التشبيه عند البيانين	إِحْاقُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ لصفة مشتركة بينهما.	٢٦
٦	المُشَبَّهَة	نِحْلَةٌ دينية يُشَبَّه أصحابها الخالق بالمخلوقات.	٢٧
٧	المتشابه لغة	يطوف حول معنيين: الأول: التماثل والتساوي. الثاني: المُشْكِل، والالتباس، والخلط، والغموض	٣١
٨	المتشابه اصطلاحاً	ما أشكل تفسيره لمشابته غيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، أو من حيث اللفظ والمعنى معاً.	٢٩
٩	المحكم اصطلاحاً	الظاهر الذي لا شبهة فيه، ولا يحتاج إلى تأويل.	٢٥
١٠	اللفظ لغة	ما يُلْفَظُ به من الكلام.	٣٥
١١	المتشابه اللفظي في القرآن اصطلاحاً	تكرار اللفظ، في الآية، أو في السورة، أو في سور شتى، دون تكرار المعنى، فقد يتطابق المتشابه اللفظي في المَبْنَى، لكنه يختلف في المَعْنَى	٤٢

	والغرض.		
٣٧	البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازل.	توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحاً	١٢
٥٠	ما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو غيره.	الفائدة	١٣
٥٠	الهدف الذي يُرْمَى إليه، والبُعْية، والقصد.	الغرض	١٤
٥٠	ما يقدر من عمل .. في زمن معين.	الوظيفة	١٥
٧٧	الكتاب تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين، وملحق في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام مرتبة بنظام معين.	الفهرس، الفهرست	١٦
٧٧	كتاب لمفردات اللغة مرتب على حروف الهجاء.	المعجم	١٧
٧٧	هو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن أو آياته بنظام مُعَيَّن دون الخوض في تفصيل المعاني.	الفهرس القرآني	١٨
٧٧	هو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن وآياته بنظام مُعَيَّن مع الخوض في تفصيل للمعنى.	المعجم القرآني	١٩
١١٣	في الأصل: الترجيع. وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة.	التأويل	٢٠
٢٢٨	هو الذي تمثله التراكيب بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها.	السياق اللغوي	٢١
٢٢٨	وهو جملة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، وهو يعنى بحال المتكلم والمستمع، والظروف المحيطة بالحدث الكلامي.	سياق الحال	٢٢

٢٢٨	ويتكون من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي، كما يشمل القرائن المقالية.	المعنى المقالي	٢٣
٢٢٨	هو المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة، ويشمل الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية التركيبية.	المعنى الوظيفي	٢٤
٢٢٨	هو الذي تدل عليه الكلمة مفردة كما في المعاجم.	المعنى المعجمي	٢٥
٢٢٨	المحيط اللفظي.	القرائن المقالية	26
٢٢٨	ويقصد به الظروف التي أُدِّيَ فيها المقال، أي القرائن الحالية.	المعنى المقامي	27
٢٢٨	أي حال المتكلم، وحال المستمع، والحال العام الذي سيق فيه الكلام.	القرائن الحالية	28
٢١٧	أن يرد في صدر الكلام ما يُشعر بخاتمته.	التصدير	٢٩
٢١٧	عرض الحوار بأوجز عبارة، وألطف معنى، وأسهل لفظ.	المراجعة	٣٠
٢١٧	رفع توهم يتولد من الكلام السابق، ولا يقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب.	الاستدراك	٣١
٢١٧	التدرج الطبيعي لما يذكر من الصفات.	الترتيب	٣٢

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	مسلسل
٣١١	آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد	.١
٢٢٩، ١٢	إبراهيم عبد العزيز الزيد	.٢
٣٠، ٧٢	ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري	.٣
٢٥، ٦٣، ٨٣، ١٠١	ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن	.٤
٢٣٨، ٢٣١ ٢٤٣	ابن الخطيب، لسان الدين	.٥
١٤٢، ١٤٥	ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي	.٦
٣٠٥، ٦٣	ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية	.٧
٦٤	ابن المنادى، أبو الحسن أحمد ابن جعفر	.٨
٢٣٧	ابن الناظر، أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص	.٩
٦٤، ٦٣	ابن النديم	.١٠
٤٣	ابن تيمية	.١١
١٣١، ٦٧، ٣٣ ٣٧١	ابن جماعة، بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم	.١٢
٢٨	ابن حبان	.١٣
٢٤٣، ١٣١، ٦٧	ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر	.١٤
٢٨	ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد راهويه الحنظلي	.١٥
٤٣	ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني	.١٦

٤٥	ابن سيده	.١٧
١٩٧، ٨٢، ٥٠	ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي	.١٨
٣٤٨، ١٩٢	ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل	.١٩
٢٤٠، ٢٣٥ ٤٣١	ابن عبد الملك الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي	.٢٠
٣٤٧	ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين	.٢١
١٩٢، ٦٣	ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة	.٢٢
٣٨٦، ٣٤٨	ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية	.٢٣
١٠١، ٣٥	ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن	.٢٤
٨٣، ٤٥، ٢٧	ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة	.٢٥
١٣١، ١٧ ٣٥٢، ٣٤٧	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير	.٢٦
٣٠، ٢٤، ٢٠ ١٠٦	ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حيفة بن منظور	.٢٧
٣٩، ٢٧، ٢٩	أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي	.٢٨
٢٣٧	أبو الحجاج، يوسف بن أبي ربحانة المالقي	.٢٩
٢٠	أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني	.٣٠
١٩٢، ٥٣ ٤٠٠، ٣٤٧	أبو السعود، بن محمد العمادي الحنفي	.٣١
٤١	أبو القاسم الشابي	.٣٢
٢٣٧	أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون المصمودي	.٣٣
٣٤٧	أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر	.٣٤

٢٣٧	أبو جعفر أحمد بن محمد خديجة	.٣٥
٣٥٣	أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي	.٣٦
٢٣٣، ٥٤، ٢٤٦، ٢٤١	أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني	.٣٧
٣٤٨، ١٩٢	أبو زهرة، محمد	.٣٨
٢١	أبو شيبة، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة	.٣٩
٢٣٧	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن زكرياء	.٤٠
٢٣٧	أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدي الفاصي	.٤١
٢٣٧	أبو عبد الله محمد بن يوسف الطنجالي	.٤٢
٦٥	أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي	.٤٣
٢٣٧	أبو مطرف، أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن عميرة	.٤٤
٢٣١، ٢١	أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	.٤٥
٧٥، ٢٩	أحمد مختار عمر	.٤٦
٤٢	إيليا ضاهر أبو ماضي	.٤٧
٦٣، ٦٢، ٣١، ٢٠٦، ١٥٢، ٣٥٢، ٣٤٢	الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني	.٤٨
٦٢، ٣٤، ١٧، ١٠٢، ٨٠، ٧٠، ١٦٩، ١٣٧، ٢٠٣، ١٨٠، ٢٦٦، ٢٤٩، ٤٢٤، ٣٩٧	الإسكافي، عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي	.٤٩

١٠٢، ٥٥، ١٩٣، ١٨٩، ٣٣٥، ٣٠٧، ٤٠١، ٣٥٣	الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني	.٥٠
٢٤١، ٢٣٦	الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي	.٥١
١٤٧، ٧٠، ٦٧، ١٦٩، ١٥٥، ٣٢١، ٢٨٨، ٣٧٦، ٣٦٦، ٤٠٠، ٣٩٦، ٤١٩	الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا	.٥٢
٤٩، ١٧	الباقلاني، أبو بكر	.٥٣
٦٢، ٢٧، ٢١، ٢٤٠، ١٤٥، ٣٨٦، ٣٢٥	البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي	.٥٤
٣٩٠، ٣٤٧	البغوي، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود	.٥٥
١٨٨، ٥٤، ٣٣٤، ١٩٢، ٤٠٠	البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر	.٥٦
١٣٢، ١٣١	البرزالي، عَلمُ الدِّينِ القاسمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يوسف	.٥٧
٢٩٧، ١٩٢، ٤٠٠، ٣٣٤	البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي	.٥٨
٣٠، ٢٤	البيهقي، أحمد لن علي بن موسى أبو بكر البيهقي	.٥٩
٦٢، ٣٠، ٢١	الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي	.٦٠

٢٣٨		
٤١	التلمساني، أحمد بن المقرئ	.٦١
٣٤٧، ٢٠	الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم	.٦٢
٤٢	الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي	.٦٣
٤٢١، ١٧	الجبالي، محمد رجائي أحمد	.٦٤
١٠٧، ٣٣، ١٣، ٢١٠	الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد	.٦٥
٢٥	الجرجاني، علي بن محمد علي الجرجاني	.٦٦
٢٨	الحارث بن أبي أسامة الحافظ نور الدين الهيثمي	.٦٧
٣١، ٢١	الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم	.٦٨
٢٤٢	الحميدي، محمد بن فتوح	.٦٩
٣١٧	الحنين، فواز بن سعد بع عبد الرحمن	.٧٠
٣٣٤، ١٩١، ٣٨٩، ٣٤٨	الخانن، علاء الجين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي	.٧١
٣٤٧، ١٤٦	الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد	.٧٢
١٠٦، ٣١، ٢٦٠، ١٣١	الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري	.٧٣
٧٤، ٧٢	الخميسي، أحمد حسن	.٧٤
١٢٧	الدوري، محمد ياس خضر	.٧٥
١٣١، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٤٠	الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان	.٧٦
١٧٨، ١٠١، ٣٣٤، ١٩٢	الرازي، أبو عبد الله بن عمر بن الحسن بن الحسين	.٧٧
١٠٤، ٧٣، ٢٧	الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد	.٧٨

١٧٩ ، ١٠٨ ٣١٦ ، ٣١٤		
٤٧	الرافعي، مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر	.٧٩
٢٣٨	الروّاد، أحمد بن محمد بن التحيبي الغرناطي	.٨٠
٤١	الزيدي، حسين بن عبد الباقي الزاهر	.٨١
٣٤٨ ، ١٩٣	الزحيلي، وهبة بن مصطفى	.٨٢
٣٧٨ ، ٤٧	الزرقاني، محمد عبد العظيم	.٨٣
٤٩ ، ٤٣ ، ٣٥ ٩٦ ، ٨٨ ، ٥٥ ٣٠٦ ، ٢٨٨ ٣٦٢	الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر	.٨٤
١٠٢ ، ٦٧ ١٤٣ ، ١٣٣ ٢٤٧	الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي	.٨٥
١٠١ ، ٥٣ ، ٤٥ ٣٠٦ ، ٢٦٠	الزحشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزحشري الخوارزمي	.٨٦
٩٠ ، ٦٣ ، ١٣ ٢٤٠ ، ٢٢٩ ٣٧٣ ، ٣٣٠ ٤٣٦	السامرائي، محمد فاضل	.٨٧
٧٧ ، ١٤ ، ٨ ١٧٨ ، ١٥٦ ٢٦١ ، ٢٢٢ ٣٣٤ ، ٣٠٦	السامرائي، فاضل صالح	.٨٨

٣٨٧ ، ٣٧١ ٤٢٠ ، ٣٩٣		
١٣٣	السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي	.٨٩
٣٤٧ ، ١٩٢	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله	.٩٠
٣٤٨ ، ١٩١	السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم	.٩١
٣٤٨	السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار	.٩٢
٣٤٧ ، ١٩٢	السيد محمد رشيد رضا	.٩٣
٥٣ ، ٤٣ ، ٣٥ ٨٨ ، ٧١ ، ٦٤ ١٧٠ ، ١٤٤ ٣٨٧ ، ٢٣٨ ٤٠٩	السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين	.٩٤
٢١٥	الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي	.٩٥
١٩٢ ، ١٧٨ ٣٤٧ ، ٣١٦ ٤٣٨ ، ٣٨٧	الشعراوي، محمد متولي	.٩٦
١٤٦ ، ١١٥ ٣٩٧	الشهري، عبد الرحمن	.٩٧
٦٣ ، ٥٠ ، ٢٥ ١٤٤ ، ١٤٢ ٣٤٧ ، ١٩٣ ٤٣٨	الشوكاني، محمد بن علي بن محمد	.٩٨
١٠٥ ، ٧٧ ، ١٣ ٢٣١ ، ١١٦	الشثري، صالح عبد الله محمد	.٩٩

٤٣٨ ، ٢٥٧		
٤٣	الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر	.١٠٠
١٩٢ ، ١٤٦ ٣٤٨ ، ٢٢٤	الصابوني، محمد علي	.١٠١
١٢١ ، ٧٨ ١٧٩ ، ١٥٦ ١٩٩ ، ١٩٤ ٣٢١ ، ٢٢٢	الصامل، محمد بن علي بن محمد	.١٠٢
٢٢٨ ، ٢٠٨ ٢٥٣ ، ٢٣٥ ٢٥٨ ، ٢٥٥	الصعيدي، ياسر عطية	.١٠٣
١٠٢ ، ٦٧ ٢٤٠ ، ٢٣٣	الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله	.١٠٤
٢٦٠ ، ١٩١ ٣٤٧	الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي	.١٠٥
٣٠	الطبراني، سليمان بن أحمد بن ايوب أبو القاسم	.١٠٦
١٩٢ ، ١٨٨	الطنطاوي، محمد سيد	.١٠٧
٣٤٨	العدوي، أبو عبد الله مصطفى بن العدوي	.١٠٨
٣٤٨	العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي	.١٠٩
٢٣٧	العشَّاب، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي	.١١٠
٤١	العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله	.١١١
٢٠ ، ١٢ ، ٨	الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير	.١١٢

،١٠٩ ،٦٠ ،٣٥ ،٢٠٥ ،١٧١ ،٢٥٠ ،٢٣٤ ،٣٤٣ ،٣٢٠ .. ،٤١٦ ،٣٩٠	الثقفي	
٢٦٠ ،٤٣	الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي	.١١٣
٢٧	الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ	.١١٤
،٤٠ ،٢٥ ،٤ ،١٦٥ ،٤٩ ،٢١٥ ،٢٠٧ ..،٢٢٤ ،٢٢٠	القاضي، محمد	.١١٥
١٦٠	القرضاوي، يوسف	.١١٦
،١٩٢ ،٦٣ ،٢١ ٣٨٦ ،٢٦٠	القرطبي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين	.١١٧
،٢٣٩ ،١٤٢ ٢٤٥	الكتاني ، عبد الحي بن عبد الكبير	.١١٨
،٨٠ ،٦٦ ،٢٠ ،١٢٩ ،١١٩ ،١٥٠ ،١٣٥ ،٢٢٣ ،١٧٤ ،٣٤٩ ،٣٠٥ ..،٤١٧ ،٣٩٦	الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين	.١١٩
٣٤٨	الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب	.١٢٠
،٧٠ ،٤٦ ،٣	المطعني، عبد العظيم إبراهيم	.١٢١

١٥٦، ٧٧		
١٧٩، ١٦٥		
٢٢٣، ٣٦٦ ..		
٣٣٤، ١٩١	النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود	.١٢٢
٤٠٠، ٣٤٧	حافظ الدين النسفي	
٢١	النمري القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد الله	.١٢٣
١٩٢	النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين	.١٢٤
٣٤٨، ١٩٣	الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي	.١٢٥
٢٨٨	بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن	.١٢٦
٢١٤	تمام حسان عمر	.١٢٧
١٣	تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث	.١٢٨
١٦٥	جمال سلطان	.١٢٩
٢١٣	جوزيف فندريس Joseph Vendryes	.١٣٠
١٠٦	حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي	.١٣١
	الفلسطيني المشهور باسم حاجي خليفة	
١٦٥	حامد أبو أحمد عميد	.١٣٢
٣٤٨	حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي	.١٣٣
٣١٢	خالد بن عثمان السبت	.١٣٤
٢٨٧	خضر، السيد	.١٣٥
٣٩٧	زغلول النجار	.١٣٦
٢٣٨	سعد بن محمد الحفار	.١٣٧
٢٦	سعدى أبو حبيب	.١٣٨
١٩٢، ١٨٨	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي	.١٣٩
٢١٢	ستيفن أولمان، STEPHEN ULMANN	.١٤٠

٣٤	طاش كبرى زاده	.١٤١
١٦٤	ظافر العمري	.١٤٢
٤٤	عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي	.١٤٣
١٣٩، ٤٤	عبد الرحمن ابن عبد الخالق	.١٤٤
٢١	عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني	.١٤٥
١٦١	عبد الصبور شاهين	.١٤٦
٣٤، ٣٣	عبد العزيز بن علي بن علي الحربي	.١٤٧
٢٤٣	عبد العظيم بن عبد الله بن أبي الحجاج ابن الشيخ البلوي	.١٤٨
٢٣٨	علي بن محمد الشاري	.١٤٩
٢٣٨	الغزال، علي بن أحمد بن محمد بن يوسف	.١٥٠
١٤٣، ١٠٢	عمر كحالة	.١٥١
٥٥، ٤٨	عمر محمد عمر باحاذق	.١٥٢
٣١٥، ١٢١، ٧٩	فرحات، أحمد حسن	.١٥٣
١٣٥، ١٣١	قيطاز، محمد عدنان	.١٥٤
٧٨، ٣٨، ١١ ٠٠، ٢٦٥، ١٠٩	ليب محمد جبران صالح	.١٥٥
١٩١	محمد الأنطاكي	.١٥٦
٢٣٨	محمد بن أحمد بن عبید الله بن العاصي أبو بكر اللخمي الإشبيلي	.١٥٧
٦٠، ٢٠، ١٣	محمد بن راشد بن محمد البركة	.١٥٨
٢٤٣، ٥٤	أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني	.١٥٩
٩٩، ٧٥، ٧٤	محمد فؤاد عبد الباقي	.١٦٠
٧٧، ٣٧، ١٢	محمد مصطفى آيدين	.١٦١

١١٥، ١٠٢ ٢٧٤		
٦٩	محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام العبد	.١٦٢
١٦١	محمود القاعود	.١٦٣
٧١، ٢١	مرتضى الزبيدي محمد بن عبد الرزاق الحسيني	.١٦٤
١٣٨، ١٣٣	مرزوق علي إبراهيم	.١٦٥
٣٢٥، ٢١	مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم	.١٦٦
١٢	مشهور مشاهرة	.١٦٧
١٦١	مصطفى محمود	.١٦٨
٣٤٨، ١٩٢، ٦٤	مقاتل، أبو الحسن مقاتل سليمان بن بشير الأزدي	.١٦٩
١٦١	نجيب محفوظ	.١٧٠
٥٧، ٤٠	نصار، حسين	.١٧١
١٩٢	هاشم طه شلاش	.١٧٢
٦٥	ياسر بن محمد بن محمد بن مرسى بن بيومي	.١٧٣
١٤٧، ٧٩، ٣ ١٩٢، ١٨٠ ٣١٠، ٢٢٤ ٣٩٧، ٣٢٢	ياسين المجيد، عبد المجيد	.١٧٤
١٢١، ١٠٣	ياقوت الحموي	.١٧٥
٧٤	يسري عبد الغني عبد الله	.١٧٦